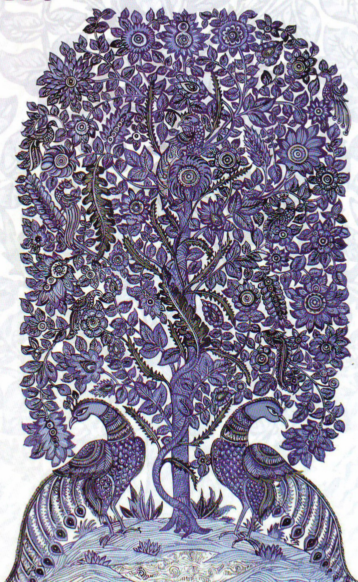
د. خليل جندي

البحث عن الدين الايزيدي التاريخي

دراسات





بيت الكتاب السومري

البحث عن الدين الايزيدي التاريخي

د. خليل جندي



بيت الكتاب السومري



البحث عن الدين الايزيدي التاريخي
د. خليل جندي
الاخراج الطباعي : حسين مهدي
الطبعة الاولى 2023
العراق - بغداد - شارع المتنبي
+964 7706 88 32 99
+964 7822 66 25 99
إيميل : sumerianbookhouse@yahoo.com





بيت الكتاب السومري

يمنع نسخ واستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتغرافي والتعديل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

All rights are reserved, no part of this book may reproduced, stored in a retrievel system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher Copyrights.

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الإهداء إلى...

* روح الراحل بابا شيخ، الشيخ حاجي الشيخ إسماعيل الذي رفع الحظر والسريّة عن تدوين النصوص الدينية، وفتح لنا الباب بداية سبعينات القرن العشرين بتعريف الإيزيدية في العالم الخارجي...

* روح الراحل فقير حجي فقير شمو، أحد أبرز علماء الدين الإيزيدي الذي نقل لنا وللأجيال بكل أمانة كنزاً هائلاً من النصوص، وقصصاً تحتضن عقيدة الدين الإيزيدي...

جولة في عالم الموروث الشفهي الإيزيدي

خلال عملي بصفتي باحثاً وأستاذاً مساعداً في جامعة غيورغ,أوغست، غوتنغن/ألمانيا، القسم الإيراني حول أبحاث عن الديانة الإيزيدية؛ لفت انتباهي تناثُر العديد من الإشارات والرموز في ثنايا النصوص الدينية الإيزيدية، مما دفعني إلى التأمل في مغزاها والبحث عن دلالاتها وجذورها التاريخية؛ لذا خصصت بحثاً خاصاً تحت عنوان: "أسئلة مخفية أوالبحث في كيفية فهم الأدب الديني؟! نحو فهم فلسفة الديانة الإيزيدية" ضمن كتابي الموسوم: (پەرن ژ ئەدەبی دینی ئیزدیان Perin ji Edebê Dênê Êzidyan صفحات من الأدب الديني الإيزيدي). طرحت فيه منهجية جديدة لفك رموز بعض من تلك الألغاز, ومحاولة إيجاد أجوبة عن العديد من الأسئلة التي لم يُجاب عنها إلى حد الآن. من دون ذلك من الصعب معرفة جذور الديانة الإيزيدية وروافدها وفهم فلسفتها تجاه الكون والخليقة.

يظهر من خلال النصوص الدينية والقصص والأساطير المتداولة بين الإيزيدية، وكذلك من الكثير من العادات والتقاليد وحتى من شكل الزي بعض المقاربات مع العقائد القديمة. وترد في تلك النصوص الدينية (أقوال، أدعية، أبيات، قصائد..) بعض أسماء وكلمات ومصطلحات لابدّ من التوقف عندها. فيما إذا كان وجودها محض مصادفة ومسألة عرضية أم لها أساس تاريخي واجتماعي واقتصادي وفكري؟ فهل نتمكن من خلال التنقيب والتقصي والبحث عن جذور تلك الكلمات من كشف بعض الجوانب المخفية من العقيدة الايزيدية؟ أو هل نتمكن، ولو من

باب التخمين والافتراض، من التعرف إلى بدايات ظهور الجماعات التي تشكلت منها إيزيدية الوقت الحالي (العشائر، القبائل، السلالات، الأفخاذ، الحضارات..). وكيف تحركت تلك المجاميع عبر التاريخ في أكثر من رقعة جغرافية؟ كيف تداخلت الأفكار الدينية المختلفة، وكيف يمكن التمييز بينها؟.

نعم، هناك فلسفة "الإيزيدياتي" أو لنقل فلسفة دينية لمجموعة عريقة من مجموعات شعوب الشرق القديم. يطلق عليها الشعوب الهندو-آرية والهندو-أوروبية، لكن تلك الفلسفة مبعثرة بين سطور ذلك الأدب الديني. وبما أن الإيزيدية لا تملك دلائل مادية تاريخية من آثار وكتابات على رُقَمْ طينية/فخارية[1]، لذا تبقى الطقوس وبعض العبادات والعادات منطلقاً للبحث في ذلك التاريخ المجهول. فمن أجل البناء، أو بالأحرى من أجل فهم ذلك الأدب، يقع على عاتق العلماء والباحثين الإيزيديين التعاون والعمل بكل كفاءة واقتدار لتأسيس تاريخ تقريبي لأتباع هذه الديانة والتعرف إلى جذورها ومنشأ عقيدتها.

من هذا المنطلق، أحاول في البداية التوقف عند مجموعة من الأسئلة والرموز والإشارات التي ترد في النصوص الدينية أو في الموروث الديني الإيزيدي، وترك القسم الآخر للمستقبل بغرض العمل عليهم، ربما، بصورة جماعي. أظن جازماً أن ذكْر بعض الكلمات والرموز والمصطلحات ضمن النصوص والتراث الديني لم يأت اعتباطاً ولم يخلق من فراغ، إنما له أساس فكري وتاريخي. وكما يقال إن الكلمات والرموز هي شيفرات لا تنكشف لمن لا يعلم أسرارها. وإن دلالة الرموز هي طريق اللغة إلى الفلسفة أو بالعكس طريق الفلسفة إلى اللغة.

في الجانب العقائدي، تعدّ فكرة طاؤوس ملك قديمة قِدم ظهور الأفكار الدينية. يربط الإيزيديون وجوده قبل خلق الكون. فهل طاؤوس ملك هو نفسه (ديموزي- تموز) السومري البابلي ابن إنانا/عشتار أم هو اسم لكائن أسمى؟ هنالك أسطورة/قصة خلق آدم وموقف الانتماء إليها إيزيدياً! كما لا يخلو الموروث الإيزيدي من أخبار نوح مع قومه، وقصة الطوفان المرتبطة بـ (عين سفني) مركز الديانة الإيزيدية حسب المعتقد الإيزيدي. وعلى أرض الواقع يحتل إبراهيم الخليل، المعروف بأبي الأنبياء في الديانات الإبراهيمية، حيزاً كبيراً بين الموروث

والأدب الديني الإيزيدي. السؤال هو: ما علاقة هذه الشخصية بالإيزيديينْ؟ ومَنْ هو إبراهيم؛ هل هو (براهما) إله الهندوس الأعلى كما تذهب إليه بعض المصادر، أم هو إبراهيم الذي كسر أصنام أبيه وحارب نمرود، ودعا إلى عبادة الإله الأوحد، ورحل إلى مصر القديمة وأرض كنعان ومنها إلى أرض الحجاز وارتبط بناء مكة باسم ابنه إسماعيل ابن هاجر، حسب المصادر اليهودية والمسيحية والإسلام؟ ما موطن إبراهيم الأصلي؟ هل هو حرّان (أورفه- الرها)، كما تشير بعض المصادر أم (أور كلدان) جنوب العراق الحالي كما تذهب إليه مصادر أخرى أم هو (أورا كلديا) الأورارتية جنوب بحيرة (وان) وشمال حرّان؟ وهل إبراهيم الخليل هو نفسه الذي دخل مصر، وخرج منها إلى سيناء، ثم سكن أرض كنعان أم هو شخصية أخرى وربما أسطورية؟! وهل من خيوط تربط بين عشيرة الهكارية (الكارية- هارية) وشعب الهكسوس الهندو-أوربي الذي انحدر من مناطق (وان وآرارات)، وحكم مصر زمن الفراعنة، وانسحب منها مع العبرانيين الى أرض كنعان؟ وإذا كانت حرّان هي محرفة من كلمة (هق-هك) بمعنى الإله أو الإله الراعي، كما تذكر بعض المصادر، فهل العشيرة الهكارية هي نسبة الى إله تلك المدينة الإبراهيمية أم إلى جبل "هارا" وجبل "هكاري" الوارد ذكره في (آفيستا) كتاب زرادشت المقدس؟! لماذا يعدّ علماء الدين الإيزيديون نبوخذ نصر (بختنصر) واحداً من الإيزيديين، ويقولون إنه قاد حملة على أورشليم ليأخذ منها مقدسات الإيزيدية المسروقة (السنجق أو رمز الطاؤوس القديم، كبش إبراهيم الخليل، الصنم، كتاب مصحف رش، والمصباح ذو الرؤوس التسعة)؟! وسمعت بالمقابل من رجال دين إيزيديين أن ديانتهم قادمة من الهند! فهل هناك من خيط يربط بين "براهما" الإله الهندوسي والنبي إبراهيم باني الكعبة في مكة؟!

لماذا يقدس الإيزيديون الشمس والقمر معاً؛ إذا علمنا أن عبادة الشمس مرتبطة بالمجموعات الحضرية الزراعية، وعبادة القمر مرتبطة بالمجموعات البدوية الرعوية؟ هل عبادة الظاهرتين (الشمس والقمر) متأصلة لدى الإيزيدية أم أنها شمس آتون الفراعنة أم شمس سبأ أم شمس بلاد الرافدين وميترا والإغريق؟!

هل اسم الإيزيدية هو نسبة إلى (إيزيدا) معبد الإله نابو في بابل أم نسبة إلى

(يزدان- الخالق) أم نسبة إلى (يزيد بن معاوية) أم (يزيد بن أنس الخارجي)؟!. هل العشيرة الهكارية والخالدية (الخالتية) التي ينتمي إليها قسم من الإيزيدية التي أعطت اسمها الى منطقة واسعة من كردستان تمتد من شرقي إيران إلى بحيرة وان وإلى شمال الموصل، كانت تسكن هذه المنطقة منذ فجر التاريخ وإن كانت بأسماء أخرى أم قدمت إليها من مناطق في الشمال أو الجنوب؟.لماذا تحتفظ النصوص الدينية الإيزيدية المقدسة بأسماء العماليق، مكة، زمزم، هاشم، قريش، محمد، معاوية، يزيد، علي بن أبي طالب والخلفاء الراشدين، وبعض من أهل البيت ؟. وهل (العدنانية، القحطانية، الشماسية) هي نفسها (الآدانية، القاتانية والشمسانية) نسبة إلى عبد شمس أم إلى (عدن-أدن) الواردة في النصوص السومرية بمعنى الجنة المتمثلة بالمناطق الخضراء في وسط وجنوب العراق حينذاك، أم إن الآدانية محرفة من (آريان والآريانية)؟

إذا كان الإيزيديون "عرباً مسلمين" حقاً ومن أتباع يزيد بن معاوية، لماذا يأتي أدبهم الديني من أقوال وأبيات وأدعية باللغة الكرمانجية-الكردية؟ سؤال يطرح نفسه. وإذا كانوا من بقايا الديانة الزرادشتية والمانوية، لماذا لم يمجدوا زرادشت وماني في صلواتهم؟ ولماذا يجتهد الإيزيديون في البحث عن كتاب مقدس لهم، ولم يحتفظوا بـ "زَنْد آفيستا وغاتها" في بيوتهم؟!

بين أكوام هذه الأسئلة وغيرها نبحث عن اسم وتاريخ ومعتقد الإيزيدية. لأنها أصبحت بحق مرآة تعكس من خلالها عبق التاريخ وعراقة التقاليد والطقوس. وغدت موزاييك رائع للتراث الديني والقومي يربط أكثر من قارة مع بعضها.

لن يتحقق هذا الجهد إلاّ إذا أزلنا الصبغة الميثولوجية عن المقدس، حسب قول الباحث الألماني البارز رودولف بولتمان (-1976) (Rudolf Bultmann 1884)، وبحثنا في النصوص الدينية لكي نصل إلى بعض، أو عديد من الحوادث التاريخية. ولن يكون هذا العمل متكاملاً إلاّ إذا كان حديثنا عن الدين ضمن حدود العقل، حسب قول الفيلسوف (كانت). بمعنى مدى قدرتنا في التوفيق بين النصوص الدينية والتاريخ.

دُعيت عام 2012 إلى مؤتمر عُقد في مدينة بيليفيلد الألمانية، قَدَّمْتُ فيه بحثاً

مقتضباً تحت عنوان: "هل من علاقة بين النص الديني (گاى و ماسى Gay u Masî) وسفر الخروج التوراتية؟[2]" واصفاً هذا النص الديني "خميرة بحث لدراسة شاملة في المستقبل. إن كُتِبَ له النجاح، فسنكون أمام نظرية جديدة تلقي الضوء على إحدى أهم صفحات المعتقد الإيزيدي المخفية عبر التاريخ"، ومعتبراً تلك الورقة بـ "المغامرة الفكرية Intellectual adventure" والتأسيس لمشروع علمي كبير يفضي إلى تأليف كتاب أو أكثر في السنين القادمة. وها هو الكتاب الذي بين القراء. اعتمدت حينذاك على مراجع ومصادر قليلة، إلاّ أنها كانت علمية وفي غاية الأهمية. من أهمها: فراس السواح" آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي", د. سيد القمني" النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة", د. لويس عوض "مقدمة في فقه اللغة العربية", د. تهامي العبدولي"النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية"، أبو إسحاق الثعلبي" قصص الأنبياء (عرائس المجالس) "، الحافظ بن كثير"البداية والنهاية".

كان التحاقي بالسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية العراقية مدة اثني عشر عاماً (2008 – 2020) والتنقل بين أكثر من دولة، عاملاً معرقلاً في إنجاز هذا المشروع، بسبب عدم وجود المصادر المطلوبة في تلك الدول، فضلاً عن طبيعة العمل الجديد في عدم امتلاك الوقت الكافي ولا الذهن الصافي للاستمرار في تكملة البحث. خمسة مراجع تاريخية موثقة فقط وفي غاية الأهمية, لازمتني خلال رحلتي بين بغداد وأوسلو وهانوي ومانيلا. ومن تلك المراجع: عدد من مؤلفات المفكرين والبحاثة الكبار (د. لويس عوض، د. فراس السواح، د. سيد القمني، توفيق وهبي بك، والدكتور جمال رشيد أحمد). تمكنت في تلك الفترة من وضع منهجية البحث والخطوط العريضة للدراسة. وكنت أبحث في هذا المشروع متقطعاً إلى أن جاء يوم التقاعد من الوظيفة الرسمية، لأدخل مرحلة جديدة من التفرغ والحصول على مصادر قيّمة، تمكنت من خلالها التحرك بكل سلاسة. وهذا تقييم لأهم المراجع والمصادر النفيسة التي اعتمدت عليها:

* كتاب الدكتور لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية: يعدّ من أمّهات المراجع العلمية. يدرس فيه ماضي الثقافة العربية الإسلامية بعيداً عن التقديس

والجمود الفكري. يبحث عن مشكلة اللغة ونظرية اللوجوس وأدوات البحث الفيلولوجي. ويتحدث عن حركة الشعوب والهجرات البشرية من المخزن البشري العظيم، منطقة بحر قزوين الذي خرج منه عديد من أقوام منطقة الشرق القديم بما فيها الموجة العربية. ويقف عند فقه اللغة المقارن والأصل المشترك للعديد من اللغات الموجودة حالياً، ويقول: عندما نجد أسماء الأعداد وأسماء القرابة الأساسية وأسماء الحيوانات والنباتات، وأسماء الظواهر الطبيعية والأفعال والصفات الأساسية مشتركة في الجذور، نشتبه في أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثر والتأثير، بل هو نتيجة لوحدة في الأصول. ويقول إن اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندو-أوربية. ويضيف أن توزيع السلالات على الأرض لا صلة له بتوزيع اللغات، ويجب أن نقف موقف الحذر من نظريات النقاء السلالي والنقاء اللغوي[3]. ويتحدث المصدر عن آماليك (العماليق), ومنهم "بنو جرهم" الذين كانوا يسكنون مكة (ملكاي Malichae). وهم الهكسوس الذين استوطنوا الحجاز واتخذوا مكة عاصمة لهم بعد طردهم من مصر.

إن ورود الأسماء(العماليق، مكة، زمزم، هاشم، قريش) في نصين دينيين إيزيديين (گاى وماسى Gay u Masî) و (قەولێ مريدا- ئێزيدو مەدەهێ) الذي سبق أن طرحته في مؤتمر بيليفيلد عام 2012، وما وجدته في كتاب الدكتور لويس عوض، دفعني إلى التوقف عند حديث رجال الدين الإيزيدي (إن مكة كانت لنا!)[4]، فربطت الأحداث مع بعضها وبحثت في تاريخ العمالقة فيما إذا كان للإيزيديين الحاليين علاقة بهم؟ كما يأتي في هذا المرجع القيم موضوعات كثيرة لها ارتباط بتكوين المجتمع الإيزيدي، منها على سبيل المثال الشعب الخالدي أو الخالتي (بقي منها حالياً قبيلة إيزيدية كبيرة تسكن في تركيا وسورية والعراق), تنتمي لغتهم (كالديا Chaldea) أو اللغة الفانية (Vannic) أحياناً، نسبة إلى بحيرة وان، إلى لغة الحوريين التي كانت شائعة في "أورارتو القديمة"، واسم كالديا يخفي وراءه اسم "الكرد"[5]. وهؤلاء الكالديون (الخالديون-الخالتيون) من الشعب الهندو-أوربي، هم أنفسهم الذين احتلوا بابل وأسسوا المملكة البابلية. ويبدو أن ذلك هو أحد أسباب الربط بين نبوخذ نصر والإيزيديين.

* كُتب المفكر والباحث الدكتور سيد القمني، المذكورة آنفاً، تعد من الكتب العلمية القيمة في التحليل والاستنباط والأسانيد التاريخية. لقد رافقتني في ترحالي كُتب سيد القمني، ولاسيّما كتاب: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة بأجزائه الأربعة, وكذلك النبي إبراهيم والتاريخ المجهول. وكانت من بين المناهل الرئيسة التي اعتمدت عليها فيما يخص شعب الهكسوس وأصل سكن النبي إبراهيم التاريخي. إلى جانب القيمة العلمية لكتب الدكتور سيد القمني، فهي تفتح أمام الباحث طرق التفكير والتحليل والنقد بعيداً عن النظرة الجامدة للنصوص الدينية، وبعيداً عن تقديس الماضي، لذا امتازت أعماله بكامل المصداقية العلمية والتاريخية.

* مؤلفات الباحث فراس السواح، لغز عشتار/الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، آرام دمشق وإسرائيل، جلجامش، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم. عالم وباحث قدير يأخُذُكَ إلى المنابع الأولية لولادة الأفكار الدينية البدائية عند الإنسان القديم، ونشوء الأسطورة والطقوس، خاصة في مؤلفه المهم "لغز عشتار". وكان هذا الأثر هو أحد الأدوات المنهجية التي اعتمدت عليها في محاولة تفكيك وفهم بعض عقائد الديانة الإيزيدية، خاصة تقديس "طاؤوس ملك" وطقوس الأعياد على مدار السنة.

* كتابا الدكتور جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، ولقاء الأسلاف/الكرد والآن في بلاد الباب وشرْوان. مرجعان مهمان، خاصة الأول منه. يرشدان الباحث إلى كيفية تتبع الأسس التاريخية إلى اللغات بوجه عام، واللغة الكردية بوجه خاص. مع اعتبار اللغة مفتاحاً لدراسة التكوين الذهني للإنسان والتعبير من مشاعره تجاه العالم. وكيف استطاع الإنسان القديم أن يقترب من فواعل الكون، وأن ينظم علاقاتها ذهنياً من خلال قواعد اللغة. بهذا خصصت فصلاً كاملاً في اللغة كأساس تاريخي لظهور القيم الروحية والتوقف عند أصل بعض الكلمات القديمة ومعناها.

* كتاب الباحث مرشد اليوسف، دوموزي (طاؤوسي ملك) بحث في جذور الديانة الكردية القديمة. يعدّ هذا الكتاب بحثاً رصيناً في ميثولوجيا (طاؤوس ملك). دراسة معمقة عن تطور فكرة (دوموزي= طاؤوس ملك) في مخيلة الإنسان

القديم في علاقته مع الطبيعة, وتحول الإنسان من مرحلة الاعتماد على حياة الرعي إلى مرحلة تعلم الزراعة وجني المحصولات. وقد أضاف هذا الكتاب الصادر عام 1999 معلومات مهمة وقيمة إلى بحثي الموسوم: "لمحات من الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية" الذي نشرته عام 1993. تطرقت فيه إلى العلاقة بين الإله دوموزي/ تموز ابن وحبيب آلهة الكون وبين (طاؤوس ملك)، وهو الإله المخلص الفادي الذي يموت في الصيف ويبعث في الربيع، متجسداً سرّه في حبة "القمح" التي تزرع في الشتاء لتنبت في الربيع وتحصد (تموت) في فصل الصيف. تتجلى هذه الفلسفة ضمن أعياد الإيزيدية التي تحمل بصمات العصر الزراعي. "بطل" الدراما هو القمح في شكله الظاهري، والإله (تموز/ طاؤوس ملك) في شكله الباطني- السرّاني ممثلاً بموت وانبعاث الإله، وهي دورة الحياة الأزلية المتجددة بذاتها. وقد خصصت ضمن هذا الكتاب بحثاً مستقلاً تحت عنوان: المراحل التاريخية لتطور عقيدة طاؤوس ملك.

* كتاب العلامة توفيق وهبي بك: أثران تاريخيان عن الكرد/ دين الكرد القديم. يعدّ من أولى الدراسات العلمية والمنطقية حول مصطلح الداسنية الذي أُلصِق من قبل الزرادشتية بأتباع الديانة الإيزيدية. وهذا يدل على قِدَم العقيدة الإيزيدية على الزرادشتية. كما تعدّ هذه الدراسة الأولى التي تكشف منبع نعت الإيزيديين بعبدة إله الشرّ (الشيطان) حسب الديانات الإبراهيمية. ويردّ العلامة توفيق وهبي التهمة عن معبود الديانة الإيزيدية في كونه يمثل قوة الخير لا الشرّ، وأنه كان يمثل ربّ السماء وعين الشمس عند الشعوب الهندو-آرية القديمة.

* كتاب البروفيسور ر.س. زيهنير: المجوسية الزرادشتية/الفجر-الغروب. بحث علمي محكم، غني بالمعلومات والأفكار الدينية للشعوب الهندو-أوربية بفرعيها الهندي والإيراني. وبما أن غالبية الكتّاب الأجانب، بما فيهم معظم الكُتّاب العرب والمسلمين، اعتبروا الإيزيدية امتدادا للديانة الزرادشتية، فقد حاولت التوقف عند هذا الكتاب وقراءته لعلي أجد الطقوس المشتركة بين تلك الديانات وبين الإيزيدية. فخصصت الفصل الثاني لأبرز الأديان الهندو-أوربية والهندو-إيرانية القديمة.

تكمن أهمية هذا الكتاب في الحديث عن البنية الفكرية والعقائدية التي تأسست عليها الديانة الزرادشتية، وأنها استعيرت من عقيدة قديمة يعود تاريخها إلى عصور سحيقة جداً. وأن أتباع زرادشت تمكنوا من احتمال إعادة إدخال الآلهة القديمة إلى العقيدة التوحيدية الصارمة للنبي زرادشت في دور أرواح مخلوقة. اعتمدت الزرادشتية على آلهة قديمة مختلفة، لكنها لم تشغل دوراً مهماً في الطقوس الدينية باستثناء ميترا؛ لأنه كان مرتبطاً ارتباطاً حميمياً مع آهورا في الأصل. الميديون، أسلاف الكرد، قريبون جداً من الفرس لكنهم يختلفون عنهم قليلاً في اللهجة والعادات. أما الفرعان الهندي والإيراني من أسرة الشعوب الهندو-أوربية فيسميان أنفسهما باسم أرياس-أرناس (الآريين) لتعني مجرد نبيل أو سيد. كما أن كلمة (إيرام) مشتقة من (أريانام) وتعني بلاد الـ (الأريانس) أي الإيرانيون[6]. وقعت الديانة الزرادشتية في قبضة المجوس، الطبقة الكهنوتية للأمة الميدية، وكان المجوس كالبراهميين في الهند، طبقة كهنوتية وراثية. وجودهم ضروري في أي طقس إيراني سواء أكان زرادشتية أم لا. وفي عهد الإمبراطورية الساسانية التي عرفت بالإمبراطورية (الفارسية الثانية)، أصبحت الزرادشتية ديانة الدولة وتداخل بذلك المعبد والدولة تداخلاً معقداً. وكانت الزرادشتية ديانة إمبراطورية مدة أربعة قرون، استطاعت أن تنافس روما في القوة والأبهة. كان هناك أقلية من الزرادشتية فضّلت المنفى على الخضوع للحكم العربي الإسلامي. وأبحر هؤلاء من جزيرة هرمز في القرن الثامن بعد الميلاد, وتوجهوا إلى قوجرات في الهند حيث منحهم الحكم المحلي مأوى، وما يزالون موجودين هناك حتى يومنا هذا. إن النزاع الذي نشأ بين المؤمنين المتزمتين (بمذهب الثنوية) وبين ما يسمى باسم (الزروانية) الذين آثروا مبدأ الزمن اللامحدود على مبدئي الخير والشر، فرض نوعاً من الوحدة على النظام الثنوي بشكل جوهري.

ما زال أحفاد الميديين الذين كانوا يسكنون في القسم الشمال - الغربي من السهل الإيراني المطل على حوض دجلة والفرات وعلى بلاد آشور وبابل القدماء (العراق الحديث)، يسكنون في هذه المنطقة. تحول غالبيتهم إلى اعتناق الدين الإسلامي. أما المجموعات الصغيرة مثل (الإيزيدية, الزرادشتية, البارسانية، أو

الكاكائية، العلوية، الشبك والسارلية) فهي باقية في جيوب متفرقة من موطنها الأصلي.

* كتاب المؤرخ والفيلولوجي والفيلسوف صلوات غورلياموف: آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب). يعدّ الكتاب بحق ثورة على جميع المناهج والمدارس السابقة التي خضعت إلى تأثير الأيديولوجيات القومية والدينية والمصالح الدولية والإقليمية وكُتِبَ التاريخ حسب توجهات ومصالح هذا الطرف أو ذاك. يتناول المؤلف تاريخ الشعب الكردي منذ أقدم الأزمان، ويعرض على العلماء والمستشرقين والقراء، بغض النظر عن الأهداف السياسية والمشاعر، النظر إلى كردستان بوصفها وحدة إثنوغرافية لا تتجزأ، ومنطقة جغرافية متكاملة. ويبرهن بالدلائل القطعية أن الكرد هم السكان الأصليون لغرب آسيا والهضبة الإيرانية، وأن الكرد بالذات كانوا أصل الدول القديمة مثل سومر وأكد. كما يأتي ذكر الإيزيديين في هذا الكتاب تسعين مرة، فضلاً عن ذكر العديد من الأسماء القدسية والطقوس والعادات التي لها علاقة بالمعتقد الإيزيدي حتى وقتنا الحاضر. وأنا أتجول بين مكتبات شارع المتنبي في بغداد 14/تموز/2021، وقع نظري على مكتبة سومر في أحد الأزقة الفرعية لشارع المتنبي. سألت صاحبها السيد حسين السراج عن كتاب (صلوات غولياموف). طبعاً, لم يكن لديه الكتاب، لكنه وعدني أن يسأل عنه في أماكن أخرى. وبعد أيام أرسل إليّ نسخة مصورة عن طريق الخدمة البريدية.

قرأت هذا الأثر العلمي بعمق وتأني أكثر من مرة. وجدت فيه براعة التحليل ودقته، وربْط الحوادث التاريخية والأفكار مع بعضها، وتقديم الدلائل والقرائن للقضايا المطروحة. إن ذكْر غولياموف الإيزيدية بالاسم أكثر من تسعين مرة، جعلني أقف عنده وأقارن ذلك مع ما هو متداول بين الإيزيدية إلى حد الآن، ومع ما كتبته في (البحث عن الإيزيدية التاريخية) لإلقاء الضوء على الكثير من الزوايا المخفية والوصول إلى نتائج مذهلة، تمنح البحث المصداقية المعززة بالدلائل التاريخية واللغوية وغيرها.

* كِتاب ومقابلة مع عالِم الجينات، البروفيسور كليوسوف أناتولي. علم الجينات، علم لا يقبل التأويل ولا الدحض. يتابع السلالات والمجموعات الإثنية في العالم من

خلال تحليل الحمض النووي (DNA) للتعرف إلى الشجرة الجينية للإنسان. بما أن هناك آراء كثيرة ومتباينة عن انتماء الأثنية للإيزيدية، ارتأينا التوقف عند آراء عالم الجينات البروفيسور أناتولي الذي يقول: "إذا عرفت سرعة تشكيل الطفرات في الحمض النووي للإنسان، يمكن مقارنته وحساب متى عاش أسلافك". وفي معرض حديثه عن الشعب الآري يقول: كانت تغلب على الآريين القدماء مجموعة الفردانية R1A. ويتفق علماء الآثار واللغويون على أن الآريين الأوائل أو آريي العصر الباكر أو الهندو-آريين، بلغوا أراضي مملكة متياني في سورية الحالية قبل 3600 ق.م. وكقاعدة عامة يخلص الباحثون اللغويون وعلماء الآثار إلى أن هؤلاء كانوا من النخبة؛ أي أن عدداً من موروثات ذلك الزمن المكتشفة قد كتبت باللغة الحرانية وضمناً المبحث الشهير هكذا تكلم كيكولي مدرب الخيول من بلاد متياني. ويضيف: وإذا درست هذه السلسلة أو تلك الطفرات يمكن مثلاً استبيان أن عند العرب مجموعة فردانية مشتركة مع الشعوب القديمة التي عبرت القوقاز، ومرّت بالشرق الأوسط وتركت أثرها بين اليهود، وسارت أبعد نحو العرب. من المحتمل أنهم كانوا آريي مملكة ميتاني أو ربما كانوا حثيين، أي من هذا الشعب الهندو-أوربي القديم.

أَشَرتُ إلى تحليل الحمض النووي (DNA) للمجموعة الآرية الحاملة للمجموعة الفردانية (R1A) لمقارنتها مع نتائج فحص حمض نووي للسلالات الأبوية للعينات الإيزيدية المكتملة والمعلن عنها في مشروع العراق الجيني تموز2019، لعشرة أشخاص؛ اثنان من سلالات شيوخ الشيخ حسن، واثنان من شيوخ الشيخ شمس، وستة أشخاص من سلالة المريد. يكشف التحليل أن الشيخين المنتميين إلى سلالة الشيخ حسن، يحملان المجموعة الفردانية (R1A)، وهي تنتمي إلى مجموعة الشعب الآري. أما الشيخان المنتميان إلى سلالة الشيخ شمس، فيحملان المجموعة الفردانية (R1B)، وهي الطفرة الثانية من مجموعة الشعب الآري، حيث أن ألف عام يفصل بين طفرة وأخرى. كما أن اثنين من المريدين ضمن العينة يحملان أيضاً المجموعة الفردانية (R1A). أما الأربعة من المريدين الباقين، فلديهم مجموعات جينية أخرى مختلفة.

ويقول: "إن قبيلة قريش أصولها آريه. وإن العرب لا تعني العِرق بالضرورة، بل فرعاً/مجموعة نزلت من السهل الأوربي الشرقي واستقروا في الجزيرة وسميت باسمهم بعد ذلك. وما عاد الآريون الذين نتحدث عنهم هندو-أوربيين، بل صاروا آريين مستقرين في الشرق الأوسط، ويمكنك أن تسميهم (آريين مستعربين). فإذا كان الآريين في الهند حملة المجموعة الفردانية R1A قد انعزلوا كفئة عليا مغلقة وفي الشرق الأوسط شكلوا النخبة". يمكن أن يكون هذا أحد الإشارات المهمة جداً لوجود نظام الزواج الطبقي المغلق لدى الهندوس والإيزيديين، وقولهم بالدم النقي وبأن "مالا آديان" هي أقدم سلالة.

* إضافة إلى المصادر التي أشرت إليها، كان لزيارتي الميدانية إلى الهند أهمية استثنائية من خلال مشاهدتي للعديد من الرموز المشتركة بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية. وكذلك قراءتي العديد من العقائد والأفكار والطقوس الدينية المتقاربة بين هاتين الديانتين والتي يتضمنها هذا الكتاب.

---

1. تجدر الإشارة إلى أنه بتاريخ 29 كانون الثاني عام 2022، حصلت على كتاب الدكتور الآثاري قيصر خلات يزدين الصادرعام 2021، الموسوم: "العمارة الدينية الإيزيدية في بلاد الرافدين" يبحث في الخصائص المعمارية لمعبد لالش وتحليل الزخارف والرموز الموجودة على جدرانها. إضافة إلى بحث الأستاذ الآثاري عبد الرقيب يوسف، المعنون: "اكتشاف المعبد القديم للإيزيديين قبل الميلاد" المنشور في مجلة (لالش) في دهوك، العدد 21, 2004، 109-92. وشذرات من كتابه: حدود كردستان الجنوبية تأريخياً وجغرافياً (خلال الخمسة آلاف عام)، الطبعة الثانية, السليمانية, 2005، ص 203 وما بعدها. يمكن عدّ هذين الأثرين بداية الدلائل العلمية لمنطلق الدراسات الإيزيدية من خلال توافق هذه الدلائل التاريخية مع العادات والطقوس والنصوص الدينية التي تُمارس حتى وقتنا الحالي.
2. مؤتمر الأكاديمية الإيزيدية في مدينة بيلفيلد, ألمانيا, 24-23/حزيران/2012.
- * گاى و ماسى= بمعنى الثور والسمك.
3. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، دار رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة، الطبعة الأولى, 2006، ص 52.
4. نص حديث لأبرز علماء الدين الإيزيدي المرحوم فقير حجي بن فقير شمو، وسادن معبد لالش لعقود من السنين، مسجل على شريط فيديو.
5. المصدر السابق نفسه، ص 60.
6. ر.س. زيهنير/أستاذ الديانات الشرقية في جامعة أُكسفورد، المجوسية الزرادشتية/ الفجر- الغروب، 17.

بدلاً من المقدّمة

هنالك فرق بين كتابة التاريخ وقراءته. فكاتب التاريخ هو من يدرس الأحداث التاريخية للتاريخ الإنساني، ليس لتاريخ أمة معينة أو لفترة تاريخية معينة، ويدونها ويحللها تحليلاً محايداً بعيداً عن المواقف السياسية والفكرية أو الدينية والعقائدية. ويسلط الضوء على كل التفاصيل التي حدثت في الماضي. ويعمل على فهم واستيعاب واستنباط كل الأحداث من المصدر التاريخي، كما أنه يقارن بين بعض الأحداث التي حدثت في الماضي ونظيرتها في الحاضر. لا تتوقف مهمّة كاتب التاريخ على سرد الأحداث الماضية فقط، بل يهتم بتفسير الأحداث ويأخذ القارئ بأسلوبه الإبداعي إلى الزمن التاريخي الذي يكتب عنه. فالمؤرخ يهتم بدراسة كل الأحداث التاريخية، كما أنه لا يأتي بعلم جديد. إنه يقدم أحداثاً تاريخية ويدوّنها بأسلوبه[1] . أما الباحث فهو الذي ينتج أو يُوّلد الأفكار، ويقدّم علماً جديداً من خلال استخدامه لأدوات التحليل، ومن دون تلك الأدوات ليس هناك بحث أوعلم، بل هناك رأي أو سرد لموضوع ما.

في هذا الكتاب، أنا قارئ للتاريخ والتراث، وباحث عن المعلومات منطلقاً من رؤية موضوعية وليست أيديولوجية ونظرة قومية أو دينية ضيقة، وساعٍ إلى وضع اليد على بعض الحقائق المخفية من خلال العودة إلى ما كتبه المؤرخون وقراءته قراءة دقيقة، وتصنيف ومقارنة وتحليل ما هو مدون في بطون كتب التاريخ وما هو مذكور في الموروث الشعبي الإيزيدي، ومحاولة تتبع وإيجاد بعضاً من رؤوس الخيوط المبعثرة بين ذلك التاريخ القديم، وما هو باق من آثار ودلالات في نصوص الديانة الإيزيدية وقصصها وأدبها الشعبي، عسى أن أتمكن من تفكيك بعض تلك الرموز والألغاز المخفية للوصول، على الأقل، إلى فرضية منشأ الدين الإيزيدي وأصله الحالي. وبناءً على هذه المنهجية فإن الأرضية التي أتحرك فيها هي حركة الشعوب

القديمة وهجراتها وما خلفته لنا من آثار حضارية وآداب وفنون وعقائد وأساطير وقصص، وكيف أثرت وتأثرت تلك الشعوب والمجموعات البشرية مع بعضها.

هنا، لايمكنني التشخيص الدقيق لمنطق التاريخ ومنبع الأفكار من دون دراسة علاقة الانسان بالبيئة والمكان بوصفهما الركنين الأساسيين للتاريخ البشري. فلا تاريخ من دون البشر، ولا أفكار وعقائد بجميع أنواعها، خارج المكان والزمان.

فيما يخص البحث عن تاريخ الإيزيدية وظهور عقيدتهم، فالمهمة أصعب وأعقد، وهي أشبه بالبحث عن إبرة بين أكوام القش، أو أشبه بجمع طحين منثور بين الأدغال! فأسماء الأشخاص والمدن والقبائل والمناطق والجبال التي نتداولها اليوم، هي غير التي كانت متداولة في غابر الزمان بصيغ متعددة ومختلفة. وأحياناً يكون الاختلاف شديداً ومربكاً إلى حد بعيد، وذلك يعود إلى كثرة اللغات التي ترجمت الوثائق التي تركتها الحضارات القديمة. وكل واحدة منها أضافت على ما نقلتها من تلك الأسماء طابع صوتيات لغاتها. على سبيل المثال لا الحصر، زاد اليونانيون اللاحقة (س s) الخاصة بلغتهم في نهاية أسماء الأعلام. وأبدل العرب حروف (د ، ت، س) إلى (ط، ظ، ص). إضافة إلى التبدلات الصوتية بين الأحرف مثل (ج و چ جيم المدغمة ch، گ g ، ك و ، ب b وپP، ز z و ژ j، و ياء الإمالة Ê، ف f و ڤ v)

تاريخ الشعوب والأديان ليس ما هو مدون في بطون الكتب فقط، بل يُعرف أيضاً عن طريق تراثها وأدبها الشفهي وعاداتها وطقوسها. وأنا من جانبي لم أجد الكثير من المسائل المتعلقة بالدين الإيزيدي في الكتب والمصادر، واعتمدت على دراسة مقارنة بين ما تحتفظ به الايزيدية مع عبادات أخرى قديمة وحديثة.

على العموم، وفي مجال العلوم الإنسانيَة على وجه الخصوص، يبقى باب الاحتمالات والاجتهادات مفتوحاً دائماً، ولا أحد يستطيع القول إن ما يكتبه أو يقوله هو الحقيقة عينها.

* هل نستطيع أن نكشف طرف الخيط من شبكة معقدة من الألغاز التاريخية (كما يسميها د. السيد القمني) أو كما سميتها "الألغاز أو الأجوبة المخفية لفهم دراسة الأدب الديني الإيزيدي"؟ بمعنى آخر: هل يمكن التوفيق بين الأسطورة والقصص الدينية وبين الحقائق التاريخية؟!

ربّ سائل: هل كانت تُعرف الإيزيدية بهذا الاسم أو عُرفت بغيرها من الأسماء في غابر الأزمان؟

قبل ظهور الديانة الزرادشتية، كانت ديانات عبادة ظواهر الطبيعة من إحدى ديانات أجداد (الآريين) الأوائل، وبمجيء زرادشت ودعوته الإصلاحية والتخلص من الآلهة والأفكار وطرحه فلسفته الجديدة المؤسسَة على الثنائية بوجود قوتين متصارعتين في الكون هما قوة الخير يمثلها (آهورامزدا) وقوة الشرّ يمثلها (أهريمن) تكون الغلبة في الأخير لقوة الخير. آمن الكثير من شعوب الشرق القديم والشعوب الإيرانية بدعوته وديانته الجديدة. وأصبح دين الدولة الأخمينية والساسانية، لكن بقيت مجموعات كبيرة من عبدة ظواهر الطبيعة أو ما يُطلق عليها أحياناً (ديانات الخصب)، لم تؤمن بالدين الجديد وظلت على معتقداتها، مما دفع زرادشت وأتباعه أن يطلقوا عليهم (ديئفه يه سنا) أي (عبدة الشرّ أو عبدة أهريمن)! وحسب رأي بعض علماء اللغة تطور هذا المصطلح (ديئفه يه سنا) بمرور الزمن إلى (داسن). يمكن مراجعة العلامة توفيق وهبي في أبحاثه القيّمة؛ إذ يؤكد أنه رغم إلصاق كلمة (داسن والداسنية) بالإيزيديين الحاليين إلاّ أنهم ليسوا بعبدة (أهريمن والشيطان) (2).

كانت يُطلق على الإيزيديين (داسن والداسنية) بعد ظهور زرادشت والمسيحية والفترات الإسلامية المتأخرة. علماً أن المسيحيين من السريان. والكلدان والآشوريين يطلقون إلى يومنا هذا كلمة (دسنايى) على الإيزيديين ولا يطلقون عليهم الإيزيدية. كما أن بعض الكرد المسلمين، خاصة في منطقة بهدينان، يطلقون على الإيزيدية (داسني). وتُعرف دهوك حالياً بـ (دهۆكا داسنيا- أي دهوك الداسنية). وهناك جبال في منطقة بهدينان تسمى (جبل الداسنية)!

سمعت من والدي ورجال دين أن الإيزيديين كانوا يُعرفون في زمن ما بــ(متهير، متهه يير أو متحير)، ربما في ذلك الوقت لم تكن لنا اهتمامات اليوم ولا المعارف الكافية، فكنا نظن أن الكلمة أصلها عربي من (متحير، حيران) بمعنى تائه لا يدري ماذا يعمل. إلاّ أنه تبين خطأ ما كنا نظنه. وذهب أحد الكتاب أن كلمة (متههيير) ماهي إلاّ كلمة (ميترايارMithrayar) ولها علاقة بالميثرائية، وحُوّرت بالشكل الآتي:

ميترايار Mithrayar – ميتهەرهيار – متهەريار – متهەيار – متهەيه ر- متهەيير[3] . مما يعني أنهم كانوا على الديانة الميثرائية. طبعاً, هناك العديد من الطقوس المشتركة بين الميثرائية والإيزيدية الحالية التي تعطي مؤشرات قوية جداً بأن الإيزيدية ترتبط بأكثر من رابط بالديانة الميثرائية أو ربما من بقاياها وفق الكثير من الكتاب والباحثين. وهذا في حاجة إلى المزيد من النبش والتقصي والبحث.

أخيراً، من الضروري الرجوع مختصراً إلى آراء بعض العلماء والمستشرقين بشأن أحد الأسماء التي كانت تطلق على الإيزيدية قديماً. ونبدأ بآراء البروفيسور (مار) حول تحليل كلمة (جلب- جلبي) - أعتقد يقصد كلمة (جلكۆ Chalko) التي يطلقها المسيحيون في تركيا على الإيزيدية لحد اليوم- التي يتخذها منطلقاً لنظريته الجديدة ليؤكد عراقة الدين الإيزيدي وكونه جزءاً من الشعب الكردي الأكثر عراقة، عندما يقول: "ظهر استخدام كلمة (جلبي) في بداية القرن الرابع عشر عند الأتراك السلجوقيين، وهم أخذوا بدورهم من الكرد. وأخذ الكرد منهم اللغة الآرامية (تسليم – تسلما) الذي يأتي بمفهوم (الصورة أو التمثال).

(جلب جلبي– جه لكو) بمعنى الله. أصل الكلمة وجذرها من اللغة الجافيتية (يافثي) الجنوبية. ومن معاني كلمة (الجلبى): الإله, الرب، صاحب الجاه، الكريم، صاحب العائلة، النبيل السيد، قوال، شاعر، مثقف، مربي، شريف، مؤدب، أنيق، السيد الصغير.

ويقول (مار): "دون أن نلجأ الى أي دليل، يظهر لنا من كلمة (جلبي) آثار وبقايا قسم خطير من تاريخ شعب أنتج مثل هذه الكلمة".

بعد دراسة (مار) وبحثه عن أصل (جلبي) كشعب كردي, يقول: "إن التراث الديني الكردي من الناحية التاريخية أقدم من الإسلام", ويضيف: "بعد الانتصارات التي حققها كل من الإسلام والمسيحية، رغم أنها لم تكن انتصارات مطلقة وكاملة على المعتقدات القديمة في آسيا, لم تتنازل وتركع الديانة الخاصة بالشعب الكردي، ولم تعترف بالهزيمة. وبدأ دين الكرد بضرب الأديان الجديدة المسيطرة عليهم (المسيحية والإسلام) من الداخل من خلال إثارة الحركات الاجتماعية والإلحادية، مثلاً حركة أبناء الشمس والحركة الصوفية التي لا تتبع السنة كحسين الحلاج والشيخ عبد

القادر الكيلاني وشمس الدين التبريزي.. إلخ"

وحسب أبحاث (مار) فإن الإيزيدية كانت دين الكرد الخاص قبل الإسلام، فقد كانوا يؤمنون بها، يقول: "مما لا شكّ فيه أن إيزيدية اليوم هم إحدى المعتقدات الشعبية لبعض الناس ذات خصوصية، فهم قريبون من المانوية والصابئة المندائيين من ناحية, ويقتربون من المعتقدات المتنوعة التي ظهرت في أرمينيا وجورجيا فيما بعد من ناحية أخرى."[4] ويُجمل (مار) نظريته في عدة أسطر بقوله: (تحتضن كلمة جلبي= إيزيدي بين طياتها تاريخ الشعب الكردي، إلا أنه بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة في متناول أيدينا، نضطر إلى تحليل هذا التاريخ وإعادة اكتشاف أحجار منقوشة، أوالتنقيب عن الآثار القديمة كونها تعكس بقايا العصور الغابرة على الظواهر الشعبية المرتبطة باللغة والدين القديم، وهو انعكاس للظواهر التي نراها خالدة اليوم[5] .

وفي مقال علمي تحت عنوان: "اكتشاف صحيفة مسمارية" للدكتور يوسف أفورد، أحد أعضاء جمعية علوم الآثار القديمة المتعلقة بالكتاب المقدس في لندن، كتب "إن عبادة الإله تموز باقية إلى الآن بين إيزيدية جبل الأكراد مع عبادة الشمس أو كما يقولون "الشيخ شمس". وعبادة تموز عندهم سرّية، ويعبّر عنها بطير الطاؤوس. ويدعونه "الملك طاؤوس"؛ وما هو إلاّ تموز النبطيين الأقدمين والإله الذي تكلّم عنه حزقيال النبي (ف8ع14): "ثم أتى بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي هو في جهة الشمال, فإذا هناك نساء جالسات يبكين على تموز"[6].

وقد اعتمد الدكتور يوسف على ما نشره الأستاذ الشهير (ميسنر Meissner) ملحقاً خطيراً لملحمة كلكامش البابلية بالخط المسماري عام 1902. ونشر بعده العلامة الإنكليزي (تاوافيلوس بنجس Pinches) أثراً نفيساً للآداب المسمارية عام 1904. وهو عبارة عن بعض أناشيد للإله تموز أدونيس معبود ما بين النهرين. تتكلم تلك الأناشيد عن تموز كأنه إله الحصاد والفلاحة، كما أن تربية النباتات كانت إحدى صفات عبادة تموز. ونقرأ في سفر اشعيا (ف17ع10):

"إنك تزرعين أغراس أدونيس نعمانيم". ونعمان العزيز ما هو إلاّ اسم محبوب لدى تموز.

وقد ألحق العلامة (بنجس) بهذا الأثر بعض الأناشيد البابلية التي يُدعى بها تموز إله الأنهار ومجاري المياه التي تنصب من ينابيعها وتخصب الحقول. ولا يخفى أن عبادة تموز أدونيس في جبيل (Byblos) في سورية كانت عبادة نهر إبراهيم عندما تحمرّ مياهه بسبب التراب والأوساخ المتساقطة من جبل لبنان. والإيزيدية يدعون الطاؤوس (الأب الطاؤوس)، وحين يقدمون له العبادة يزينون ملابسهم بشقائق النعمان الحمراء. وكانت هذه الزهرة مكرسة لأدونيس وهو تموز. واسمه السوري أدون، أي الرب والسيد. وانتقلت هذه الخرافات إلى بعض العرب وقد أتتهم من سورية أو بابل فيسمون شقائق النعمان زهور جراح أدونيس. ويخبرنا الرحالة البيروني في القرن العاشر أنّ الصابئة كانوا يقدّمون العبادة لتموز بنوح وبكاء، كما أنّنا نرى عبادة هذا الإله دائمة إلى الآن بين الإيزيدية.

إن هذا الاكتشاف الذي نشره الدكتور (يوسف أفورد) عام 1904 ووقع بين أيدينا، يعزز أولاً: فرضيتنا التي توصّلنا إليها عام 1993 في بحثنا المنشور في أكثر من موقع، المعنون "الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية" والربط الرمزي بين تموز/طاؤوس ملك وحبة القمح. ثانياً: يعزز ما ذهبنا إليه قبل أشهر في بحثنا الموسوم "البحث في الحلقات المفقودة" الحلقة الرابعة الخاصة أيضاً بـ (ديموزي- تموز- طاؤوس ملك). وثالثاً: إن هذا الاكتشاف ينسف آراء جميع الكتاب وادعاءاتهم بحداثة ظهور الديانة الإيزيدية فيما بعد ظهور الشيخ آدي بن مسافر، وربط الاسم بيزيد من معاوية.

---

1. إيمان محمود، الفرق بين المؤرخ والباحث، موقع المرسال Almrsal.com، بتاريخ 1.3.2018.
2. توفيق وهبي، الآثار الكاملة، الجزء الأول، إعداد: رفيق صالح، مطبعة زين السليمانية، 2006، دين الكورد القديم، المقال الثامن، ص 36- 123.
3. للمعلومات الإضافية يراجع: د. فاضل عمر، ميثرا وعبادة الميثرائية/ دراسة أولية، مطبعة هاوار، 2006، منشورات متين، الحلقة 6، باللغة الكردية.
4. باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، الطبعة 2، 2001، 363-362.
5. المصدر السابق نفسه، ص 318.
6. نشر هذا المقال في مجلة المشرق، 1904، ص 910-908. وأعيد نشره في كتاب صدر حديثاً بعنوان: اليزيدية: إشكالية المنهج- دراسة ونصوص وتعليقات، الدكتور وليد محمود خالص، الجزء الأول، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، 2016، ص 106.

الفصل الأول

الخزان البشري/مهد البشرية

ثمة جدل دائر في الأوساط العلمية حول أصل الإنسان، فظهرت نظريات أو فرضيات مختلفة؛ إحدى النظريات ترى أن الإنسان الحالي نشأ في عدة أماكن مختلفة من العالم، بينما ترى آخرى أن أصل الجنس البشري هو أصل واحد. وتستخدم كلتا النظريتين الدلائل العلمية نفسها لإثبات صحة كل منهما. "نظرية الخروج من أفريقيا" الشهيرة عالمياً التي ارتبطت باسم عالم الأنثروبولوجيا البريطاني (كريس ستينغر Chris B. Stinger). تفترض أن الانسان الحالي المنتشر في جميع أنحاء العالم قد تطور وظهر في أفريقيا ثم خرج منها إلى باقي القارات منذ مليوني سنة. وهناك فرضية الأصول المتعددة القائلة إن البشر قد تطوروا مع بعضهم في العالم. أما الفرضية الثالثة التي تسمى "فرضية الاستيعاب"، فهي تربط بين الفرضيتين أوالنظريتين السابقتين بقولها إن البشر تطوروا في أفريقيا وحدث تبادل مستمر بين الأفراد نتيجة التزاوج، وذلك من خلال التدفق الجيني العكسي(1). مع العلم أن موضوعنا ليس البحث حول أصل الإنسان ونشأته التي تعود إلى ملايين السنين حسب العلماء، وإنما يدور حول حركة المجموعات البشرية و هجرتها قبل الميلاد وبعده.

فقد تحركت عبر التاريخ القديم أقوام ومجموعات من موطنها الأصلي في هجرات بشرية الى أماكن أخرى. واختلطت بمجموعات وأقوام غريبة، نتج منها عملية تأثر وتأثير بالأساطير والأفكار الدينية والعادات الاجتماعية، واللغة... إلخ.

تشير نظريات العديد من العلماء الكبار (آرثر كيث، ماكس مولر) إلى عصر الهجرات البشرية وموطنها, وكذلك إلى الصلة الحميمة بين اللغات التي تشترك فيها أوربا كلها مع نصف آسيا الغربي تقريباً. فمن جهته كتب (آرثر كيث) أن الهجرات البشرية بدأت منذ عشرين ألف سنة. وذكر (ماكس مولر) أنه من (البحر الآري) كما يسميه، الممتد من الهند إلى الأطلسي، نبع مخزن بشري كان يعيش في العصور السحيقة في منطقة نهري (سيحون (Oxus و(جيحون (Jaxartes

شمال أفغانستان وغرب (البامير (Pamir و(الهندكوش (Hindkush وقد تدفقت من هذا النبع عبر التاريخ وما قبل التاريخ موجات بشرية متعاقبة نتيجة للجفاف الذي حل في المنطقة تدريجياً عبر آلاف السنين فجعل الحياة فيها صعبة أو مستحيلة، ما حدا بتلك الموجات جنوباً نحو سهول الهند وغرباً نحو هضبة أرمينيا والأناضول ثم أوربا. وكل موجة تأتي كانت تدفع سابقتها باتجاه الأطلسي[2]. وقد أثبت التاريخ، كما أثبتت الانثروبولوجيا الطبيعية والانثروبولوجيا الاجتماعية، أن المخزن البشري العظيم (الذي خرج منه العديد من أقوام منطقة الشرق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد) كان في المنطقة المحيطة ببحر قزوين في ميديا عبر جبال القوقاز حتى البحر الأسود.

ويتحدث عالم الجينات البروفيسور (أناتولي كليوسوف) عن منبع الشعوب الهندو-أوربية والسلالة الآرية استناداً إلى معطيات علم الآثار ودراسة الحمض النووي المكتشف في رفات صبي, عُثر عليها قرب قرية مالتا إلى الغرب من بحيرة بايكال، عاش قبل أربع وعشرين ألف سنة قبل الميلاد. يحمل المجموعة الجينية الأقدم (R) وقد انتشر ذلك الإنسان وتلك الثقافات الأثرية والحضارات المندثرة في مساحة شاسعة تمتد من بحر البلطيق غرباً حتى جبال الأورال شرقاً، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر قزوين جنوباً. وهذه المنطقة هي المعروفة بأوربا الشرقية ومنها شمال أوكرانيا وروسيا. وتفرع من المجموعة (R) المجموعة الفردانية (R1) وكذلك المجموعتين الفردانية (R1A) و(R1B). ومن هناك وصل الفرعان في نهاية المطاف إلى أوربا ثم غادروا إلى الشرق الأوسط ومنها إلى أوربا عبر شبه جزيرة إيبريا (شبه الجزيرة العربية). يبدو أن الطريق كان مجرباً منذ قديم الزمان؛ لأن الأمويين قد مضوا إلى هناك أيضاً ربما عبرالطرق نفسها [3].

إن السلالة الآرية التي تحمل المجموعة الفردانية (R1A) شكلت العرق الأوربي الجنوبي، وعاشوا مع المجموعة الفردانية (R1B) على جانبي البحر الأبيض المتوسط. أما مجيء الآريين إلى شمال الهند فقد كان قبل 3500 سنة قبل الميلاد. فعند وصولهم إلى هناك، حسب إحدى الفرضيات، انعزلوا فوراً عن السكان المحليين، وبذلك شكلوا الطبقة النخبوية (كاستا). ونجد أغلبية ممثلي الطبقة

العليا في الهند يمثلون المجموعة الفردانية (R1A) حيث تصل النسبة إلى خمسة وسبعين في المئة، وتلك المجموعة من الآريين وصلوا إلى أراضي طاجكستان الحالية, وعاشوا هناك بضعة قرون ثم مضوا إلى إيران.

ويتفق علماء الآثار واللغويون على أن الآريين الأوائل أو آريي العصر الباكر أو الهندو-آريين بلغوا أراضي مملكة ميتان شمال ميزوبوتاميا وشمال سورية الحالية قبل 3600 ق.م. ويخلص الباحثون اللغويون وعلماء الآثار إلى أن هؤلاء كانوا من النخبة؛ أي أن عدداً من موروثات ذلك الزمن المكتشفة قد كُتبت باللغة الحرّانية وضمناً المبحث الشهير هكذا تكلم كيكولي مدرب الخيول من بلاد ميتاني.

يعود آخر ذكْر للآريين إلى الأخمينيين. ظهر في نقش للملك داريوس الأول، يقول فيه: "أنا داريوس الملك العظيم، ملك الملوك، ملك بلدان القبائل المتعددة، ملك هذه الأرض العظيمة، ابن كوشتاسب، أخميني فارسي، آري من السلالات الآرية"[4] يقول بعض اللغويين: إن كلمة آري تعني: الحر، النبيل، كريم النسب. كما تعني أيضاً: الانعزال عن الغرباء[5]. واستناداً إلى علماء اللغة فإن اللغة الآرية تنسب إلى مجموعة اللغات الهندو-أوربية. واللغويون المعاصرون يقدمون اللغات الآرية للدلالة على اللغات الهندو-إيرانية فقط، إلاّ أن مصطلح الآريين الإيرانيين لا وجود له، وفق رأي البروفيسور كليوسوف، فإيران في الأزمان القديمة لم تكن مجرد بلد، بل كانت منطقة شاسعة. واللغات الإيرانية مجموعة لغات تعود أصولها إلى اللغات الإيرانية القديمة. ويظن الكثيرون أن الإيرانيين ربما عاشوا على ضفاف نهر الدنيبر قرابة خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وقدّم علماء اللغة معطيات تفيد بأن اللغة الهندو-أوربية تنقسم إلى فروع لغوية مختلفة. وبحسب التعريفات فإن المجموعات الآرية ظهرت قبل ستة آلاف سنة، وهذا ما يتطابق مع ما يفترضه علماء اللسانيات من أن اللغات الهندو-أوربية السلف انقسمت قبل ستة آلاف سنة تقريباً إلى فروع مختلفة، لذا يمكن الافتراض أن هؤلاء هم الآريون الحقيقيون.

من اللافت للانتباه ما ذكره البروفيسور (كليوسوف) في كتابه: إن العرب كانوا من الآريين الذين ظهروا في السهل الأوربي الشرقي. وتشكل المجموعة الفردانية (R1A) بين العرب تسعة في المئة بين الذكور بما في ذلك القبائل الشهيرة مثل

قريش[6] *. والسلف المشترك للعرب و (الروس الحاليين) من حملة المجموعة الفردانية (R1A) ويفصل بينهما سبع طفرات جينية[7] ، فقد عاشوا معاً قبل 4900 سنة. ويُطلق (أناتولي كليوسوف) على هؤلاء (آريين مستعربين). ويقول: "إذا كان السلف المشترك بين اليهود والعرب قد عاش قبل أربعة آلاف سنة تقريباً، فإن السلف المشترك عند العرب والروس عاش قبل خمسة آلاف سنة تقريباً، وينجم عن ذلك أن سلف إبراهيم جاؤوا إلى أوربا من السهل الأوربي الشرقي".

وفيما يخص كلمة العرب يقول الباحث والمؤرخ (دياكونوف) "إن مصطلح "Aribi" الدال على الجماعة والمستخدم في كتابات الملك الآشوري "سرجون الثاني" وصيغ من المفرد بصوره المتنوعة "Arubu, Arab, Arabu" -لا يعني "عرباً" أو "عربياً"[8] ، إنما كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية. والوحدة الصوتية الأخيرة في الكلمة نفسها في اللغة العيلامية هي "pe" بدلاً من "be" لتدل على الجمع، فكانت "Aripe" تدل على " الآريين"[9]. فكلمة العرب لا تعني العِرق بالضرورة، بل فرعاً/مجموعة اتجهت من السهل الأوربي الشرقي إلى أن استقرت في الجزيرة, وسميت باسمهم بعد ذلك.

وجاء في " آفيستا" الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية أن مصطلح (Aribi) الدال على الجماعة والمستخدم في كتابات الملك الآشوري (سرجون الثاني) وصيغ من المفرد بصوره المتنوعة (Arubu- Arab- Arabu)لا يعني (عرباً) أو (عربياً)، إنما كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية.

وقد دلت الأبحاث التاريخية والأثرية على أن حضارة سومر((Sumer في جنوب العراق, وهي أقدم حضارة معروفة في بلاد ما بين النهرين, كانت حضارة هندية أوربية. وعند تحليل نقوشها وجد العلماء أن اللغة السومرية لغة ميدية سكيذية (Medo-Scythic) وهذا يشير الى موجات هجرة بشرية خرجت في أوائل الألف الثالثة ق.م. من مراعي ميديا شمال إيران المتاخمة لبحر قزوين، ومراعي سكيذيا في القوقاز، ومراعي "سيميريا Cimmeria" حول البحر الأسود. واستقرت هذه الموجات في بلاد ما بين النهرين, وأعطتها لغتها الهندية الأوربية, وربما أعطتها اسم "سومر" أو "ثومر" من اسم "سيميريا" القديم. [10] ويرجح العلماء أن أقوام

الرعاة لا أقوام الفلاحين هم الذين نزلوا من وسط آسيا حتى بحر قزوين متجهين إلى الغرب في كل اتجاه، بحكم امتلاك الرعاة لوسائل الانتقال السريع كالخيل والجمال. وأما الهجرة فهي لأسباب ديموغرافية كاكتظاظ السكان، أولأسباب وكوارث طبيعية كالجفاف كما يقول العلماء، أو كالسيول كما تذهب إليه قصة الطوفان التي رصدها السير جيمس فريزر (James Frazer) في كتابه (الفلكلور في التوراة)، وبيّن أنها قصة مشتركة بين كل الأقوام في الوثنيات القديمة بين مصر القديمة واليونان غرباً حتى منغوليا شرقاً[11] *. أما الزراعة فهي تربط الإنسان (الفلاح) بالتربة بوثاق من حديد، وافتراض وقوع كارثة جفاف في العصور التاريخية التي تبدأ منذ 3000 ق.م. بعيد الاحتمال، ولم يقل به أحد من العلماء. فلا بد أن عصر الهجرات بدأ في عصر وسيط بين الصيد والزراعة. وقد ظلت مجمعات هضبة الإسكندر الأكبر، هضبة إيران وأفغانستان وبلوشستان، كما ظلت القوقاز وميديا وعامة منطقة بحر قزوين حتى العصور التاريخية القريبة نسبياً (500-1000 ق.م.) مجمعات رعاة في المقام الأول.[12]

وفيما يخص هجرة العرب، تقول بعض المصادر إنها موجة متأخرة جداً من الموجات التي نزلت شبه الجزيرة من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود (نحو ألف سنة قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل)[13]. وتضيف تلك المصادر أن تلك الموجة العربية لم تستقر في مكان ما من بلاد النهرين أو في الفراغ الكبير في شبه الجزيرة العربية عن طريق بادية الشام، حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوربية[14]. أو لعلها آثرت حياة البداوة والرعي في شبه الحزيرة على القيد في وديان الأنهار مكتفية بروابط العصبية أو القومية كأساس للتماسك الاجتماعي بديلاً عن الارتباط بالوطن، سجن المتحضرين على رأي ابن خلدون.

ويذكر المصدر نفسه أنه حتى إذا افترض أن الموجه العربية، أياً كان موطنها الأصلي، كانت آخر موجة من موجات الهجرة التاريخية على المستوى الجماعي في الشرق القديم، لم يكن فيضاناً سكانياً من داخل شبه الجزيرة إلى خارجها أو الأطراف المحيطة بها، ولكن كان فيضاناً سكانياً من خارج شبه الجزيرة إلى

داخلها، ولاسيّما من أقوام بادية ماتزال في مرحلة الرعي آثرت حياة البداوة على حياة الاستقرار في وديان الأنهار أو حيل بينها وبين الاستقرار[15]. لذا فإن سكان جزيرة العرب أو الهلال الخصيب والتراكمات السلالية فيهما، فيها من تعقيدات التكوين اللغوي ما فيه الكفاية، لكن الثابت هو أن القبائل الآسيوية (Asianiques) المنحدرة إلى الهلال الخصيب من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود، ومن منطقة الأناضول وهضبة إيران، أياً كانت منبعها وأياً كان تكوينها الإنثروبولوجي، كانت تتكلم باللغة الميدية السكيذية. وهي أحد فروع المجموعة الهندية الأوربية. ربما نزلت موجات منها في شبه الجزيرة وأخرى نزلت في الهلال الخصيب. وفي هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية، سواء في الهلال الخصيب أم في شبه الجزيرة، هي في حقيقتها موجات تعاقبت في عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسيوية[16].

من هذا العرض العلمي المقتضب، يواجه الباحث عدداً من الافتراضات والحقائق، منها:

- التاريخ الحقيقي هو ما يتركه الإنسان من أثر على الأرض، وما تصنع يداه، وما يخرج من فكره, وما يخطّ قلمه. مع ذلك وبمقتضى رأي بعض الباحثين لا يوجد تاريخ صحيح للماضي بالمفهوم العلمي لعلم التاريخ، بل هناك علم تفسير الآثار والحفريات والبرديات. بمعنى أن العلم متغير بطبيعته, وأن الافتراضات والتخمينات التي يضعها الباحث هي محاولات لملء بعض الثغرات أو الفراغات في سلسلة التاريخ القديم.

- تحدث الهجرات البشرية بين تلك الأقوام التي تمتلك مقومات القوة والحيوية ودرجة عالية من التنظيم والتماسك الاجتماعي لكي تتمكن من غزو الأقوام الأخرى.

- عندما تهاجر الأقوام فإنها كثيراً ما تنقل معها في إلى مهجرها الجديد أسماء الأعلام والأنهار والأعداد, وأسماء القرابة الأساسية, وأسماء الحيوانات والنباتات، وأسماء الظواهر الطبيعية، وأسماء القبائل والأبطال والآلهة وأنصاف الآلهة؛ ولهذا فإن الطقوس المشتركة بين الأقوام ليست نتيجة التأثر والتأثير، بل هي نتيجة لوحدة في الأصول.

- الأقوام القادمة الى غير أماكنها تأتي بالقوة غالباً, وتفرض ثقافتها على أهل الأرض الأصليين الذين يدافعون عن أرضهم حسب إمكانياتهم.

- بناءً على حركة التاريخ تلك، يجب أن نقف موقف الحذر من نظريات النقاء السلالي والنقاء اللغوي[17] ، وعدم الخلط دائماً بين الجنس واللغة، أو بين القومية واللغة مثلما تدعيه النظريتان المستمدتان من أدب التوراة والآفيستا؛ وذلك بتقسيم البشر إلى ساميين وحاميين وآريين (يافث). فالناطقون باللغات الآرية ليسوا دائماً آريين، أو الناطقون بالساميات ليسوا دائماً ساميين. ومن هنا فالسامية والحامية واليافثية ليست تقسيمات سلالية بل مجرد تقسيمات لغوية.[18]

هنا نجد (د. لويس عوض) يربط يافث أبا الآريين (حسب تقسيم آفيستا) بـ"آبسو "Apsu رب الماء في الأساطير الآرية (الهندو-أوربية) المنسوب إلى "تموز "Thammuz ربّ الخصب عند السومريين والبابليين والآشوريين، واسمه "دوموزي آبسو Dummzi Apsu"، قيل بمعنى "ابن آبسو الحقيقي" وهو ابن "أبتيا "The son of Aptya الذي تحدثت عنه " الآفيستا" كما حاول (هيرتزفيلد Herzfeld) أن يثبت، ولعله بمعنى "بيت آبسو" ببساطة. إن كان "دوموزي" له صلة بالجذر الهندي الأوربي "دوم "Dom باللاتينية "Domus" بمعنى "البيت". ويمكن مقارنة ذلك بـ (Iapetus وPoseidon) في الميثولوجيا اليونانية.

---

1. أصل الجنس البشري وانتشاره، منتدى آفاق الفلسفة والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، 9 كانون الأول, 2008.
2. د. لويس عوض، مقدّمة في فقه اللغة العربية، القاهرة, 2005، ص123.
3. من حديث البروفيسور أناتولي كليوسوف في لقاء أجراه معه الإعلامي خالد رشد، تحت عنوان: (رحلة من الذاكرة)، وموضوع اللقاء هو: من هم الآريين، وما أصلهم، وما موطنهم، ومن يحمل طفراتهم الجينية من شعوب الشرق الأوسط؟
4. المصدر السابق نفسه.
5. إلى وقتنا الحالي، تُستخدم كلمة (آيري) المحرفة من (آري) في اللهجة الكرمانجية الإيزيدية بمعنى الانعزال.
6. البروفيسور أناتولي كليوسوف، الإنسان بين العلم والاسطورة: شجرة النسب والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة: عبد الله أحمد، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت، ص 236.

- * حسب نظرية (كليوسوف) تعدّ أصول قبيلة قريش آرية، ويبدو أنه لهذا السبب يرد اسم قريش في النصوص الدينية الإيزيدية. (الكاتب)

7. تستغرق الطفرة الجينية الواحدة 1000 عام.
8. آفيستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: الدكتور خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة دمشق، الطبعة الأولى, 2007، ص 20.
9. دياكونوف، إ.م.: ميديا، ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ، ص210. انظرأيضاً: كتاب: آفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة, دمشق، الطبعة الأولى 2007، ص 20.

10. المصدر السابق نفسه, ص52.
11. المصدر السابق نفسه، ص 130-129.

- *يذكر الموروث الديني الإيزيدي قصة الطوفان المرتبطة بالنبي نوح، معتقدين أن الطوفان قد نبع من منطقتهم (عين سفني) التي أخذت تسميتها من سفينة نوح، وهي تبعد 46 كيلومتراً شمال مدينة نينوى/الموصل، وما زالت عين سفني مركز قضاء الشيخان، المركز الرئيسي للديانة الإيزيدية. كما يفترض أن تكون قصة الطوفان مفتاحاً مهماً لعصر الهجرات قبل التاريخ، أي قبل ظهور الكتابة، فهي القصة التي ترتب عليها تشعب أجناس البشر "124 هه زار خولياقه ت" كما يأتي في النص الديني! إذا كان قوم نوح فعلاً من سكنة منطقة الشيخان الحالية، و تسمية عين سفني نسبة الى سفينة نوح ومنها بدأ الطوفان، فهل يمكن أن نفترض أن أجداد الإيزيدية، سواء أكانوا من قوم نوح أم من مجموعة أخرى، كانوا يسكنون في هذه المنطقة؟ ومنها توجه الناجون من الطوفان غرباً إلى حرّان وبعدها إلى مصر تحت جناح الهكسوس؟! سنتوقف عند قصة الطوفان في الفصل الرابع.

12. ارتبط فكر الإنسان القديم ومعتقداته بمدى علاقته بالطبيعة ومستوى تطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية. فالمجتمع الذي كان يعتمد على تربية الأغنام والحيوانات، على سبيل المثال، يعد ضوء القمر والنجوم هادياً ودليلاً له أثناء الليل، ومساعداً له لحماية مواشيه من الحيوانات المفترسة، لذلك فلا عجب أن ينظرإليه بعين التقديس ويضع له إلهاً سماه (الإله سين). أما المجتمع الزراعي، فكان الفلاح فيه يعتمد بالدرجة الأساسية على ضوء الشمس في إنبات المزروعات، مما دفعه لتقديس الشمس ووضع لها إلهاً سماه كل شعب بلغته (دينكر أوتو-السومريون)، (شمش-البابليون والآشوريون)، (رع أو آتون-مصر القديمة). وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإيزيديين مازالوا يرثون ويحتفظون إلى حد الآن بتقديس إلهي القمر والشمس.
13. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة, 2005 ص 20.
14. المصدر السابق نفسه، ص 24.
15. المصدر السابق نفسه، ص 55.
16. المصدر السابق نفسه، ص 58.
17. المصدر السابق نفسه، ص 54.
18. لويس غراي وهيرتزفيلد.

الفصل الثاني

ديانات الشعوب الهندو-إيرانية

زورفان- الزورفانية:

يرى المتابع لميثولوجيا الأساطير الإيرانية أن المعتقد الزورفاني هو الركن الأساسي في بنية الأديان الهندو-إيرانية. ولكن أين نشأ هذا المعتقد وكيف انتشر؟ هذا ما سنحاول البحث فيه.

تأتي كتابة ولفظ (زورفان) بأشكال متعددة. ففي اللغة الإنكليزية (Zurvan) أو (Zirvan)، ويكتب أيضاً(Zar-van)، وأحياناً تكتب أكارفا (Akarava). الزروان وزرفان (Zervan- Zrvan) هو الربُّ البدائي في الديانة الفارسية الإيرانية، وهو ربُّ الزمكان المطلق. هو النوراني الأعظم، وأن زروان الكبير قام، فزمزمَ تسعة آلاف وتسعمئة وتسعاً وتسعين سنة؛ ليكون له ابن فلم يكن، ثم حدّث نفسه، قائلاً: لعل هذا العلم ليس بشيء؛ فحدث "أهريمن" من ذلك الهَمْ الواحد، وحدث "هرمز" من ذلك العلم، فكانا في بطن واحد. وكان هرمز أقرب من باب الخروج؛ فاحتال أهريمن حتى شق بطن أمه، فخرج قبله، وأخذ الدنيا[1]. وفي لحظة شكّه وُلد له توءمان، أهورامزدا الذي هو تجسيد للخير بإطلاقه، وأهريمن الذي هو تجسيد لشك زروان. ولأن أهريمن كان الأول في مجيئه فقد نُصّب حاكماً لهذا العالم مدة 9000 سنة[2]. غير أن أهورامزدا كان قد مُنح الكهانة والنصر النهائي. هذه المكانة المتساوية نظرياً للكائنين قادت إلى تقدمة القرابين إلى أهريمن بوصفه قوة لا بد من استرضائها. ويقارن كثير من الباحثين ذلك بما يُقدم إلى أريمانيوس في المترائية[3]. ومنهم مَن قال إن (زورفان) كان يحمل عنصري الذكورة والانوثة (خُنْثى)، وهو والد الربّ الطيب (هورا مزدا Ahura Mazda) والربّ الشرير (أنغرا ماينيو Angra Mainyu)، أي له ولدان يمثلان التناقضين. فـ (زورفان) نفسه يعتبر ربّاً حيادياً، وهو الربّ الذي ليس عنده تفريق بين الخير والشرّ. كما أنه ربّ المصير، النور والظلمة[4]. وتقول الميثولوجيا نفسها، بما أن أنغرامانيو ولد أولاً، فقد صار ملكاً على عكس ما خطط له زورفان، وقد منح الوقت لابنيه ليتشاركا إلى أن يتم النصر النهائي لقوة الخير

الذي يمثله أهورامزدا على قوة الشرّ الذي يمثله أنغراماينيو. ويعتبر زورفان أيضاً إله الزمان اللامتناهي والقدر في الأساطير الفارسية، المسيطر الذي يؤثر من بعيد في مصير البشر. واعتقد الزروانيون أن أصل الشرّ في العنصر البشري ما هو إلا خطل أو زيغ عقلي[5]. ويظهر زورفان (زرفان) أيضاً إلهاً في ديانة ميثرا؛ إذ تصوره الآثار الفنية على هيئة رجل له رأس أسد، تحيط بجسده الـ (زودياك) و(أبراج النجوم)[6]. وهكذا جاء زرادشت فيما بعد ليؤسس فلسفته الدينية على ميثولوجيا إيران القديمة المتمثلة في الصراع بين النور والظلمة، بين الخير والشرّ. وهناك باحثون ماثلوا (إيزدان) في الديانة الإيزيدية بـ (زورفان) في الديانة الإيرانية القديمة ومنها الديانة الزرادشتية[7].



رسم زورفان

ملامح الفلسفة الزورفانية في الديانة الإيزيدية

يُلاحظ على رسم (زورفان) الرّب البدائي في الديانات الهندو-آرية والفارسية الإيرانية القديمة، أنه يمسك بيديه رأس أفعيين يلتفان حول جسده، مع وجود أفعيين آخريين ملتفين حول ما يشبه إبرة أو عوداً عند أسفل قدمه اليسرى، مع جناحين على كتفيه، فضلاً عن وجود طير يشبه الحمامة أو دجاجة أو أنثى الطاؤوس، وفي الطرف الأيمن يظهر جسم نصف حيوان مستنداً إلى ما يشبه الفأس.

ينظر معظم شعوب الشرق القديم بعين التقديس إلى الأفعى/الحيّة. وهي ترمز

في معتقداتهم إلى الخصوبة والتجديد. فالأفعى هي التي سرقت نبتة الخلود من جلجامش ولهذا بقيت خالدة بتغيير جلدها مرة في السنة. بالتفاف رمزية الأفعى، يحمل الرّب (زورفان) عنصري الذكورة والانوثة، وهو الذي أنجب توءمين، وهما إله الخير (أهورامزد) وإله الشر (أهريمن)! وهذا يقترب من فلسفة الديانة الإيزيدية القائلة إن الخير والشر يأتيان من باب الخالق، وفق نص من دعاء الصبح (هەق هەمدللا يا رەب ل ئالەمين، خێرا بدە، شەرا وەرگەرين) بما معناه: "الحمد والشكر لرب العالمين، امنح الخير، وامنع الشّر". هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القصة/ الأسطورة الدينية الإيزيدية بشأن "خلق" الجنس الإيزيدي وظهوره في الزمن السرمدي، تلتقي مع أسطورة زورفان، فرجال الدين لا يقرون بانحدار النسل الإيزيدي من آدم وحواء، بل من "نطف" آدم فقط! تقول ميثولوجياهم: لما علم آدم وحواء أنه سيكون منهما ذرية ونسلاً، وكانا لا يعلمان ما النسل وكيف يكون ظهوره، تنازعا على ذلك. فأحب آدم أن يكون النسل منه وحده, وأرادت حواء أن يكون منها وأنها أحق بذلك الأمر من آدم. تُروى هذه القصة طبعاً بعد أن نزلا من الجنّة الى الأرض بعد أكلهما من شجرة (ثمرة) الحنطة، وبعد أن انتفخ بطنهما, وظهر لهما مخرج لطرح الفضلات. أخذهما (طاؤوس ملك) من الجنّة الى الأرض بإذن الله. وكان طاؤوس ملك مسؤولاً عن آدم وحواء في الجنّة ويعلّمهما كل شيء، وكانا يدعوانه "بيرى ريبه ر "Pîrî rêber أي الأستاذ المرشد. وبعد أن أكلا من شجرة الحنطة وانتفخت بطنهما، خرّا مغشيين مدة أربعين يوماً، ولما أفاقا وجدا عندهما " بيرى ريبه ر" أي طاؤوس ملك, فسألاه إن كانا قد طُردا من الجنة بسبب أكلهما من شجرة الحنطة, فأجابهما طاؤوس ملك: لا، لم تذنبا، غير أن ذلك كان شيئاً مقتضياً ولا بد منه لكي تظهر النشأة والبشرية, ولكي تتناسلا فتعمر بذريتكما الأرض. فشكرا الله ووحّداه. ثم قدّم " بيرى ريبه ر" إليهما إبريقين من نبع " كانيا سبي" الذي ينبع من لالش فاغتسلا بذلك الماء، وكساهما الله جمالاً وحسناً ونبت الشعر على جسميهما، فقد كانا قبل ذلك أملسين. ثم أمر حواء أن تغسل وجهها ثانية فزال الشعر عن وجهها بقدرة الله الذي أراد أن يقول للشيء " كن فيكون". وتقول الميثولوجيا الإيزيدية أيضاً، إن أول بقعة في الأرض سكنها آدم وحواء كانت الوادي المقدس لالش، ثم رحلا منه إلى

قرية "إيسيان" إلى الجنوب من لالش نحو ستة كيلومتر. وهنالك وفي ذلك الزمن السرمدي خلق الله من كل نوع من الحيوانات ذكراً وأنثى، وكان أول الخلق من الحيوانات الغنم. فتناسلت الحيوانات فكانت تلد كل شهر مرة واحدة. كما أنبت الله في هذه القرية من كل النباتات والأشجار الموجودة في الأرض.

ظل آدم وحواء أربعين يوماً في شجار وخصام على أحقية الذرية والنسل. وأخيراً, احتكما إلى طاؤوس ملك الذي أمرهما بأن يضع كل منهما (سائله المنوي) في "جرّة", ويختمها جيداً وينتظر تسعة شهور, ثم يفتح كل منهما "جرّته", وحينئذٍ سيظهر ما في الجرّة! ولما مضت تسعة الشهور، فتح كل منهما جرّته فوجد آدم في جرّته ذكراً وأنثى في أحسن تقويم, وقد أُعطيا حسناً وجمالاً. وامتلأت ثديا آدم بالحليب فأرضعهما من ثدييه، وسمّى الذكر (زهيد – شهيد) والانثى (هورى Horî- Hurê)، أما حواء فوجدت في جرتها ديداناً وحشرات، فعلمت أن الحق كان مع آدم وذلك ما لم تكن تعرفه. وبما أن آدم قد أرضع ولديه زهيد (شهيد) وهورى فقد ظهرت الأثداء على الرجال والذكور تذكاراً لآدم.

أعتقد أن هذه القصة/ الميثولوجيا بشأن ظهور النسل من آدم في جرّته وظهور الديدان والحشرات في جرّة حواء، هي ضد حقوق المرأة الطبيعية في الإنجاب والنسل. كما أن قصة النسل من الرجال " آدم" هي ضد قوانين الطبيعة وضد سنّة الحياة. وأحسب أن هذه القصة هي وليدة المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها الأسرة الأحادية التي يسيطر فيها الأب "الرجل" على العائلة ويرى أن المرأة جزءاً من الممتلكات، وظهرت فيها الوراثة وأصبح كل شيء، بما فيه النساء، جزءاً من ممتلكات الرجل. هذه الحقبة الزمنية هي نفسها التي حلّت فيها عبادة الشمس محل عبادة القمر؛ إذ كان القمر رمزاً من رموز الإلهة الأم المسيطرة على المجتمع والأفكار الدينية (أناهيد، إنانا، عشتار)، في حين أن الشمس تمثل رمزاً من رموز الإله الذكري وسيطرته على المجتمع والأفكار الدينية (براهما، ميثرا، دينغر أوتو، ديموزي، مردوخ، نابو، آن، أنليل، بعل، إيل)، على النقيض من العرب قبل الإسلام الذين كانوا يعتقدون أن القمر إله ذكر (الإله سين) والشمس الإلهة لات أنثى القمر. ولهذا نرى في قصة الخليقة عند بعض الأديان أن حواء قد خلقت من ضلع آدم اليسرى!!

وبشأن تبادل المكانة العبادية من الإلهة الأم (القمر) إلى الإله الذكر (الشمس)، لاحظوا ترميز (داي و دوت= الأم والبنت) التي تظهر في النص الديني الإيزيدي:

* بەرى مشورە، بەرى خەتە/قبل ظهور الكتابة والتدوين

بەرى قەلەمە، بەرى هەقيقەتە/قبل ظهور القلم و ظهور الحقيقة

مير ناسى بوو ئەو موحبەتە/عرف الإله تلك المحبة "الحب"

* موحبەتا ژ وێيە/المحبة النابعة من هناك

هەقيقەتا مە ژ وێ حەودێيە/وحقيقتنا من ذلك العين (الحوض)

داى مريدا دۆتێيە!/الأم مريدة (مقلدة) ابنتها

*دايێ رەدا دا، دۆتێ رەدا نەدا/ارتضت الوالدة، لكن الابنة لم ترضَ

ناڤ خاسێت شيخادى بوو ئوسفەتە/تناقل الحديث بين خواص الشيخ آدي

دايێ ل دۆتێ شەهدە دا/شهدت الوالدة على ابنتها

*داى مريدە، دۆت دێيە/الوالدة مقلدة (مريد)، والابنة هي الوالدة!!

بێژنە من: كى ژ بەرى كێيە؟! /قل لي: مَنْ منهما هي الأقدم؟!

(سەبەقا ٨،٩،١٠،١١ من النص الديني "قەولێ بێ وئەليف" أليف وباء)

وتقول الميثولوجيا الإيزيدية إن شهيد وهورى كانا يتكلمان باللغة الكردية التي هي لغة الإيزيديين. وإن الإيزيديين هم من نسل شهيد وهورى، وليسوا من نسل هابيل وقابيل كما في الديانات الأخرى.

ويروي رجال دين إيزيديون قصة أخرى حول أصل النسل والذرية الإيزيدية. تلك الميثة مذكورة في كتابي "صفحات من الأدب الديني الإيزيدي" المجلد الأول، ملخصها: إن آدم وحواء أو كائنين آخرين كانا متلاصقين مع بعضهما من جهة الظهر، فضربهما الله تعالى بسيف الحق وفصلهما عن بعضهما، وفي أثناء ذلك وقعت قطعة لحم من جسميهما على الأرض، فرعت الملائكة أو أحد الملائكة تلك القطعة اللحمية إلى أن ظهرعليها بمرور الزمن أعضاء الجسم من رأس وأرجل وأيادٍ إلى أن تحولت إلى إنسان. ولم تذكر الأسطورة إذا ما كان ذلك الإنسان ذكراً أو أنثى، بل تذكر أنه كان يحمل في كيانه البذرتين الذكورية والأنثوية، ومنه انحدر النسل الإيزيدي.

تضعنا هذه الأسطورة أمام ملامح أسطورة وفلسفة (زورفان) من حيث احتوائه للبذرة الذكورية والأنثوية "خنثى". وتضعنا أيضاً أمام عقيدة نظام الزواج الطبقي المغلق لدى الهندوس والإيزيديين، وقولهما بالدم النقي. فهل (آدم) المسمّى بالإبراهيمة هو زورفان الهندو-إيراني؟!

طبعاً، هذا هو مفهوم الدم الإلهي والدم النقي بنظر رجال الدين الإيزيديين حول أصل النسل الإيزيدي. وعندما لا يقرون أنهم من آدم وحواء المعترف بهما لدى اليهود والمسيحية والإسلام، لذلك هم لا يتزاوجون من معتنقي الأديان الأخرى إلى يومنا هذا. وينحصر زواجهم فيما بينهم فقط.

المجوس/الديانة المجوسية

الديانة المجوسية هي أقدم أديان الخليقة. ويعود تاريخها إلى ما قبل زرادشت، أي إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد. فقد كان لسكان إيران من غير الآريائيين دين يسمى "دين مغان". والمجوسية من إحدى الديانات في أواسط آسيا التي كانت تعبد آثار الطبيعة. وقد جعلها الفرس القدماء خليطاً من الآرية البابلية والهندية وحتى المصرية واليهودية مع أخلاقهم وعاداتهم[8].

ترتكز فلسفة الديانة المجوسية كلها على قاعدتين؛ إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. كما أن عماد هذه الديانة هو القول بعبادة الإله المثلث الأقانيم, وهم: ورمز/هورمز، ميترا، وأهريمن. ثم تفرعت من المجوسية آراء ومذاهب كثيرة أشهرها: الزرادشتية، المانوية، المرقونية، والمزدكية[9] ، والزروانية والكيومرثية الخرمية[10]. وقد أكد المجوس قبل زرادشت أن الكون يستند إلى قوتين (الخير والشرّ)، وأن (النور) يمثل قوة الخير، و (الظلمة) تمثل قوة الشر.

يبدو لدى بعضهم أن استخدام كلمة (المجوس/المجوسية)، ولاسيّما في اللغة العربية، تدخل من باب الإهانة. لا، إنها ليست كذلك. تصف بعض المراجع المجوسية "بالدين الأكبر، والملة العظمى" وأنهم أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين: يقتسمان الخير والشر، النفع والضر، الصلاح والفساد؛ يسمون أحدهما: النور، والآخر الظلمة.

وبالفارسية: يزدان، وأهريمن[11]. ويقدّسون الملائكة من دون أن يتّخذوا لهم أصناماً، كما أنّهم يقدسّون الكواكب والنّار.

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب تسمية الديانة باسم المجوسية. يقول بعضهم بأنهم سموا المجوس نسبة إلى شخص اسمه مجوس، أو أن هذا الاسم مجرد وصف لرجل وصفه الناس بالمجوسية، أو أنّ المجوس اسم إحدى قبائل الفرس، أو أنّها الوصف الذي يطلق على عُبّاد النار. ويقال أيضاً إن (مجوس) هو اسم ربّ القدرة عند الفرس. وهناك من يقول إن المجوس كلمة فارسية معناها "فاقدو الآذان" ؛ لأن أحد رؤسائهم قد قلعت أذناه. ويقال إن أصلها (مغMig) أو (مغوMigo) ومعناها حارس النار المقدسة، وتأتي أيضاً بمعنى المبشر[12]. وهنالك من يرجح أن تكون كلمة (مجوس-ماج) سامية الأصل؛ فهي باللغة الآرامية والسريانية (مجوشا/مكوشا)، وباللغة العبرية (مج)، وباللغة الآشورية (مج/أو ماج) بمعنى الكاهن الذي يقوم على النار، أخذتها الإغريقية عن الآرامية فجعلتها (مجوسMagos), وأخذتها اللاتينية عن الإغريقية فجعلتها (مجوس Magus)، وهي في اللغات الأوربية الحديثة (ماجي Magi)[13]. فالمجوسية دين قديم, جدّده وأظهره وزاد عليه زرادشت.

أُخذت كلمة مجوس من "ماجو"Mago , وهي الصيغة الفارسية القديمة التي ترجمت إلى اللغة الإغريقية بمجوس. وهي اشتقاق نعتي من كلمة (ماجا-ماجها الفيدية) مع صفتها (ماجهوان) التي تعني ثروة أو هبة الرب والدين الصالح. وتبعاً لبروفيري (Provry) فإن كلمة مجوس تعني الحكيم في أمور الرب الذي يخدم "الآلهة"[14]. ويقصد بالمجوس الكهنة والحكماء وعلماء الفلك. وهي معرّبة عن لفظة "مغ Mig" أو "مگوش/مغوس Magus" البهلوية أو الفارسية القديمة التي تعنى الخادم أو الشخص الذي يفسر الرؤى والأحلام ويخبر الغيب بوصفه منجماً. وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية، فقد وردت لفظة (ماجي Magi) منها. مجوس هي جمع لكلمة (ماجMag), وعرفت الديانة بـ (المجوسية) وأصحابها بـ(المجوسيين). معرب من كلمة مجوس (مغاس- مغان- بيگ- بيك). وما زال المدلول الفكري لهذه الكلمة ماثلاً بقوة في الديانة الإيزيدية من خلال كلمتي الـ (مجيور) و(الكوجك)؛ أي المتنبئ ومفسر الأحلام والرؤى.

يعد تاريخ هيرودوتس (كتابه 440 ق.م.) مصدراً رئيسياً لدراسة الزرادشتية في تلك الفترة، ولاسيّما فيما يتعلق بدور الكهنة المجوس (Magi). وفقاً لما نقله هيرودوتس, فما حُرّف لاحقاً في اللغة العربية لفظاً ومعنىً إلى المجوس، يشير إلى كهنة إحدى القبائل الميدية السبعة (بوسي، پاراتاكن، ستروخات، آريزانت، بودي[15]، ماغي). وكانت شعوب الهضبة الإيرانية تعرف بالميدية قبل انبثاق الإمبراطورية الأخمينية. ويشير بالتحديد إلى طائفة (الزروانية) المتأثرة بالتقليد الكهنوتي في أديان الشرق الأدنى القديم والبحر المتوسط. وكان لهذه الطائفة بالغ التأثير في بلاط الحكام الميديين.

ويذكر هيرودوت في كتابه أيضاً اسم قبيلة ميدية شكلت طبقة الكهنة- خدمة الطقوس وتقديم القرابين للإله. اسم (ماغي Magi) هندو-آري قديم يرجع إلى مصطلح (Maga) كهنة معبودة الشمس (سنسكريت) الذي لا يعني الكهنة، بل يعني في معناه الواسع معبودة الشمس, الإيزيديين, كورمانجي الذين يتألفون من أربع طبقات(Varni) , يعبدون الشمس دينياً، الاسم الذي يرجع إلى الشمس (Şîmîg) الحوري- الميتاني.[16]

يقول بعض الباحثين إن المجوسيين هم نفسهم أتباع الديانة الزرادشتية؛ أيْ إن الديانة المجوسية هي الديانة الزرادشتية نفسها. لكن في الحقيقة إن الديانة المجوسية جاءت قبل الديانة الزرادشتية. والمجوس اسم تلبّس به قوم "مادا"، وقد كانوا معارضين لزرادشت كما ورد في كتاب "أوستا". وبما أنّ أهل "مادا" عُرفوا في الأوساط العربية وبلاد الشام باسم المجوس، فقد سرى هذا الاسم إلى أتباع زرادشت؛ فسمّوا بالمجوس الزرادشتيين. أضافت الديانة الزرادشتية في الديانة المجوسية، وجددتها وأظهرتها وزادت عليها، وكان ذلك في القرن الثالث للميلاد.

ورد ذكْر المجوس مرة واحدة فقط في القرآن في سورة الحج: }إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ{. ويرى ابن خلدون أن الديانة المجوسية منسوبة إلى كيومرث، وهو من أبناء آدم. وقال بعضهم إنه من أبناء نوح. وجاء

في"التحرير والتنوير" لابن عاشور أنّ أقدم النِّحَل المجوسية تأسست قبل زمن النبي إبراهيم، وكان ذلك على يد أول ملك بفارس يسمى "كيومرث" الذي كان يلقب عصره بـ "زروان".

العبادات المجوسية:

يعبد المجوس النار، وبعضٌ منهم يعبد الكواكب. وقد أخذ المجوس بعض أفكارهم الدينية من الديانات الهندية التي اختلطوا بها وتأثروا بها كثيراً، منها تناسخ الأرواح. ويقولون إنّ هذا التناسخ يأتي من الأجزاء النورانية الموجودة في الإنسان. كما يوجد عندهم ادّعاء الألوهية والعلم بالغيب والتنبؤ بالمستقبل، واعتقادهم بأن الرسالات السماوية لم تنقطع بعد. وهم يُؤمنون بنبوّة عيسى بالإضافة إلى نبيهم زرادشت، ويقولون إن النبوّة مازالت قائمة. كما يوجد عند المجوسيين عدة مذاهب؛ هي: المانوية والمزدكية والزرادشتية. وقد كان الدين المجوسي منتشراً بكثرة بين الفرس القدماء والآشوريين[17]. كما كان له شيء من الوجود في الجزيرة العربية قبل الإسلام. أما اليوم فلا وجود له إلا بنسبة ضئيلة وعدد قليل جداً في إيران والهند.[18]

النحل المجوسية

الكيومرثية

يرد في كُتب تاريخ الشعوب الهندو-إيرانية أن كيومرث هو آدم، وتفسيره "الحيّ الناطق". وهي أقدم النّحل المجوسية. أسسها "كيومرث" أول ملك بفارس في الأزمنة القديمة، يظن أنها قبل زمن إبراهيم الخليل. ويلقب عصر "كيومرث" بـ "زروان" أي الأزل، فكان أصل المجوسية هم أهل الديانة المسماة بـ"الزروانية". وهي تثبت مدبرين للكون؛ هما "يزدان" و"أهريمن". يزدان منفرد بالوجود الأزلي، وهو نوراني, ومن تفكيره نشأ "أهريمن", وهو محدث مخلوق وهو مدبّر الظّلمة ومطبوع على الشرّ والضرّ. و سبب خلق "أهريمن" هو أن "يزدان" فكّر في نفسه: "لو كان لي منازع كيف يكون؟" وكانت هذه الفكرة غير مناسبة لطبيعة النور؛ فحدث الظلام نتيجة لذلك.

المانوية

تعدّ من العقائد الثنوية، وتنتسب إلى "ماني بن فاتك" المولود في بابل عام 216 ميلادية الذي ظهر في زمن "سابور بن أردشير" ملك الفرس بين سنة 238 م وسنة 271 م، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور. كانت تعاليمه مزيجاً من الديانة المجوسية والنصرانية. خلاصة مذهبه قائمة على أن العالم مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنهما أزليان. وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما مايزالان قويين، حساسين، سميعين، بصيرين. وهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير. متضادان، وفي الحيز محاذيان؛ تحاذي الشخص والظل. وأن النور والظلمة قد امتزاجا بالخبط والاتفاق منذ الأزل. وقد نصب الإله عرشه في مملكة النور. ولأنه نقي فهو غيرُ أهلٍ للصراع مع الشر، فقد استدعى "أم الحياة" التي استدعت بدورها "الإنسان القديم". وهذا الثالوث هو تمثيل "للأب والأم". وتعتقد باختلاط خمسة أجناس نورانية مع خمسة أجناس ظلامية, منها مخالطة الدخان النسيم. وهنا تقول المانوية إن الحياة والروح في هذا العالم من النسيم, والهلاك والآفات من الدخان، كما هو الحال في خالط الحريق والنار، والنور والظلمة، والسموم والريح، الضباب والماء.. إلخ. فكل ما في العالم من منفعة وخير وبركة، هو من أجناس النور. وكل ما فيه من مضرة وشر وفساد، هو من أجناس الظلمة. وتعتقد المانوية أن ملك النور أمَرَ ملكاً من ملائكته بخلق العالم لتخليص أجناس النور من أجناس الظلمة، فخلق الشمس والقمر والكواكب ليصفي أجزاء النور من أجزاء الظلمة.

تعدّ المانوية من العقائد الغنوصية والعرفانية، وديانة تصوف امتازت بالتطرف في الزهد والتنسك وعدم الزواج وتقديس الموت، وتلك كانت إحدى نقاط ضعفها الأساسية.

المزدكية

هي نِحلة قريبة من المانوية وتُنسب إلى "مَزْدَك". ظهرت في عهد الملك الساساني "قباذ بن فيروز". اعتقدت مثل المانوية في "الكونين" و"الأصلين". إلاّ أن مزدك كان يقول: "إن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق.

والنور عام حساس، والظلام جاهل أعمى. وإن المزاج كان على الاتفاق والخبط، لا بالقصد والاختيار، وكذلك الخلاص يقع بالاتفاق دون الاختيار"[19]. والمزدكية هي آخر نِحلة ظهرت في تطور المجوسية قبل الفتح الإسلامي لبلاد الفرس.

وراح "مزدك" يناقش قضية الظلمة والنور، فهو يرى أنه تمخض عن امتزاجهما نشأة الدنيا مصادفة. وأباح مذهبه النساء فلا زواج ولا ارتباط، بل يسافد الإنسان كما يسافد الحيوانُ الحيوانَ من غير أي قيد من رابطة حافظة للأنساب. كما أباح الأموال فلا ملكية تحمي إنساناً من إنسان، بل كل الأموال مباحة للجميع من غير أي نظام.[20]

عقب توحيد الممالك الميدية والفارسية في إمبراطورية جديدة تحد سلطة (كورش الأكبر)، تقلص نفوذ كهنة (الزرفانية) في إدارة السلطة. واستمر الأمر في عهد خليفته وابنه قمبيز الثاني، خاصة بعد ذرء الكهنة بذور حركة معارضة للسلطة الجديدة. وبدءاً من عهد دارا الأول استؤنف تقليد الإخلاص إلى آهورامزدا المألوف عند الحكام الميديين، كما نجد في نقش (بيستون). ولم يحتل آهورامزدا هذه المكانة لدى الأخمينيين قبل داريوس، مع أن ديانة داريوس غير معروفة تحديداً كون عبادة آهورامزدا في تلك الفترة ليست محصورة في تعاليم زرادشت[21]. وأطلق العرب كلمة (مجوس) في جاهليتهم على جيرانهم من أتباع الديانة الزرادشتية في بلاد فارس.

* قبل أن أنتقل إلى الديانة الميثرائية التي شغلت حيزاً كبيراً من الكتابات والأبحاث، واعتبر بعضهم أن الديانة الإيزيدية امتداد لها[22]، أودّ الإشارة إلى بعض الأبحاث التي ظهرت مؤخراً ومفادها أن الديانة الميثرائية نفسها هي امتداد للديانة اليزدانية [23]. ويعدّ الدكتور كاكائي اليزدانية دين الشعب الخوري القديم الذي عرف في التاريخ باسم: هوري أو خوري أو حوري (Churriter Churri, Hurri).

ميثرا.. الديانة الميثرائية

المنبع، التاريخ، المعتقدات

يرد اسم الإله ميثرا بأشكال عدة؛ مترا/أو ميترا عند الهندو-إيرانيين الأوائل، مثرا/ميثرا عند الفرس. وعرف بـ (مثراس) عند اليونانيين، و(ميثرا) والمثرائية عند الرومانيين، و (ميهر) عند الإيزيديين.

اشتق اسم الإله ميثرا من لفظة ميهرا في اللغة الفارسية القديمة التي تعني المهرجان للدلالة على الاحتفالات التي كانت تقام له. هو إله النور والحكمة لدى الهندوس والفرس، الموطن الأصلي له إيران، جاء ذكره في أقدم الكتب المقدسة لدى الهندوس (ريك فيدا) باسم ميترا [24] .

يعد ميترا من الأرباب المعبودة التي عبدتها الشعوب الهندو-إيرانية في موطنها الأصلي. وهو الإله الذي حملوه معهم في حلّهم وترحالهم. ولقد جاء ذكره في أقدم الكتب المقدسة (ريك فيدا) باسم (ميترا), وفي الآفيستا بإسم (ميثرا) بأنه إله النور حامي حمى الحقيقة وعدو الكذب والخطيئة، وأنه يعاقب كل من يحلف يميناً كذباً أو ينحرف عن الحق والصواب والنزاهة، وأنه يحطم القبائل والجماعات المناهضة له، ويهب الصحة والصداقة والرجاء للذين يمجدونه, ويكون حليفاً مؤيداً لمن ينذرون أنفسهم له. وميثرا أحد الآلهة التي ظلت عبادتها في إيران مع أن زرادشت كان قد ألغاها. وحوّرت كلمة (ميثرا) في إيران منذ القرن الأول بعد الميلاد إلى (مهر)، فأصبحت (مهر) الشمس وهو إله العقد وإله آري بامتياز. وظل في العهد الإسلامي اسماً للشمس ولفكرة الشفقة والمحبة[25]. وبصفته حامي الصدق والحقيقة فهو قاضي الروح بعد الموت. وبصفته حافظ العقود فهو الذي يقرر متى ينتهي حكم الشيطان. الجميع في ترقب قدومه وسط الاحترام والولاء في يوم النصر[26] .

كان الإله ميترا في الأصل إلهاً ثانوياً مساعداً. يرد اسمه مصاحباً للآلهة (سوريا/ أو سورياش) إله الشمس، و(فارونا) إله السماء الهندوسي و(إندرا) حسب الديانة الفيدية. تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الميثرائية ترجع إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد لدى الفرس.

في الأساس، ميثرا هو إله النور؛ فهو الذي يجرّ الشمس بخيوله السريعة؛ وهو أوّل من يصل إلى قمّة جبل هارا، مركز الأرض، ومن هناك يراقب منازل كلّ الآريين؛ وهو الذي يشعّ بأنواره الذاتيّة فيجعل أشكالاً متعددة من العالم مرئيّة صباحاً.

في العالم الإيراني، إلى جانب كونه إله النور الذي يحمل سمات شمسيّة (تُفسّر تماثله مع الإله شمش في منطقة ما بين النهرين) قويّة؛ يمتلك ميثرا أهميّة واضحة كإله للحرب![27] إذن, تقديس الشمس الذي هو (ميترا) وكذلك عين آهورامزدا.

ميترا- الشمس: ميهر أو "ميرا" أصله الإيراني القديم لاسم "ميثرا" الذي بات يعني "الشمس" بكل بساطة، وهو قاهر الكذب ومُبعد المصائب.

انتشرت عبادة ميترا خارج نطاق العالم الإيراني، فقد صارت أساساً للعبادات السرّية لديانة الجنود الرومانيين. وسميت عبادته بالميثراوية التي انتشرت في كل الغرب الأوربي. ونافست المسيحية بشدة في بداية انتشارها هناك. احتفل الرومانيون بعيد ميلاد في 25/12 الذي تحول فيما بعد إلى ميلاد السيد المسيح.

يمكن اعتبار (ميهر- ياشت/نشيد ميثرا) الذي اتخذه زرادشت أو اتخذته الزرادشتية دليلاً على أنه كان هناك معتقد أو دين قبل الزرادشتية, وقَبِلَ هو بآلهته وبعض عاداته ونقله إلى ديانته "الزرادشتية" الجديدة. وقد خصص أطول ترانيم آفيستا، بل أشهرها والمسمى (ميهر- ياشت= نشيد ميثرا), لتمجيد (ميثرا). ويُعتقد أن أجزاء هذا الترنيم تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، كون ميثرا هو معبود الشعوب الهندو-إيرانية، وإلهاً للعقود بين القبائل الآرية (المراعي والمياه)، وأصبح متأخراً إلهاً للحروب وإلهاً للشمس، واقفاً للشمس في طيرانها السماوي.

إذا كانت "الشمس" التي تقدسها الإيزيدية في وقتنا الحاضر هي نفسها (شمس ميهر/ميثرا)، فإن الدين الإيزيدي هو فعلاً أقدم من الديانة الزرادشتية وليس منفصلاً منها أو من بقاياها، لأن الديانة الزرادشتية باقية. الدليل الآخر الذي يدعم قِدم الديانة الإيزيدية الحالية على الزرادشتية، وربما ديانات ومعتقدات أخرى، هو طقس صوم الإيزيدية (صوم إيزي- صوم الشمس) الذي يعد من أحد أركان الديانة. يقام مدة ثلاثة أيام في هذا التاريخ من شهر كانون الأول. وهو عيد ميلاد "الشمس". يتساوى فيه الليل والنهار، وتتحول الشمس من برج الجدي (22 كانون الأول) إلى برج الدلو (19 كانون الثاني). هذا يعني أن عيد ميلاد المسيح في 25/12 مأخوذ من دين هندو-آري قديم.

إذا كان جبل "هارا" هو جبل "هكاري" الذي يرد في الآفيستا، وكما أُشير إليه في مكان آخر، فمعنى ذلك هنالك علاقة بين "الشمس وميثرا وهكار"

- ميثرا كان الأول بين كل آلهة السماء

الذي تسلق قمة جبل "هارا"

* سابقاً الشمس الخالدة ذات الأحصنة السريعة
كان الأول الذي امتلك القمم الذهبية الرائعة
ومن هناك كان يراقب كل البيوت الآرية [28] .
* تكون شريراً وخيراً لأجل البلد يا ميثرا
تكون شريراً وخيراً لأجل الناس يا ميثرا
أنت تدير شؤون البلدان في السلم والحرب يا ميثرا[29]
* نحن نصلي للشمس
للضوء الخالد
حيث أحصنته سريعةً
عندما تشرق الشمس
عندما تدفأ الشمس
تقف الآلهة كلها
مئات الآلاف منهم, يختارون السعادة...
ولنصل إلى تلك الرابطة الرائعة
بين الشمس والقمر [30]
* المجد لآهورامازدا!
المجد لأميشا- سبينتا
المجد للقمر –الخالد على عائلة الثور!
المجد للقمر عندما يكون ظاهراً
والمجد له عندما نراه!
* هل ينمو القمر؟ هل يقتل؟
خمسة عشر يوماً هو نموه، وخمسة عشر يوماً هو موته
بقدر ما ينمو بقدر ما يموت
مثلما ينمو كذلك يموت
من الذي يجبر القمر على النمو والموت؟
* نحن نقدس القمر الذي يحافظ على عائلة الثور!

وآشا المخلصة, حارسة الحقيقة

انظر إلى القمر المُنير، انظر إلى هذا القمر الجلي

انظر إلى هذا القمر الجلي، أرى هذا القمر المُنير[31]

هذه المعتقدات والأفكار الدينية الواردة في آفيستا حول: الخير والشرّ، الشمس والقمر، الثور، عيد الصوم، هكار..إلخ, تشبه معتقد الإيزيدية (كون الخير والشرّ متلازمان وينبعان من مصدر واحد). كما أن بعض النصوص الدينية، خاصة دعاء المساء، تحمل وتعكس الفكرة نفسها التي تصور "الشمس" وكأنها في عربة تجرها الأحصنة من المشرق إلى المغرب:

"يا سوارى روز هلاتى روز ئافيى/هوون بده نه خاترا دوتى ودايى/هوون مه خلاسكه ن ز قه دايى به لايى. ترجمتها: يا فارس شروق الشمس وغروبها/بجاه البنت وأمها/ أنقذونا من المصائب والويلات!"

ظهور الميثرائية

يلف الغموض الدين الميثرائي، فهل هو غموض مثراس أو غموض الفرس؟[32] . هناك مصادر تاريخية تقول إن الديانة الميثرائية الفارسية كانت مقتبسة عن ديانة بابل؛ أي كانت متوارثة لدى الفرس عن ديانات بابل بعد الغزو الفارسي لبابل على يد كورش الأكبر عام 539 ق.م.

اقتبس طبقة الكهنة الفارسيين مبدأ (الزروانية) (الزمن) من البابليين. واتخذوا (زروان) والداً للتؤامين (كائاس) (سبينتامانيو) (الروح الطاهر الخالد) و (انكرامانيو) (الروح الشرير الهالك) وذلك بعد أن عرف (سبينتامانيو) بأنه (اورمزد)؛ ولهذا السبب باتت آلهة الفريقين متماثلة، وتشابهت عبادة الساميين للنجوم مع أسطورة الطبيعة لدى الإيرانيين .[33]

لعل وجود إله الشمس (شمش) لدى الرافديين واختلاط عبادته مع عبادات الفرس كان له دورفي نشأة الميثرائية الفارسية[34] . وقد نال (ميثرا) المرتبة الأولى في الديانة الزروانية المجوسية. وعند اكتساح المقدونيين للبلاد 331 ق.م. اقترن أرباب إيران بآلهة الإغريق؛ فاقترن (زروان) بـ (كرونوس)، و (آهورامزدا) بـ (زيوس)،

والفاتح العظيم (فيرى تراخنا) بـ (هرقل), والإلهة (أناهيتا) بـ (ارطميس) و (ميثرا التي عبدت في بابل شماس واعتبرت صنماً لـ (هليوس). وهكذا تطورت الميثرائية نتيجة للاختلاط الحاصل بين الديانة الزروانية والعقيدة الإغريقية. فالميثرائية كانت نوعاً من الزروانية التي كان يعبد فيها كل من (ميثرا/إله الشمس) و(انكرامانيو/إله الشرّ)، وكانت تُعقد اجتماعات عبّادها في العادة سراً، وكان على حديثي العهد باعتناقها أن يجتازوا طرقاً وأسراراً وشعائر خفية صعبة.[35]

وتذهب مصادر أخرى إلى تأثير الميتانيين الكبير في ظهور المعتقدات في شمال ميزوبوتاميا؛ ففي عهد الميتانيين ظهرت لأول مرة أسماء الآلهة إندرا(Indra) و فارونا(Varuna) وميترا (Mithra) و (ناساتيا/ناهيتاNasatya). وجاء ذكر الإله ميتر أول مرة في المصادر الكتابية عام 1350 ق.م كان ذلك في أحد نصوص الاتفاق بين الملك الحثي شوبيلوليوما والملك الميتاني ماتيوازه. عُثر على هذه الوثيقة في عاصمة الحثيين هاتوشا(Hatusa) أي (بوغازكوي) قرب مدية أنقرة.

بعد احتلال الإغريق لبلاد الرافدين بقيادة الإسكندر المقدوني، تأثروا في بابل بالديانات الشرقية بعد أن كانوا قد اطلعوا على الديانة الزورانية أي الزمنية البابلية التي عبر اختلاطها بمعتقدات الإغريق نشأت الميثرائية الإغريقية أو بالأصح الرومانية.

إنّ آسيا الصغرى على الأرجح هي نبع الميثرويّة والأرض التي انطلقت منها تلك الديانة، حيث وُجدت الجماعات الفارسية وكهنتها الذين كانوا يسمّون بالماجي (المجوس) في نهاية مرحلة الحكم الأخميني (بدءاً بالقرن الخامس قبل الميلاد وانتهاءً بالقرن الرابع قبل الميلاد). كانت هذه الجماعات تفضل حلولاً توفيقية مع الديانات المحلية. من هنا, فالاعتقاد السائد هو أنّ الميثروية ليست إلا نتيجة لتهجين عناصر كثيرة، ومقابلة بين العالمين الدينيين لإيران وبلاد ما بين النهرين. فانتشار العناصر الفلكية فيها يوحي أنّ ديانة بابل الفلكية التي تطورت بوجه خاص في الألف الأول قبل الميلاد، لعبت دوراً مهماً في تكون الميثروية. ولا ضيرَ من الافتراض أنه في زمنٍ أكثر قِدماً اتحد الإله الإيراني ميثرا مع "شمش" إله الشمس في بلاد ما بين النهرين[36]

انتقلت عبادة مثراس الإله الذكر مع الجنود الرومانيين من فارس إلى أقصى تخوم الإمبراطوريّة الرومانية؛ وكان مثراس في المراحل المتأخرة من الدين الزرادشتي ابن

أهورا- مزدا إله النور، وكان أيضاً إلهاً للنور، والحق، والطُهر، والشرف؛ وكان يُقال أحياناً إنه هو الشمس، وإنه يقود الحرب العالمية ضد قوى الظلمة، وإنه يشفع على الدوام لأتباعه عند أبيه ويحميهم، ويُشجّعهم في كفاحهم الدائم للشر والكذب والدَنَس وغيرها من أعمال أهرمان أمير الظلام. وأضحت الصورة التي صوّرها فنان يوناني لمثراس راكعاً على ظهر ثور يطعنه في خنجر في عنقه، الرمز الرسمي لذلك الدين.

وكان اليوم السابع من كل أسبوع يوماً مقدساً لإله الشمس. وكان أتباعه يحتفلون في الأيام الأخيرة من ديسمبر بمولد مثراس "الشمس التي لا تُغلَب"، والإله الذي نال نصره السنوي على قوى الظلمة في يوم الانقلاب الشتائي، ومن ذلك بدأ اليوم يفيض على العالم ضياء يزداد يوماً بعد يوم.[37]

وكان الدين المثرائي يحضّ على الخلق الكريم، ويطلب إلى "جنوده" ألا ينقطعوا طوال حياتهم عن محاربة الشر في جميع أنواعه. ويقول كهنته إن الناس كلّهم سيحشرون لا محالة أمام مثراس ليحكم بينهم، ثم تُسلّم الأرواح الدنسة إلى أهرمان لتعذب على يديه عذاباً أبدياً؛ أما الأرواح الطاهرة فترتفع في طباق سبعة حتى تصل إلى بهاء السماء حيث يستقبلها أهورا-مزدا نفسه. انتشرت هذه الأساطير التي تبعث في نفس أصحابها الأمل والقوة في القرنين الثاني والثالث من التاريخ الميلادي في غربي آسيا. وانتقلت إلى أوربا (متخطّية بلاد اليونان)، وشادت معابدها متجهة نحو الشمال حتى وصلت إلى سور هدريان.[38]

دخلت أفكار الديانة الميثرائية وطقوسها الباطنية إلى الكثير من أديان الشرق، منها الديانة المسيحية التي أخذت منها عيد ميلاد المسيح في 25 كانون الأول من كل عام.

الديانة الزرادشتية

الزرادشتية دين فارسي قديم يؤمن بثنائية الصراع بين قوى الخير والشر على المستوى الكوني. فـ (أهورامزدا) في معتقد هذا الدين، هو رب الخير والحكمة وخالق العالم المادي. و(أنغرامينو- أهريمن) هو روح الشر، إلى جانب الإنسان الذي هو كائن حرّ، عليه واجب عمل الخير لمساعدة (أهورامزدا) للانتصار على (أنغرامينو) في نهاية المطاف. بمعنى أن زرادشت قال بأصل النور والظلمة أو الخير والشر،

وأنّهما أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم كلها. وكلاهما يدور في فلك إله واحد اسمه "أهورا مزدا". كما أن الديانة الزرادشتية تحترم العناصر الأربعة: الماء، الهواء، التراب, والنار, ولاسيّما النار حتى عُدّ أتباعه عبدة للنار. وأينما كانوا وجد معهم معبد للنارسواء أكان صغيراً أم كبيراً.

لقد أخطأ المؤرخون والكتاب العرب المسلمون في إطلاق كلمة المجوسية على الديانة الزرادشتية والربط بينهما. فالمجوسية التي خصصنا لها باباً خاصاً في بداية هذا الفصل هي أقدم عهداً من الدين الزرادشتي[39] . وكلمة مجوس، كما أُشير إليها في مكان آخر، مشتقة من "مغوس- مگوس" الفارسية التي تعني الكهنة والحكماء الذين يفسرون الأحلام والرؤى. وإن كلمة "مجيور" عند الإيزيدية ما هي إلاّ تحريف "مجوس" الفارسية. وهي، أي المجوسية، ليست بإثنية ولا بشعب، بل مجموعة كهنوتية.

يعدّ زرادشت مؤسس هذا الدين. وقد ورد اسمه في النصوص الآفستية «زرئوشتره». وهناك آراء متعددة حول ظهورهح بعضها يذهب إلى أن ظهوره كان في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، وبعض الآراء الأخرى تقول ظهر في القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد، وآراء أخرى تقول اكتمل تكوينه في القرن السابع قبل الميلاد. وكان لزرادشت تأثيره البالغ في عقائد الديانة اليهودية والمسيحية والإسلام فيما بعد.

ولد زرادشت في أذربيجان، ثم انتقل إلى فلسطين، واستمع إلى بعض أنبياء بني إسرائيل من تلاميذ النبي إرميا، ثم رجع إلى أذربيجان، ولم تطمئن نفسه إلى اليهودية. وقد حيكت حوله قصص وحكايات اختلط فيها الواقع مع الخيال والإمكان مع الإعجاز. تشكل ترسيمة عن حياة تبدأ بالنبوءة التي مفادها أن ثوراً تكلم وتنبأ بميلاد منقذ، وتنتهي بموت قدسي في أحد المعابد أمام النار في طبلخ؛ فقد قتل عن 77سنة من قبل الطوراني "براتغاركش".

كان أكبر الآلهة في الدين السابق للدين الزرادشتي مثرا إله الشمس، وأنيتا إلهة الخصب والأرض، وهَوْما الثور المقدس الذي مات ثم بُعث حياً، ووهب الجنس البشري دمَه شراباً ليسبغ عليهم نعمة الخلود. وكان الإيرانيون الأولون يعبدونه من خلال شرب عصير الهَوْما المسكر وهو عشب ينمو على سفوح جبالهم. وهال

زرادشت ما رأى من هذه الآلهة البدائية وهذه الطقوس الخمرية؛ فثار على المجوس أي الكهنة الذين يصلّون لتلك الآلهة ويقربون لها القرابين، وأعلن في شجاعة لا تقلّ عن شجاعة معاصريه عاموس وإشعيا أنه ليس في العالم إلا إله واحد هو في بلاده أهورا- مزدا إله النور والسماء، وغيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته. ولعل دارا الأول حين اعتنق الدين الجديد رأى فيه ديناً ملهماً لشعبه ودعامة لحكومته؛ فشرع منذ تولى المُلك يثير حرباً شعواء على العبادات القديمة والكهنة المجوس. وجعل الزرادشتية دين الدولة[40] . وهنا يمكن القول إن الديانة الزرادشتية تأسست على أنقاض الديانة المجوسية أو بتعبير أدق إن الزرادشتية هي تجديد للديانة المجوسية.

وله كتاب هو«الآفيستا» وشرحه «الزندافستا». يقسم فيه العالَم إلى الروحي والجسمي, والخلق إلى التقدير والفعل، والوجود إلى النور والظلمة، والموجودات من النور والظلمة معاً أو من الخير والشر. والعالم صراع دائم بين القوتين المتضادتين؛ الخير يمثله إله النور «أهورامازدا», والشر يمثله إله «أهرمان» الذي ينتهي بانتصار إله النور في آخر الزمان، ولذلك تسمى الزرادشتية أحياناً باسم المازدية (Mazda-ism) وأطلق عليها الإسلاميون اسم المجوسية. والمجوسية اسم ديانة عبدة النار. وكان زرادشت قد اعتنق عبادة النار والشمس أيضاً.

منبع مفهوم إله الشرّ ومراحل تطوره

حوّل النبي زرادشت الديانة الإيرانية التي ترعرع فيها إلى توحيد يختلف عن أي شيء شهدته إيران والهند من قبل على الإطلاق.[41]

ويمكن القول أن زرادشت فتح بدعوته للديانة التي سميت باسمه آفاق فلسفة تجاوزت حدود إيران، وانتشرت في جغرافية امتدت شرقاً إلى الهند، وغرباً إلى الشعوب التي آمنت بالديانات الإبراهيمية. مع العلم أن زرادشت كان عارفاً بالحضارات القديمة قبله في بلاد الرافدين وبعقائد الشعوب الهندو-أوربية الممتدة في عمق آسيا، وخاصة حول بحر قزوين. فجاء زرادشت بثورة فكرية كبرى وبفلسفة جديدة؛ فقد قلبتْ أفكاره الأخلاق السائدة آنذاك رأساً على عقب. وتمحورت فلسفته حول الصراع

ما بين مفهومي (الخير والشرّ)؛ الصراع الدائر بين قوى الكون فوق الطبيعية؛ فكان أهورامزدا "روح الخير" وإله السماء, وعيناه هما الشمس والقمر. أما عدوه فكان أهريمان "روح الشرّ" ربّ الظلمات ورمز القبح وجميع العيوب والآفات التي تصيب الانسان في هذا العالم، كما وصفه المُصْلح زرادشت[42] .

إن صراع القوى الكونية فوق الطبيعية لم يكن إلاّ تجلياً للصراع الدائر في الطبيعة؛ أولاً: ذلك الصراع الذي يخضع إلى قوانين الطبيعة الخارجة عن إرادة الإنسان، وثانياً: تجلي لطبيعة الصراع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الدائر في ذلك الوقت في إيران بين قوى (الرعاة الريفيين المسالمين)، وبين التهديد المستمر من قبل غزوات (قبائل بدوية طورانية قوية) كما سمّاهم زرادشت. وأشار زرادشت إلى هذه القبائل بأنها Dregvants) أو (Drvanti أي أتباع الكذب (ده ره وين باللغة الكردية)، في حين عدّه مؤيدوه Ashavans)) أي أتباع الصدق والاستقامة.

في الكتب البهلوية المتأخرة استخدم مصطلح (أنغرا مينيا Angra Mainya) أو (أهريمان) أي الشرّ أو الروح العدوانية. وهنا ليس الخصم لآشا (Asha) الحقيقة المجردة، بل العدوان الضار أو تدمير لحكومة صالحة ونظام ريفي زراعي مسالم [43] .

رأى زرادشت أن أتباع الكذب (بمعنى كل من يخالف فلسفته) يمثلون قوى الشرّ؛ القوى المدمرة للحياة العادية ولأتباع الصدق الذين يمثلون قوى تصون الحياة وتعززها- فوق العالم الروحي. وهذا تجسيد الثنوية الأساسية للصدق والكذب، الصلاح والشرّ، النظام والفوضى في توءمين أوليين يسمّيهما اسم (الفيض)، أي الروح القدس، والروح الشريرة أو المخربة (أنغرا مينو Angra Mainya وأهرمان) فيما بعد، أحدهما جالب للحياة والآخر مبدع الموت.

من الجدير بالذكر هنا أنه توجد أسطورة التؤامين (الخير والشر) المتعايشين مع بعضهما في ديانات إيران القديمة, لكن زرادشت بفلسفته الجديدة وأفكاره الإصلاحية للدين القديم فرّق بين فكرة التؤامين! إن مبدأ الثنائية التي جاء بها زرادشت وإبرازه دور الشرّ و(أهرمان)، أدخل ملامح الصراع العلني على مستوى المجتمع، وجلب, حسب اعتقادي من دون أن يقصد، المشاكل والخلافات العقائدية إلى منطقة الشرق القديم والعالم فيما بعد، بعد أن تبّنت الأديان الإبراهيمية، خاصة الدين الإسلامي،

فكرة الشرّ, وجعلوا من فكرة أهرمان (شيطاناً)؛ لتبدأ منها عقيدة التكفير وعدم تقبل الآخر ومبدأ الحروب الدينية التي تُسفك فيها الدماء وتسبى النساء والأطفال وتُدمر الأوطان!.

لقد أدان زرادشت الديانة القديمة التي طابقها مع الشرّ إدانة تامة، وهتف يقول: "أنت يا ديفاس والجميع يضاعف أضحيته ستكون البذرة للعقل الشرير والكذب والغرور."

لم يعرف زرادشت روح التسوية قطّ؛ من كان مع أفكاري فهو (خير) أو ضدي (شرير)!

عندما دخلت ديانة زرادشت قصر الملوك الإيرانيين (الأخمينيين والساسانيين) في أواسط القرن السادس قبل الميلاد, حدث انقلاب ديني يتفق ومشاربهم. وإن الانتقال النهائي للشياطين آلهة القبائل الآرية القديمة وتحولها إلى أرواح شريرة، حدث بتأثير عوامل سياسية؛ فعبادة أهورامزدا كانت مدعومة بالدرجة الأولى لبسط القدسية على السلطة الملكية بواسطة النسر الديني. (44)

كم كانت الأفكار والفلسفة التي جاء بها زرادشت قوية! فقد أثرت في الأديان الإبراهيمية. نذكر هنا بعض الأفكار الدينية الزرادشتية التي دخلت الأديان الإبراهيمية:

1 -يوم القيامة في المسيحية والإسلام يشابه يوم (فراشوكيريتي) في الزرادشتية.

2 - مفهوم المُخَلِّص/المنقذ عند المسيحية والإسلام (الشيعة) مأخوذ من (ساوشيانت) الذي يقيم الأموات في الزرادشتية.

3 - فكرة خلق الأرض في سفر التكوين اليهودية وفي الإسلام مشابهة لقصة خلق الأرض في معتقدات الديانة الزرادشتية وخلق أول كائنين (آدم وإيفا).

4 - ميلاد يسوع المسيح من أم عذراء تشبه ولادة زرادشت من أم عذراء اسمها (دوغودوفا).

5 - قصة الملائكة والشياطين في الأديان الإبراهيمية مقتبسة من حضارات وفلسفات قديمة بوجه عام، ومن صراع الخير والشر في الديانة الزرادشتية (أهورامزدا وأنغرا ماينيو).

6 - نجد جذور قصة الإسراء والمعراج في الإسلام في قصة صعود زرادشت على

جبل سبلان ومجيء (فاهومانا) ليأخذه عند الرب. وهي الفكرة نفسها في صعود موسى جبل سيناء ورؤيته الله في شكل النور. أما محمد فيصعد على ظهر البراق إلى السماء لملاقاة الرب.

7 - الصراط المستقيم في الإسلام هو نفسه فكرة برا جينفات jinvat (Pira) من الآفيستا[45] .

8 - دخل اسم (الفردوس) أغلب اللغات الهندو-أوربية، ودخل الإسلام أيضاً بمعناه الآفيستي لتوجيه أنظار العرب في بيئتهم الصحراوية القاحلة إلى فردوس ميديا الذي يعوضهم في الآخرة[46] .

9 - يعود أصل كلمة (الدين) إلى الكلمة الآفيستية (داينا- دينا) بمعنى الإيمان، وهي الفتاة التي تستقبل من يعبرون (جسر جينفات) في الآخرة, ويسألها المؤمن مدهوشاً من حسنها: من تكونين؟! فتجيبه: أنا دِينُكَ الذي آمنت به في الدنيا[47] .

10 - مفهوم (72 ملّه): يعود إلى (72) اسماً لأهورامزدا المطابق لأبواب الياسنا ولخيوط الحزام المقدس (كوستا)، وكذلك مجموعة الترانيم والصلوات الدينية التي يُسمى كل منها بـ هايتي

11 - استخدام (بول الثور) مادة للطهارة[48] يقابله عند المسلمين (بول البعير).

أسماء الشياطين في اللغة الآفيستية/ كتاب زرادشت المقدس:

1 - آيشما: تعني الغضب. وهو اسم شيطان الغضب والعربدة. وقد استعاره اليهود تحت اسم (آسماديا) الروح الشريرة في العهد القديم[49] .

2 - أنغر مانيو(Angra Mainya) : يعني حرفياً الروح الشريرة عدو أهورامزدا[50].

3 - أهريمان: إله الشرّ.

4 - خلق "أنغرا ماينيو" أفعى حمراء وشتاء المخلوقات الشيطانية[51] .

كانت الشعوب الهندو-أوربية في أوطانهم التي استوطنوها قبل التاريخ يعبدون القوى الطبيعية (الشمس، والقمر، والنجوم، والمطر، والصاعقة، والنار...). وكانوا يسمون معبودهم ديف(Deevs) أي المُشع اللمّاع. وهذه اللفظة (Deevs) ناشئة من لفظة ديف (Deev) المصدرية التي تفيد معنى الإشعاع واللمعان. وهؤلاء الآلهة كانوا واهبي النِعَم والخيرات. وبعد هجرة الهندو-أوربيين وانتشارهم في أوربا وآسيا،

طرأ اختلاف وتغيير في نطق كلمة ديفس(Deevs) ؛ ففي اللغة اللاتينية أصبحت (دوس), وفي الأيرلندية القديمة ديا(Diya)، وفي الألمانية الشمالية القديمة يو أو تيو(Zio- Tiu)، وفي البروسية القديمة أي اللغة اللتوانية ديئوس Devas))، وفي اللغة السنسكرتية (ديفس Deevs)، وفي اللغة الإيرانية القديمة دئيفه (Deva)، وكذلك كلمتا ديو (Dieu) الفرنسية و ديتي (Deiti) الإنكليزية ترجعان إلى هذه الكلمة. مدلول تلك الألفاظ واحد، وهو المعبود. يبدو أن هنالك علاقة تشابه وتناسب بين الكلمات العربية (ضحى و الضوء والضياء) وبين (ديفس) الإيرانية. وعندما جاء زرادشت برسالته الدينية اعتبر (دئيفة) في الكتاب المقدس (آفيستا) شيطاناً وصدّ الناس عن عبادته. واتخذت (دئيفة) في البهلوية شكل ديف(Dev)، وتلفظ اليوم ديو (Dew-Deu) ويعني بها الجن، الشيطان. إلاّ أن معبود الهندو-أوربيين (الديفات) كان يسمى (ديوس السماء)، وإله السماء هذا هو فاعل خير وليس فاعل شرّ[52] .

ربما يُقصد بـ (دياوس بيترDiyvuh Pitar) بيري كال-طاؤوس ملك! المعبود الهندي الحالي، و(زؤوس باتيرPiter Zeus) اليوناني، و(زوبيترJupiter) الروماني. كلها تعني (الأب ديوس) أي أب السماء بعينه. إضافة إلى هذا، فقد كان الهندو-أوربيين يعبدون أرواح آبائهم وأجدادهم كما هو الحال عند الإيزيدية في وقتنا الحالي في تقديسهم الـ (خودان).

إن لجميع هذه التفرعات الدينية صلة قربى بالديانة الفيدائية الهندية. ويجدر بنا تتبع آثار الديانة الهندو-إيرانية القديمة في)ريغ فيدا Rig Vida) دونت زمزماته التراتيل الدينية التي ينشدها الموبذون نحو1500 قبل الميلاد.[53]

إن (الديفات) قوى الطبيعة المجسمة في صور مادية محسوسة. وهي نوعان: قوى خيّرة وقوى شريرة نسبة إلى الظواهر الطبيعية المنسوبة إليها. من دون أن يستوعبوا في ذلك الوقت أن قوة "الخير" و"الشرّ" كامنتان في الظواهر الطبيعة نفسها ولا يمكن الفصل بينهما؛ فمثلاً عنصر الماء "خير" عندما يستخدمه الإنسان وبقية الكائنات للشرب والطهي والغسل والتنظيف، و "شرّ" في حالة الفيضانات وغرق البشر والسفن, كذلك الحال بالنسبة إلى عنصر النار وحرارة الشمس وغيرها.

عندما ظهر زرادشت في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد، غيّر صورة (ديفاس) من (الإله) إلى (الشيطان)، وألصق به كل الصفات الرديئة. وأطلق زرادشت

وأتباعه فيما بعد على الذين لم يدخلوا دينه ولم يتبعوا تعاليمه اسم (دئيفة يسنه) أي عبدة الجن= عبدة الشيطان. وهذا الاسم لم يكن له مفهوم قبيح لدى الشعوب الإيرانية القديمة، لكنه صار أخيراً بموجب تعليمات (آفيستا) يفيد معنى (عبدة الجن = عبدة الشيطان)؛ ومن هنا نشأت تسمية أتباع زرادشت الطبيعيين باسم عبدة الشيطان وإشاعة هذا اللقب بحقهم.

يبدو أن لصق عبادة إله الشرّ بالإيزيديين مصدرها من (دئيفة يسنه) التي أطلقها زرادشت على المجموعات التي لم تؤمن بتعاليمه ولم يدخلوا دينه. وأن كلمة (داسن- داسني) التي أطلقت على الإيزيدية هو تحريف لكلمة (دئيفة يسنه) حسب الكثير من الكتاب والمحللين اللغويين. حيث ما زال المسيحيون في العراق وتركيا يطلقون كلمة دسنايى (Disnaye) على الإيزيديين. كما أن مدينة دهوك كانت معروفة بـ (دهوكا داسنيا) أي مدينة دهوك التابعة للداسنيين، وكذلك وجود "جبل عظيم في شمال الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية"[54] . علماً أن الأيزيديين لا يسمون أنفسهم بالداسنيين ويعدّونها نوعاً من الشتيمة. وهذا يدل على قِدم المعتقد الإيزيدي الحالي على الديانة الزرادشتية، بمعنى آخر يمكن القول إن زرادشت قد خرج عن معتقده القديم وجاء بديانة سميت باسمه.

بناءً على ما تقدم من شرح وتوضيح، يمكن الإشارة إلى أن النبي زرادشت بفلسفته الجديدة قد أدخل مفهوم الشرّ وفكرة (الشيطان)، ربما من دون أن يقصد أويعرف نتائجها وآثارها المدمرة لاحقاً في الأديان الأخرى وخاصة الإبراهيمية التي استغلت عقائدياً بأنها تملك "كل الحقيقة"، ويستغلها اجتماعياً وسياسياً. كل مَنْ ليس معي فهو عدوي، وكل مَنْ لم يؤمن بمعتقداتي فهو كافر وزنديق يستحق القتل!! فما زلنا نعاني من تلك الفكرة التي زرعت بين أديان الشرق الأوسط، ومازالت شعوب العالم تقاسي من التطرف والتعصب الديني.

الدين ابن الخوف من الطبيعة، وابن الخوف من الموت. وبمرور الزمن تحول الدين إلى وسيلة وأداة بيد الحكام والأباطرة والملوك والسلاطين لاستعباد الشعوب واستغلالهم وقهرهم بمباركة ومساعدة الكهنة ورجال الدين!! مع الإقرار بوجود تعليمات تعطي الراحة للمؤمن.

الديانة الإيزيدية

يُكتب التاريخ في أغلبه لصالح الطرف القوي سواء أكان ذلك الطرف ديناً، أم قوميةً أم طبقة مستغلة. من هذا المنظور أُلحق غبن وتشويه كبيران بالديانة الإيزيدية حين عدّها معظم الكتاب العرب وبعض الكرد المسلمين وعدد من المستشرقين خارجةً من رحم الدين الإسلامي؛ وما هي إلاّ فرقة إسلامية ضلّت الطريق[55] . كما عدّها بعضهم متأثرةً بالمسيحية واليهودية أو الزرادشتية[56] .

لا يُنكَر وجود تأثيرات إسلامية أو طقوس مشتركة بين الإيزيدية والديانات المذكورة أعلاه ومع معتقدات أقدم منها. وهذا شيء طبيعي ينتج من علاقات الجيرة والاحتكاك والهجرات وحركة الشعوب والغزوات. لكن كل هذه التأثيرات والمقاربات بين الأديان في حاجة إلى دراسة وتحليل علمي قبل أن تُطلق أحكام مسبقة لتبعية هذا الدين إلى دين آخر.

من أجل التأكيد على قِدم الديانة الإيزيدية، أودّ أن اذكر ثلاث دلالات أو ثلاثة مصطلحات كانت الأديان الأخرى تطلقها -وما زالت- على الإيزيديين، وهي: (داسني، جلكو، شمسي). فما زال المسيحيون في العراق يطلقون على الإيزيديين (دسنايا- دسنايي Disnaya- Disnaye) بلغتهم القومية الكلدانية والسريانية. أما مسيحيو تركيا فيطلقون عليهم (جلكو Chalko)، حتى أن الكرد المسلمين في العراق كانوا يطلقون كلمة (داسني) على الإيزيديين. السؤال: ما منبع هذه المصطلحات ومدلولاتها ولماذا تُطلق على الإيزيدية؟

من الضروري الرجوع مختصراً الى آراء بعض العلماء والمستشرقين. نبدأ بآراء البروفيسور (مار) حول تحليل كلمة (جلب، جلبي، جه لكو) التي يأخذها منطلقاً لنظريته الجديدة؛ فهو يؤكد عراقة الدين الإيزيدي وكونه جزءاً من الشعب الكردي الأكثر عراقة، يقول:"ظهر استخدام كلمة (جلبي) في بداية القرن الرابع عشر عند الأتراك السلجوقيين، وهم أخذوا بدورهم من الكرد. وأخذ الكرد من جانبهم من اللغة الآرامية (تسليم – تسلما) التي تأتي بمفهوم (الصورة أو التمثال). "

جلب جلبي, جه لكو = الله، أصل وجذر الكلمة من اللغة الجافيتية (يافثي) الجنوبية. ومن بعض معاني ومفاهيم كلمة (الجلبى): الإله، الرب، صاحب الجاه،

الكريم، صاحب العائلة، النبيل السيد، قوّال، شاعر، مثقف، مربي، شريف، مؤدب، أنيق، السيد الصغير.

ويقول (مار): من دون أن نلجأ الى أي دليل، يظهر لنا من كلمة (جلبي) آثار وبقايا قسم خطير من تاريخ شعب أنتج مثل هذه الكلمة.

ويضيف: تتكون الجافيتية من (الخالتية, المانية, العيلامية, الأرمن والكورج). وترتبط كل هذه العشائر بآسيا الصغرى, ولا نستطيع القول إنهم من الهندو-أوربيين أو الساميين.

بعد دراسة (مار) وبحثه عن أصل (جلبي) بوصفه شعباً كردياً, يقول: "إن التراث الديني الكردي من الناحية التاريخية أقدم من الإسلام". ويضيف: "بعد الانتصارات التي حققها الإسلام والمسيحية، رغم أنها لم تكن انتصارات مطلقة وكاملة على المعتقدات القديمة في آسيا، لم تتنازل وتركع الديانة الخاصة بالشعب الكردي، ولم تعترف بالهزيمة. وبدأ دين الكرد بضرب الأديان الجديدة المسيطرة عليهم (المسيحية والإسلام) من الداخل من خلال إثارة الحركات الاجتماعية والإلحادية، مثلاً (حركة أبناء الشمس) والحركة الصوفية التي لا تتبع السنة كحسين الحلاج والشيخ عبد القادر الكيلاني وشمس الدين التبريزي..الخ."

ووفقاً لأبحاث (مار) فإن الإيزيدية كانت دين الكرد الخاص قبل الإسلام فقد كانوا يؤمنون بها، يقول: "مما لا شكّ فيه أن إيزيدية اليوم هم أحد المعتقدات الشعبية ذات خصوصية، فهم قريبون من المانوية والصابئة المندائيين من ناحية, ويقتربون من المعتقدات المتنوعة التي ظهرت في أرمينيا وجورجيا فيما بعد من ناحية أخرى."[57]

ويُجمل (مار) نظريته في عدة أسطر بقوله: "تحتضن كلمة جلبى = إيزيدي بين طياتها تاريخ الشعب الكردي، إلا أنه بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة في متناول أيدينا، نضطر إلى تحليل هذا التاريخ وإعادة اكتشاف أحجار منقوشة أو التحري والتنقيب عن الآثار القديمة كون تلك الاشياء تعكس بقايا العصور الغابرة على الظواهر الشعبية المرتبطة باللغة والدين القديم, وهو انعكاس للظواهر التي نراها خالدة اليوم". [58]

داسن- داسني:

لعل أفضل ما كُتِبَ حول تفسير هذه كلمة هو العلامة توفيق وهبي باللغة الكردية تحت عنوان (دينى كۆنى كورد= دين الكرد القديم), نُشر في مجلة (كلاويز=الشعرى) عام (1942-1941)[59] , ونشر المقال نفسه عن الإيزيدية باللغة الإنكليزية تحت عنوان: Yazidees are the) (remmants of Mithrism, London 1965 ؛ لذا أرتأيت أن أنقل بعض الفقرات منه:

لقد عدّ زرداشت في كتابه المقدّس (آفيستا) دئيفه (Deva) شيطاناً وصدّ الناس عن عبادته. وفي البهلوية اتخذت "دئيفه" شكل ديف (Dev) وهي التي تلفظ اليوم (ديو) ويعني بها الجن. وللعلم كان مقدم معبودي الهندو-أوربيين (الديفات) يسمى (دي يوس السماء)، فكان إله السماء فاعل خير. ولفظة (دي يوس) ناشئة من لفظة (ديف) المصدرية. وبهذا فإن (دياوس بيتر (Diyvuh pitar المعبود الهندي الحالي و(زيوس باتيرZeus piter) اليوناني و (جوبيترJupiter) الروماني و (تاووس) الإيزيدي، كلها (الأب ديوس) أي الأب السماء بعينه.

انقسمت الآلهة في الديانة الهندو-إيرانية القديمة وفق النسق الآتي:

-1 الإله الأكبر الفاعل للخير (دياووس بيتر- ربّ السماء= إله السماء)

-2 الديفات (أي قوى الطبيعة المصورة في صور مادية محسوسة): هي نوعان: قوى خيِّرة وقوى شريرة، علماً أن المعيار لمعرفة القوتين وتمييزهما عن بعضهما هو الظواهر الطبيعية المنسوبة إليهما..". وكان للإله عند الهندو-إيرانيين اسم آخر يطلق عليه (آهورا –آسورا) وهو الكائن العظيم، دياووس، ميثرا، إله الشمس. وكان إله النار من جملة الآهورات أي الآلهة العظام. كما كان هؤلاء القوم يعبدون أرواح آبائهم وأجدادهم ويقدسون أرواح موتاهم، وبمجيء زرادشت ونشر فلسفته تمسك بـ (الإله آهورامزدا)، وألغى الآلهة الأخرى من الـ (ديفات)، كما ألغى عبادة أرواح الموتى. و(ديئفه) الذي كان فيما سبق إلهاً أصبح في نظر أتباع الديانة الزرادشتية (شيطاناً). إلى جانب ذلك حرمت الديانة الزرادشتية الرسوم والتصوير لأي تمثال سواء مثّل ذلك الروح الخير أم الشر. وحرمت التضحية بالحيوان قرباناً مع تحريم شرب الخمور والصيام. ولقد أطلق زرادشت على الذين لم يتبعوا تعاليم دينه اسم

(دئيفه يسنه) أي عبدة الجن، وهذا الاسم لم يكن له مفهوم قبيح لدى عبدة (ديو) أنفسهم[60] . فقد بقيت جماعات كبيرة محتفظة بعقائدها القديمة في تقديس ظواهر الطبيعة.

ويربط كاتب مسيحي, معاشر للإيزيدية منذ صغره، بين الإيزيدية وموطن عبادة الإله (سن). ويقول: يُطلق على الإيزيديين باللغة السريانية المحكية محلياً (السورث) أو(سورايا), يسمون باسم (دسناي) وهو جمع لاسم منسوب إلى (داسن) المعبود من قبل الكلدانيين (إله- سن). وازدهرت عبادته وامتدت حتى منطقة (حران) أعالي الفرات أيام الملك نابونائيد 539-556 قبل الميلاد، آخر ملوك السلالة البابلية الحديثة.

وفيما يخص كلمة (داسن)، يقول إنها مركبة من كلمتين:

1 - ديو: وهي -حسب قوله- كلمة يونانية قديمة تعني إله.

2 - سن: تعني القمر في اللغة الأكدية.

ويضيف: امتدت عبادة إله (سن) إلى القرن العاشر الميلادي. ولتسمية (داسن) واشتقاقها (دسناي) ارتباط بذلك العهد، باعتبار عبدة إله (داسن) هم بقايا من عبدوا هذا الإله. وأن تسمية (دسناي) تسمية قديمة لبقايا عقيدة وتراث ديني قديم انفردوا به بشكل انطوائي ولأسباب عديدة.[61]

يبدو وكأننا أمام رأيين متعارضين من حيث الظاهر؛ أما من حيث الجوهر فكلا الرأيين يقود إلى المدلول نفسه؛ لأن كلمة (ديو Deevs) ناشئة من لفظة (ديڤ Deevs) المصدرية التي تفيد معنى الإشعاع واللمعان في اللغات الهندو-أوربية ومنها الإيرانية القديمة. وكان الهنود الأوربيون والهندو-آريون في أوطانهم التي استوطنوها قبل التاريخ، يعبدون القوى الطبيعية من (شمس، قمر، النجوم، المطر، النار، الصاعقة وغيرها). وكانت الآلهة تهب الخير والبركات، ومن حماة السيرة والخلق، وفي الوقت نفسه جبابرة ذوات قهر وغضب[62] . واستمر (ديفس) يحمل مدلول الإله المضيء اللمّاع عند الشعوب الأوربية حتى بعد انتشارهم في أوربا وآسيا، مع إجراء نوع من الاختلاف في اللفظ: (دوس, ديا, زيو اوتيو, دئيوس, ديفاس, دئيفه, ديو, ديتي)، إلاّ أن مجيء زرادشت والإعلان عن ديانته الإصلاحية، اتخذ من (ديو) قوةً للشر، وعنى به الجن والشيطان.

إذن، ما قاله العلامة توفيق وهبي والعالِم اللغوي مسعود محمد من بعده عن كلمة (داسن- داسني) التي كانت تطلق على الإيزيدية زمن الزرادشتيين، كونها تحوير لكلمة (ديڤه يسنه) الذي أطلقه زرادشت على الذين لم يتبعوا ديانته، وما ذكره الكاتب يوسف زرا بأن كلمة (داسن و دسناي) تسمية للمعبود (إله سن) في عهد الكلدانيين؛ فكلا التفسيرين يقود إلى المدلول نفسه وهو عبادة الإله وتقديسه؛ وبذلك نخرج بحقيقة تاريخية، بما أن الديانتين الزرادشتية والكلدانية ظهرتا قبل الديانتين المسيحية والإسلام، فإن الديانة الإيزيدية، وإن كانت باسم آخر، فهي ليست من بقايا الديانة الزرادشتية، بل أقدم منها بدليل أن الأخيرة أطلقت (دئيفه يسنه) على أتباع العقائد الأخرى التي لم تتبع الديانة الزرادشتية الجديدة. وكيف تكون الإيزيدية، في هذه الحالة، فرقة مسيحية أو إسلامية، في حين لم تظهر المسيحية إلاّ بعد نحو (700-500) عام بعد الزرادشتية، والإسلام بعد ألف ومئة عام! لذا يمكن القول إن الإيزيدية ديانة هندو-آرية أو (هندو-أوربية) قديمة تسبق هذه الديانات.

وإذا كان الإيزيديون الحاليون (الداسنيون سابقاً) والكلدان القدامى يعبدون إله القمر (سن أو سين)، فإن الكلدانيين تحولوا إلى الديانة المسيحية. والإيزيديون استمروا على عقائدهم القديمة ومن ضمنها تقديس إله القمر إلى وقتنا الحالي. يبقى السؤال: من هم الكلدان؟

توجد بين الإيزيديين عشيرة عريقة باسم (خالتان- خالديان). تتحدث كتب التاريخ عن وجود مملكة جنوب منطقة القوقاز كانت تدعى (كلديا) كانت مسرحاً للعديد من الشعوب الهندو-أوربية. ورد من بينهم ذِكْر اسم قبيلة تدعى (أبرو) التي فسرها بعض العلماء بـ (العبري) أو (خابيرو). وقد دُمرت تلك الشعوب تحت ضربات شعوب هندو-أوربية أخرى تحمل اسم (كلديا- خلديا) نسبة إلى إلههم القومي (كالد). وأن مملكة (كالديا- خالديا) أورارتو كانت موجودة سنة (1500 ق.م.) عاصمتها توسبا (وان الحالية). فهل سكان القبيلة الخالدية الإيزيدية الحالية هم أحفاد تلك المملكة أم أحفاد المملكة الكلدانية البابلية؟ إذا كانوا أحفاد الأخيرة، لماذا انفصلوا عن لغتهم الكلدانية السريانية ويتحدثون باللغة الكرمانجية الكردية؟!

بقايا آثار عبادات الديانات الهندو-إيرانية القديمة في الديانة الإيزيدية

إلى جانب عبادة الإيزيديين للإله الأوحد الذي يُسمى في لهجتهم الكردية (خودا- خودى أو إيزي ويزدانى باك)، فإنهم يقدسون الملائكة ورئيسهم (تاؤوس ملك = تحوير دياووس إله السماء أو الأب السماء وربما تموز)، وكذلك الشمس والقمر (إلهي الشمس والقمر) والعديد من ظواهر الطبيعة الأخرى كالمطر والهواء والنار... إلخ. كما أنهم ينظرون بعين الاحترام والتقديس الى أرواح الأجداد الأوائل (ظاهرة الخودان والأوجاغ).

أما أعياد الإيزيدية والطقوس المرتبطة بها وبدورة الحياة وحركة فصول السنة، وحركة الشمس والقمر والتغييرات المناخية وتأثيراتها على العملية الزراعية[63] ، فهي إحدى أبرز خصوصيات هذه الديانة. كما يفترض أن ينظرإلى ظاهرة وجود التراتبية والوظائف الدينية في الإيزيدية عند دراسة خصوصية هذه الديانة.

في أثناء كتابتي لهذا البحث عام1993، لفت انتباهي وجود تشابه أو تقارب بين عدد كبير من مفردات وكلمات إيزيدية سنجار مع المفردات الفارسية رغم وجود مسافة تفصل بين الاثنين تقدر بمئات الكيلومترات. في ذلك الوقت لم يكن تحت تصرفي أي مصدر أستعين به. واليوم وقع تحت تصرفي مصدر ربما نشير إليه ليكون منبعاً لذلك التقارب. للفائدة نستميح عذراً بنقل فقرة إضافية من أصل المصدر[64] ، "إن اليزيدية, وإن اعتبرهم المؤرخون الأقدمون وأغلب الرحّل من إحدى القبائل الكردية الأصلية الخمسة وأن لغتهم هي الكردية فيرى اليوم أنه صعب، لا بل من المحال أن يسلم بأن هذا الذي تظهر على سيماه جميع مميزات السلالة الهندية أصلي النشأة في تلك الأرض، بل يظن أن اليزيدية هجروا بلاد فارس عقب نشر راية دين الإسلام في تلك البلاد. لكن هذا لا يكفي لبيان أنهم ليسوا كرداً بما أن كردستان القديمة كانت تشتمل قسماً عظيماً من جنوب بلاد فارس. وهناك من يوافق أصحاب الرأي القائل بأنهم من السلالة الهندية الأوربية؛ إذ يوجد في حضيض جبال هملايا جيل من الناس يُعرفون باسم (لبخوس) أو(لبكوس[65])(Lepchos) وعقائدهم تشابه كل المشابهة عقائد اليزيدية؛ فاللبخوس يؤمنون مثل اليزيدية بمبدأين صالح وطالح, ولا يترضّون إلاّ المبدأ الشرير، وله يقدّمون الذبائح تسكيناً لثورة غضبه، ويعتقدون أنه هو وحده علّة مصائب الناس كلها"[66] .

ويضيف الأب أنستاس الكرملي البغدادي:" إننا نزيد هنا أن هؤلاء اللبخوس هم أصل اليزيديين الموجودين في جبل سنجار ونواحيه؛ لأنه في القرنين التاسع والعاشر من التاريخ المسيحي, لما كثر اليزيدية في وطنهم ذهب دعاة من هذه الشيعة ينشرون ألوية دينهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. ودُحروا كلهم دحراً لغرابة دينهم. ولما لم يروا في البلاد التي سكنوها جبالاً يلجؤون إليها عند تضييقهم, رجعوا بخفي حنين إلى حيث أتوا. وأما البلاد التي رأوا فيها وهاداً وأوتاداً فتحصنوا في جوارها كما فعل أسلافهم في جبل سنجار. فالذين أمّوا بلاد الشمال لاذوا إلى فروع جبل كوه قاف (يعني جبل قوقاز), وهم إلى يومنا هذا موجودون هناك. أما الذين ضربوا في الأرض نحو الجنوب فاعتصموا بجبال هملايا. ولما أصبحت بلادهم بعيدة عن وطنهم الأصلي بقوا منفردين عن إخوانهم. ثم فعلت فيهم طوارئ وطنهم الجديد كلّ الفعل حتى كاد الفرع لا يشبه الأصل بشيء. ولا كأن العصا من العُصيّة. وعليه فلا يمكن القول أبداً إن المتوطنين في الجزيرة هم من أصل هندي، كما أنه لا يمكن القول إنهم من أصل كوه قاف بدليل أنه يوجد عصابة هناك من هذه الشيعة. بل الأحسن والأصح والأصدق أن يقال: إن ذينك الفرعين هما من الأصل ليس إلاّ (67) . لا نعرف بالضبط مدى صحة قول الأب أنستاس الكرملي في "ذهاب دعاة من هذه الشيعة (يقصد الإيزيديين) في القرنين التاسع والعاشر من التاريخ المسيحي، ينشرون ألوية دينهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً"، تجدر الإشارة هنا أن الدين الإيزيدي ليس ديناً تبشيرياً كما نعرف عنه اليوم.

ميدانياً وعلى أرض الواقع:

هل هي مصادفة أن يعيش الإيزيديون والكوران (Goran) والشبك والسارلية وقبائل (شيخا ن به كى) والكاكائية والعلويين (الزازاكيين/الدوملية) على حدود واحدة أو في خط متصل مع بعضهم؟ حيث يمتد هذا الخط من قضاء الشيخان وعقرة, ويمرّ بناحية بعشيقة وبحزاني وقرى السارلية قبل آسكي كلك إلى أن يصل الى الكاكائيين في أربيل وكركوك, ومن هنالك يصل الى منطقة كرمانشاه حيث الغالبية من الديانة اليارسانية/الكاكائية. علماً أنه تسكن مجموعة من قرى الكوران

الذين يدينون بمذهب أهل الحق شرق مناطق الإيزيدية شمال جبل مقلوب/قضاء الشيخان وناحية بردرش التابعة لقضاء عقرة وإلى جنوب جبل مقلوب، شمال مدينة الموصل. يشارك الإيزيديون والشبك والسارلية الأرض والجيرة وبعض الطقوس والعادات المشتركة. وفي كوردستان تركيا يعيش الإيزيديون والزازائيون في أكثر من منطقة وخاصة في ولاية ديار بكر ومناطق ديرسيم ومرعش الى أن تصل مناطق أورميه والشكاك الذين كانوا على الدين الايزيدي زمن الشيخ آدي ولعقود بعده حسب مخطوطة قديمة. (68)

هذا التداخل والتواصل بين الأديان والمذاهب والعقائد الكردية غير المسلمة في كوردستان، يضع أمام الكوردولوجيين مهمة جدية وكبيرة, هي أن يتوقفوا عند هذه الظاهرة ليتوصلوا في دراساتهم إلى نقطة التقاء هذه الأديان والمذاهب، وما الدين الأولي الذي كانوا ينهلون منه أفكارهم، ومتى ابتعدوا عن المركز الأم؟

ذكر المؤرخ (هيرودويت) أن الإيزيدية قبيلة ميدية قديمة، وقال عنها: "إنها إحدى القبائل الميدية، وكانت تعرف بـ " باراتاسني"(69) ؛ أي قبيلة (داسن- تاسن) التي وصلتنا الآن بشكل "داسني"؛ فالمقطع الأول "بارا" يعني: (قسم، قطعة)، قد حذف من أجل التخفيف.

أما نظرية شيخ الإشراق (شهاب الدين السهروردي الكردي) الذي ذهب ضحية فلسفته، كما ذهب الحلاّج، فتقول: الله نور الأنوار أو النور المقدس. هو منشأ وبداية كل الأنوار (نور الأنوار الكامل), وليس عندهم إلا النور المذكور في الأوستا وهو (آهورامزدا), وقد ظهر منه نور واحد فقط. هذا النور الأوحد يسميه (النور الأقرب) أو النور الأكبر ويسميه (بهمن)(70) . ومن النور الأقرب ظهر فلك واحد (فلك الأفلاك) الذي احتضن التراب والأرض، ونور هذا الفلك مستقره يشع داخل النفس والعقل الإنساني بالإدراك والمعقولات(71) .

وهذا التسلسل هو ذاته عند الفارابي وأبي علي بن سينا، وهو الفكرة الميدية الكردية القديمة نفسها كما سيأتي. وعرّفوها بنظرية الفيض الإلهي, وعندهم العقول العشرة وآخرهم العقل الفعّال. وهذه العقول عند المشائية: العقول الكلية، القوى الفعّالة... وغير ذلك، وفي الأوستا (الأمشاسبندان)، وعند الأفلاطونية المثل العقلية، المثل

الأفلاطونية، المثل الإلهية، الصور الإلهية، الصور الروحانية، وعند حكماء الإشراق (السهروردي) القواهر العلوية، البرازخ العلوية، البرازخ العقلية، الأنوار السببية.

وقد استفاد (السهروردي) من كتاب الحلاّج وكتاب "مشكاة الأنوار" للغزالي ومن الفلسفة المشائية الإسلامية, ولاسيّما فلسفة ابن سينا ومدرسة فيثاغورس وأخنوخ وأفلاطون, وأخذ من حكمة الميديين والفرس. وفي هذا يقول السهروردي في كتابه (كلمة التصوف): "كان نفر بين الأكراد والفرس مرشدين وحكماء وعلماء فاهمين، وكانوا يخالفون المجوس (يقصد الزرادشتية- الكاتب) ولم يذهبوا في طريق الثنوية، أخذنا من حكمة هؤلاء وتذوقناها."[72] ويقول في كتابه (حكمة الإشراق): "وُضعت قاعدة فلسفة الإشراق من حكمة الأكراد والفرس أمثال جاماسب وفرشاوشور وفشتو شتر وبزرك ميهر وحكماء آخرين. [73]

لابد أن الأكراد الذين قصدهم السهروردي هم الأكراد الداسنية. نعلم أن الداسنية والإيزيدية لم يتمذهبوا بمذهب الثنوية الزرادشتية، وعلى الأغلب كانوا ميثرائيين لأسباب عديدة؛ منها أن نظريتهم في الفيض والإشراق سبعية؛ أي بعدد الكواكب السبعة الميثرائية المؤلهة. وكان يرأسهم ميثرا (كوكب الشمس). وهذه السّيارات السبعة المؤلهة تدخل في مصير البشرومقدراتهم. وشبّهوهم بهيئات بشرية, فهم يرون ويسمعون بالأدعية وتقديم القرابين[74].

ويقول ماجد عبد الله الشمس: إن في الميثروية اعتقاد بوجود سبعة أرباب مطابقة لسبعة أجرام سماوية. وما تزال أسماء الأيام بالفرنسية تحمل أسماء الكواكب السّيارة، إذ يسيطر على الأرض كل يوم كوكبٌ سيار[75].

عبد الميثرائيون الحضريون الآلهة السبعة, ورمزوا لهم بسبع رايات وتماثيل[76] . تُسمّى راياتهم (سميا)، وهي قريبة الشبه بسناجق الإيزيديين. وخصص يوم الأحد ((Sundayيوم الشمس لعبادة الشمس والإثنين(Monday) يوم القمر لعبادة القمر[77] ، والثلاثاء(Tuesday) يوم مارس[78] .

كما كان للحضريين سبع رايات (سناجق), تمثل كل واحدة رمزاً أو راية خاصة لكوكب مؤلّه. كذلك الحال لدى الإيزيدية، فعندهم أيضاً سبعة سناجق، وكل سنجق يرمز إلى ملاك أو إله، أعظمهم سنجق (العنزل), ربما في الأصل: سنجق الأزل.

لقد نسي الإيزيديون أسماء الكواكب المؤلهة، وليس غريباً أن تنسى الإيزيدية أسماء الآلهة السبعة القديمة لضياع كتبهم؛ ولذلك أخذوا أسماء بعض الملائكة لتحل محل الآلهة الضائعة[79] .

نبحث في الفصول التالية في هذا الكتاب عن جذور هذه الديانة وروافدها؛ فيما إذا كانت ديانة عريقة قائمة بذاتها أم ديانة خرجت من رحم دين آخر.

---

1. الإمام الشهرستاني (548-479 هجرية)، كتاب الملل والنحل، تخريج: محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، منشورات الشريف الرضي، ص 214.
2. ألا تُثير الانتباه الـ (سبقه 9) من النص الديني (Qewlê Qere Feqan):
پەدشا دەنگ دکەت بزارە /نطق الإله بلسانه
دوڕ مەوجی بەحرە /انفجرت الدرّة وصار بحراً
"تجارا" وان چتبوو، خەرقە کرنە چارە /عمت الظلمة وفَصَلَ الإله "الخرقة" منها
بەعدی نۆت هەزار سالا لقەندیلێ کرو ئەشارە /وبعد 90000 سنة أخفايا في القنديل
(للمزيد يمكن مراجعة بحثي المعنون: الدلالات الرمزية في الأدب الديني الإيزيدي/الخرقة، مجلة (روز)، العدد الثالث، 1997، ص 7. وأيضاً كتابي: صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، الطبعة الثانية، دار سبيريز، دهوك 2013، ص 215).
3. السواح (فراس): موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس (الزرادشتية, المانوية, اليهودية, المسيحية)، دار علاء الدين، الطبعة الثانية، 2010، ص 14.
4. حنا (عبود)، موسوعة الأساطير العالمية، دار الحوار، ص 892. (مقتبس من ويكيبيديا).
د. إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، المجلد 3، مكتبة مدبولي، ص505.
5. السواح (فراس), موسوعة تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص 14.
6. د. إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم, المجلد 3، مكتبة مدبولي، ص505.
7. محمد محمد، الشيطان في الأديان القديمة والحديثة، 263.
8. الدملوجي، فاروق, الألوهية في المعتقدات الثنوية، الجزء الأول في الديانة الزردشتية، ص 8.
9. عبد العزيز شلبي، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ص57-56.
10. الدملوجي، فاروق، مصدر سابق، ص57-56. ينظرأيضاً كتاب: ملا خليل، أحمد: من آذربيجان إلى لالش، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، الطبعة الأولى، مطبعة سبيريز، دهوك, 2006، ص16.
11. الإمام الشهرستاني (548-479 هـ)، كتاب الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الثانية، ص -210 212.
12. الدملوجي، فاروق، مصدر سابق، ص8.
13. حامد عبد القادر, زرادشت الحكيم/ نبي قدماء الايرانيين، مركز الإنماء الحضاري حلب, 2005، ص116-115.
14. ر.س. زينهير، المجوسية الزرادشتية/الفجر-الغروب، ص193.
15. بودي: اسم قبيلة إيزيدية ما زالت تعيش في جمهوريتي أرمينيا وجورجيا.
16. صلوات كولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمه عن الروسية: د. إسماعيل حصاف، الطبعة الأولى، 2011 أربيل، ص 264.
17. محمد الحصان، من هم المجوس؟ موقع سطور الإلكتروني، منشور بتاريخ 24/6/2019.
18. الشيخ صالح الكرباسي، الموقع الإلكتروني لمركز الإشعاع الإسلامي، نُشر قبل تسع سنوات.
19. الإمام الشهرستاني، كتاب الملل والنحل، ج1، ص 229.
20. المصدر السابق نفسه، ص 229.
21. ينظر:Resumen de la Historia Universal: escrito con su conocimiento, Joan Cortada i sala 1867
22. ينظر: بحث توفيق وهبي، أثران تاريخيان عن الكرد، قام بتحقيق الأول وتعريب الثاني: محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، 1416 هجرية1995-م. الأثر الأول عنوانه "سير حول الكوران Goran" ٦-٥٩، والأثر الثاني عنوانه "دين الكرد القديم" ألفه باللغة الكردية عام 1955.ص 115-64. والأثر الثاني هو بالأساس مؤلف باللغة الإنكليزية عام 1954

تحت عنوان " اليزيدية بقايا الديانة الميثرائية ((Yezidis are the remnant of Mithrism، ترجمة: شوكت إسماعيل حسن.
23. د. مهدي كاكائي، الدين اليزداني: تاريخه، معتقداته، لغته وطقوسه. موقع بحزاني نيت (www.bahzani.net)، حزيران, 2019.
24. سليمان سمير غانم، ميثرا وطقوس العبادة الميثرائية في الإمبراطورية الرومانية، الحوار المتمدن، العدد: 3773, 2012 / 6 /29.
25. توفيق وهبي، مصدر سابق، ص4.
26. السواح (فراس): موسوعة تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص 15.
27. المصدر السابق نفسه.
28. المقطع 13 من ميهر-ياشت، آفيستا، ص 471.
29. المقطع 29 من مهر- ياشت، آفيستا، ص 477.
30. خورشيد-ياشت, 1 و5، آفيستا، ص433 و435.
31. المقاطع (1، 2، 3) من ماه- ياشت، ترنيمة القمر، آفيستا ص 437.
32. أ ب Beck, Roger (2002-07-20). "Mithraism". Encyclopaedia Iranica, Online Edition. Retrieved 2011-03-24. The term "Mithraism" is of course a modern coinage..
33. توفيق وهبي، اليزيدية/بقايا الديانة الميثرائية Yezides are Remnant of Mithrism، ترجمة: شوكت إسماعيل حسن عن اللغة الإنكليزية، ص4.
34. سليمان سمير غانم، مصدر سابق.
35. توفيق وهبي، مصدر سابق, ص5.
36. نبيل فياض، الميثرائية، بحث منشور بتاريخ 16/كانون الأول/2013
37. ول ديورانت. قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود. لم يذكر أسماء المؤلفين المشاركين في التأليف.
38. المصدر السابق نفسه.
39. الإمام الشهرستاني (548-479هـ)، كتاب الملل والنحل، منشورات الشريف الرضي، ص20و42، واليعقوبي(أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب)، تاريخ اليعقوبي، ج 1، منشورات الشريف الرضي، ص 158، والمسعودي(علي بن الحسن ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، ص 229، وأيضاً صديق الدملوجي، اليزيدية، الاتحاد, 1949، ص 141.
40. الموقع الالكتروني المعرفة.
41. آفيستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، د. خليل عبد الرحمن.
42. ر. س. زيهنير، المجوسية الزرادشتية/ الفجر- الغروب، ترجمة: د. سهيل زكار، ص 28.
43. المصدر السابق نفسه، ص 33.
44. سيرغي توغاريف، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة: د. أحمد فاضل، 361-360.
45. آفيستا: هايتي 46، ص 146.
46. نفس المصدر، ص34.
47. نفس المصدر، ص34.
48. فارغارد 5، ص 258.
49. د. خليل عبد الرحمن، آفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، هايتي 29، ص 113.
50. آفيستا، هايتي 30، ص 116.
51. فارغارد 1، ص 220.
52. د. بور داوود، غاتها، القسم الأول.
53. توفيق وهبي، أثران تاريخيان عن الكرد، ترجمة: محمد جميل روزبياني, 1995، ص66.
54. الرحالة والمؤرخ ياقوت الحموي، معجم البلدان, ص 432.
55. انظرعلى سبيل المثال: عبد الرزاق الحسني، صديق الدملوجي، سعيد الديوه جي، هاشم البنا، أحمد تيمور، محمد عبد الحميد حمد، عباس العزاوي، ومن الكورد: آزاد سعيد سمو، حمدي عبد المجيد السلفي وتحسين ابراهيم الدوسكي، ومن المستشرقين: روجيه ليسكوت.
56. R.H. Empson, The Cult of Peacock Angel, London 1928, p.30
57. باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم لويس ماسينيون، ترجمة: الدكتور نوري طالباني، دار الساقي،2001، 363-362

58. المصدر السابق نفسه، ص 318
59. انظر: أثران تاريخيان عن الكرد، قام بتحقيق الأول وتعريب الثاني محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 1995، ص65 وما بعدها، وكذلك كتاب: الآثار الكاملة لتوفيق وهبي بك، إعداد: رفيق صالح، الجزء الأول، مطبعة شفان, السليمانية 2006، ص 39 وما بعدها.
60. راجع المصدر السابق نفسه: الآثار الكاملة، ص 43-40
61. زرا (يوسف): اليزيدية عقيدة وتراث، مطبعة راند, 2003، ص 70-69.
62. وهبي بك (توفيق): أثران تاريخيان عن الكرد، تحقيق وتعريب محمد جميل الروزبياني، ص 64.
63. للمزيد حول هذا الموضوع يمكن مراجعة كتابي: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، مطبعة رابوون، السويد, 1998، ص 115-79
64. فيتال كينه, ص 776-775.
65. تم ذكرهم مجلة الرسالات الكاثوليكية (الفرنسية), العدد 956, 30 /أيلول/1887
66. فيتال كينه, ص776-775. (مقتبس من: اليزيدية/إشكالية المنهج، دراسة ونصوص وتعليقات، دكتور وليد محمود خالص، الجزء الأول، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى, 2016، ص89-87).
67. الأب أنستاس الكرملي البغدادي, مصدر سابق،·ص89.
68. انظر: خدرى سليمان وسعد الله شيخانى، شيخان وشيخا به كى، مطبعة الفنون، بغداد, 1988، منشور خطيب بسي.
69. روزبياني، محمد جميل، إمارة موكريان، باللغة الكردية.
70. بهمن هو أحد ملائكة الزرداشتيين.
71. يمكن مراجعة المصادر التالية: الشيخ شهاب الدين السهروردي؛ حكمة الإشراق، ترجمة وشرح: أز دكتر سيد جعفر سجادي، جاب ششم. وسيد محمد كاظم إمام: فلسفه در إيران باستان ومبادئ حكمة الإشراق.
72. المصدران السابقان في النقطة 12
73. المصدران السابقان.
74. وهبي، توفيق: برسى مختصرى أز أديان كرد، ترجمة: سيد جمال الدين حسيني، ص 60.
75. الشمس، ماجد عبد الله: الحضر، ص 101.
76. المصدرالسابق نفسه، ص 99.
77. المصدر السابق نفسه، ص 103
78. وهبي، توفيق, مصدر سابق, ص 61.
79. أحمد ملا خليل، من أذربيجان إلى لالش، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، دار سبيريز, دهوك, 2006، ص146-140

الفصل الثالث

تقديس الشمس والقمر عند الشعوب القديمة, وعند الإيزيدية:

تصور الإنسان القديم أن السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب، تعكس مسرح أحداث، تقرر مصير الفصول الأربعة على الأرض. كما اعتقد بوجود علاقة بين ظهور الكواكب ومواقعها في السماء وبين ما يقع على الأرض من حوادث موسمية, وما يرافقها من خير أو شرّ وكوارث؛ لذا عبد معظم الشعوب القديمة الشمس والقمر.

تعدّ الشمس من أول الأجرام السماوية التي لفتت أنظار البشرإليها بتأثيرها في الإنسان وفي الزرع والنماء، وبما لها من قدرة خارقة وقوة غير منظورةّ كامنة فيها، فعبدها وألّهها، وشاد لها المعابد، وقدّم لها القرابين. وهي عبادة فيها تطور كبير ورقي في التفكير إذا قيست بالعبادات البدائية التي كان يؤديها الإنسان للأحجار والنباتات والأرواح. وترجع عبادتها إلى ما قبل الميلاد، في زمن لا يمكن تحديده لعدم وجود نصوص يمكن أن تكشف عن وقت ظهور عبادة الشمس عند العرب. وعبدها أقوام آخرون من غير العرب من الساميين؛ مثل: البابليين والكنعانيين والعبرانيين[1].

وكان أولُ مَن عبد الشمس، وفق قواعد دينية منظمة، الأكاديين والسومريين والكلدانيين. والكلدانيون هم الكالديون أو الخالديون/الخالتيون الكاسيون (الكاشيون) الذين حكموا بابل مدة طويلة. وكان إله الشمس عندهم يُعرف بـ (سورياش). وقد عدّ (كسينفون) الخاليبيين من أحفاد القبيلة الكردية خالدي التي تقطن إلى يومنا هذا في شمال كردستان عند ملتقى الحدود التركية-الإيرانية. ويقطن قسم من قبيلة خالدي الكردية في سهول ما وراء آرارات. و مناطق انتشار الكرد الخالديين (الخاليبيين) تتطابق مع موقع دولة أورارتو القديمة. وتعدّ قرية نهري في شمال أعالي نهر الزاب الكبير عاصمة لقبيلة خالدي الكردية[2] . ويرى المؤرخ نفسه أن قبيلة الخالديين كانت تقطن أيضاً منطقة أرومار. ولفظة أرومار (Oromar) ترتبط مع لفظة (مار Mar) القديمة (Mardi) في اللغة الميدية- Mar-ad، وأن قبيلة (Mari- Mardi) من مكران ببلوجستان تعتبر نفسها قادمة من سورية ولها صلة قربى مع كرد زاغروس[3] .

وقد أسس الكلدانيون/الخالديون المعابد لعبادة إله الشمس (أوتو) في مدينتي (لارسا [4] Larsa) و(سبار Sippar). كانوا يوقدون ناراً في المعابد لا تُطفأ تكريماً له. وكان يُدعى إله الكاسيين (سورياش) يعني الشمس. والكاسيون شعب من شعوب زاكروس الذين حكموا بابل. وجاءت أسماء الشمس (آسورا) عند الهنود، و (خوار) عند الحوريين، و (شمش، شماش) عند البابليين، و(ميترا) عند قدماء الآريين، و(اهورامزد) عند الزرادشتيين، و (يزدآن) أي واضع القوانين لدى الزروائية.

وكانت عبادة الشمس سائدة في مصر القديمة. ويمثل (رع وآتون وأخناتون) إله الشمس الرئيسي لدى المصريين القدماء. تشرح الأسطورة المصرية كفاح (رع) كل ليلة ضد قوى الفوضى والشر الممثلة في أفعى كبيرة تسمى أبوفيس حتى تستطيع الشمس (رع) الظهور في الصباح التالي في أعالي السماء. أما عند اليونانيين فإن إله الشمس هو (أبولو - أبو للون) إله النور والضياء، وهو يتصف بصفات (ميترا) إله النور والضياء، و(ثاوس) عند الإغريق، و(هيليوس)، وكذلك (جوبيتر) وهو إله النور والزوابع, ويليه الربة (يوتون) إلهة النور والضياء لدى الرومان. والبراهما (اندرا) عند الهندوس، و(آدناي) و (يهوا) عند اليهود، و(بعل) في حضارة أوغاريت، و(أدون) عند الفينيقيين, وكذلك (أدون) عند الإسكندنافيتين، و(دودان) عند الجرمان، و(اللات) عند أهل الجزيرة قبل ظهور الإسلام، و (ديو) الفرنسية, و(ديوس) الرومانية.

مازال اليابانيون يعبدون الشمس, ويقيمون لها التماثيل في معابدهم وهياكلهم. وتسمى أهم الربات اليابانيات ربة الشمس (Amaterasu) في ديانة الشنتو. وانتشرت عبادة الشمس في الصين القديمة أيضاً على الرغم من أنها كانت أقل أهمية من عبادة السماء. وفي الدور الأكادي يظهر الإله (شمش) ويسمى (شماش), جالساً على العرش، وبيده مفتاح يفتح أبواب السماء لتبزغ منه شمس الصباح[5] *

ومن أرباب (العيلاميين) الشمسية (شو ـ شمو ـ شي). وما تزال الإيزيدية من بين جميع الشعوب القديمة تقدس الشمس, يمثلها (شيشمس- شيخ شمس).

أما الأتراك القدامى فقد اعتقدوا أن الشمس هي الأم والقمر هو الأب. وتقول روايات تركية قديمة أخرى إن الله خلق الشمس أنثى والقمر ذكر، فأمر القمر بالتجول ليلاً،

وأمر الشمس بالتجول صباحاً[6] .

وكان الآريون يعبدون الشمس ويحترمونها أكثر من أي معبود آخر، لأنها تعدّ مركز النور والحياة للإنسان والحيوان. فكان على كل إنسان أن ينحني ويركع أمام هذا الكوكب الجبار. وكانوا يعتقدون أن حرارة الشمس تطهر الأجسام من دنس الخطيئة فتدخل النعيم مطهرة؛ لذا كان المجوس وحتى عهد زرادشت لا يدفنون موتاهم، بل كانوا يتركون الميت فوق أبراج تسمى (أبراج الصمت)، ووجهه إلى الشمس[7] .

ولد ميترا في كهف في 25 ديسمبر، وهو يوم الانقلاب الشتوي، فقد تعدل الشمس إلى نهاية انحدارها يوم 23 ديسمبر، وتتوقف في مكانها يوم 24 ديسمبر، وتشرع بالنهوض والاعتراء يوم 25 ديسمبر، وهو يوم تخلصها من قبضة (أهريمن), وهو رمز ولادتها ويوم ميلاد (ميثرا)[8] من أم عذراء (القصة ذاتها ظهرت عند المسيحيين لاحقاً). ونشأت عبادته في المغاور والكهوف. ورمزه النور والشمس. ومات في سبيل خلاص الشمس, ودفن وقام مرة ثانية من القبر، و أحيي عند قيامته باحتفال عظيم. وكانت أعياده يوم الانقلاب الشتوي 25 ديسمبر, وهو يوم ولادته ويوم النوروز (الاعتدال الربيعي), وهو يوم قيامته (على شاكلة قيامة المسيح) ويوم الأحد وهو يوم الشمس (في حين يوم الجمعة هو يوم الإله القمر) (Sunday) من كل أسبوع[9] .

الأيام 23 ـ 24 ـ 25 ديسمبر/ كانون الأول أيام صوم يزيد من الإيزدية الذي يبدأ من أول ثلاثاء من شهر ديسمبر. ولهذا الصوم دلالة ومغزى خاص يجب دراسته وتحليله والبحث والاستقصاء بجدية عن أصول المعتقد الميثرائي بكل نواحيه ومقارنته مع الديانة الإيزيدية.

وكانت منطقة كردستان خليطاً من الزردشتيين والميثرائيين الذين تشابهت طقوسهم تقريباً. و اسم الشمس باللغة الكردية كما نعلم هو (روز). ويطلقون على النهار واليوم (ئه فروز avroj ـ ئه فه روره كه avaroreka ـ روزانه rojana) ومنه الـ (روزى) أيام الصوم (روزانه) يومياً. و (روزنامه) التقوى! واشتقاقات كثيرة؛ أي وصلت قدسية الشمس عند الأكراد إلى درجة أن أطلقوا على الأيام (روز).

عبد النبي إبراهيم وقومه الشمس مدة ليست بالقليلة؛ إذ إن إبراهيم لما رأى

الشمس أكبر قال هذا ربي، وهذا يدل أنه عبدها فترة ما، ثم تراجع فليس من المعقول أن يقول في يوم واحد هذا ربي وفي اليوم نفسه يقول لا أحب الآفلين، علماً أن اسم والد إبراهيم كان (آزر) كما جاء في القرآن الكريم وكلمة (آزر) كردية! قديمة (آزر – آتر – ئاكرAagr)، وهي النار رمز الشمس.

إلى جانب عبادة الشمس، عثر الأركولوجيون على آلاف الالواح الطينية عليها كتابات الحضارة السومرية الأولى يصفون فيها عقيدتهم. يظهر من تلك الالواح أنهم كانوا يعبدون إله القمر الذي كان يملك العديد من الأسماء، أكثر الاسماء شيوعاً: (نانا، سون، أسيم بابار/بابا العظيم، نينماه). يبين هذا الكم الكبير من الوثائق أن ديانة عبادة إله Nanna, Suen, Asimbabbar القمر كانت هي الأوسع في سومر. لاحقاً، اقتبس الآشوريون والبابليون والأكاديون (الآراميون والفينيقيون والنبطيون والكنعانيون أيضاً) هذه الديانة، وحرفوا اسم القمر الرب ليكون الإله المحبوب والرئيسي.

عثر الباحث المشهور (Sir Leonard Woolley) على معبد عبادة القمر في أور، كما عثر على العديد من الدلائل التي تدل على عبادة القمر في أور، معروضةً في المتحف البريطاني. في الخمسينيات جرى التنقيب عن معبد كبير لعبادة القمر في مدينة هازير (Hazer) الفلسطينية.

وقد أشار البروفيسور (أوستين بوت) إلى أن الرب سين Sin)) هو إله سومري اقتبسه الساميون، فـ (نانا) الربة السومرية أصبح اسمها (سين) لدى الأكاديين. وكانت عبادتها في مدينتي أور وحران.

أما عند العرب في شبه الجزيرة وقبل ظهور الدعوة الإسلامية، فقد كانت الأجرام السماوية الثلاثة (الشمس والقمر والزهرة) هي الأجرام البارزة الظاهرة التي بهرت نظر الإنسان. وقد يكون المظهر الجميل الأخاذ للزهرة هو الذي جعلها ابنة للشمس والقمر في أساطير العرب الجنوبيين. واعتبر الجاهليون القمر أباً في هذا الثالوث، وصار الإلهَ المقدم فيه وكبير الآلهة. وصارت له منزلة خاصة في ديانة العرب الجنوبيين. والشمس تمثل الحرارة والقمر يمثل البرودة؛ وهذا ما حدا ببعض المستشرقين إلى إطلاق ديانة القمر على ديانة العرب الجنوبيين على سبيل التغليب،

وعلى الذهاب إلى أن هذا المركز الذي يحتله القمر في ديانة العربية الجنوبية لا نجده في أديان الساميين الشماليين، مما يصح أن تجعله من الفروق المهمة التي تميز الساميين الجنوبيين عن الساميين الشماليين[10] .

ويتحدث العلامة جواد علي عن عبادة العرب قبل الإسلام للقمر والشمس والنجوم خاصة في اليمن القديم: معينية سبئية وقتبانية، وكذلك عبادة بعض المظاهر الطبيعية: النجوم, والأشجار، والحيوانات، والشفاعة، والأصنام[11] .

ويُرجع أولئك المستشرقون هذا التباين الظاهر بين عبادة الساميين الجنوبيين وعبادة الساميين الشماليين وتقدم القمر على الشمس عند العرب الجنوبيين -إلى الاختلاف في طبيعة الأقاليم وإلى التباين في الثقافة؛ ففي العربية الجنوبية يكون القمر هادياً للناس ومهدئاً للأعصاب، وسميراً لرجال القوافل من التجار وأصحاب الأعمال في الليالي اللطيفة المقمرة بعد حرّ شديد تبعثه أشعة الشمس المحرقة، فتشل الحركة في النهار، وتجعل من الصعب على الناس الاشتغال فيه، وتميت من يتعرض لأشعتها الوهاجة في عز الصيف القائظ. إنها ذات حميم حقاً، فلا عجب إذا ما دعيت ب "ذات حمم"، "ذات حميم"، "ذات الحميم" عند العرب الجنوبيين. ولذلك، لا يستغرب إذا قدّمه العرب الجنوبيون في عبادتهم على الشمس، وفضلوه عليها. وإذا كَانت الشمس مصدراً لنموّ النباتات نموّاً سريعاً في شمال جزيرة العرب، فإن أشعة الشمس الوهّاجة المحرقة توقفُ نموّ أكثر المزروعات في صيف العربية الجنوبية، وتسبب جفافها واختفاء الورد والزهر في هذا الموسم، فلا بد أن يكون لهذه الظاهرة أثر في العقلية التي كوّنت تلك الأساطير[12] .

يرى (هومل) أن ديانات جميع الساميين الغربين والعرب الجنوبيين هي ديانة عبادة القمر، أي أن القمر فيها مقدم على الشمس، وهو نقيض ما نجده في ديانة البابليين. ويعلل ذلك ببقاء الساميين الغربيين بَدويين مدة طويلة بالقياس الى البابليين. ويلاحظ أيضاً أن الشمس هي أنثى؛ أما القمر فهو ذكر عند الساميين الغربيين، وهو نقيض ما نريده عند البابليين[13] .

رغم أن المسلمين لم يكن لديهم الرغبة في إبقاء أي أثر للديانات الوثنية القديمة، وسعوا بقوة لمحو كل أثر لها، ولم يبق منها إلا مالم يكن في متناول أيديهم، كما

يشير إليه البروفيسور (Carleton Stevens Coon)؛ إلاّ أن المنقبين الآثاريين والأركولوجيين (J. T. Arnaud, J. Halevy and E. Glaser) و (G. Caton Thompson and Carleton S) و (G. Caton Thompson and) و (Carleton S. Coon) اكتشفوا اكتشافات مذهلة في القرن الثامن عشر وفي الأربعينيات من القرن الماضي عندما عثروا في حفرياتهم في جنوب الجزيرة العربية، خاصة في معبد القمر في مأرب ومملكة سبأ، على آلاف القطع والكتابات عن عبادة القمر تعود إلى حضارات قديمة.

وترى مصادر أخرى أن (شمس) مسقطها الأول (سبأ) في اليمن حيث الملكة بلقيس تسجد وقومها للشمس, كما جاء في سورة النمل على لسان الهدهد في حديثه مع سليمان }وَجَدْتُهَاْ وَقَوْمَهَاْ يَسْجِدُوْنَ لِلْشَّمْسِ مِنْ دُوْنِ الله{]النمل:24[.

ونتيجة لهذه الاكتشافات جُمعت آلاف اللوحات والتماثيل الحجرية التي تشير إلى صور "اللات والعزة ومناة"، إلى جانب أبيهم الله الذي هو نفسه القمر متمثلا بصورة القمر فوقهم. تشير البراهين كافة إلى أن عبادة القمر كانت شائعة للغاية وعميقة الجذور في حضارات المنطقة بما فيها الجزيرة العربية.

وقد أشير في مواضع متعددة من العهد القديم إلى عبادة الشمس بين العبرانيين، وجعْل الموت عقوبة لمن يعبد الشمس. ومع ذلك، عُبدت في مدن يهوذا. وقد اتخذت جملة مواضع لعبادة الشمس فيها عرفت بـ "بيت شمس" ((Beth Shemesh. كما يسرد لنا كتاب العهد القديم أن الملك الأخير لبابل نابونئيد ((Nabonnidus 555-539) ق.م.)، بنى تاياما في الجزيرة العربية لتصبح كعبة لعبادة القمر. وكانت الديانة الرئيسية على الدوام عبادة القمر(الإله القمر) بمختلف أشكاله في شبه الجزيرة العربية. وكان الاسم القديم للإله القمر هو (سين). كما نلاحظ أنه كان للمصريين أيضاً (إله سين) ولكنه يمثل (الشمس)، ونراه في تسمية صحراء "سيناء". ويبدو أنه هو المعني في الآية القرآنية التي تقول: }يَس* وَاَلْقُرْآنِ اَلْحَكِيْمِ{]يس:-1 2[.

عندما تخلّت الشعوب المجاورة عن عبادة القمر, بقي العرب في صحرائهم مخلصين لاعتقادهم أن القمر هو الله الأكبر والأعظم بين الآلهة. وعلى الرغم من امتلاكهم 360

إلهاً آخر، لهم مواقعهم في الكعبة وخارجها، نجد أن الله (القمر) بقي سيد.الآلهة وأكبرهم. ومهما كان الرب الذي يعبده، سيجد ربه له موضعاً في كعبة قريش، وهو أمر كانت تفتقده بقية كعبات العرب, وعدد ما وصل منها حوالى 23 كعبة.

تؤكد الأدلة أن عبادة القمر كانت في كامل نشاطها في العصر المسيحي. والأدلة المجموعة من شمال وجنوب الجزيرة العربية تفيد أن عبادة القمر كانت أيضاً وبكل وضوح في قمة نشاطها في فترة ظهور الدعوة الإسلامية، فقد كانت ما تزال الديانة الأوسع انتشاراً. وبموجب العديد من الكتابات القديمة فإنه وعلى الرغم من أن "سين" كان اسم إله القمر، لكن اسمه كان يُسبق بتعبير "الإله"؛ الأمر الذي كان يعبّر عن رفعة منزلته بين الآلهة، وكانوا يرفعونه إلى رتبة رب الأرباب. وهذا الأمر مازال انعكاسه موجوداً حتى اليوم في تعبير "الله أكبر", وتعبير "اقرأ وربك الأكرم"، وتعبير "أحسن الخالقين". وهي تعابير تفاضل ومقارنة, ولابد أن تكون بين الله وآلهة اخرى[14] .

يشير عالِم الأنثروبولوجيا (كارلتون ستيفنز كون Coon Calreton (Stevens إلى أن "إيله او إله" كانت إحدى المراحل في الطريق إلى اسم الله الإسلامي الحالي، وأن الإله القمر كان يُطلق عليه "إل إله" ليُدمَج ويُختَصر لاحقاً في تعبير واحد "الله". وهو أمر حدث قبل مجيء الإسلام، ومازال الجبل المحيط بمكة يحافظ على اسمه القديم "جبل إل". ورفع نبي الإسلام من شأن الإله القمر الوثني تماماً كما العرب الوثنيين ولكنه تجاوز الوثنيين بخطوة. في الوقت الذي كان فيه العرب يقدسون الله على أنه الأكبر بين الأرباب، أشار محمد إلى أنه ليس فقط الإله الأكبر والأكرم والأحسن، ولكنه أيضاً الأوحد[15] . ويضيف الباحث نفسه: "نتفهم كيف أن الله لا يُوصف في الإسلام بالله الكبير وإنما الأكبر (الله أكبر)، والأحسن }فتَبَارَكَ اللهُ أَحسن الخالقين{] المؤمنون:14[, والأكرم }اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ{]العلق:3[. }وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ{]المؤمنون:29[. وأنه "جاء عن طريق الوثنيين السبأيين القادمين من اليمن". بناء على ذلك تكون طقوس المسلمين ليست موجهة الى إله أهل الكتاب وإنما إلى إله القمر، أبي اللات والعزة ومناة.

كان العرب الوثنيون يعبدون الإله القمر (الله) من خلال الدعاء إليه, موجهين

وجههم إلى الكعبة، وبالحج السنوي والدوران حول الكعبة, وتقبيل الحجر الأسود وتقديسه, والتضحية إلى الله وقذف الجمرات وصيام شهر رمضان, وتحريم الحرب في الأشهر الحرم, وتقديم الصدقات إلى الفقراء. أبقى الإسلام هذه الطقوس من عبادة الإله القمر، وأبقى اسم الإله الذي تتوجه الطقوس إليه(16) .

هناك دلائل كثيرة على بقاء آثار التعدد في الديانة الإسلامية، إحداها هو تعبير "بسم الله الرحمن الرحيم"؛ فرسائل البطاركة الأنطاكيين السريانيين تبدأ بهذه البسملة قبل الإسلام بستمئة عام. غير أنهم يكتبونها بتغييرات طفيفة, تكون بالسريانية بالتعبير التالي: "بشم ألوهة رحمانو رحيمو" وترجمتها من السريانية إلى العربية تعطي معاني مختلفة. "بشم" هي ذاتها "بسم"؛ فالسين هي شين في السريانية. غير أن "ألوهة" هي اسم الإله العبري وتقترب من التعبير العربي "اللهم". أما "رحمانو- رحمو" فتعني "بيت الرحم/أو رحم المرأة", وتشير إلى "التجسد" كما قال يوحنا في إنجيله: "وصارت الكلمة جسداً", في حين أن "النون" هو حرف التعريف في اليمن, و "رحيمو" هو الروح القدس.

فهل تكون "بسم الله الرحمن الرحيم" هي ذاتها التي تُستخدم لتمجيد الثالوث المقدس لدى المسيحيين!! في الوقت نفسه كان الرحمن هو إله اليمن "رحمن اليمامة"، وهي كلمة عبرانية كما قال الرازي, في حين أن الرحيم عربية.

يكتب الدكتور (نيومان) في كتابه:" لقد تبيّن أن الاسلام دين منفصل. نما مباشرة من عبادة القمر". يقول (قيصر فرح): "لهذا السبب لا يوجد أي سبب لقبول فكرة أن الله الإسلامي قد جاء للمسلمين عن طريق النصارى واليهود". عبد العرب إله القمر على أنه رب الأرباب، ولكن هذا الرب لم يكن رب اليهود. وفي الوقت الذي كان هذا الإله هو الأعظم كان مايزال واحداً في مملكة الآلهة التي صُوّرت على شاكلة ممالك الإنسان. ولذلك فعندما يعبد الإنسان القمر بوصفه الإله الأكبر والأكرم والأحسن تنعدم الإمكانية للعودة إلى القول إن هذا الإله ليس إلهاً وثنياً قبل الإسلام لمجرد أنهم كانوا يعتبرونه الأكبر بين آلهتهم المتعددة.

بعد هذا العرض الشبه مفصل لعبادة الشمس والقمر عند الشعوب القديمة، وبسبب بقاء تقديس هذين الكوكبين حتى وقتنا الحاضر بين الإيزيدية، وتخصيص

العديد من النصوص الدينية لهما (أقوال، أدعية، أبيات..)، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: من هُم السَلَفْ الذين ورث عنهم الإيزيديون تقديس الشمس والقمر؟ هل هم أصحاب العقيدة الأصلية، في حين تخلت تلك الشعوب عن تقديس الشمس والقمر وآمنت بأديان أخرى مثل اليهودية والزرادشتية والمسيحية والإسلام وغيرها، بينما احتفظت الإيزيدية بهما؟ هناك نقطة أخرى من الضروري معرفتها؛ هي: ما الأسباب والدوافع من وراء تقديس هذين الكوكبين؟ وتقديس أي منهما أقدم من الآخر؟ الشمس لدى الشعوب التي تعيش في السهول والهضاب والجبال التي كانت تمتهن الزراعة (المجتمعات الزراعية)، أم تقديس القمر لدى المجموعات والقبائل الرحالة والرعوية التي كانت تعيش في الصحاري (المجتمعات الرعوية)؟ بمعنى أن الشمس ترتبط بالمجتمعات الحضرية الزراعية؛ أما القمر فيرتبط بالمجتمعات الرعوية المتنقلة الباحثة عن الماء والكلأ، فهي في حاجة إلى ضياء ليكون القمر دليلها وهاديها في تنقلاتها. بما أن القمر كان رمزاً من رموز المرأة/الأم، فإن تقديسه يرتبط بمرحلة سيطرة الأم على المجتمع (مرحلة الأمومة) قبل ظهور العائلة الأحادية. أما عبادة الشمس وتقديسها فهي ترتبط بمرحلة سيطرة الأب على المجتمع بظهور العائلة الأحادية (المرحلة الذكورية) التي ما زلنا نعيش فيها.

إذا كان (الشمس والقمر) عنصرين مقدسين عند الإيزيدية في الوقت الحاضر، فتقديس أي منهما سبق الآخر، تقديس الشمس أم تقديس القمر؟ إذا قلنا إن تقديس الشمس كانت الأولى، فمعنى ذلك أن المجموعات القديمة التي تنتمي إليها إيزيدية اليوم كانوا حضراً يمتهنون الزراعة في مناطق شمال ميزوبوتاميا وبحيرة (وان) ومناطق شمال إيران ومنطقة القوقاس جنوب البحر الأسود، وفي فترة تاريخية ما وبسبب حدوث جفاف أو فيضان أو ظاهرة طبيعية، اضطروا إلى ترك مناطقهم والهجرة باتجاه الجنوب والغرب إلى سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وربما وصلوا إلى مصر. وفي تلك المناطق اختلطوا بالأقوام التي يُطلق عليها العلماء تسمية الأقوام السامية, وأخذوا منهم عبادة القمر؛ لأن غالبيتهم (ماعدا سكان مصر الفرعونية) كانوا يعيشون ضمن مجتمع رعوي!

أما إذا كان العكس هو الصحيح، أي أن تقديس القمر سبق تقديس الشمس لدى

المجموعات الإيزيدية، فمعنى ذلك أن أجداد الإيزيدية الحاليين هاجروا من المناطق الجنوبية التي أشرنا إليها أعلاه، ولأسباب ما استقروا في المناطق الحضرية والزراعية, وأخذوا من شعوبها تقديس إله الشمس إلى جانب إله القمر! ويمكن إضافة احتمال آخر؛ أنه في قديم الزمان نشأت علاقات عسكرية أو تجارية أو أية علاقات أخرى بين الأقوام الصغيرة (مجموعة عشائر وقبائل مختلفة)، أدت إلى اختلاط أو تقارب الكثير من أفكارهم الدينية، بمعنى آخر قبولهم لآلهة بعضهم.

يذكر الدكتور السيد القمني في كتابه: "لقد كانت فتنة العجل الذهبي النهاية المنطقية والعاجلة لتحالف مؤقت بين فريقين متناقضين، أخناتون وعقيدته الآتونية وأتباعه من المصريين والبدو الأسرى في حواريس, وهم من عرفوا باسم بني إسرائيل. وعلى الطرف الآخر يهوديون هكسوس طُردوا من مصر, وسكنوا أورشليم, وعادوا إليها في غزوة ثانية تحالفاً مع ملكها المخلوع. كان الطرفان شديدي التناقض بين فرعون الذي يمجد رباً واحداً هو الشمس آتون، وبين مجموعات بدوية دموية همجية تعبد عدداً من الآلهة تتمثل في تجليات مختلفة أظهرها كان دوماً العجل أو الثور. أما رمزه فهو القرون أو الهلال فكانوا قمريين لا شمسيين" [17] .

يمثل كل من القمر والشمس مرحلة تاريخية اجتماعية اقتصادية. اتخذا فيما بعد بُعداً دينياً قُدسياً عند الإنسان القديم. فعندما كان المجتمع آنذاك يعيش في مرحلة الرعي والمشاعة البدائية، أي قبل تشكيل العائلة الأحادية، كان هناك تقديس وعبادة الإلهة الأنثى (الأم الكبرى), ويرمز لها بالقمر المتشكل على صورة قرني الثور. أما بعد الانقلاب الزراعي ودخول الإنسان القديم حياة الاستقرار وبناء الحواضر (القرى)، وظهور العائلة الأحادية والمجتمعات الأبوية البطريركية، فقد احتل الرجل مكان المرأة، وبرزت عبادة الإله الذكر (الإله الأب)، وانتصر إله الشمس (الذكوري) على إلهة القمر (الأنثوي).

وهنالك من يقول "إن الشعوب التي عبدت الشمس (الشعوب الآرية) قد تخلت عن عبادة القمر عبادة الأم الكبرى (الشعوب السامية) لصالح الشمس التي أصبحت إلهاً من دون منازع"[18] ، لكنني أرى ضعف هذه الفرضية في انتساب عبادة القمر إلى الشعوب السامية، وعبادة الشمس إلى الشعوب الآرية، إذا علمنا أن معظم الشعوب

الهندو-أوربية القديمة هم رعاة ومربو ماشية، وبعد اكتشاف الزراعة والسكن في الحواضر لم يتخلوا عن تربية الماشية.

قدسية النار في الديانة الإيزيدية

تعود قدسية النار لدى أغلب الشعوب والحضارات القديمة إلى كونها ممثلاً للشمس على الأرض أو تجلياً لإله الشمس في الكون. عرفها الإنسان القديم قبل ملايين السنين من خلال مشاهدته لمقذوفات البراكين أو حدوث الصواعق من برق ورعد، أو اشتعال الغابات نتيجة الصواعق في أثناء المواسم الحارة، فقد كان الانسان البدائي يخاف خوفاً جماً من النار عندما يراها تلتهم الغابات والحقول من دون رحمة، ومن دون أن يتمكن من التدخل والتحكم فيها؛ مما دفعه إلى الاعتقاد أن هناك قوة غيبية وراء النار. وتخيّل أن النار آلهة، فاتخذها معبودة. كما عبد العديد من المظاهر الطبيعية وقدسها إما لطاهرتها والانتفاع من حرارتها أو اتقاء لشرّها، وبذلك اتخذ لها طقوساً في مواسم محددة أو على مدار السنة. ولنا دلالات كثيرة تخص تقديس الناروعبادتها, تحتفظ بها أساطير أغلب الشعوب وقصصها. نذكر منها وجود (نسكد) إله النار السومري-البابلي تحت الأرض[19] . وكان السومريون والبابليون عند بناء معبد جديد للآلهة يشعلون النار في المساء ويقدمون القرابين، ويطهرون الموقع بإشعال النار حول الأسس ورشها بالعطر مع تنظيف المدينة وإشعال النار حولها[20] . وكان الكلدانيون يوقدون النيران للإله (شمش- شمس) في مدينة سيبار (Sipar) ولا تنطفىء نيرانها تكريماً له[21] . ويذكر هنا أيضاً أسطورة الإله (بروميثوس) الإغريقية لنقله النار من السماء إلى الأرض. كما اعتقد العرب في (العصر الجاهلي) أن النار أوسع العناصر خيراً وأعظمها جرماً وأشرفها جوهراً[22] . وكان إله السماء (شانغ تي) من أعظم آلهة الصين منزلةً وقدراً[23] . أما الشنتوية اليابانية فكان أحد أركان ديانتهم يقوم على "الإيمان بأن النار مطهر[24] "

ليس من باب المبالغة، إذا قلنا إن قدماء الآريين هم أكثر المجموعات تعلقاً بعبادة

النار وتقديسها، فالنار مقدسة وهي العنصر الفاعل في هذا الكون لطرد الظلمة وإحياء روح الإنسان من الشرور. وإشعال النار في العائلة يدل على الحياة وانطفاؤها يدل على الموت؛ لهذا نجد الإيزيديين في وقتنا الحالي يقولون لَمْ تحل به مصيبة: "چرايێ وی ڤەمريا" (chiraye wi vemirya) بمعنى: "انطفأ نور سراجه". كان (السنجق- الطاووس) يتجول في القرى الإيزيدية، وبعد انتهاء القوالين من تقديم المراسيم الدينية مساءً، كان يشعل مجموعة من الفتائل المصنوعة من القطن المزوجة مع زيت الزيتون ويعطيها إلى أصحاب العوائل, قائلاً لهم: "هذا فتيل عائلتك المشتعلة"

لقد عبد المجوس، ومن بعدهم الزرادشتيون النار، وبنوا لها بيوتاً خاصة توقد فيها النيران المقدسة وتسمى "بيوت النيران". وعُبدت النار عبادة مباشرة من قبل الشعوب الهندو-إيرانية, فأصبحت النار رمزاً للإله الهندي الأعظم (آكني- آجني). النار تلك المادة الخالدة ومصدر الحياة. وقد خصصت الريغ فيدا، كتاب الهندوس المقدس، مجموعة أشعار إلى إله النار (آجني) وإله المطر (أندرا). وكان الكهان لا ينفخون في النار بأفواههم لئلا تنجسها بأنفاسهم. ومثّل النار عند الزرادشتية رمز آهورامزدا وتجلياته على الأرض بوصفه رمز الطهارة والحرارة والفرح والمحبة. تشتعل في البيوت لطرد القوى الشريرة (الأهريمنية). كما اعتقد الزرادشتيون أن أرواح الموتى (الفروهر) ترتاح وتفرح وتستأنس بها[25] . ويرى أحمد ملا خليل أن اسم (أهريمن) الذي تنعته الزرادشتية بإله الشرّ مركبٌ من كلمتين (آهر= النار) و (مان= الباقي) عكس الزائل، وبتركيب اللفظتين يصبح المعنى (النار الأزلي) أو (النار الخالد)؛ لذا عبد المجوس القدماء النار لأنها رمز لـ (أهريمن). والنار في الدين الزرادشتي، وفق اعتقاده، رمز لأهريمن والشمس رمز لآهورامزدا، وإلا لماذا يُحرم ولا يجوز لأشعة الشمس أن تقع على النار؟[26] ، وهذا يدل على أن (أهريمن) ليس إلهاً للشرّ!

لن نبالغ إذا قلنا إن الإيزيديين من أكثر المجموعات البشرية، إلى جانب الزرادشتيين والهندوس، التي تنظر بعين التبجيل والتقديس للنار في الوقت الحالي، فلا تخلو مناسبة أوطقس ديني إلاّ وتُشعل فيها النار في المصابيح الزيتية (هلكرنا چرا) ممثل

ورمز الشمس (ثاتون= روز) على الأرض. ففي معبد لالش، أقدس أماكن أتباع الديانة الإيزيدية، تُشعل الفتائل الزيتية يومياً عند المساء في وادي لالش، وفي يومي الأربعاء والجمعة وفي المناسبات في جميع المزارات الموجودةفي قرى وقصبات الإيزيدية إضافة إلى العديد من بيوت رجال الدين.



إشعال النار في معبد لالش يومياً

وفي الأعياد والمناسبات التي تقام في المعبد، خاصة عيد الجماعية وأربعينية الصيف والشتاء، تشعل النار "فتائل زيتية" في سراج يطلق عليه (جَقَلْتو Chaqa-ltu) وسط باحة معبد لالش مع أداء رقصة السماع من قبل رجال الدين ودورانهم حول (جَقَلْتو) ثلاث مرات.



طقس السماع "سما" وإناء معدني تنقل فيه النار مع البخور تسمى (طاو-تاو).

تجدر الإشارة إلى أهم وأعرق طقس يُمارس إلى يومنا هذا, يُسمى (عيد بيلندا Be-landa) عند إيزيدية العراق، و(عيد باتزمي Batizmi) عند إيزيدية سورية وتركيا في الأسبوع الأخير (25 كانون الأول) من كل عام، علماً أنه تحتفل به العديد من الشعوب الإيرانية ويُطلق عليه (يلدا). كما يحتفل به المسيحيون بوصفه عيد ميلاد السيد يسوع. ويقول فاروق الدملوجي: إن المسيحيين اتخذوا يوم 13 أيلول من كل سنة، وهو يوم الاعتدال الخريفي، عيداً للصليب. وامتاز هذا العيد بإيقاد النيران ليلاً على سطوح الدور, فيرقصون حولها ويقفزون فوقها[27] . إلاّ أنه في الواقع، وكما يؤكد فاروق الدملوجي وجورج حبيب، يعتبر 25 كانون عيد ميلاد ميثرا إله الشمس في الديانة المجوسية قبل الزرادشتية، كما يعتبر عيد (أبوللو) إله اليونان في الاعتدال الخريفي وكلاهما إله النار.

يوجد العيد نفسه في الديانة الإيزيدية متطابقاً مع التاريخ الميثرائي 25 كانون الأول, يُعرف بعيد وصيام إيزي أو طاؤوس ملك. ويلي ذلك العيد عيد آخر اسمه (عيد كوركا كا Gurga Ga) بمعنى (Guriya Ga)؛ أي "لهيب/أو شعلة الثيران"؛ إذ كان الايزيديون يوقدون النيران عصر ذلك اليوم، وكان على الفلاحين أن يعبروا بثيرانهم فوقها. وربة البيت تنثرعليهم الحلوى من زبيب وتمر, مخلوطة مع حبات الشعير والقمح والبقوليات وسط فرحة صغار القرية وشبابها، إيذاناً بانتهاء موسم الحرث وتسليم الحبوب إلى الأرض بانتظار نموها وحصادها وجني محصولها للموسم القادم! بمعنى أن تلك الأعياد والطقوس مرتبطة بحركة الطبيعة والتغيرات المناخية والزراعة.



فلاح يجمع نبتة سريعة الاشتعال تسمى "رَشك" لإشعالها في طقس (بيلندا)

نار عيد بيلندا (عيد كوركا كا Gurga Ga)

أما كلمة (بيلندا- بيلنده) فهي تطابق عيد الصليب المسمّى (بيت يلده). فقد كانوا يشعلون النيران في عصر يوم قبلها، ويقفزون فوقها ويطرحون فيها الزبيب والتمر ويأكلونها مشوية[28] . ويعتقد الإيزيديون أنه يوم ميلاد إيزيد أو يوم طاؤوس ملك وميلاد الشمس، وهذا يطابق يوم ميلاد يسوع المسيح وولادة ميثرا. كما يعتقد الإيزيديون أن (بيلنده) هو عيد الأموات، فتأخذ ربات البيوت ما يتوفر لديهن من مأكولات وأضاحي إلى قبور أمواتهن. وأنا مع رأي الكاتب أحمد ملا خليل وتحليله بأن (بيلنده) تعني الولادة، وأنها مركبة من كلمتين (بوون = الولادة = الوجود) و (هلدا= الارتقاء والعلو)؛ لأن الشمس- ميثرا تشرع بالنهوض والاعتلاء يوم 25 كانون الأول، وهو يوم تخلصها من قبضة أهريمن (إله النار)، وهو رمز ولادتها ويوم ميلاد ميثرا.

أما لفظة) هه تاو- هه تاف – طاف (Hetav- Tav) (الكرمانجية، رغم علاقتها الظاهرية بـ (آفتاب) الفارسية، فهي في الحقيقة رمز الإله السومري (أوتو) إله الشمس الذي قُدس مئات السنين قبل عصر الكتابة. كما عبد سكان البلاد العليا (سوبارتوم), واشتهروا باسمه المحلي (هوري- خوري). لذا لا ريب في تدرج لفظة (آهر، آور، آكر= النار) الكردية من ذهنية هندية -أوربية. وُجد أصحابها في البلاد العليا منذ العصر السومري-الأكدي. وقد عبّرت أجيالها عن هذا الإله فيما بعد برمز (آهورا) إله النور والحكمة.[29]

العجل/الثور والـ "قباغ":

ما تفسير طقس إخراج العجل في مراسيم عيد الجماعية من مذبحة معبد الشيخ آدي إلى مذبحة مزار الشيخ شمس وتقديمة أضحية ؟! إذا كان العجل الذهبي عند اليهود يرمز إلى المجموعات والقبائل الرحل، فهل تقديم العجل الذي كان يضع بين قرنيه القمر قرباناً يعني نهاية تقديس/عبادة القمر وبداية تقديس الشمس، أم العكس هو الصحيح؟ وهنا ينقل لنا الدكتور السيد القمني معلومة تقول: "عندما خرج (اليهود- الهكسوس-موسى) من مصر، قتل موسى عند جبل الإله حور المقدس (حوريب/

جبل سيناء/جبل الشريعة)، وسلم يشوع بن نون الذي كان من الهكسوس. وبموته انتهى أخناتون، وانتهت ديانته الآتونية (الشمسية)، وبدأت عبادة (العجل الذهبي) [30] . السؤال هو: إذا كانت القصة قد حدثت قبل نحو 1800-1900ق.م. في سيناء كما ترويه التوراة، فلماذا يُجدّد هذا الطقس سنوياً في لالش؟!!

به رى شباكى (العرش- التابوت):

يقال إن (Berê Šibakê) التابوت الرمزي للشيخ آدي رحل إلى جوار ربه في عملية الحلول/ أو التناسخ والتقمص (كراسكوهورينkirasguhorîn)، ويحيي الإيزيديون سنوياً في عيد الجماعية (23 أيلول1- تشرين الثاني الشرقي) طقساً رمزياً بتنصيب هذا العرش/التابوت، ولسان حالهم يقول: هذا ترميز لكيان قدسي، وإن موت شيخهم كان موتاً رمزياً، وهو حيّ يتجدد بينهم كل عام، مثل اليهود عندما قُتل موسى من قبل تلميذه المخلص يشوع بن نون، أمرهم الرب بصناعة تابوت العهد الذي سينزل الرب ليسكن فيه، ويحملونه معهم في ارتحالاتهم. اختار يشوع بن نون اثني عشر رجلاً، يمثلون الأسباط ليحملوا تابوت العهد على أكتافهم، ويخوضوا به في ماء الأردن، اعتقاداً منهم أن موسى (الإله) يقودهم إلى بر الأمان، أرض كنعان في فلسطين.أمامنا طقسان رمزيان في الشكل والمضمون الاعتقادي، السؤال: هل من علاقة تربط بين (تابوت العهد) اليهودي مع (به رى شباكى) الإيزيدي؟!! سؤال يدغدغ العقل!

الختان:

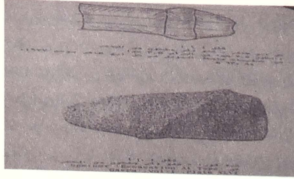
يعود أقدم أثر مكتشف للختان منحوت على الصخر إلى تاريخ الفراعنة في مصر. فهل الختان تقليد مصري عريق من العصر الحجري أم له صلة بعقيدة اليهود الواردة في الإصحاح السابع عشر من كتاب التوراة (العهد القديم)؟ يقول فيه الله لإبراهيم: "وأما أَنْتَ فَتَحْفظُ عَهْدي. أَنْتَ وَنَسْلُكَ منْ بَعْدك في أَجْيالهم. هذا هو عَهْدي الذي تَحْفظُونه بَيْني وَبَيْنكم وبَيْنَ نَسْلكَ منْ بَعْدكَ. يُخْتَنُ منْكُمْ كُل ذَكَر. فَتَخْتنونَ في لَحْم غُرْلَتكم. فَيَكُونَ عَلامَة عَهْدٍ بَيْني وبَيْنَكم. ابن ثَمَانْيَةَ أَيام يُخْتن منْكُم كُلُ ذَكَر في أَجْيالِكُم. وَلِيدَ البَيْتِ والمُبْتاع بفضَة منْ كُل ابْنَ غَريبٍ لَيْسَ منْ نسلك. يُخْتَنُ ختاناً وليد بيتك والمبتاع

بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلفُ الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطعُ تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي"[31]. وفي نص عن موسى في التوراة يقول: "وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صفوره (زوجة موسى المديانية) صوانة, وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي فانفك عنه، حينئذٍ قالت: عريس دم لي من أجل الختان"...صفوره في الأصل لم تكن زوجة الإله موسى بل والدته. وتدخلت صفوره فختنت ابنها الإله موسى, واتخذته لنفسها عريس دم, أي عريس عذريتها استرضاء ليهوه[32]".

وتقول رواية توراتية في موضع آخر إنه بعد موت موسى, وعند وصول الخارجين من مصر إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن بقيادة يشوع بن نون, قرر يشوع عدم عبور النهر إلا بعد اختتان كل من لم يختتن من المواليد الذين ولدوا خلال أربعين عاما قضوها في سيناء منذ الخروج من مصر. وتقول التوراة إن ذلك كان أمراً إلهياً.[33]


الختان: لوحة مصرية قديمة

لقد عثر المنقّب الأثري الأمريكي (سبايزر) عام 1936 في موقعي (تبه كورا) القريب من قصبة بعشيقة على بعد 12 كيلومتر شمال شرق مدينة الموصل، وفي (تل أبو ظاهر) على بعد 15 كيلو متر إلى الشمال من ناحية زمار؛ على عضوين ذكريين من الحجر يشيران إلى وجود عادة الاختتان في المجتمع العراقي القديم. إضافة إلى المنقب الأمريكي سبايزر، فقد عثرت تنقيبات جامعة الموصل عام 1977 على لوح طيني فيه عضو ذكري مختون, والآن هو موجود في المتحف العراقي. وهذا ما جاء في رسالة الماجستير الموسومة "مكانة الطفل في المجتمع العراقي القديم" للباحث الدكتور حسين ظاهر حمود، المقدّمة إلى جامعة الموصل.[34]



المهم في هذين الاكتشافين المعززين بالأدلة المادية (لوح طيني وعضو ذكري من حجر) معرفة تاريخهم التقريبي من أجل مقارنتهما مع لوح الاختتان المصري ومع النصوص الواردة في كتاب العهد القديم بوصفه نصاً تاريخياً يعود كتابته إلى عهد ما بعد السبي البابلي، ومن ثمّ معرفة أيهما أقدم؛ عادة الاختتان في بلاد وادي الرافدين والمجتمع العراقي القديم أم في مصر القديمة؟ إذا كان الاختتان عادة مرتبطة بالمجتمع العراقي القديم، فهل يعني ذلك أن الهكسوس الكاسيين والميتانيين، هم الذين نقلوها إلى مصر بعد احتلالهم لها في الألف الثاني قبل الميلاد أم أخذ المصريون هذه العادة من الإبراهيمية واليهودية؟ أم بالعكس أخذتها هذه المجموعات من مصر القديمة؟

أين موقع العقيدة الإيزيدية من الختان؟ هل هي مأخوذة من الختان المصري العريق أم من العقيدة الإبراهيمية واليهودية كما هو وارد في كتابهم التوراة؟! أم هو (طقس) خاص بهم؟ وإذا كانت عادة أصيلة بهم، فما الجذور الفكرية والعقائدية للختان الإيزيدي؟!

يذكر المؤرخ والعالِم (غولياموف)، نقلاً عن المؤرخ (هيرودوت) الذي يقول: "ثلاثة شعوب فقط على الأرض يعدون أنفسهم من الأصلاء في عادة الختان": كولهي و المصريون والأحباش. في حين يعترف الفينيقيون والسوريين وسكان فلسطين بأنهم أخذوا عادة الختان من المصريين. أما الآشوريون القاطنون على نهري فرمودونت وبارفينيا وجيرانهم ماكرون، فيقولون إنهم منذ أمد قريب فقط أخذوا هذه العادة من المصريين "[35] . الماكرون هم المهرانيون [36] العائدون إلى دولة مهري الكوتية أحد

أسلاف الكرد في جبال زاغروس الذين عاشوا في عهد نفوذ ملوك دولة ميتان الهندو-آرية في مناطق الشرق الأوسط وأعالي ميزوبوتاميا في الألف الثاني قبل الميلاد. ويبدو هنالك تشابه إثني بين كل من المهرانيين والميتانيين في زاغروس. وإن عادة الختان عند ماكرون-المهرانيين التي قيل إنها مأخوذة عن المصريين، تشير إشارة مباشرة، كما يقول (صلوات غولياموف), إلى طبقة المحاربين ماريانو الميتانيين الهندو-آريين في الاستيلاء على مصر القديمة في القرن 16-18 ق.م. مع الهكسوس، حيث على أيديهم بُنيت قريتا أباريس وشاروكين في دلتا النيل. ويضيف (غولياموف): إن "ما يؤكد عادة الختان القديمة عند الكرد التي ترجع جذورها الوثنية إلى ما قبل الإسلام، الحقيقة الدافعة، التي تتعلق بوجود عادة الختان عند الكرد اليزيديين الذين يعبدون الشمس كما هو الحال بالنسبة إلى ڤيدات الهندو-آريين كورو"[37] . وبمقتضى الرأي الذي يقول إن المهرانيين-الميتانيين أخذوا عادة الختان من المصريين، يكون لدينا حقيقتان رئيسيتان؛ الأولى- إنها عادة دخيلة لا صلة لها بالدين؛ أما الثانية- والأهم فهي تكشف لنا حقيقة تاريخية، كما يؤكدها (غولياموف) نفسه بالقول: "إن إحدى الطبقات الأربعة التي تحمل تحديداً عند الكرد اليزيديين اسم آڤيستا-الڤيدية للمحاربين- مرد [38] (Marya) الذين يعبدون الشمس كإله القبيلة (رو) أي(Roj) , ولديهم طقوس الختان كما هو الحال عند المصريين القدماء، كل هذه الحقائق تثبت مشاركة أجداد الكرد-الكوتيين- المهرانيين في حملة الهكسوس على مصر القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد" .[39]

رموز أخرى:

(چرا-چەقلتوChira-Chakaltu): إشعال المصابيح الزيتية في المعابد والمزارات والبيوت في المناسبات الدينية. ترمز من دون شك إلى لون النور والشمس. إن جذر هذه الكلمة قادم مما لا ريب فيه من ذهنية هندية أوربية ومن لفظة (هتاڤ-خۆر-الشمس)، فقد كان سكان سوبارتوم (الهوريون-الخوريون= هوري-خوري), ومعهم السومريون والأكاديون يعبدون (إله الشمس) كون النار (آهر، آور، آگر) أحد تجلياته على الأرض. وقد "عبرت أجيال تلك الشعوب فيما بعد عن هذا الإله برمز

(آهورا) إله النور والحكمة المتطور عن (وارونا) القديم، وهو (آسورا، آسور) الهندية، و(سور- سورياش) الكاسية الذي عبده اللولوبيون إلى جانب الكاسيين في بلاد الأكراد قديماً. أصبحت تدل هذه اللفظة الآن على (المصباح) بشكل (سوريا) في اللغة الكردية وبشكل (ثريا) في اللغة العربية، وترمز لفظة (سور=الأحمر) الكردية على لونها، تطورت من (ثوخرا- سوخرا) وظلت في الهندية بشكل چوكرا(chukra) , وبقيت عند الإيزيدية بصيغتها (chira وchakaltu) .

•الحيوانات المقدسة: مثل: الحيّة، الطاؤوس، الثور، السمك، الغزال، الأرنب، القط، الديك، والحمام، النحل، الغنم.

• قدسية العتبات، سواء عتبة البيت أم عتبات جميع دور العبادة والمراقد. ترمز إلى: الرئيس والرئاسة، رب البيت، ربة البيت، عتبة البيت، رئيس العائلة.. إلخ، إن العتبة ترمز إلى الحامي والمالك (خودان).

---

1. موقع الإتحاد: حين عُبِدت شمس، المنشور بتاريخ 4 كانون الثاني 2017، https://www.alittihad.ae/article/664/2017/%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%AA-%D8%B4%D9%85%D8%B3 وكذلك: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، العلامة جواد علي، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت, 1970م. وينظر أيضاً: أطلس تاريخ الشرق القديم, إعداد ورسم: إبراهيم حلمي الغوري، دار الشرق العربي، بيروت. دائرة الآثار والتراث, أم القيوين.
2. صلوات (غولياموف)، آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة عن الروسية: الدكتور إسماعيل حصاف، طبعة أربيل, 2011، ص 307.
3. المصدر السابق نفسه، ص 304.
4. بوستغيت (نيكولاس)، حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور)، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون, 1992، ص 139.
5. الدملوجي (فاروق): الألوهية في المعتقدات الوثنية، الكتاب الثاني، ج1، ص 20 (مقتبس من كتاب: أحمد ملا خليل: من آذربيجان إلى لالش، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، ص 50).
• * ما زال المعتقد الديني الإيزيدي يحمل عقيدة (مفتاح أبواب السماء= كليلا ئه ردو ئازمانا). وكان أهالي عين سفني/مركز قضاء الشيخان يذكرون أن هذا (المفتاح!) موجود عند (داي سيفي) والدة رشيد آودي، وهم بالأصل من قرية بيرستك التي تبعد أربعة كيلومتر غرب قصبة عين سفني.
6. جلال سلمي، الأساطير التاريخية التركية قبل وبعد الإسلام، موقع ترك برس 29/9/2015(www.turkpress.co/node/13069)
7. الدملوجي (فاروق), مصدر سابق، ص 27
8. المصدر السابق نفسه، ص 27. (يلاحظ أنَ الايزيديين يصومون ثلاثة أيام بدءاً من يوم الثلاثاء الأول من كانون الأول/ديسمبر حسب التقويم الشرقي، ويسمونه (صوم إيزيد). أغلب الظن أن صيام ثلاثة أيام من هذا الشهر يرمز إلى ثلاثة الأيام المذكورة أعلاه، وهو ولادة الشمس، وهي أعياد الميلاد نفسها عند المسيحيين الذي يصادف= =24/25 من الشهر نفسه. (يمكن مراجعة كتابي: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، السويد، 1998، ص 99)
9. الدملوجي (فاروق): تاريخ الالوهية، مصدر سابق، ج 2، ص 152
10. المؤرخ العلامة جـــواد عـــلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية, الجزء الثاني, 1980 ص 681.

11. https://alkalema.net/allah/allah24.htm
12. جواد علي، المصدر السابق نفسه، ص 682.
13. هومل (فريتز)، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام.
14. لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة مؤلف المؤرخ والعلامة د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، 1980، الصفحات من682 إلى 735.
15. نقلاً عن (ترك برس) مصدر سابق.
16. https://www.alittihad.ae/article/664/2017/%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D9%8F(%D8%A8%D9%90%D8%AF%D8%AA-%D8%B4%D9%85%D8%B3)
17. د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، مجلد 3، ص941.
18. ر.س. زينهير، المجوسية الزرادشتية/الفَجر-الغروب، ص 180 (مقتبس من د. عايده بدر، أثر الديانة الإيزيدية في الديانة الزرادشتية، ص 250). (للعلم لم أجد هذا المقتبس في كتاب ر.س. زينهير)
19. حبيب، جورج، اليزيدية بقايا دين قديم، بغداد، 1978، ص 33.
20. دراسات في التاريخ وآثاره، مجلة جمعية المؤرخين الآثاريين في العراق، العدد 5، ص22-21.
21. الدملوجي، فاروق، الألوهية في المعتقدات الوثنية، ج2، ص 11. وكذلك: حبيب، جورج، مصدر سابق، ص 32.
22. جاسم محمد شفيع، النار في المعتقدات العربية، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، السنة الخامسة، 1974، ص 89. (مقتبس من كتاب: أحمد ملا خليل، من آذربيجان إلى لالش، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، سبيريز، دهوك، 2006، ص76.
23. رشيد عليان وسعدون الساموك، الأديان، دراسة مقارنة، ص107.
24. فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، ج1، ص 59.
25. الدملوجي، فاروق، مصدر سابق، ج1، ص 96. (مقتبس من: أحمد ملا خليل، مصدر سابق، ص 74)
26. ملا خليل، أحمد، من آذربيجان إلى لالش، مصدر سابق، ص 76.
27. الدملوجي، فاروق، مصدر سابق، ص 106.
28. ملا خليل، أحمد، مصدر سابق، ص 79.
29. د. جمال رشيد أحمد، دراسات في بلاد سوبارتوم، بغداد، 1984، ص 13. وكذلك أحمد ملا خليل، مصدر سابق، ص79.
30. العجل أو البقرة أو المواشي عموماً، كان محرماً ذبحها من قبل حاشية أخناتون المصرية ورجال عسكره، إلاّ أن وجود أعداد أخرى من المصريين من أهل البداوة والرعي ومعتمدهم في الطعام على اللحم، أعاد عبادة العجول وأكلها بذبحها طقسياً. ويبدو أن ذبح العجل أو البقرة أو الماشية هو ترميز لكيان قدسي، بل ترميز لموت صاحب الدعوة ذاته قتيلاً، كما أنه ترميز دال على انتهاء الآتونية (تقديس الشمس).
31. كتاب التوراة (العهد القديم)، الإصحاح السابع عشر، الأيات 9 إلى 14.
32. كمال الصليبي، خفايا التوراة وأسرار شعب اسرائيل، دار الساقي، لندن، 1988، ص216.
33. التوراة، يشوع 5/ 6-2.
34. معلومات زودنا بها الأستاذ حسين أسود من قصبة بحزاني بالعراق من خلال رسالة إلكترونية. نقلاً من: مها سلامة، بحث في أصل الدين والحضارات، شكل (9) و (10) من تنقيبات جامعة الموصل في تل أبو ظاهر عام 1977.
35. هيرودوت، التاريخ (2)، ص 104. (نقلاً عن: صلوات گولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة عن الروسية: الدكتور إسماعيل حصاف، متابعة وتدقيق: مارغريت حصاف، الطبعة الأولى، أربيل 2011
36. يبدو أن مهران هو نسبة إلى (مهر= الشمس) أي عبدة الشمس (الشمسيين).
37. صلوات غولياموف، المصدر السابق نفسه، ص 193.
38. يقصد بـ "مرد -ماريان" طبقة المريد عند الإيزيدية.
39. المصدر السابق نفسه، ص 193.
40. للمزيد من التفاصيل ينظر: الدكتور جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد، 1984، ص 13.

الفصل الرابع

"الأسطورة هي اللاشيء، الذي هو كل شيء!"
الشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا

الجذور الفكرية والعقائدية للديانة الإيزيدية

أين تقف أفكار الإيزيدية وتراثها ومعتقداتها الدينية الحاضنة للعديد من عقائد ديانة سومر وبابل وآشور، ورموز عقائد الديانات الهندية التي أشرنا الى بعض المقاربات في الهوامش، وسنشير الى بعضها الآخر منها لاحقاً؟ وإذا كان السومريون من بين أقدم الموجات البشرية القادمة من مراعي ميديا شمال إيران المتاخمة لبحر قزوين، و"إبراهيم" -حسب بعض المصادر- هو "الايونيم Eponym القومي، اسم رمزي طوطمي لموجة عرقية هندية ايرانية استقرت في "أور" عبر لورستان في إيران ثم هاجرت إلى حرّان في عهد الكاسيين (Kas-sites) 1800 ق.م.-فإن الإيزيدية هي الديانة الوحيدة الباقية التي تحيي أكبر أعياد سومروأهمهم (عيد أكيتو/رأس السنة)، وتقدس رئيس الملائكة ديموزي/ طاؤوس ملك، وتتبع التقويم الشمسي البابلي، وتحمل قصصاً ونصوصاً دينية عن "إبراهيم".

ألا يثير ما سبق سؤالاً؟ ألا تلفت هذه الطقوس المشتركة انتباه الباحث, وتدفعه إلى النبش والتقصي, ووضع مقاربة بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية من خلال جملة من العقائد والرموز؟ أليس من حق الباحث أن يسأل: من أين دخلت تلك الأفكار إلى الديانة الإيزيدية، ولماذا تحتفظ بها من دون غيرها من الديانات؟! السؤال الآخر: هل يمكن القول إننا نضع أيدينا على حلقة مفقودة من حلقات الديانة الإيزيدية التي هي في حاجة إلى البحث للتعرف إلى مسار نشأتها وتطورها عبر التاريخ القديم؟ مع العلم أن هنالك العديد من الأفكار والقصص والرموز المتبعثرة في ثنايا النصوص الدينية الإيزيدية, لها دلالاتها حتماً، وهي في حاجة إلى النبش والتنقيب لمحاولة معرفة جذورها الفكرية والتاريخية.

قصة النبي نوح والطوفان في الموروث الإيزيدي:

يتداول الإيزيديون مثل غيرهم من شعوب الشرق، ولاسيّما الأديان الكتابية: اليهودية والمسيحية والإسلام؛ قصة الطوفان الذي حدث في زمن نوح. ويقولون إنه وقبيلته كانوا ساكنين في منطقة عين سفني (46 كم شمال مدينة نينوى/الموصل). وبدأ الطوفان من نبع ماء يقع في عين سفني مركز قضاء الشيخان الحالي في محافظة نينوى. سبق وأن سمعت من رجال الدين أن الإيزيديين لم يغرقوا في أثناء طوفان نوح لأنهم كانوا في الهند، ويقولون إنه حدث أكثر من طوفان. (ويبدو أن ما حدث يشبه فيضانات اليوم) كانت تغرق مناطق محددة وليس كل العالم؛ لذا إذا غرقت مجموعات بشرية فإن مجموعات أخرى تعيش في أماكن لا تصلها الفيضانات. كما يقولون إنهم جاؤوا بعد الطوفان واستقروا في هذه المنطقة. على كل حال، تتداخل قصص الأوائل ومن ضمنها قصص الإيزيديين مع بعضها، بل تتضارب أحياناً، لكنها تبقى في كل الأحوال ميثولوجيا وقصصاً تتداولها الأجيال منذ عدة آلاف من السنين؛ لذلك فهي معرضة للزيادة والنقصان والتشويه والاضطراب.

يرتبط اسم (عين سفني) مركز الديانة الإيزيدية، حاضنة معبد لالش المقدس، ومركز قضاء الشيخان حالياً بأسطورة طوفان النبي نوح. يذكر الموروث الشفهي الإيزيدي أن قوم نوح كانوا يسكنون هذه المنطقة. وتعتقد الإيزيدية اعتقاداً راسخاً أن الطوفان نبع من (عين سفني) التي أخذت اسمها من اسم (السفينة) التي صنعها نوح استعداداً لإنقاذ نفسه بعد أن يئس من هداية قومه لعبادة الله، فقد كذبوا دعوته وأطلقوا عليه (نوح الكذاب!). انتشر الظلم والفساد والكفر بين القوم، ورفع نوح شكواه إلى ربه ودعاه أن يجلب طوفاناً لإغراق القوم الكافرين بعد أن باءت بالفشل جميع محاولاته في إصلاح قومه وهدايتهم الى طريق الخير.

تروي قصة/أسطورة الديانة الإيزيدية أن ماء الطوفان بدأ من نبع الماء الذي صنع فيها نوح[1] سفينته، وسميت باسمها بعد الطوفان (عين سفني) ومعناها (عين السفينة). عاش نوح وقومه في هذه المنطقة. أراد نوح أن يهدي قومه إلى عبادة الخالق إلاّ أنه لم يفلح، فبدأ يشتكي إلى ربه بأن قومه قد كفروا وعاثوا في الأرض فساداً، ويريد الخلاص منهم بعدما عجز في إصلاحهم، فجاءه الصوت:

(بعد أربعين). ولم يعلم نوح موعد الطوفان؛ هل هو أربعون ساعةً، أربعون يوماً، أربعون أسبوعاً، أربعون شهراً، أو أربعون سنة ؟!! فضاقت به الدنيا بسبب آثام قومه, فقال: ربي أنقذني وخلصني من شر الفاسدين. سمع صوتاً يقول له:

- هل كفر قومك جميعهم!

- نعم, إلهي! إلاّ قريتي!

- تمسك بقريتك بكل ما أوتيت من قوة!

بعد فترة اشتكى نوح إلى ربه:

- ربي لقد دخل الكفر والفساد قريتي!

- يا نوح تمسك بعائلتك!

- يارب لقد دخل الفساد والإلحاد عائلتي, وخرجت عن طاعتي!

أمر الله نوحاً بالصبر. وإذا بصوت يأتيه من السماء:

- يا نوح, اصنع سفينتك!

بنى النبي نوح السفينة، وأطلق عليها اسم (الفلك)، ونظر الناس إليه بازدراء واتهموه بالخرف, وجعلوا السفينة مرتعاً لرمي قاذوراتهم. ضاقت الدنيا بالنبي نوح وطلب من عامة الناس ترقّب حدوث الطوفان. وتقول القصة إن النبي نوح قال باللغة الكردية الكورمانجية من يأتي بخبر (طوفان هات! أي بدأ الطوفان) فسوف أقتله.

مرّت أيام وشهور وسنوات ولم يحدث أي طوفان، وبدأ قوم نوح يكذبونه ويستهزئون به. والأهالي يرمون قاذوراتهم على السفينة التي بدأت تختفي بين الأوساخ. وتقول القصة إن كلباً أجربَ مرّغ نفسه بين القاذورات التي تغطي السفينة، وبعد ذلك شفى الكلب من الجرب! وعندما رأى الناس شفاء الكلب، بدؤوا يتسابقون في استخدام تلك القاذورات لشفاء أمراضهم وخاصة الجلدية؛ فظهرت السفينة أنظف مما كانت عليه في أول أمرها.

يُروى أنه مرّ أربعون عاماً على الصوت الذي أوحى إلى النبي نوح ببناء السفينة. وفي أحد أيام الشتاء الباردة، كانت إحدى نساء قوم نوح ذاهبة إلى (تنور) لتخبز الخبز. وضعت الحطب والأعشاب التي تكون رطبة في الشتاء، حاولت أن تنفخ في

الجمرة لتشعل النار في الحطب، لكن من دون جدوى وضاقت نفسها ووصلت إلى درجة اليأس، فكفرت بالنار. تقول القصة إنها رأت الماء يتدفق من التنور. تركت التنور وركضت إلى بيت نوح, تصرخ: (هات، هات!) بمعنى أتى أتى!!

قال لها النبي نوح:

- (طوفان هات!) بمعنى هل جاء الطوفان؟!

إلاّ أن المرأة خافت أن تنطق بكلمة (الطوفان) خوف أن يقتلها النبي نوح. فَهِم النبي نوح أنه قد حان وقت الطوفان؛ فجمع المؤمنين والصالحين من أهله، وزوجاً من جميع الطيور والحيوانات كما أمره الله بذلك للتكاثر.

هطلت الأمطار وتفجرت ينابيع الأرض، وارتفعت السفينة بارتفاع المياه, وغطت المياه أعالي الجبال وسارت السفينة, لكنها ارتطمت بـ (سن الكلوب) في جبل سنجار التي تعد أعلى نقطة في الجبل، وحدث ثقب في السفينة فتسربت بسببه المياه إلى داخلها وكادت تغرقها، فاستنجد النبي نوح بالإنسان والحيوان والطيور لسد ثقب السفينة, لكنهم عجزوا، ماعدا الحيّة التي كان لها دور مهم في سد ثقب السفينة بعد أن تكورت داخل الثقب ومنعت تسرب المياه إلى داخل السفينة! كانت الحيّة سبباً في إنقاذ السفينة ومن عليها من بشر وكائنات. منذ ذلك الوقت تُحترم الحيّة ويُنظر إليها بشيء من القداسة، فقد جعلوها رمزاً على واجهات بعض المعابد احتراماً لها؛ لأنها حافظت على ديمومة البشرية وسائر المخلوقات من الفناء التام. استمرت السفينة في سيرها نحو جبل جودي حتى رست فوقه، لكن الماء كان عكراً فلم يشاهدوا شيئاً، فأرسل نوح حمامة. وعندما عادت كانت تحمل غصن زيتون، فعرفوا أن المياه بدأت بالانحسار حتى وصلوا أرض لالش المقدسة، رأوا ماء (كانيا سبى= العين البيضاء) زلالاً صافياً مثل القطن يصعد من ماء الطوفان، نادى النبي نوح:

- قفوا أيها المؤمنون, هذا هو الدار الحق! نحن الآن فوق أحد أهم الاماكن على كوكب الارض وأقدسها لالش النوراني[2]! ثم اتجهت السفينة باتجاه جبل جودي حتى سكنت فوقه. وبدأت المياه بالانحسار وشوهدت الأرض، وبدأ الراكبون النزول, وتناسلوا وكثر نسلهم في الأرض. (طبعاً القصة فيها تفاصيل كثيرة نكتفي بهذا القدر).

إن النبع التي تفجر منها الماء، كما تقول قصة/أسطورة الطوفان الإيزيدية، ما تزال قائمة إلى يومنا هذا على مسافة كيلو متر إلى الشمال من مركز مدينة عين سفني والتي سميت بقضاء الشيخان حديثاً. يطلق الإيزيديون على العين اسم محيركان(Mahirkan). يؤمها المصابون بالأمراض الجلدية. وتقع هذه العين قرب الطريق المؤدي إلى وادي لالش حيث مقام الشيخ عدي بن مسافر الهكاري.

قصة الطوفان الإيزيدي في النصوص الدينية:

-41 نەبی نوح بقەومێ خۆ مابوو مەرجولە/ ظل النبي نوح محتاراً بقومه

يا مەلك فخردين هەكە ژ باتە نەهاتە دستورە/أيها الملك فخر الدين، لولا صدور أمرك

لقەومێ نەبی نوح نەد فوری تەنورە [3] /لما قام الطوفان على قوم النبي نوح!

-42 هاتی[4] بە دیلا نوحێ نەبییە /في عصر النبي نوح

قەومەك داهربوو، ددلێ وان زۆر كفریە /ظهر قوم كفار

لەو لخودێ خۆ بوون ئاخیە /وتمردوا على أوامر الله

* بەعدی وێ هەیوانێ / بعد ذلك العصر

قەومەك داهربوو، دلێ واندا نەبوو خۆڤا ئیمانێ/ظهر قوم عديمو الإيمان

ئەو ژی غەرق بوونە بئاڤا تۆفانێ [5]./وهم أيضاً غرقوا بمياه الطوفان

* ئەو كاس دانە نوحە /ناولوا الكأس للنبي نوح

بكەرامەتا وێ كاسێ دبوو سوحە /صفا بكرامة ذاك الكأس

لەو ژ تۆفانا خلاسكرن گەلەك روحە [6]./لذا أنقذ أرواحاً كثيرة من الطوفان

* كفر بوون هندی قەومێ نوحە /أصبح جُلّ قوم نوح كفاراً

پیرو كال، شەنگو شۆخە /عجائز وشيوخاً وشباباً

گۆتنە نوحی: گالا تە دۆخە! /قالوا لنوح: كذبت أقوالك

* نوحی ژ خودێ خۆ خواست /دعا نوح ربه

ئەڤنە نائێنە رێكا راست /هؤلاء القوم لا يلتزمون الطريق الصحيح

ژ كفریا بووینە مەست /وصاروا ثملين من الكفر

* ل با وان وە عەیانە /هكذا معروف لديهم

ئێقين دێ رابت تۆفانه /سيأتي الطوفان يقيناً
* ژ ئاسمانا دەنگە؛ /جاء صوت من السماء
يا نوح! سەفينێ چێکە، بچاڤديريا مەرێکوپێك كە/اصنع سفينة بانتظام يا نوح!
هنجی مەخلوقە جۆت-جۆت لێکە /وضعْ فيها من المخلوقات أزواجاً
* نوح پێخەمبەر سەفينە چێکر /صنع النبي نوح السفينة
ئینسان، تەیرو تەوال لێکر /ووضع فيها من الإنسان والحيوانات
نێر، مێ، جۆت-جۆت تێکر /زوجان من الذكور والإناث
* ل ئێسفنێ كەلی تەنور /من عين سفني استحر التنور
رابوو ئاڤەك رەشو سور /فاض منه ماءٌ أسودُ وأحمر (الطوفان)
كافر كرن گۆر بگۆر! / وأغرق الكفار!
* سەفينە رابوو سەر ئاڤێ /صعدت السفينة على الماء
چۆ رۆژهەلات، رۆژئافێ /طافت شرقاً وغرباً
باكور، باشور دا ئاڤێ /شمالاً وجنوباً
* ئەوان كاركرن سەفينە /هم الذين نظموا السفينة
تێ هەینە سورێت نورینە /ووُجد فيها أسرار نورانية
ئێقين سورا عزيز ملك فخردينە /يقيناً فيها سرّ الملك فخرالدين!
* ژ وان نەبن سەربەردايە /لا تكونوا من المغفلين
هوون برينە جودی وچەندی چيايە/انظروا إلى الجودي وجميع الجبال
جودی زەبوونی كيشايە /جبل الجودي هو الذي تحمل الفقر
لەو سەفينا نوح چۆ سەر راوستايە /لذا رست عليه سفينة نوح
* خوداوە ندی مە لسەفينێ چاڤدێرە /إلهنا راعي السفينة
ئاژۆتە چاركنارە، ديرە /طاف الجهات الأربعة
زڤراندە مەرگەها ميرە / وعاد بها إلى مرج الأمير
ئاژۆتە لالش، گۆت: خۆش وارە! /ووصلوا لالش، قال: هذا هو المكان الحقيقي!
*سەفينە نقول بوو، ئاڤ كەتە سەرە/ثقب سطح السفينة ونفذت إليها المياه
ماری خۆ خركر، دابەرە /جاءت الحيّة وسدت الثقب بذيلها

جذور عقيدة التناسخ والحلول والخلود عند الأديان "الإيزيدية أنموذجاً"

إن المعتقدات والعبادات، وما ترتبط بهما من أساطير وقصص وطقوس، هي من إفرازات باكورة الفكر الفطري للإنسان القديم قبل أن تكون من تعليل الفلاسفة والباحثين من بعدهم. لذا فإن المعتقد الصحيح يؤخذ من فكر الإنسان البدائي الذي خلّف لنا صوراً ورموزاً ونقوشاً وأصناماً، مصاحباً ذلك ممارسة عبادات وطقوس. فكر ذلك الإنسان البدائي الذي شابه الأرض بالأم الخالقة وجعلها إلهة! أو رأى في الشمس عين الإله! وقارن بين قرن البقر وهلال القمر! أو بعض الشعوب التي جعلت الشمس زوجة للقمر والكواكب أبناءهما! أو شعوب أخرى نظرت بعين التقديس والعبادة لبعض الحيوانات والطيور والنباتات والأشياء والمظاهر الطبيعية، وحرّمت أخرى أكل بعض النباتات ولحوم بعض الحيوانات؟ لماذا حنّط الفراعنة المصريون القدامى موتاهم؟

يوصلنا تفسيرهذه المعتقدات إلى فهم عقيدة التناسخ (التقمص) والحلول وليس ما قاله الفلاسفة بشأنها في وقت لاحق.

من المعروف أن جميع معتقدات وأديان العالم مرّت بالمراحل التالية:

1 - الديانة الطوطمية.

2 - الديانة الإحيائية أو ما يعرف بديانة متعددة الآلهة والديانات الثنوية، وأحياناً بولثيزم(Poltheism)).

3 - الديانة التوحيدية.

هنالك عدة آراء حول أصل التناسخ، فمنهم من قال: إن أصلها نشأ من الحرّانية (الصابئة)، وهي تكرار الأدوار إلى ما لا نهاية، ويحدث في كل دور ما حدث في الأول، وإن الثواب والعقاب في هذا الدار، لا في دار أخرى. وإن عمل الإنسان هو المقياس. الأعمال التي نحن فيها هي جزاء على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية؛ فالراحة والسرور في حياتنا الآن، مُرتبة على أعمال البرّ التي سلفت منا في الأدوار السابقة. والغم والحزن أيضاً، هما جزاء على أعمال سلفت منا في الأدوار السابقة. وثمة رأي يقول إن منبع التناسخ من الهند. وآخرون قالوا من مصر الفراعنة (معتقد

الخلود). وأرجعها آخرون إلى بلاد ما بين النهرين، إلى حضارة سومر (ملحمة جلجامش والبحث عن الخلود)، وجعل ملوكهم آلهة. وآخرون قالوا إن الفيلسوف فيثاغورس تحدث عنهاك ومنه وصلت إلى الهند.

أما هرقليطس (475-535 ق.م.) اليوناني المعروف بفيلسوف (الصيرورة والنار) الذي اتخذ المادة أساساً لفلسفته، وأن الوجود في تغير دائم باعتبار التغير هو الجوهر الأساسي في الكونح؛ فلم يقل بخلود الروح مثل غيره من الفلاسفة، بل قال: "إن الروح مؤلفة من بضع ذرات مستديرة ملساء "ذرات الروح", وعند موت الإنسان تهرب الذرات في كل الاتجاهات، وربما تعود فتتجمع من جديد مشَكّلةً روحاً جديدة". وهذا يعني أن روح الإنسان ليست خالدة, وأن الروح مرتبطة بالدماغ، وإننا عندما يتفكك الدملغ لا نستطيع الاحتفاظ بشكل من أشكال الوعي. وهو الذي كان يستخدم كلمة (اللوغوس) أي العقل بدل كلمة الله. وقال: "الله هو النهار والليل، الصيف والشتاء، الحرب والسلم، الجوع والشبع" وقال أيضاً: "كل ما في الطبيعة يتم بطريقة ميكانيكية، ويتبع القوانين الحتمية في الطبيعة. وإن وراء كل هذه الظواهر سبباً طبيعياً، سبباً كامناً في الأشياء نفسها" وأضاف: "إننا نرى الأشياء بسبب حركة الذرات في الفراغ، عندما أرى القمر، فذلك لأن "ذرات القمر" تلامس عيني"[7].

إن متابعتي المتواضعة لمعتقدات العديد من الأديان القديمة، تدفعني إلى ترجيح عودة جذور فكرة التناسخ والحلول، إلى حد كبير، إلى الديانة الطوطمية، فجميع أديان العالم متأثرة بها. فالطوطمية، كما ذهب إليه بعض الباحثين، ترمي إلى نشاط تعاوني لإعداد أكبر مقدار من المواد الأولية للقبيلة. ومنهم من قال: إن الطوطم كان في البدء بهيماً وحشياً في بيئة بحرية نشأ عنه الإنسان الذي ظل ينتسب إلى جده الطوطمي. وعلى أساس هاتين النظريتين نشأت مدرستان؛ ترى الأولى إستيد(Es-tied) أن الطوطمية نشأت من سوء تفسير الألقاب، وأن المتوحشين سموا أنفسهم بأسماء الأشياء الطبيعية التي اختلطت بأسماء الأسلاف، ثم تقدست تلك الأشياء مع تقديس الآباء على مرّ الزمن. أما المدرسة الثانية فريزر (Fraizer) فقد زعمت أن الطوطمية عند قبائل وسط أستراليا نشأت من طقوس إنتيجيوما ((Intighiuma،

وهي نظام قائم على السحر والطلاسم التي يريد أهل الطوطم من ورائها استكثار المواد لسدّ حاجة القبيلة[8].

إن الخلود هو الوجه البارز من وراء عقيدة التناسخ, وهو بدوره يقود إلى فكرة الصراع بين قوة الخير والشرّ، بمعنى آخر زرع فكرة الخير عند الفرد. فمن أجل أن تكون خالداً، يجب أن تكون إنساناً خيّراً بعيداً عن جميع أشكال الشرور!

ربط بعض الباحثين ظهور عقيدة التناسخ بالقرن السادس قبل الميلاد, فقد شهد هزة عنيفة في الجوانب الدينية في الزمان الغابر، وظهرت الديانة الزرادشتية وغيرها. وحسب اعتقادهم إن أهم نِحلة مهدت لظهور التناسخ هي النِحلة الأورفية التي اهتمت بعبادة ديونسيوس، وكانت تعتقد أن الإنسان مركب من عنصر إلهي وعنصر أرضي، وأن اتباع بعض التعاليم والطقوس الخاصة بالطهارة يؤدي إلى خلاص النفس أو ما يسمي بعجلة الميلاد، أي عودة الروح إلى بدن الإنسان أو الحيوان. وهي فكرة التناسخ التي أخذ بها فيثاغورس الذي رأى أن النفس منفصلة عن البدن أي أن جوهرها مختلف عن جوهر البدن. النفس خالدة وأزلية، لها وجود سابق على البدن، والبدن هو سجن للنفس، لذا يجب التطهير والتصفية عن طريق اتباع قواعد وطرق معينة في المأكل والملبس، وعبادات معينة على أيدي الكهنة[9].

أرجح امتداد جذور عقيدة التناسخ إلى زمن أقدم من القرن السادس قبل الميلاد. كيف ظهرت وانتشرت هذه العقيدة لدى الديانات القديمة اللاحقة؟

تدور عقيدة التناسخ والحلول، باختصار، حول:

أولاً: الطاقة (الروح) الخالدة بمفهوم الإنسان البدائي. جاءت بها الديانة الطوطمية المؤسسة على ثلاثة أركان أو أفكار رئيسية، هي:

أ- إيجاد علاقة روحية بين جماعة من الناس (قبيلة أو عشيرة) وبين نوع من الكائنات المقدسة أو الأشياء المقدسة (الطوطم)، مثل: الجاموس، البقر، الفيل، الذئب، القرد، الغزال، النسر، البحر، الشمس، المطر، بعض الأشجار. ويعتقد أن هذا الطوطم هو حامي المجموعة. ومن بين أفضل الكتب عن الطوطمية، كتاب العالم الفرنسي أميل دوركهايم (1858 – 1917م.) تحت عنوان: الصور البدائية للحياة الدينية، باريس 1912.

ب- فكرة المانا :(Mana) الدالة على قوة لا شخصية، قوة مادية وروحية منتشرة بين الرموز المقدسة والكائنات والأشياء المقدسة. وهي موجودة في الأشياء كلها. وهذا لا يعني أن الطوطمية هي ديانة هذه الحيوانات أو تلك الأشياء، ولا ديانة أولئك الناس، بل هي ديانة نوع من القوة الخفية واللاشخصية التي توجد في كل الكائنات. إنها قوة ذلك الإله الذي تتجه إليه بالعبادة الديانة الطوطمية.

ج- فكرة "المحرّم" مثلاً تحريم قتل بعض الحيوانات أو أكلها, مثل: البقر، الخنزير، الغزال، الأرنب، الديك, أو أكل بعض الخضراوات, مثل: الخس، اللوبياء، والفاصولياء، أو قطع بعض الأشجار مثل: النبق و(شجرة الشاي، زرگوز= شجرة الجوز غير المثمرة)، أو تدنيس بعض الأشياء في الطبيعة, مثل: التبول في الماء، والبصق على الأرض والنار!

ما السبب في مستودع المحرمات والطوطم؟

يكمن السبب في أن الإنسان البدائي وضع قوة خفية وروحية في ذلك الطوطم، فقد حُرِّم أكله، أو قطعه أو تدنيسه. وهنا، على ما يبدو، نقف أمام أول ظهور لفكرة الخلود في الفكر الديني عند الإنسان القديم، ومن تلك الفكرة نشأت فكرة التناسخ والحلول.

ظهرت الديانة (الإحيائية) أو(الوثنية) بعد الديانة الطوطمة، وأخذت منها فكرة (المانا)، القوة الخفية المادية الروحية المنتشرة في كافة الموجودات. كما عظمت من شأن الأرواح المنبثقة من الطبيعة كلها، وربطت الطبيعة ببعضها من خلال (الطاقة، الروح، النفس)، وألبستها أرواحاً شبيهة بروح الإنسان. وفسر الإنسان الحوادث الطبيعية حسب (إرادته)، لكن أقوى بعض الشيء من إرادته (قوة إله). وهنا ظهرت بداية تعدد الآلهة، واقتضت عبادة آلهة كثيرة. يمكن أن نعد ذلك بداية مرحلة ظهور فكرة الإيمان ووجود قوة الخير والشر. وكان الإنسان البدائي يعتقد أن هنالك علاقة قوية بين (النفس) التي قد تعني الروح أيضاً، وبعض أقسام الجسم (الرجلين واليدين, والقلب والرأس، والشعر والأظافر), وإن وقوع (الشعر والأظافر) أو أي شيء آخر بيد آخرين يكنّون له نيّات سيئة، قد يمكنهم من التصرف بحياته![10]

نلاحظ أن الإنسان البدائي قد أشار إلى (النفس) أو (الروح), ومنحها صفة

(الخلود والأزلية)، وألبسها في قالب طوطم. وجاءت الأديان القديمة لتؤسس معتقداتها على تلك (الروح) أو ذلك (النفس) بوصفها خالدة. بمعنى آخر، تجتمع الأديان جميعها حول فكرة: الطاقة/الروح, وحدة الوجود, الخلود, الصراع بين الخير والشر، المحاسبة (الثواب والعقاب) في هذه الدنيا أو في الآخرة.

نرى في ديانات سومر وبابل وآشور وشعوب جبال زاغروس ظاهرة يُطلق عليها إيوهيميريزم ((Euhemerism؛ أي أن الأقوام البدائية وشعوب الحضارات القديمة أسندت صفة الألوهية إلى ملوكها وأبطالها، وظهر تعدد الآلهة. وما ملحمة كلكامش وبحثه عن (الخلود) بعد مقتل صديقه إنكيدو إلاّ انعكاس لتلك الظاهرة.

أما في الديانة المصرية القديمة، فتبرز عقيدة (الخلود) بروزاً واضحاً من خلال تأليه ملوك الفراعنة بتحنيط أجسادهم, وبناء الأهرامات لهم بيوتاً لحياة الآخرة، ودفن زوجاتهم وحراسهم والكثير من حاجياتهم الدنيوية معهم. ظهرت تلك العقيدة من خلال الحيرة بين "الحي الذي مات واندثر و"صورته الذهنية" الباقية في خيال الأحياء. وإدراك الفرق بين "الجسد" و"الروح"، والتمييز بين "مادة الجسد" وصورة الجسد "كا" والروح المفارقة "با". أثّر هذا التقسيم المصري في المنطقة كلها عقائدياً ولغوياً؛ فظهرت الـ "خا أو الأخت" تحريفاً عن "كا" المصرية (تبادل السقف حلقيات), وأثرت "با" المصرية في "أب آب" العربية السامية، بل في كل ما يتصل بالوالد في اللغات كافة *.

اعتقدت الديانة اليهودية قديماً في تقمص الأرواح بسبب اختلاطهم مع أجناس أخرى. كما يلاحظ أن ما جاء في كتابهم التناخ والتلمود مؤسَّس على فكرة الثواب والعقاب المرتبطتين بعقيدة التناسخ. وإن صح قول أو "تبرير" اليهود أن اعتقادهم بالتناسخ جاء بسبب الاختلاط بأقوام أخرى، فمعنى ذلك أنهم إما قد تأثروا بفكرة التناسخ في أثناء السبي الآشوري والبابلي لهم، أو أخذوها من الديانة المصرية في أثناء وجودهم فيها فترة حكم الهكسوس.

أما في الديانة المسيحية، فيظهر الموقف في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر، جاء فيه: "13ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فَيلُبسَ, سأل تلاميذه قائلاً: مَنْ يقول أنا ابن الإنسان؟. 14فقالوا: قَوْم يوحنا المعمدانُ. وآخرون إيليا. وآخرون إرميا

أو واحد من الأنبياء. 15قال لهم: وأنتم مَنْ تقولون أنا؟.16 فأجاب سمعانُ بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحيّ. فأجاب يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لمْ يعلنْ لك لكنّ أبي الذي في السموات. إذن, نحن هنا أمام عقيدة الحلول؛ حلول كُلٍّ أو جزءٍ من قوة الخالق وروحه في يسوع المسيح.

رغم إنكارالديانة الإسلامية لعقيدة التناسخ، إلاّ أن آيات كثيرة من القرآن تؤكد خلود الروح إلى جانب فكرة الثواب والعقاب.

* }كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَ{]العنكبوت:57[.

* }إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيْمٍ وَعَذَابٌ أَلِيْمٍ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ{]يونس:4[.

* }يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِيْنَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدَاً{] مريم:86-85[.

* }لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدَّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدَاً{]مريم:95-94[

* }زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوْا، قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ {]التغابن:7[.

* }اللهُ لا إِلَهَ إلا هوَ لَيَجمَعَنَّكُم إلى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَن أصدَقُ مِن اللهِ حديثاً{]النساء:87[.

ماذا يعني خلود الروح ومفهوم الجنة للناس ذوي الأعمال الخيرة، والجحيم للناس الأشرار؟ علماً أنه عند الفرق والمذاهب الإسلامية، كالشيعة والإسماعيلية والبهائية والأحمدية والمتصوفة وغيرهم، تظهر عقيدة التناسخ والحلول ظهوراً واضحاً لا لبس فيه.

أديان الهند:

تعد الديانتين الفيدية والبراهمية خليطاً من بقايا الديانة الطوطمية وتعدد الآلهة والثنوية.

لقد هاجر قسم من الشعوب الهندو-أوربية الذين كانوا يعيشون حول بحر

البلطيق باتجاه الجنوب إلى أن وصلوا إلى إيران. واتجه قسم منهم إلى شمال غرب الهند، وهم الذين عُرفوا بالأرياس (الآريين). تلتها الديانات الڤيدية(Vida) والبراهمية والهندوسية والجائينية والبوذية. ويذهب قسم من الباحثين إلى أن السومريين الذين بنوا أول حضارة في وادي الرافدين، يعود أصلهم إلى جنوب الهند. إن صحّت هذه النظرية، فهذا يعني أن أصل الحضارة السومرية وعقائدها الدينية تنبع من الدرافيدية. يوجد في جنوب الهند إلى جانب عقيدة التناسخ، الكثير من الأساطير والعبادات قبل وصول الآريين إليها وسيطرتهم على الحضارة الفيدية، كعبادة الأجداد وتقديس الحيوانات.

تعتقد الديانات الهندية القديمة بـوجود (آتمان) عند الفيدية، و(البراهمان) عند البراهمانية التي تقابل (الأنا العميقة) أو (النفس الحية). وهي فكرة (المانا) نفسها في الديانة الطوطمية. واعتقدوا أن (الآتمان) و(البراهمان) غير مخلوق، ولا يفنى، وهو خالد يسكن في كل شيء. وقالوا إن سلوك الشخص هو الذي يعيّن صورة تقمصه، وإن كثرة الكائنات والأشياء شرٌ (ظهور مفهوم الشرّ). تفسير كثرة الأشياء شرّ، وهو استعارة من المعتقدات الشعبية المستوحاة من طوطمية بعيدة عقيدة التناسخ (Samsâra). وقد شبهت الديانة الهندية (الآتمان) بالشمس عين العالم التي تظل في مأمن من كل مرض يهاجم العين الإنسانية. كذلك الحال مع (الآتمان) الذي يسكن في كل الكائنات، يظل بعيداً عن ألم العالم وعذابه. ووضعوا (الآتمان) في الوسط، والأنفاس تدور حوله. و(الآتمان) عندهم روحي، وهو المطلق، وهو الموجود في الأعماق الإنسانية.

إذن, نحن هنا أمام عقيدة (وحدة الوجود والخلود). كما أن الديانة الفيدية احتفظت بفكرة البقاء بعد الموت، لكنها لم تقبل تسلسلاً غير محدود لصور وجود مختلفة يعيشها الكائن نفسه؛ لأن كثرة الكائنات (الموجودات) مرتبطة بانتقال هذه الكائنات من حال إلى آخر فوق هذه الأرض أو في عوالم أخرى من خلال تتابع لصور وجود إنسانية أو حيوانية. ويعود ذلك إلى الأعمال المنجزة خلال صور الوجود السابقة. وهذه الضرورة التي تسميها كارمانKarman)) تبعاً للصورة التي عاشها الإنسان، بما فيها من خير وشرّ، فالإنسان سيبلغ بعد الموت صورة جديدة للحياة

أعلى أو أدنى؛ بمعنى أن سلوك الإنسان هو الذي يعيّن صورة تقمصه. تصبح الفكرة الدينية هنا مبدأ أخلاق: تناسخ أفضل أو أسوأ. ولن أكون مخطئاً إنْ قلت إنّ فكرة التصوف في أحد أساسياتها للوصول إلى درجة النقاء والحلول والفناء في المطلق، هو المبدأ الأخلاقي. يضاف إلى ذلك كله، أن الفكرة المركزية في الديانة الهندوسية هي قيمة التضحية للآلهة لتحقيق الرغبات الإنسانية خاصة للموتى كالخلود وطول العمر والثروة.

تشترك ديانات أسلاف الكرد من الحوريين الميتانيين والكاشيين والكوتيين وغيرهم من شعوب جبال زاغروس وأواسط آسيا (اليزدانية، ومنها الإيزيدية، الميثرائية، الزرادشتية، اليارسانية/الكاكائية، المزدكية، العلوية، الدرزية والشبك) - في عقيدة تناسخ الأرواح، وقدسية الشمس والنار، وتقديس عناصر الطبيعة الأربعة (الماء، التراب، الهواء، النار)، وتقديم القرابين للأموات، وعبادة الأجداد، والنظام التراتبي، والزواج المغلق، والاحتفاظ بالشارب وغيرها من المعتقدات.

عقيدة التناسخ في الدين الإيزيدي

يحتفظ الدين الإيزيدي من خلال نصوصه الدينية المقدسة بالعديد من العقائد والملامح التي كانت معروفة في الديانات الطوطمية، نشير إلى بعض منها:

أولاً: التشابه بين دور (پەدشا والدرّة) الإيزيدية و(المانا) الطوطمية، و(آتمان) الفيدية و(النيرفان) البراهمية، كقوى أزلية خالقة لا تفنى وموجودة في كل شيء في الطبيعة والكون، وهذا ما يُعرف بـ (وحدة الوجود). تنتقل هذه القوة المادية (الطاقة, الروح) بوساطة (الكأس)، ما يشبه (شراب الهاوما) عند بعض الديانات القديمة.

ثانياً: التناسخ والحلول: فالروح في الديانة الإيزيدية خالدة لا تموت ومحفوظة في "القنديل" منذ الأزل، الذي يموت هو الجسد. عند موت الشخص تفارق روحه الجسد، وتؤخذ من قبل أحد الملائكة إلى ساحة في معبد لالش لتخضع للمحاكمة أمام قاضٍ من الملائكة. وهناك ميزان لقياس حسنات وسيئات تلك الروح بحضور أرواح كل من (شيخ، بير، مربي، وأخ أو أخت الآخرة) الميت، لكي يشهدوا له إن كان

قد عمل الصالحات وأدى واجباته الدينية أمام هؤلاء، أو قام بأعمال سيئة ولم يؤد واجباته الدينية. فالروح الصالحة تُجازى لتعود مرة أخرى وتسكن إنساناً صالحاً على الأرض. أما الروح الشريرة فترسَل لتسكن جسد حيوان أو جماد لتتعذب وتنال جزاءها! وهنا نواجه عدة عقائد وأفكار مترابطة، هي:

أ- وحدة الوجود من خلال وجود الروح في جميع الكائنات والأشياء.

ب- الصراع بين قوى الخير والشر.

ت- خضوع الروح للمحاسبة وليس الجسد.

ث- الخلود.

ماذا نفهم من عقيدة التناسخ وأهميتها وتأثيرها في داخل المجتمع الإيزيدي؟

- تكوين روابط روحية قوية بين أفراد المجتمع الإيزيدي المبني على النظام التراتبي الذي يضع لكل فرد شيخاً وبيراً ومربياً ومرشداً وآخاً أو أختاً للآخرة. وعلى المريد أداء واجباته الدينية لإرضاء جميع الذين أشرنا إليهم، لينقذ روحه/روحها في يوم الآخرة.

- ما دام هناك صراع بين قوى الخير والشر حتى في داخل الإنسان نفسه، فمن أجل أن ينال الخلود، عليه/عليها كبح رغباته "ها" السيئة والتوجه إلى حياة الزهد والتقشف والتصوف والابتعاد عن الأعمال السيئة.

- إذا جاز لنا القول إن الروح سواء أكانت صالحة أم طالحة، تحمل صفة الأممية ولا ترتبط بدين دون غيره، وهذا ما يزرع ويعزز فكرة التسامح لدى أتباع الديانة الايزيدية. تقول (سبقة) من نص ديني:

هەكە عەردەكى ببينى ئيشارەتكە / إذا رأيت أرضاً فأشر عليها

دەروێشەكى ببينى عبادەتكە /وإذا رأيت مؤمناً فاعبد

دارەكێ ببينى زيارەتكە /وإذا رأيت شجرة اغرسها

- احترام أنبياء الديانات الأخرى وأوليائهم وعدم الإساءة إليهم، كون أرواحهم جيدة.

- ربط الإنسان الإيزيدي بالمكان المقدس (معبد لالش) الذي صنعت فيه الملائكة، حسب معتقده، قالب آدم، ويحتضن محكمة الروح، وفيه الجنة والجحيم:

٧٥- ئەڤ شفعەتا وەیە /هذا مكان شفاعتكم

پرا سەلاتێ ئالیەک تاریە، دوخان ودۆژەیە/جهة من جسر الصراط مظلم، دخان وجحيم

ئالیەک بەهشتە، رۆناهیە /الجهة الأخرى جنة ونور

هاوەکە برایێت ئاخرەتێ لسەر براهەیە/يسأل أخوان الآخرة عن أحوال أخوانهم

٧٦- پرا سەلاتێ یە بنیشانە /مَعْلَمُ جسر الصراط

ئالیەک تاریەو دۆژەو دوخانە /جهة منه مظلم، جحيم ودخان

هاوەکە برایێت ئاخرەتێ لسەر برانە /يسأل أخوان الآخرة عن أحوال أخوانهم

ثالثاً: التحريم:

يقول الكاتب الفرنسي الشهير (فيلسيان شالي): "القداسة هي التي ترتقي بالإنسان إلى عالم الحلال والحرام. الحلال هو ما يفيد المجتمع، والحرام هو ما يفسده ويؤذيه". هذا هو القانون المدني الأول الذي سنّ للناس سُنّة حسنة. وكل قبيلة أو مجموعة بشرية قديمة مرتبطة بنوع حيواني أو نوع نباتي، يتخذونه رمزاً (طوطماً) مقدساً لقبيلتهم؛ مثل: الجاموس، النسر، الصقر، الببغاء، دودة القز، الغزال، الثور، البقرة، القط، الذئب..إلخ. وأحيانا نباتات كشجيرة الشاي، شجرة الزيتون. وبعض الأشياء: كالمطر، البحر، الكواكب، النجوم، الشمس..إلخ. وضعوا في تلك الكائنات المقدسة جميعها قوة مادية وروحية (المانا) التي تعني (الروح، النفس) المتصلة اتصالا وثيقاً ببعض أقسام الجسم كاليدين والرجلين والرأس والقلب وكذلك الشعر والأظافر؛ لذا استوجب تحريم أكل أو قتل أو قطع تلك الكائنات.

لقد تأثرت جميع الأديان ببعض عقائد الطوطمية وأفكارها كأقدم عبادات بشرية. ونجد رواسب الطوطمية في كل الأديان وفي كل المناطق. ففي الديانة الإيزيدية نجد تحريم أكل لحوم بعض الحيوانات، أو تحريم أكل بعض الخضراوات، وتحريم قص الرجل شواربه. ويلاحظ عند قبيلةٍ ما تحريم أكل لحم الغزال, أو الديك، أو الأرنب، أو الخنزير. ومن بقايا رواسب الطوطمية عند الإيزيدية، الاحتفاظ بالشعر والأظافر المقصوصة في حفر وثقوب، خوفاً من وقوعهم بيد الآخرين الذين لهم

نيات سيئة، ولهم القدرة على عمل السحر والتصرف بحياة الشخص. كما أن تقديس الدين الإيزيدي في وقتنا الحاضر للشمس والقمر ونجمة الزهرة، يعود بنا إلى عبق التاريخ البشري وباكورة فكر الإنسان البدائي في تقديس بعض ظواهر الطبيعة.

رابعاً: تقديس روح الأجداد (خودان)

إلى جانب عبادة الإيزيديين للخالق (خودا- خودى) والملائكة، إنهم يقدسون روح الأجداد والأسلاف. وتسمى عندهم بـ (خودان= الأرباب) أي ربّ البيت. وهنالك ثمانون سلالة داخل المجتمع الإيزيدي؛ أربعون منها تُحسب للطبقة الدينية (البيرانية)، وأربعون منها تُحسب لطبقة الشيوخ. ولكل سلالة من تلك السلالات (خودان= رب مفردة أرباب). ترتبط بكل سلالة عشيرة من العشائر الإيزيدية. ويعتبر (خودان-رب) حامي السلالة والعشيرة وشافعها، تقام له المزارات، وتقدم له القرابين والنذور، ويخصص يوماً للصيام له.

خامساً: التضحية:

كانت القرابين ركناً رئيسياً في معظم المعتقدات والديانات القديمة, تقديم للطوطم والآلهة فيما بعد. ما زالت باقية إلى وقتنا الحاضر, وتعدّ ركناً أساسياً في الدين والمعتقد الإيزيدي. فقد كان أغني((Agnî إله النار في الديانات الهندوسية على سبيل المثال، إله التضحية وإله البيت أو إله المنزل العائلي، يقابل عند الإيزيدية(خودانێ مالێ (Xudanê malê= ربُّ البيت، والإله (سوما (Somaإله السائل المقدس، يقابله في المعتقد الإيزيدي)هێڤێنێ سونەتێ (Hêvênê sunetê تقدم لهم الأضاحي من الحيوانات ماعدا المحرمة منها، وفي جميع الأعياد والمناسبات الدينية، ماعدا عيد (خدر وإلياس) في شهر شباط الذي يُحرم فيه قتل الحيوانات. وإلى جانب الأضاحي الحيوانية، كانت تقدم مواد عينية, مثل: القمح والشعير وثمار النباتات، أو المبالغ النقدية، أو الصيام. وفي بعض الحالات حتى الآن يلاحظ عقد خُرق من القماش على أغصان أشجار تعد مقدسة أو عقد الأقمشة على أضرحة أولياء الإيزيدية، كما في معبد لالش. إضافة إلى تقديم الإيزيدية للأضاحي والثواب من المأكل والنقود

لأرواح أمواتهم في مناسبات عديدة, ولاسيّما في عيد رأس السنة (سَرْسال) في شهر نيسان، وعيد الصوم في شهر كانون الأول، وعيد (بيلندا) في شهر كانون الثاني.

بايجاز، تقول عقيدة التناسخ الإيزيدية إن الروح خالدة لا تموت. وقد خلق الله الروح بعد أن خلق الملائكة, وسلم أمرها إلى أحد الملائكة, ووضعها في القنديل الموجود في السماء. ويقال إن عزرائيل هو الذي يجيء بالأرواح إلى الجسد ويأخذها منه. وبهذا يكون (عزرائيل) هو المسؤول عن الأرواح. وفي الميث الإيزيدي يمثّل عزرائيل شخصية (طاؤوس ملك- تاووس ملك) الذي هو رئيس الملائكة وفق الفكر الديني الإيزيدي.

وبما أن الروح من عند الله؛ فهي خالدة لا تموت. الذي يموت هو الجسد. وإذا كان الإيزيديون يستخدمون كلمة (توفي ومات) للناس العاديين، فإنهم يقولون للناس الصالحين والأولياء: (كراس كوهورى (kirs guhuri والمعنى الحرفي هو (تغيير الثوب)؛ أي تغيير من حالة إلى أخرى. وبالنسبة إلى المحاسبة والعقاب فبعد أن تفارق الروح القالب/ الجسد، يوجد محكمة يترأسها أحد الملائكة, ويُفهم من حديث رجال الدين أنه (ميكائيل) يمثله على الأرض (شيخوبكر= الشيخ أبو بكر)، فينظر هو ومَن معه مِن أعضاء المحكمة في مقدار أعمال الروح الخيّرة أو السيئة, فإذا كانت أعمالها خيرة فإنها تنتقل إلى جسم بشري صالح أو كائن جميل ونافع. أما إذا كانت أفعالها سيئة فإنها تنتقل إلى جسم حيوان لتتعذب وتأخذ جزاءها, وتبقى فترة لتصقل وتعود إلى وضعها الصالح لتنقل مرة أخرى الى الحياة في إنسان صالح. وربما ترسل إلى (دوز Doj- جهنم). تُسمى هذه العملية التقمص والحلول (دونايدون) في فكر الكاكائيين والديانات الهندية القديمة.

نعم, يوجد لدى الإيزيدية مفهوم الجنة وجهنم، وأعتقد أنه مفهوم دخيل من الديانات الكتابية (اليهودية والمسيحية والإسلام خاصة)، لأنه عندما تعترف أية ديانة بأن الروح من عند الله وهي خالدة لا تموت، فكيف تعذب تلك الروح الإلهية في النار (جهنم)!

الموت والخلود

قصة (مير مح) لدى الإيزيدية، وسرد (عقيدة الموت والخلود) عند بعض الحضارات والأديان من الناحية التاريخية. وأبين من هو (مير مح) وكيف احتضن الأدب الديني الإيزيدي الكثير من (أبياته/قصائده الشعرية) باللغة الكردية، وكذلك (بايزوك) التي هي دخيلة، باعتقادي، على الأدب الديني الإيزيدي. سوف أتطرق إلى ذلك في نهاية هذه الدراسة.

إن فكرة الخلود والموت والحياة الأخرى موجودة عند جميع الشعوب والأديان منذ قديم الزمان وإلى وقتنا الحالي. وكل واحدة منها عبرت عن تلك الفكرة حسب ثقافتها وبيئتها. وتتمثل أقدم الشواهد في الزقورات في وادي الرافدين، والأهرامات في مصر، والمعابد الزرادشتية في بلاد إيران.

ومن الجدير ذكره أنه في كتابي (به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان= صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، الصادر عن دار سبيريز/دهوك، الطبعة الأولى 2004، والثانية 2013), خصصت الفصل الرابع بالكامل عن (فلسفة الموت والحياة عند الإيزيدية/ ملحمة و"به يتا" مير محى، الصفحات 631 - 663)، لكنني في هذه الدراسة السريعة لن أتطرق إلى ما جاء فيه، بل سأتناول فلسفة/عقيدة الموت والخلود لدى حضارات وأديان الشرق القديمة تاريخياً بشيء من التحليل القريب إلى المنطق. وأظن جازماً أن جذور عقيدة الخلود لدى جميع الأديان تعود إلى (ملحمة كالكامش)، وبها أبدأ جولتي.

البحث عن الخلود في الملاحم والأساطير وعند الأديان:

أولاً: ملحمة كلكامش

اسناداً إلى رواية المؤرخين تعد هذه الملحمة أقدم قصة/أسطورة كتبها الإنسان على وجه الأرض، وهي أهم وأكمل عمل إبداعي أسطوري شعري، كُتبت منذ العهد السومري ما بين (2750 و2350) قبل الميلاد عن الملك كلكامش الذي عاش في مدينة أوروك "الوركاء" في وادي الرافدين. وتسرد الأسطورة مجموعة من الحكايات الأسطورية والبطولية لكلكامش وأعماله الخارقة وسعيه المستميت إلى معرفة سرّ الحياة الخالدة.

كانت والدة كلكامش إلهاً خالداً ووالده بشراً فانياً؛ ولهذا قيل إن ثلثيه إله والثلث الباقي بشر. وبسبب الجزء الفاني منه يبدأ بإدراك حقيقة أنه لن يكون خالداً. كان كلكامش ملكاً ظالماً؛ فابتهل سكان أورك للآلهة بأن تخرجهم من ظلمه، فاستجابت الآلهة وخلقت إحدى الآلهات واسمها (أرورو) رجلاً من الطين اسمه (إنكيدو) يعيش في البرية مع الحيوانات، شخصية نقيضة تماماً من شخصية كلكامش. يقرر إنكيدو أن يصارع كلكامش. يتصارع الاثنان بشراسة فهما متقاربان في القوة، ولكن الغلبة في النهاية لكلكامش، فيعترف إنكيدو بقوة كلكامش. وبعد ذلك يصبحان صديقين حميمين. يبدأ كلكامش وإنكيدو رحلتهما في غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة (شمش) إله الشمس وإله الحكمة عند البابليين والسومريين. يقطع الصديقان أشجار الأرز مما يثير غضب (خومبابا) حامي غابات الأرز. ويبدأ الصراع العنيف بين ثلاثتهم, ينتصر الصديقان ويقتلان (خومبابا) مما يثير حفيظة آلهة الماء أنليل التي تركت الغابة تحت مسؤولية خومبابا. بعد هذه الحادثة يصبح, كلكامش مشهوراً فتطلب الآلهة عشتار الزواج منه، لكنه يرفض فتسخط عليه، وتطلب من والدها (آنو) إله السماء أن ينتقم لها، فيرسل (ثوراً مقدساً) لقتل كلكامش، لكن إنكيدو يستطيع الإمساك بقرني الثور ويقتله كلكامش، أثار قتل كلكامش للثورغضب الآلهة، ولكنهم لا يستطيعون قتله لأن دماء الآلهة تسري في عروقه, فيقررون معاقبة إنكيدو وقتله، لأنه اشترك في هذه الفعلة، فيُصاب إنكيدو بمرض قاتل يموت على أثره.

يحزن كلكامش حزناً عميقاً على وفاة صديقه، ويرفض دفنه إلاّ بعد أن تتحلل جثته. وينطلق شاردًا في البرية، باحثًا عن الخلود بعد أن أدرك حقيقة الموت. يبدأ كلكامش البحث عن "أوتنا بشتم", لأنه الوحيد الذي يملك هذا السرّ، وفي الطريق يقابل الآلهة (سيدروي) التي تحاول أن تثنيه عن رغبته وتقنعه بأن يعيش الحياة ويترك البحث عن الخلود، لكنه يرفض فترسله إلى الطواف "أورشني" الذي سيساعده في عبور (بحر الأموات) ليصل إلى الشخص المطلوب, حتى يجد كلكامش "أوتنا بشتم" وزوجته فيخبرهما عما يبحث عنه، فيسرد "أوتنا بشتم" قصة الطوفان العظيم الذي حدث بأمر الآلهة ، وكيف قضى الطوفان على جميع أهلهم ولم ينج أحد منهم

إلا هو وزوجته لذلك قررت الآلهة أن تمنحهما الخلود. لم يقنع ذلك كلكامش وبقي مصّراً في سعيه نحو الخلود. يخبره "أوتنا بشتم" أن عليه أن يظل متيقظاً لا ينام مدة ستة أيام وسبع ليالي وبذلك سيصبح خالداً، وفشل كلكامش في ذلك. ويظل يلحّ على "أوتنا بشتم" وزوجته في إيجاد طريقة أخرى لكي يحصل على الخلود. تشعر زوجة "أوتنا بشتم" بالشفقة عليه فتدله على (العشب السحري) الموجود في قاع البحر بإمكانه إعادة الشباب إليه. يغوص كلكامش في أعماق البحر ويتمكن من اقتلاع العشب السحري.

بعد أن يحصل كلكامش على العشب السحري, يقرر أن يأخذه إلى مدينة أوروك ليجرّبه على رجل مسنّ قبل أن يتناوله، لكن في طريق العودة عندما كان يغتسل في النهر، تأتي إحدى الأفاعي وتسرق العشب وتأكله. وبهذا يعود كلكامش خالي اليدين, ويشاهد السور العظيم الذي بناه حول مدينته أوروك، فيفكر أن عملاً ضخماً مثل هذا السور يعد أفضل طريقة لتخليد اسمه.

سردت أسطورة كلكامش, هي الأساس الفكري والعقائدي لجميع أديان الشرق القديمة، بشيء من الإطالة إيجاد (بديل رمزي للخلود) من خلال ربط خلود الروح بمفهوم وجود (الجنّة). البديل الرمزي الثاني لخلود الروح هو (تناسخ الأرواح). علماً أن الأديان طورت وأبدعت في إعمال الخيال, وربطت (الجنّة) بالسماء و(الجحيم) بأعماق الأرض، وخلقوا قصص إسراء الأنبياء ومعراجهم إلى السماء حيث عرش الخالق.

من الضروري أن نشير إلى أن عناصر الخلود في القصص والأساطير المعروفة والمتداولة لدى الأديان تختلف أسماؤها من شعب إلى آخر، ومن ديانة إلى أخرى، ومن راوٍ إلى آخر، أبرزها: (العشب السحري) كما في أسطورة كلكامش, (التفاح) كما في قصة (مير مح) عند الإيزيدية, (القمح أو الحنطة) كما في قصة آدم وحواء في الجنّة, (الماء- ئافا هيوانى) كما في قصة النبي خدر وإلياس مع الإسكندر المقدوني.

النقطة الأخرى الجديرة بالملاحظة هي أن البحث عن الخلود في أسطورة (كلكامش) و(مير مح) و(خدر إلياس والإسكندر) تدور أحداثها على الأرض. أما

عند بعض الأديان مثل الزرادشتية والمسيحية والإسلامية وفي (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري وملحمة (الكوميديا الإلهية) للشاعر الإيطالي دانتي، فهي تدور في السماء.

ثانياً: الخلود في الديانات الفرعونية

يعدّ التأكيد على وجود الحياة الأخرى من معالم الحضارة المصرية القديمة؛ إذ يُحاكم الإنسان في العالم الآخر. بطله هو الإله أوزيريس، إله الخصب, وفي الوقت نفسه هو إله مملكة المماث، أعيد إلى الحياة بوساطة زوجته إيزيس.

ثالثاً: الخلود في الديانة الهندوسية

ذُكر الخلود في كتابهم المقدس (الفيدا). وأهم النصوص فيه الأوبانيشاد (800 - 500 ق.م) التي تشرح عقيدة (الكارما) و(التناسخ)، والوحدة والمساواة بين (آتمان) الذات الفردية (النفس)، وبين (براهما) ماهية العالم وأصل كل الموجودات. فالذات (آتمان) يجب أن تمر في (طريق الكارما) التي هي سلسلة من عمليات التناسخ كي ترتقي إلى مرحلة الوعي الكلي للبراهمة الذي هو الغاية الأخيرة لكل إنسان عن طريق الزهد وزيادة المعرفة (السيطرة على الذات والتركيز) لحين وصولها الى المعرفة الكاملة/الخلود[11].

رابعاً: الخلود في الديانة البوذية

المعروفة باسم مؤسسها الفيلسوف غوتاما بوذا (480-563 ق.م)، فرغم عدم وجود مفهوم الحياة الأخرى، وعدم وجود مفهوم الإله العادل الذي يدين الإنسان لأعماله في الآخرة، لكن يوجد مبدأ (النيرفانا) الذي هو نهاية المطاف لسلسلة طويلة من عمليات الموت والولادة للإنسان لحين وصوله إلى درجة الكمال، وفيها يعي الإنسان ذاته لصعوده

سلم الرقي عن طريق ممارسة الزهد والتنسك.

خامساً: الخلود في فكر الإغريق:

يبدو الخلود واضحاً وجلياً لدى الفيلسوف أفلاطون (428 - 348 ق.م) في نظريته الشهيرة (المُثل) حول فكرة وجود النفس (الروح) التي هي أبدية والجسد الذي هو زائل. أي هنالك عالمان؛ عالم المُثل الذي لا يتغير ومستقر أبدي، وعالم الواقع الزائف المتعرض للتغير والزوال. الجسد هو من عالم الواقع فهو زائل. والروح هي من عالم المُثل فهي أبدية؛ لذلك تتصارع الروح في هذا العالم مع الجسد (القبر) كي تتحرر منه وتعود إلى أبديتها[12].

سادساً: الإسكندر المقدوني (ت 323ق.م) والنبيان خدر وإلياس:

مضمون الأسطورة: حين وصل الشاب الإسكندر المقدوني إلى أوج مجده وأصبح إمبراطوراً للعالم القديم بعد أن هزم الملك الفارسي الأخميني (داريوش) سنة 333 ق.م.، ودخل مصر من دون قتال سنة 332 ق.م.، وفتح بابل، التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الأخمينية مدة قرنين من الزمان- بدأ يبحث عن الخلود فأرسل شخصين (خدر وإلياس), وفقاً للقصة المتداولة بين الإيزيدية، فيذهب الاثنان إلى آخر نقطة على الأرض, الوقت فيها ظلام دائم. يدلهما أحد الكهنة على نبع ماء يسمى (ئافا هيوانى= ماء الهيوان), مَن يشربه يبقى خالداً. يشرب كل من (خدر وإلياس/إيليا) من ذلك الماء فيصبحان خالدَين حسب ميثولوجيا الكثير من شعوب الشرق, مثل: الإيزيدية، المسيحيين، الشبك، الكاكائية وحتى الإسلام. يجلبان معهما قُرباً من الماء إلى الإسكندر المقدوني الجالس على عرش بابل آنذاك. في طريق عودتهما يصاب الاثنان بالتعب، فيجلسان تحت ظل شجرة ليأخذا قسطاً من الراحة، ويعلقان القُربة على غصن الشجرة، فيأتي طير فينقر القُربة ويسكب ماءها على جذع الشجرة, فترتوي منه وتبقى هي الأخرى خالدة ودائمة الاخضرار في جميع فصول السنة. هذه هي شجرة الزيتون, حسب الميثولوجيا الإيزيدية، وهي شبه مقدسة ويُستخدم زيتها لإشعال قناديل المعابد والمزارات الإيزيدية. أما (خدر وإلياس) فيعودان خاليي اليدين. ويموت الإسكندر المقدوني سنة 323 قبل الميلاد، وترسل جثته، حسب القصة الإيزيدية، إلى أمه في مقدونيا الإغريقية. تقول بعض المصادر التاريخية إن جثمانه دفن في مصر.

سابعاً: معراج النبي زرادشت

جاء ذكر قصة معراج النبي زرادشت في كتاب للديانة الزرادشتية باسم (آردا فيراف) أو (آردا فيراز)، معناه رحلة إلى الجنّة والنار Heaven &Hell (Visit to). وهو أحد عشرات كتب الديانة الزرادشتية إضافة إلى آفيستا المقدس. تقول القصة إن زرادشت صعد إلى السماء والتقى بآهورامزدا (الله في الديانات الإبراهيمية), وشاهد الجنّة والنار(الجحيم) والصراط وغيرها من التفاصيل. إذا قارنا بين معراج النبي زرادشت 700 سنة قبل الميلاد، وإسراء النبي محمد في نهاية القرن السادس الميلادي, نلاحظ التشابه، بل التطابق في الكثير من التفاصيل. يتحدث نص في الجزء السادس من الكتاب عن (مكان يقع بين الجنّة والنار), يكون فيه الإنسان الذي تتساوى حسناته مع سيئاته، وهو ما يسمى في الإسلام (الأعراف). يقول زرادشت: جئت إلى مكان وجدت فيه أرواح العديد من الناس وكلهم على الهيئة نفسها، فسألت (سروش) و(آدار) (سروش وآدار ملائكة وكائنات نورانية في الديانة الزرادشتية): من هؤلاء؟ ولماذا هم هنا؟ فقالا لي: هذا المكان يسمى (هامستاجان أو المكان الوسيط)، وفيه تبقى أرواح الأشخاص الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم. أما الجزء السابع من الكتاب فيتحدث عن (الصراط), وهو الجسر الذي تعبره أرواح جميع الناس بعد الموت. وهنا يتشابه مع فكرة (الصراط المستقيم في الإسلام). وفي الجزء الرابع والعشرين يرى النبي زرادشت امرأة معلقة من ثدييها تتعذب في النار! فسأل الملائكة: من هذه المرأة؟ وماذا فعلت لتعذب بهذه الطريقة؟! فأجابت الملائكة: هذه روح المرأة الخاطئة التي تركت زوجها, وذهبت إلى رجل آخر, ومارست معه الزنا! إلى غير ذلك من التفاصيل التي يطول ذكرها. يدل ما سبق أن الأديان تأخذ عقائدها وأفكارها مما سبقها مع إضافة أفكار وعقائد جديدة من الثقافة والبيئة التي ينشأ فيها الدين الجديد.[13]

وتذكر مصادر أخرى، عندما سيطر الإسكندر المقدوني على إيران سنة 333 ق.م.، مرت الديانة الزرادشتية بوضع صعب، فاجتمع أعضاء المجمع الكهنوتي الزرادشتي الأعلى ليجددوا إيمانهم بديانة الأجداد, ويعيدوا بناء وحدة البلد الروحية. فيقررون انتخاب كاهن من بينهم, يكون الأكثر صدقاً وصلاحاً وأمانةً، ليرسلوه إلى العالم

الروحي الأخروي، إلى الآلهة السماوية لأجل التفسيرات الحقيقة لنهج دينهم. يقع الاختيار على كاهن اسمه فيراز(Viraz) الذي يتعرض لاختبار الصدق قبل رحلته الى العالم الآخر، إذ يغرزون الرمح في جسده ثلاث مرات دون أن يصاب بأي أذى، ثم يؤدي فيراز طقوس الطهارة والصلوات المفروضة ويشرب الهاوما، ثم يغط في نوم عميق. في أثناء النوم تفارق روح فيراز جسده وتقوم برحلة في العالم الآخر، فتزور الجنة وجهنم بمرافقة (سرواش= ملاك الطاعة) و(آدور= إله النار). وفي أثناء الجولة يحرس أخوته وزوجته وباقي الكهنة جسده بالصلوات والرقى المقدسة لطرد الأرواح الشريرة عنه. تعود روحه في اليوم السابع من رحلتها إلى الأرض، وتدخل الجسد، فيستيقظ فيراز من نومه، ويحكى ماحدث معه. وفي القرن التاسع- العاشر الميلادي أُلف كتاب عن (فيراز الصالح), ترجمه من البهلوية إلى الروسية آرثر أمبار تسوميان، ونقله من الروسية إلى العربية الدكتور خليل عبد الرحمن. يتضمن الكتاب تفاصيل رحلة (آردا فيراز ناماك) إلى السماء وانتقاله إلى الأرض بعد ذلك.(14)

ثامناً:ا لمعراج عند اليهود

لدى مراجعتي لأحد النصوص الدينية المعروفة بــ (قه ولێ ئێزى ومه ده هێ)، لفت انتباهي ما ورد في السبقات (4، 15، 16، 17) عن رمزية نجمة الصبح (ستێرا سبه هێ)، والمِصْعَدُ (السُّلَّمُ)/ (سێلم) المسند إلى جدار القصر الساكن فيها (عزير/ أو عزيز)! عن أية نجمة صباح، وعن أي قصر، وعن أي (عزير) يتحدث النص الديني؟!

4 - بستێرا سبەهێ ئەز خەلاتكرم / بنجمة الصباح أكرمني
بسێ حەرفا خەبيركرم / وجعلني خبيراً بثلاثة أحرف (معاني)
هاتيمەو ڕابوهرم /قادم أنا لأكمل المشوار
15 - پە دشايێ منى دەليل عێلم / إلهي العليم العارف
ئەز بەر بوێ ڕم / أنا ذاهب (مَعَرجُ) إلى هناك
بقەسرێ ڤەنا سێلم /أُسند (السُّلَّمُ) إلى جدار القصر

١٦- سێلم بقەسرێ ڤەنیا /أُسند المِصْعَدُ (السُّلَّمُ) إلى جدار القصر
کولاڤە وە لێ شدیا / هكذا شدّ الأوتاد
ئیلاهیۆ! تویی مشوری لهەموو جیا/ إلهي أنت مشهور في جميع الأماكن!
١٧- ئەو بوو قەسرا عزێری تێ / كان ذلك القصر الساكن فيه (عزير)
دەستخەت وبێری تێ /وفيه المخطوطات والكتب القديمة
خولام وجێری تێ / وفيه الخدم والجواري

بعد البحث بين العديد من المصادر، توقفت عند كتاب البروفيسور آرثر جفري، الفصل المخصص لـ "الإسراء والمعراج"[15]. يرى آرثر جفري أن ميثة الإسراء لا علاقة لها مع سورة النجم، كما يقول معظم المسلمين. }وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{]النجم:-1 2[. تسبق سورة النجم سورة الإسراء بخمس سنوات على الأقل، في حين يجمع المسلمون عموماً على أن الإسراء والمعراج حدثا في وقت واحد[16]. ويرى البروفيسور جفري أن المسلمين نقلوا سورة الإسراء والمعراج من الأدب الديني اليهودي- المسيحي، وتبنوا ميثة سلّم يعقوب الواردة في سفر التكوين:

"تك:10-28: وخرج يعقوب من بئر سَبْعَ ومضى إلى حاران. تك:11-28: وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت. فأخذ بَعضَ حجارة المكان. فوضعها تحت رأسه ونام في ذلك المكان. تك:12-28: وحَلم حُلْماً، فإذا سُلَّمٌ منتصب على الأرض ورأسه يلامس السماء، وإذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه، تك:13-28: وإذا الرَّبُّ واقف بالقرب من يعقوب، فقال: "أنا الرَّبّ إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. أعطيك الأرض التي أنت نائم عليها"، تك:16-28:"فاستيقظ يعقوب من نومه, وقال: "حَقّاً إِنَّ الرَّبَّ في هذا المكان، وأَنا لم أَعلَمْ". تك17-28: فخاف وقال: "ما أَرهَبَ هذا المكان! ما هذا إلاَّ بَيتُ الله! هذا باب السماء!"

إن كلمة (سلم) في اللغة الإثيوبية تعني المعراج، كما قال الباحث هوروفيتس (كتاب حكايات الصعود). ويقول أيضاً: إن اللغة الإثيوبية كانت طاغية، بعد السريانية طبعاً، في كتاب المسلمين المقدّس. ورد في لسان العرب:
مِعراج: (اسم).

الجمع: مَعَارِجُ ومَعاريجُ.

المِعْرَاجُ: المِصْعَدُ والسُّلَّمُ.

المِعْرَاجُ: ما عرجَ عليه الرسول ليلة الإسراء.

ليلة المعراج: ليلة السابع والعشرين من رجب. ليلة صعود الرسول إلى السماء. وهذا يعني أن النبي صعد على سلّم وليس على البراق الأسطوري. ويضيف البروفيسور: ليس من الضروري أن يكون المسلمون قد أخذوا ميثة المعراج عن النص الإثيوبي لسفر التكوين؛ فثمة عمل مدراشي معروف للغاية يهودياً-مسيحياً اسمه "سلّم يعقوب"، بغض النظر عن العمل المسمى "سفر أخنوخ-إدريس" الإثيوبي، الذي يتقاطع في كثير من نصوصه مع ميثة المعراج الإسلامية.[17] ما يهمني من هذه الإشارات، هو تضمين النص الديني الإيزيدي (ئێزيدو مەدەهێ) على ثلاثة عناصر(رموز) مرتبطة مع قصة وأسطورة (الإسراء والمعراج)؛ وهي:

أ- نجمة الصبح (بستێرا سبەهێ ئەز خەلاتكرم/ أكرمني بنجمة الصبح).

ب- المِصْعَدُ (السُّلَّمُ) (ستلم بقەسرێ ڤەنيا / أُسند المِصْعَدُ (السُّلَّمُ) إلى جدار القصر).

ت- عزيرأو عزيز (ئەو بوو قەسرا عزێرى تێ/ كان ذلك القصر الساكن فيه عزير).

استناداً إلى رواية رجل الدين (فقير خدر بركات كسو) وقناعته بأن النص الديني الإيزيدي المذكور أعلاه له علاقة بفتح مدينة القدس من قبل الملك نبوخذ نصر، في حين أن هذا النص يتضمن عناصر من أسطورة (الإسراء والمعراج). وهنا تقفز العديد من الأسئلة المحيرة إلى الذهن، أولها: هل بناء هذا النص متأثر بالميث اليهودي-المسيحي أم بالميث الإسلامي أم هو بناء خاص بموضوع آخر لا علاقة له بالاثنين؟ هل (السُّلَّم) المذكور في النص الديني هو (سلّم يعقوب) الصاعد من الأرض إلى السماء أم هو السلّم المسند إلى (سور القدس) أو (جدار قصر القدس) كما ذكرها الراوي في قصة نبوخذ نصر؟ السؤال الآخر: مَنْ هي شخصية (عزير/أو عزيز) في النص الديني؛ هل هي إشارة إلى (أوزيرا- أوزوريس- إيزيس) المَلِك المصري الذي اكتشف الزراعة والصناعة والأبجدية أم هو مَلَك الموت (عوزرائيل-عزرائيل) أم هو

(عزيز) مصر، ملك الهكسوس آسيس (Assis) أو (كرتوس-ساليتس- شيشي)؟ السؤال الأكثر حيرة هو: لو افترضنا أن الرموز الواردة في النص الديني هي إشارات إلى (سلّم يعقوب) أو (الإسراء والمعراج) الإسلامي، فلماذا يأتينا النص مكتوباً باللغة الكردية الكرمانجية؟ علماً أن (سبقات) أخرى من النص تتحدث عن قضايا قبل ظهور الدعوة الإسلامية.

تاسعاً: الإسراء والمعراج في الإسلام

قصة الإسراء والمعراج عند الإسلام معروفة؛ حول كيفية إسراء نبي الإسلام ومعراجه إلى السماء وعودته إلى الأرض على حيوان اسمه البراق. وهي قصة متداولة أعتقد أننا لسنا في حاجة إلى ذكر تفاصيلها. كما أن مفهومي (الجنّة والجحيم) يأخذان حيزاً كبيراً من الفكر والعقيدة الإسلامية. والنقطة الأكثر إثارة هي أن الشخص الذي يدخل الجنّة تنتظره عشرات الحوريات والغلمان وأنهاراً من اللبن والعسل، وما طاب ولذ من المأكولات!!

عاشراً: رسالة الغفران للشاعر أبي العلاء المعري

تعدّ عملاً أدبياً خالداً، وهي من أعظم كتب التراث العربي النقدي للشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري (973 - 1057م)، كما أنها أجمل ما كتبه الشاعر, وهي أحداث عجائبية كما يراها الشاعر. تضم الرسالة قسمين:

الأول: رسالة الغفران.

الثاني: الرد على ابن القارح.

وقد قسمت رواية الغفران إلى ستة فصول؛ الفصل الأول: في الجنة، الفصل الثاني: موقف الحشر، الفصل الثالث:عودة إلى ذكر الجنة، الفصل الرابع: جنّة العفاريت، الفصل الخامس: الجحيم، الفصل السادس: العودة إلى الجنة.

رسالة الغفران ذات طابع روائي. وقد كتبت في الأصل رداً على رسالة ابن القارح, فقد جعل المعري ابن القارح بطلاً لرحلة خيالية أدبية عجيبة, يحاور فيها الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الآخر. الغرض الأساسي من رسالة الغفران كما يُفهم

منها هو: التعبير عن وجهة نظر للدين والأدب والحياة بأسلوب أدبي، مع التركيز على الجانب العقائدي من خلال ربط الرسالة بالعقيدة التي يؤمن بها أبو العلاء نفسه.

حادي عاشر: دانتي أليغيري (ملحمة الكوميديا الإلهية)

ملحمة شعرية للشاعر الإيطالي الكبير دانتي أليغيري (1265 - 1321م). تعد ملحمة (الكوميديا الإلهية) التي تتألف من (14233) بيتاً شعرياً من أبرز الأعمال العظيمة على الإطلاق، ومن الأعمال الأدبية الخالدة. تحتوي على نظرة خيالية حول الآخرة بموجب فكرة الديانة المسيحية. وهي انعكاس لفلسفة القرون الوسطى التي سادت على الكنيسة آنذاك.

تنقسم الكوميديا الإلهية إلى ثلاثة أقسام: (الجحيم والمطهر والجنّة). والأقسام الثلاثة للقصيدة مقسمة إلى أجزاء داخلية. يضم كل من قسمي المطهر والجنّة ثلاثة وثلاثين جزءاً، أما قسم الجحيم فيضم أربعة وثلاثين جزءاً. ويعد قسم الجحيم الأشهر. هي رحلة خيالية يقوم بها دانتي في الممالك التي يسميها (الجحيم) والمطهر والجنّة في الآخرة، وتستغرق رحلته أسبوعاً فقط؛ يومان في الجحيم، وأربعة في المطهر، ويوم في الجنّة[18].

ثاني عشر: ملحمة مير مح (1563 - 1641م) عند الإيزيدية

هل هناك فعلاً شخص باسم (مير مح- مير محى) تُنسب إليه هذه الملحمة؟ أو (مير مح) هو اختصار لاسم الشاعر (فقي طيران/ فه قى ته يران) الذي كان اسمه الحقيقي (محمد) الذي غدا اللقب الشعري له؟ إذا كان هذا هو الرأي الصحيح، فنحن نواجه السؤال التالي: كيف وجدت هذه الملحمة وهذه القصة (الأسطورة) مكانتها البارزة بين النصوص الدينية الإيزيدية؟!

إذا راجعنا كتب الأدب الكردي وديوان (فه قى ته يران), فسنجد (به يتا دنى) من إحدى قصائده الشعرية ومنشورة ضمن ديوانه، يقول في البيت (63) الأخير مخاطباً نفسه:

میر محۆ هەرە فەلەك چۆ /یا میر مح فات الفلك ومضى
بحێجەتا دەوران گەلەك چۆ /وهكذا مضت دهوراً عديدة
سال هەزارو چلو یەك چۆ /ومضت سنة ألف وأربعمئة وواحد
وەرە زۆر هاتە دیارە /هات، قَدِمَ مبكراً
بحێجەتا بلبل وزارە[19] /على أنغام البلابل

مما لا شك فيه أن (مير مح) هو نفسه (مير محمد المكسي الهكاري) الملقب بـ (فقي طيران). هو أحد كبار الشعراء والكتاب الكلاسيكيين الكرد القدامى. وقد اختلف الكتّاب في سنة ولادته، فمنهم مَن قال سنة 1590م وآخرون قالوا سنة 1563، أما وفاته فقالوا سنة 1660م، وآخرون قالوا 1663. أما عن ألقابه الشعرية فسمّي بـ (مكسي) نسبة إلى مكان ولادته (مكس) بمنطقة هكاري. وسمي بـ (م.ح) أي مختصر (محمد). وقيل إنه كان يفهم لغة الطيور، يستمع إلى محاوراتها وزقزقتها فينقل ذلك إلى أصحابه، وقد نسج حول ذلك أساطير دُوِّنت في الكتب[20].

اشتهرت أشعار فقي طيران بالدفاع عن الفقراء والمظلومين. ولم يكتب في مدح الملوك والأمراء، وأبت كرامته أن يدخل قصورهم ويحضر مجالسهم. امتازت لغة أشعاره بالبساطة وسهولة الحفظ لذلك كان يفهمها الجميع, وانتشرت بين عامة طبقات المجتمع. كان في قصائده منفتحاً على الشعوب، ينادي بالمساواة والأخوة بينهم. إضافة إلى أن شعره ينتمي بمجمله إلى شعر التصوف والحب الإلهي؛ ولهذا وجدت العديد من أشعاره (أبيات وقصائد) طريقها بين النصوص الدينية الإيزيدية، نذكر منهم:

- بەیتا دنێ "بيت" الدنيا
- بەیتا دلۆ رابە "بيت" أفِقْ أيها القلب!
- حقاً تو پەدشایی أنت الإله حقاً!
- بە یتا نە سیحە تا/ "بيت" النصائح والإرشادات
- چیرۆك وبە یتا شێخ سە نعان/ قصة و"بيت" الشيخ صنعان
- چیرۆکا زە مبیل فرۆش/ قصة بائع السلال.
- داستانا کە لا دمدمی/ ملحمة دمدم

اعتقد أن قصة النبي سليمان وبلقيس ومحاورة الطيور، هي من تأليف فقي طيران.

هذه الدلائل القليلة التي أشرنا إليها حول الشاعر الكبير مير محمد المكسي الهكاري (فقي طيران) سواء من ناحية غزارة علمه واطلاعه وانفتاحه على عالم ذلك الوقت أم تناوله من كأس التصوف والعرفان - تقودنا إلى الاعتقاد الذي يصل إلى حد الجزم تقريباً، أن قصة الخلود (مير مح- مير محى) المتداولة إيزيدياً، هي من روائع الشاعر (فقي طيران) الذي تأثر حتماً بمن سبقوه؛ رسالة الغفران للشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري أو (الكوميديا الالهية) للشاعر والفيلسوف الإيطالي المتداولة في أوساط الكنائس المسيحية. لا يُستبعد اطلاعه على الأدب والثقافة الفارسية وكذلك على فلسفة الديانة الزرادشتية؛ مما دفع عقله المتقد وخياله الواسع إلى أن ينسج هو الآخر مثل أقرانه من الشعراء والفلاسفة الكبار قصة الخلود والممات والحياة الأخرى, وخلدت باسمه (داستانا مير مح)!!

أما عن الـ بايزوك"payizok" ، فهي الأخرى دخيلة على الأدب الديني الإيزيدي. الـ "بايزوك" ضرب من ضروب الأدب الغنائي الكردي الرفيع. تتميز بها منطقة بهدينان على وجه الخصوص. ومن شعراء بهدينان البارزين لنظم وغناء هذا النوع الشاعر الغنائي (حه مه كور) أو (حمكى توفيا [21] Hamke Toviya)

ملاحظات سريعة:

* فكرة الخلود والموت ووجود الحياة الأخرى، قضية جوهرية تقلق الإنسان منذ أقدم العصور وإلى الوقت الحاضر. فما الزقورات في وادي الرافدين, والأهرامات في مصر, والمعابد في الهند وبلدان جنوب شرقي آسيا، إلا شواهد حيّة لما كان يفكر فيه الإنسان. علماً أن فكرة الخلود والموت والحياة الأخرى تختلف بين الشعوب حسب دياناتهم وثقافاتهم وبيئتهم.

* تعد ملحمة كلكامش الأساس الفكري والعقائدي لجميع أديان الشرق القديمة، خاصة الإبراهيمية، في إيجاد (بديل رمزي للخلود) من خلال ربط خلود الروح بمفهوم وجود (الجنّة) أو بـ (تناسخ الأرواح).

*الأفكار الدينية أولاً وأخيراً ترتبط بالماورائيات والغيبيات وتلعب الأسطورة دورها البارز، لذا تكون الأحكام نسبية، ونسبية إلى حد كبير! وهي تدور في باب الاجتهادات والتخمينات. ومن الخطأ الكبير إعطاء الأحكام القاطعة بشأنها.

* يمكن تفسير فكرة الخلود من خلال العرض المقدم بمفاهيم مختلفة بين الشعوب والأديان؛ منها:

أولاً: إن الخلود من نصيب الله والملائكة والكائنات النورانية، والموت للبشر.

ثانياً: أما الديانات التي تؤمن بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح (الهندوسية والبوذية والإيزيدية الى حد ما), فإن كل إنسان يتمكن من نيل الخلود ويتحد مع المطلق عن طريق الزهد والتنسك وترك ملذات الدنيا.

ثالثاً: عدم استسلام الإنسان للموت كونه العدم والفناء، واعتبار الخلود (الجنّة) محطة, يلتقي فيها مع أحبائه الذين فقدهم في هذه الدنيا!

---

1. من هو نوح: يعد من الأنبياء، وحسب القصة الإيزيدية هو: (نوح ابن يزدان ابن شهيد ابن جر ابن آدم). وكان النبي نوح من سكنة قرية (عين سفني) التي تعني (عين السفينة)، ويطلق عليها الآن قضاء الشيخان وتقع شمال مدينة الموصل/ نينوى على بعد 46 كيلومتراً. وتبعد حوالي 12 كيلومتراً جنوب معبد لالش. وتقول القصة الإيزيدية إن الطوفان الأول بدأ من قرية (عين سفني) ومن عين الماء المسماة بـ (محيركا Mahirka) التي ما تزال موجودة, يرتادها الناس إلى الآن للتبرك والاستشفاء. حدث الطوفان هناك، كما تقول القصة، لأن قوم النبي نوح لم يؤمنوا باللهو ولم يصدقوا دعوته في عبادة الله, وأطلقوا عليه (نوح الكذاب)! إلاّ أن الله أمر نوح أن يصنع سفينة ويضع فيها عائلته مع زوج من جميع الحيوانات.
2. ألا يحتمل أن يكون هذا إشارة إلى (سبقات=المقاطع 21و22) من النص الديني (زه بوونى مكسور) التي تقول:
21 - پەدشایەو هەرچار یاره / الاله وخلانه الاربعة
لەرکەبێ دبوون سواره / صعد إلهي المركب
سەیرین چار کناره /ساروا في الاتجاهات الاربعة
للالشى سەکنین گۆتن: ئەڤە هەق واره!/ رسوا في لالش وقالوا: هذا هو الدار الحق.
-22 لحەق وار سەکنین /توقفوا في دار الحق
پەدشێ من هێڤێن هاڤێتە بەحرێ، بەحر دمەینی/ وضع إلهي الخميرة في البحر فاختمرت
دوخانەك ژێ دوخنی/ صعد منها دخاناً
هەر هەفت ئەزمان پێ نژنی. /خلق منها السماوات السبعة.
حسب رواية رجال الدين، المقصود بـ (الإله والخلان الأربعة): (الشيخ آدي، الشيخ حسن/سن، الشيخ فخرالدين، الشيخ سجاد الدين، والشيخ ناصر الدين). باعتقادي، المقصود (بالإله والخلان الأربعة) إما (الإله ومعه أربعة ملائكة)، أو(النبي نوح) وأصحابه الأربعة معه في السفينة التي تطوف بهم، وصلت جبل سنجار (سن القلوب), وتوجهت بهم إلى جبل الجودي، ولما كان الماء عكراً فلم يشاهدوا شيئاً إلى أن وصلت السفينة إلى لالش حيث رأوا ماء (كانيا سبى=العين البيضاء) زلالاً صافياً مثل القطن يصعد من ماء الطوفان، فقال نوح: قفوا هذا هو الدار الحق! (يراجع الحاشية رقم 1، صفحة 171، من كتابي: به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان, صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، الطبعة الثانية، سبيريز, 2013)
3. مقابلة مع القوال علي الهكاري.
4. بويى به ديلا نوحى نه بيه/كان عصر النبي نوح
5. المقطع (سبقه)41 و42 من النص الديني (زبوونى مكسور)
6. به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان، ق. زه بوونى مه كسور، ص185.

7. للمزيد عن فلسفة هرقليطس، مراجعة: الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى,الجزء الثاني، 1984.
8. الصالح (عبد الحميد): ماذا تعرف عن الطوطمية؟ 28/1/2017 موقع المكتبة العامة.
9. موقع ايلاف: عماد الدين ابراهيم عبد الرازق، الفيثاغورية وتناسخ الأرواح، 9 أكتوبر, 2016.
10. للمزيد يمكن مراجعة: فيلسيان شالي، موجز تاريخ الأديان، الترجمة عن الفرنسية: حافظ الجمالي، مكتبة المهتدين الإسلامية، دمشق، الطبعة الثانية, 1994، ص25 و49.
11. يوحنا بيداويد، الخلود في الديانات القديمة والفكر الإغريقي، الحوار المتمدن، العدد 2645, 2009 13/5/2009.
12. (يوحنا بيداويد، الخلود في الديانات القديمة والفكر الإغريقي، مصدر سابق).
13. عن كتاب "فيراز الصالح" يمكن مراجعة الترجمة العربية للدكتور خليل عبد الرحمن.
14. راجع: آفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة, دمشق، الطبعة الأولى, 2007، ص948.
15. آرثر جفري، البحث عن محمد التاريخي، ترجمة وتعليق: نبيل فياض، دار أبكالو، الطبعة الأولى, 2020، ص 101 وما بعدها.
16. آرثر جفري، ص 105.
17. ارثر جفري، البحث عن محمد التاريخي، ص 107-106.
18. الكوميديا الإلهية، دانتي أليغيري، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، الطبعة الرابعة لسنة 1955.
19. راجع ديوان فقى طيران، الجزء الأول، سعيد ديره شى ويێزانێ آليخان، مطبعة الحوادث، بغداد 1989، ص 207 و-107 135. وكذلك يراجع كتابي: صفحات في الأدب الديني الإيزيدي، الطبعة الثانية، دار سبيريز, دهوك, 2013، ص 782.
20. رشيد فندي، من ينابيع الشعر الكلاسيكي الكوردي، الجزء الأول, 2004.
21. ينظر: أنور مائي، الأكراد في بهدينان، دهوك, 1999، ص25. وينظر كتابنا: صفحات من الأدب الإيزيدي، مصدر سابق، الطبعة الثانية, 2013

الفصل الخامس

جولة في عالم المعاني والتاريخ
جذور بعض الكلمات القديمة

"من أسمائهم تعرفونهم" قول مأثور

اللغة هي الأساس التاريخي لظهور القيم الروحية والثقافية؛ فهي تحمل رغبات الإنسان وأفكاره إلى الآخر، وتحول عالم الذهن إلى الحوار مع المجتمع. وعالم الذهن بالنسبة إلى الإنسان القديم كان يعد امتداداً للعالم الموضوعي الخارجي ذاته. و"تنظيم استعمال اللغة كان مسؤولية إنسانية كبرى اشترك فيها أكثر من شعب من الشعوب القديمة، فقَدَّم كل منها ما يتفق مع ذاتيته ونوازعه الخاصة"[1]. وكان الإنسان القديم يؤمن إيماناً تاماً بأن الأحلام تضعه في علاقة مباشرة مع القوى غير المرئية، وما يحلم به هو حقيقي وحوادث تحدث في الواقع، وعدّ تسمية الشيء عملية خلقٍ له.

لذلك، فإن الكلمة أو حرية الكلمة هي حجر الزاوية في أي بناء فكري وحضاري. ويؤكد العلماء أن علم اللغة يتداخل مع علم الأجناس، فمع بدايات ظهور الكتابة، حاول الإنسان القديم نقل الصور الذهنية للأشياء إلى رسومات ورموز أولاً, ومع مرور الزمن وتطور الفكر إلى صور وكلمات، وظهور ما أطلق عليه العلماء (الخط المسماري) أول مرة عند السومريين، و(الهيروغليفية) عند المصريين القدماء، و(الأوغاريتية) في بلاد الشام.

إن وجود أسماء أشخاص أو آلهة أو مدن وقرى أو جبال وقبائل... إلخ لدى شعوب قديمة ظهرت على مسرح التاريخ, وأسست ممالك وإمبراطوريات في وادي الرافدين وآسيا الصغرى والهلال الخصيب ومصر القديمة؛ مثل: السومريين، الأكاديين، العيلاميين، السوبارتيين، الحوريين-الميتانيين، الآشوريين والكلدانيين، الخلديين، الحثيين، الآراميين... إلخ, ولدى مجموعة بشرية وإثنية في الوقت الحاضر- له دلالة على وجود علاقة بين الطرفين سواء أكانت علاقة إثنية أم روحية أم ثقافية أم علاقة الجيرة والاحتكاك أم الوقوع تحت تأثير الاحتلال، وإلى غير ذلك من الأسباب.

اللغة، أياً كانت، تعدّ خزاناً تجتمع فيه ثقافة جماعة معينة خلال مراحل متعددة تمتد آلاف السنين من عمرها التاريخي والحضاري. و(اللغة) تعبير عن معاناة

إنسانية ذهنية ترتبط بمرحلة تطور ذهن. وأيضاً ترجمة للمشاعر الفردية تجاه العالم المحيط به. ومن هنا كانت اللغة وما زالت الأداة الحقيقة القادرة على تحديد رغبات الانسان ونقل أفكاره للآخرين. على سبيل المثال لا الحصر، من خلال الحيرة بين "الحي الذي مات واندثر وبين صورته الذهنية" الباقية في خيال الأحياء، أدرك المصري القديم الفرق بين "الجسد والروح"، فبدأ الدين، وأشرق شمس الضمير، وميّز المصري القديم بين مادة الجسد وصورة الجسد "كا Ga" والروح المفارقة "با Ba". وأثّر ذلك التقسيم المصري في المنطقة كلها عقائدياً ولغوياً؛ فظهرت "الخا أو الأخت" تحريفاً عن "كا" المصرية (تبادل السقف حلقيات). وأثّرت "با" المصرية في (أب/آب) العربية السامية، بل في كل ما يتصل بالوالد في اللغات كافة[2]. فمن (كا Ga) مادة وصورة الجسد اشتقت (كا ga- كيان giyan أو كاده gadeh) بمعنى الروح. وكلمة (آمين) التي تأتي بمعنى "استجب" في لغات الأرض كافة عند تلاوة الأدعية والصلوات، هي في الأصل ترديد لـ (آمين) أو (آمون) الهيروغليفية والهيراطيقية ثم القبطية[3].

جذور بعض الأسماء الشائعة بين الإيزيدية

تتجلى الأهمية الكبرى للغة في كونها الخزان الذي تجتمع فيه ثقافة جماعات بشرية معينة خلال مراحل متعددة تمتد آلاف السنين من عمرها التاريخي والحضاري. كما تكمن أهميتها في ارتباطها الوثيق بالعقل، فهي تَعْبير عن معاناة ذهنية ترتبط بمرحلة تطور الذهن، وكذلك فهي القناة التي تُتَرْجم من خلالها المشاعر الفردية تجاه العالمين المادي والميتافيزيقي/الماورائي المحيط به. ونظراً لأهمية اللغة، رأينا أنه من الضروري الالتجاء إليها، علّها تفتح لنا بعض الدروب, وتلقي الضوء على جزء من تاريخنا المُغَيّب والمشوّه، سواء عمداً أم من دون قصد، وتساعدنا في انتشال بعض رواسب موروثنا الفكري والثقافي المنثور كالطحين بين أكوام القش!

تطبيقاً لهذا المنهج، كتبت في الفترة من 2 حزيران/2020 إلى 8 تموز/2020, ونشرت خمس حلقات تحت عنوان: "جذور بعض الكلمات القديمة" المتداولة بين الإيزيديين خاصة. فالأسماء مهمة جداً، فهي أول وأبسط دلالة على معنى الشيء.

والأسماء بمعناها الواسع تشكل الهوية الثقافية الجامعة للشعوب والمجموعات البشرية.

كيف يحتفظ المجتمع الإيزيدي بالعديد من هذه الأسماء والعبادات والعقائد؟ مع التركيز على جذور وامتدادات بعض الأسماء والكلمات القادمة حسب المعطيات من رحم ثقافة هندو-أوربية أو هندو-إيرانية، أثرت وتأثرت عبر التاريخ بثقافة الحضارة السومرية والأكدية والعيلامية قديماً، وربما وقعت تحت طغيان ثقافة حضارات أخرى كالفرعونية والأوغاريتية. فيما يلي بعضاً من هذه الكلمات:

تيرمه/تموز:

تير "السهم" من الكلمة الميدية (Tighra) بمعنى السهم. وهو اسم نهر دجلة (Tigir). كما أن (تيشتريا) هي نجمة وإلهة الأمطار في آفيستا[4].

كرمانج /كورمانج:

محرّفة من كلمة (ماه وماهي Mahi), تسمى ميديا باللغة الفارسية (ماه Mah) أي أكراد ميديا[5].

ملاحظة: يأتي في دعاء طاؤوس ملك، (سبقة، 5) كلمات كانت غير مفهومة، إلاّ أنه بعد التنقيب والنبش والتحليل، يبدو أن لها مدلولات تاريخية عميقة تفتح أمامنا أبواباً، جاء في السبقات:

• يا ره بى! تو خوداوه ندێ سه فه‌رى /يا رب! أنت الخالق الأبدي
تو خوداوه‌ندى ماهو مه‌رى (مه‌هو مه‌هرى) /أنت خالق الشمس والقمر
تو خوداوه ندێ چه ندى ئۆمه رى. /أنت خالق جميع الكائنات
تو خوداوه ندێ عه تايى / أنت الخالق الوهاب
يا ره‌بى تو خودايى! / وأنت خلقت نفسك بنفسك!
• يا ره‌بى ژ ناڤا تويى بلندى / يا رب! اسمك الأعلى بين الأسماء
ته ناڤ چه‌نده، تويى چه‌ندى / ما أعظم اسمك! وما أعظم مقامك!
تو (مزا زه‌ندێ) دوو پايى /أنت الإله الأعظم
يا ره‌بى تو خودايى! / وأنت خلقت نفسك بنفسك!

نقف هنا أمام كلمتين، الأولى في السبقة (4) وهي (ماهو مەهر Mah u Mahr) فُهم سابقاً أنها تعني (القمر والشمس), إلاّ أنه إلى جانب ذلك فكلمة (ماه Mah) تعني ميديا باللغة الفارسية، ومنها اشتقت كلمة (كرمانج أو كورمانج). وسمعت مراراً من الجيل الإيزيدي القديم (ئه م كورمانجن = نحن كرمانج), وقلما يقولون: (ئه م كوردن= نحن كرد) رغم أن كلمة (كرمانج/كورمانج) تعني وتشير إلى أكراد ميديا[6].

أما كلمة (مزا زندى) الواردة في النص الديني أعلاه ولم نكن نعرف مغزاها سابقاً، فهي في أغلب الظن (إذا لم نقل من دون شكّ) تحريف لكلمة (مزدا) التي أطلقها زرادشت في ذلك الزمان على الإله. وكل من كان يتبع زرادشت يسمى (مزداكا أو المازداياسنيين) أي عبدة الإله (مزدا/مازدا)[7].

*** إيزي:**

تحريف لكلمة (آسورا) الواردة في كتب (فيدا) الهندية، و(آسي) في الأساطير الإسكندنافية-الألمانية، و(آشا) الآفيستية البهلوية. ومنها جاءت كلمة (راست = الحقيقة) باللغة الكورمانجية الكردية, وتعني النظام والعدالة[8].

*** يازاديون:**

الأخيار والخالدون الكرماء الذين يحكمون على نحو قديم، ويحسمون الأمور على نحو صحيح. كما أن اليازاديون هم الذين يملكون بذور النار بداخلهم، راشنو-مالك بذور النار في داخله[9].

*** مجيور:**

من موبد Mobed))، موغ (Mog)، ماغ Mag))؛ وتأتي بمعنى (المجوسي) الذي حملته الطائفة الكهنوتية الميدية التي كانت حاملة لواء الزرادشتية، وظهر منها كتبة آفيستا الذين برعوا في الكتابة والعلوم. بات منتشراً فيما بعد في اللغات الهندو-أوربية تحت مصطلح (Magic) الذي يعني السحر. عرف المجتمع الكردي

بعد الإسلام مرتبة دينية مماثلة لتلك المرتبة التي احتلتها تلك الطائفة, ويطلق على صاحبها اسم (ملا Melle-Mella), كذلك عرفت السريانية لقب (مار Mar) بمعنى القديس[10]. كما أن مجيور (Migewir) /ماج أو ماغ Mag)): اسم قبيلة ميدية و (طبقة دينية) في الوقت نفسه، كما يقول الكاتب (كارلتون كون) في كتابه (القافلة)، وطقوس الديانة الميدية كلها كانت في يديها، وهي من أعرق القبائل وأعلاها مكانة في المجتمع الميدي. ومن الجائز أن يكون الكرمانج أو(الكورمانج) هم بقايا هذه القبيلة الميدية المتدينة التي كانت تسكن في الوطن الميدي حول بحيرة أورميه في كردستان إيران الحالية، ثم توسعوا في زحفهم بعد ذلك نحو الغرب[11].

ما زالت كلمة (مجيور Mijewir) باقية بقوة عند الإيزيدية، وربما (Magwar) تأتي بمعنى راعي المكان، كاهن المكان أو المعبد. كما أن وظيفة (مجيور) الدينية ما زالت فاعلة داخل المجتمع الإيزيدي، ولا تخلو قرية أو قصبة من معبد ومزار إيزيدي يخدمه الـ (مجيور) في جميع المناسبات والطقوس الدينية، إضافة إلى مراسيم الدفن التي تقام عادة في مقابر تابعة للمزار. كما تقام مهرجانات سنوية في فصل الربيع يطلق عليها (طواف) باسم معبد القرية أو المنطقة, يشرف عليها الـ (مجيور) عادة.

(گا Ga) /الثور:

(گو/Gu) السومري: الذي يقابله (گا Ga) = الثور في اللغة الكرمانجية الكردية.

من الجدير بالذكر أن المعتقدات الدينية قد تطورت عند الشعوب ارتباطاً بتطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية إثر نشوء الإمبراطوريات في الشرق القديم، ولا بد أن سكانها قد تأثروا بدورهم بالحضارات القديمة التي سبقتها كالحضارة البابلية والاشورية وعباداتها ومن خلالهما تأثروا بالحضارة السومرية، لكن الاعتقادات الدينية وأساطيرها الجديدة أصبحت هندو-أوربية. وهنا, وفيما يتعلق بموضوعنا, فإن (الثور الأول) وهو الحيوان الذي كان مقدساً عند السومريين، احتفظ بقدسيته في الأديان الإيرانية القديمة ومنها الديانة الزرادشتية. وتقول الأسطورة عندما أتم أهورامزدا خلْق الدنيا، خلَق الثور المعروف أيضاً بالثور الأول

الذي ما يزال يحتل المركز الرئيسي بوصفه أول مخلوق قبل الإنسان، ثم خلق الإنسان الأول الذي سمّي (كيو مرد) وهو (كيا- مرتن الآفيستية)، يقابله لفظة (كيان مردو) في الكردية الحديثة، أي المخلوق ذو الحياة الفانية الذي هو أول البشر[12].

يذكرنا الحديث عن الثور بـ (الثور السماوي) في ملحمة كلكامش وإنكيدو، عندما يتمكن هذان الصديقان من قتل همبابا (هواواوا) حارس شجرة الأرز في جبل لبنان. ويعودان إلى مدينة أوروك ويلبس كلكامش التاج، فتعجب به الإلهة عشتار وتطلب منه الزواج، لكن كلكامش يرفض الزواج منها، فتغضب عشتار وتصعد إلى أبيها الإله "آنو" وأمها "أنتو"، وتطلب الثور السماوي لينتقم من كلكامش، وإلاّ فإنها ستحطم باب العالم الأسفل، وتقيم الأموات حتى يأكلوا الأحياء. فيقول لها أبوها "آنو": إن أعطيتك الثور السماوي فستمر بلاد أوروك بسبع سنين عجاف، أي مجاعة. في الأخير يرضخ أبوها لطلبها ويعطيها الثور السماوي، وتدور معركة بين الطرفين؛ كلكامش وإنكيدو من جهة والثور السماوي من جهة أخرى، في النهاية يتمكن الصديقان من قتل الثور السماوي[13].

وفي الآفيستا والبهلوية تستخدم كلمة (Ga) نفسها. ورد في آفيستا أن زرادشت اهتم بالزراعة بالدرجة الأولى وبالماشية والحيوانات الأليفة بالدرجة الثانية، وفي بعض الأحيان تتساوى الماشية مع الزراعة في الأهمية. ووصل الأمر بزرادشت إلى ما يشبه مرض الرأفة بالحيوانات، وأكبر جريمة ترتكب بحق الحيوان النافع هي اللهو بقتله في الصيد وغيره من ضروب اللعب بالحيوانات. ومن الحيوانات التي احتلت مكاناً مقدساً عند زرادشت (الثور Ga). وما يؤكد ذلك أن الإله آهورامازدا -حسب آفيستا- خلق الثور والإنسان في آن واحد. فالثور تجسيد للخصب، ولعب دوراً رئيسياً في المجتمعات البدائية. فهو القائم على إخصاب البقر وازدهار القطيع[14].

كا أشير إلى أن الثور في الآفيستا يسمى (Ga)، وهو الاسم نفسه باللغة الكورمانجية. يلاحظ بدقة أن جميع المفاهيم المتعلقة بالإخصاب والجنس قريبة أو مشتقة من جذر (Ga).

في الميث الإيزيدي وفيما يتعلق بأحد جوانب نشأة الكون، يلعب الثور دوراً بارزاً. على قرنه تستقر الأرض! وما الهزّات الأرضية التي تحدث -حسب الميث نفسه- إلاّ

نتيجة لتحويل الثور الأرض من قرن إلى قرنه الآخر! وفي نص ديني (قول جمجمي سلطان) يصل الثور إلى مستوى الملائكة، ويصعد السماء, باحثاً عن (جمجم سلطان) فيما إذا كان موجوداً في الجنّة أوالجحيم، ويدور بينه وبين الملاك المسؤول عن الجحيم حوار, يبلّغه فيه بوجود (جمجم سلطان) عنده، ويتبين بعد تهديد الثور السماوي للملائكة أو الملاك المسؤول بتهديم الجحيم، يُطلق سراح (جمجم سلطان)!

وفيما يلي بعض المقاطع من النص الديني:

31 - گاى ویٚ دچییە بقودرەتا ئیلاهییە/يذهب الثور بالقدرة الإلهية

چار قورنەتی دنیایێ گەرییە /يطوف جهات الدنيا الأربعة

لدەریٚ بەهشتێ گەهشتیە. /إلى أن وصل باب الجنّة

32 - گاى ژ مەلەكێ بەهشتێ دپرسییە: /سأل الثور ملاك الجنّة:

تو بوی كەی ئیلاهییە، بۆ من بێژە راستییە /أُحَلِّفُكَ بحق الرب، قل لي الحقيقة

ئێ بەری سێ رۆژا هاتی، كییە؟ / منْ القادم إليكم قبل ثلاثة أيام؟

35 - گا ویٚ دچییە لدەریٚ دۆژێ گەهشتیە / يذهب الثور إلى باب الجحيم

ژ مەلەكێ دۆژێ دپرسییە /يسأل ملاك الجحيم

بەری سێ رۆژا جومجم نەهاتیە؟ /ألم يأتِكم جمجم قبل ثلاثة أيام؟!

36 - مەلەكێ دۆژێ ژ گا را دبێژیە /يقول ملاك الجحيم للثور:

بفروارا ئیلاهییە /بأمر الله

جومجمێ تە لنك منى گرتیە. /(جمجم) معتقل عندي!!

38 - گای چیكریە /ما الذي فعله الثور؟

سە رێ خۆ ب دیوارێ دۆژێ ڤەنایە / نطح جدران الجحيم بقرنيه

بقەوتا ئیلاهیە، دۆژە خدی هژاندیە/ وهزّ الجحيم بقوة الله!![15]

يلاحظ هنا التشابه والتقارب بين الإلهة عشتار والثور السماوي، مع فارق أن الثور السماوي في هذه الأسطورة, ومن خلال هذا النص الديني، يواجه الملاكين المسؤولين عن الجنّة والجحيم. أما في الأسطورة السومرية فإنه يحارب كلكامش وإنكيدو. هي الفكرة نفسها تقريباً مع تغيير في الأدوار والشخصيات بسبب اختلاف الناقل واللغة والفترة التاريخية الطويلة.

يجب عدم إغفال دور الثور في الديانة الميثرائية؛ إذ يلاحظ في الطقوس الميثرائية التي كانت تقام في أثناء التضحية بالثور، حضور العناصر الحيوانية مثل: الحيّة، الكلب، العقرب، الديك، الغراب، الأسد، القطة وغيرهم من الطيور والحيوانات. ما زلنا نلاحظ آثار هذه الحيوانات في وقتنا الحاضر بين الإيزيدية سواء في معابدهم أم ضمن ممارسة تقاليدهم وطقوسهم. ستكون لنا وقفة مطولة تستوعب جوانب عدة.

هكار- هكاري والسمكة المقدسة و (هوم) شجرة الخلود:

تلك الشجرة التي تنمو على ضفاف نهر العالم (راه-رانها). وشجرة (هوم) محمية من قبل السمكة المقدسة (كار - كارا) بالآفيستية المخلوقة من قبل أهورامازدا، فهي تحمي (هوم) من ضفادع وجرذان الأبالسة[16].

هل يمكننا الظن أن (هوم) هي الشجرة نفسها (هرهرHarhar) الموجودة في الجنة حسب المعتقد الإيزيدي؟! وهل يحق لنا أن نتصور وجود علاقة بين (السمكة المقدسة الزرادشتية) والسمكة التي يرد اسمها في أدعية ونصوص الديانة الإيزيدية؟!! وهل يحق لنا (الافتراض) بوجود علاقة بين السمكة المقدسة (كارا) ومعها جبل وعشيرة (هكار) المتكونة من مقطعين (هه م- هوم + كار= همكار- هومكار)، وبعد التحريف أصبح (هكار) والمنسوب إليها من الأشخاص (هكاري) = السمكة التي تحمي شجرة (هوم) أو (حامية (هوم)؟! تقول أحد المصادر إن هكار من الكلمة السومرية (A- GAR) التي تعني حفرة الماء، تقابلها في اللغة الكردية (آفكير AV-GÊR)، وتعني حفرة الماء أيضاً[17]. وقد أشرنا إلى جذر كلمة (هكار) في مكان آخر من الكتاب.

دعماً لفرضيتنا هذه، كانت الشعوب القديمة في الشرق القديم تعدّ منطقة ميديا (المناطق المحاذية لبحر قزوين التي تشمل حالياً شمال إيران وأذربيجان وبعض مناطق القوقاز (فردوساً). فإن اسم (بهشت Bihisht/الفردوس) الذي دخل أغلب اللغات الهندو-أوربية، ودخل الإسلام أيضاً بمعناه الآفيستي لتوجيه أنظار العرب في بيئتهم الصحراوية القاحلة إلى فردوس ميديا الذي يعوضهم في الآخرة عما افتقدوه في حياتهم الدنيوية، إن هم اتبعوا الإسلام ديناً[18].

* هارايتي/(هارا):

جبال أسطورية تحيط بالأرض. وتسمية (هارا- برايزيتي) تعني حرفياً (هارا العالية). وكلمة (Berz) الكردية تعني العالي أيضاً. وجبل (هارا) في المقطع (21) من آفيستا يبدو هو الجبل نفسه (هكاري Hakare-Hakari) الذي يقع في كردستان الشمالية تركيا. وفي فترات متأخرة استخدم جبال البورس في شمال إيران؛ وجبال بورس في القفقاز/القوقاز, و(الاسمان موجودان في الآفيستا). وربما تكمن في التصور عن جبال (هارا) العالية ذكرى جبال بامير-هيندوكوش في جبال طاجيكستان أو الجبال الشاهقة في كردستان[19]. ويأتي في آفيستا أن صوت مياه (اردفيسورا أناهيدا) مسموع من بعيد، وهي الوحيدة التي تساوي حجم كل المياه التي تتدفق في الأرض. وتنحدر بصوت قوي من أعالي جَبل (هكاري) إلى بحر فاروكاش[20]. كما جاء اسم منطقة (هكاري) في الآفيستا ضمن أراضي كردستان[21]. ويأتي في (الياشت 121): {أنا أريد تقديس القمة الذهبية لجبل "هكاري" المبجلة من قبل الجميع/ ومن قمتها التي تضاهي ألف رجل/تتدلى أردفيسورا أناهيتا/التي يعادل طولها كل المياه/التي تجري هنا على الأرض/ساعية إلى الأمام وهي مليئة بالقوة}[22].

يرد في (ياشت 10) المقاطع/النصوص (50، 51،118) اسم جبل (هارا/هكار) كما يلي:

50 - شيد اهورامازدا/مسكنه فوق قمة جبل "هارا"

مسكن عال وساطع/ لا يوجد فيه الظلال والليل

لا البرد ولا الصقيع/لا الأمراض ولا الموت

لا النجاسة ولا الأبالسة

التي لا تستطيع أن تصعد فوق قمة جبل "هارا"

51 - حيث يرى ميثرا من قمة جبل "هارا" كل العالم المادي.

118 - كالشمس التي تحلق بطيرانها عبر جبال "هارا"[23]

وفي ياشت 11(سروش-ياشت) المقطع 24:

24 - إن كنت يا راشنو المقدس فوق جبل هكاري الأعلى ذي الجروف العميقة

المصنوعة من الذهب، تقفز من نهره أردفيسورا أناهيدا من ارتفاع طوله ألف إنسان، فإننا نتضرع إليك ونباركك[24].

وفي (فرافاردين – ياشت) = (ترنيمة الأرواح):

6 – أناهيدا الأنهار الجارية بعظمة من قمة جبال "هكاري"[25].

وفي ياشت 15 (رام ياشت):

15 – قدم له الراعي الصالح ييّما قرباناً في أعالي جبل "هكاري" اللامع على عرش ذهبي تحت أشعة ومظلة ذهبية مع خرم من البارسمان والحليب المغلي جيداً[26].

-28 عندما صلى ييّما، مال القطيع الطيب على قمة جبل "هكاري" (أرد-ياشت) [27]

* أدو Addaw:

إله حوري، كان يسمى (حدد/هدد) إله الطقس السامي في خلب (حلب). وكان من أشكاله المحلية للإله (تشوب). وامتد نطاق نفوذه القدسي من آسيا الصغرى ضمناً شمالاً إلى أوغاريت (رأس شمرا) الحالي على الساحل السوري غرباً، وإلى (نوزي) في منطقة شرق دجلة. ووير جح أن بذور عبادة هذا النموذج المحلي للإله الحوري (تشوب) نقلت منذ العهد الحثي القديم إلى العاصمة الحثية ختوشا (خاتوشا)[28].

ونقرأ في حاشية الكتاب نفسه أعلاه/ الصفحة (197) التوضيح التالي: "لاحظ الشبه الصوتي والدلالي بين الإله (أدّو) بمعنى (الواهب/المعطي) بوصفه إله المطر والنماء، واسم (آدو/آدي) في التراث الكردي الإيزيدي، وقد تحول في اللغة السامية إلى صيغة (حدد/هدد)، وتحول بالتعريب إلى صيغة (عدي/عادي) في العهد الإسلامي. ومن ذلك اسم (عدي بن مسافر) شيخ الإيزيديين الأكبر، و بعد تعريب اسمه نُسب إلى سلالة الأمويين العرب.

نلاحظ في وقتنا الحاضر وجود اسم (أدو/آدو) نسبة إلى إله الحوريين (أدّو). ووجود كلمة (مادو) نسبة إلى الشعب المادي. وهنالك أسماء كثيرة بين الإيزيديين ترجع نسبتها إلى شعوب وأقوام قديمة.

مازالت تحتفظ الديانة الإيزيدية بأسماء لرجال ونساء تشابه وتماثل أسماء شعوب قديمة حكمت المنطقة التي يوجد فيها الإيزيديون إلى وقتنا الحاضر, بدءاً من عفرين غرباً إلى آسكي كلك شرقاً، ومن وان شمالاً إلى سنجار. مع العلم أن الإيزيديين كانوا منتشرين في شمال إيران/منطقة الشكاك وفي مناطق أربيل وكركوك وصلاح الدين/تكريت، فضلاً عن انتشار بعضهم في منطقة كرمنشاه (مشور ختي بسي). ومن هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر: (آدو، مادۆ، سينۆ، سيتۆ، كالۆ، مودي، مورێ، مودۆ، ماري، شەمو/شەمێ، رەمۆ، ختي..) هذه أسماء حورية وميدية.

ويحتفظ الإيزيديون في تراثهم الديني اسم (شمسى آديا)، وهو (شمسي أدد الأول) من ملوك الآشوريين (1364-1390ق.م.). ويعدّ بعض المؤرخين الآشوريين من الشعوب الهندو-أوربية، ولهم صلة قرابة بأسلاف الكرد[29]. واسم خاتێ Khate-Xate يعود إلى الحثيين، وهو اسم مملكتهم.

كلمة (بك Bag أو Beg) المستخدمة بين الكرد عموماً وعند الإيزيدية خصوصاً، يُسمى الأمراء بها (حسن بك، تحسين بك، خيري بك، جولو بك). أصلها من كلمة (باكا Baga) اسم إله. أدخل الكاشيون طقس عبادته إلى بابل باسم (بوكاش Bugash أو Bogash) في الألف الثاني قبل الميلاد. وبكنية هذا الإله سميت (بغداد Baghdad) أي عطاء الله. وحمل الملك الحوري (بكوك Baguk) اسما مشتقاً من اسم هذا الإله.

زمزم

جولة قصيرة في معرفة جذور بعض الكلمات ومعانيها وتطور بعض منها. جولتنا هنا مع كلمة (زمزم) التي تطغى عليها القدسية خاصة عند الإسلام؛ فهي توجد في الكعبة, وترتبط باسم بئر ماء زمزم وبقصة ولادة النبي إسماعيل ابن أبي أنبياء الديانات الإبراهيمية (اليهودية، المسيحية, الإسلام). كما يوجد نبع ماء رقراق عذب ينبع من الجبل, ويتدفق في معبد لالش الإيزيدي المقدس.

تعريف ومعنى زمزم لدى العرب:

زمزم (اسم): الزَّمزم من المياه: الزُّمازِم.

زمزم (فعل): زمزم، زمزمةً، فهو زُمزِم، والمفعول: مزمزَم (للفعل المعتدي).
زَمزَمَ المغني: أي ترنم ودندن.
زمزم الرعد: أي أحدث دوياً.
زمزمت النار: أي أحدثت صوتاً بلهيبها واحتراقها.
زمزم الدرس: أي حفظها.

قالت العرب: إن (زمزم) هو اسم علم مؤنث، وهو اسم البئر المباركة لديهم الواقعة على بعد عشرين متراً من الكعبة. يتبرك بها المسلمون ويشربون من مائها. وقالت العرب: سميت (زمزم) لكثرة مائها. وقيل: اسم لها وعلم مرتجل أو لضّم هاجر لمائها حين انفجرت وزمّها إياه. وقيل إنها سميت (زمزم)؛ لأنها زمت بالتراب لئلا تسيح الماء يميناً وشمالاً، ولو تركتها لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء.

وقيل سميت زمزم بزمزمة الماء وهي صوته. وقيل سميت بزمزم لكثرتها. يقال ماء زمزم أي كثير. وقيل لاجتماعها وحركتها. ويقال سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة والهزمة الغمز بالعقب في الأرض.

لماء زمزم قصة أو أسطورة عند العرب المسلمين وغيرهم من الأديان الإبراهيمية. ترتبط بالخلافات التي حدثت بين سارة وهاجر، عندما حملت من إبراهيم فأخذ إبراهيم الخليل زوجته هاجر، وتركها في وادٍ مقفر لا زرع فيه ولا ماء ولا بشر، حيث ولدت بعد ذلك مولوداً سمي إسماعيل! ومرّت بضعة أيام، ونفد ما معها من الزاد والماء، فبكي الطفل الرضيع وتألم من شدة الجوع والعطش، فراحت أمه هاجر تبحث هنا وهناك, وتسعى بين الصفا والمروة (جبلان في مكة) عدّة مرات علّها تجد ماءً أو طعاماً أو بشراً، ولكن دون جدوى، حتى بلغ سعيها بين الصفا والمروة سبع مرات. وعند المروة سمعت صوتاً؛ فإذا جبريل يضرب بجناحيه الأرض، فنبع ماء زمزم عند أقدام الطفل الرضيع إسماعيل!

وقالت العرب أيضاً: إن (زمزم) اسم فارسي لأن سابور الملك لما حجّ البيت زمزم عليها. والـ (زمزمة) ترتيلة دينية ينشدها الموبذون في أثناء تحميد الله وتعميد الأجساد وغسل الأطعمة والأعمال الأخرى. وهي كلام المجوس وقراءتهم في صلاتهم، لأن الفرس يعتقدون أن أباهم إبراهيم.

نلاحظ من معاني (زمزم) أنها تحمل صفة الصوت والحركة، كما أنها تعني عند العرب الكثرة والاجتماع. (يراجع معجم الغني، الرائد، الوسيط، ومعجم الأصوات).

زمزم في اللغة النوبية:

يذكر التراث الشفهي للنوبيين في شمال السودان وجنوب مصر أن (هاجر) الزوجة الثانية لإبراهيم كانت في الأصل نوبية. ويدعم هذا القول عدة اعتقادات، منها: أن اسم (هاجر) يقابله النطق نفسه في اللغة النوبية (هاقجر) التي تعني الجالس أو المتروك. والمعنى المباشر لـ (هاقجر) هو سوف أجلس، ربما إشارة إلى تركها وحيدة في مكة! ويعتقد النوبيون أن السيدة هاجر نطقت بكلمة (زمزم) عندما انفجر الماء من تحت قدميها في أثناء الولادة. ويقابل كلمة (زمزم) في اللغة النوبية (سم) التي تعني في اللغة العربية فعل الأمر (جفّ)، فقد كررتها مراراً, وهي تدعو الماء للتوقف: (سم سم) أي (جف جف), وتحوّر النطق فأصبحت (زمزم)!

زم وزموم في اللغات الهندو-أوربية:

تُعد اللغات السلافية أو "الصقالبة" مجموعة فرعية من اللغات الهندو-أوروبية. يتحدث بها سكان أوربا الشرقية، البلقان, وأجزاء من أوربا الوسطى, وجزء من شمال آسيا. واللغة الكردية هي لغة آرية تنتمي بدورها إلى اللغات الهندو-أوربية, وذات قرابة باللغة السنسكريتية في الهند وكذلك الجرمانية. ويرجع السلافيون في أصلهم إلى الشعوب الهندو-أوربية المنحدرة حسب المصادر التاريخية من مناطق بحر قزوين والساحل الجنوبي للبحر الأسود. توجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات المشتركة أو كلمات لها معنى متشابه. إحدى هذه الكلمات هي موضوع بحثنا:

(زم) و (زموم) هي المناطق التي تكثر فيها عيون الماء, وتنبت فيها الحشائش والمراعي, وتمتاز ببرودة الجو حتى في فصل الصيف؛ يتوجه إليها الرعاة بقطعان ماشيتهم وحيواناتهم. وتقع هذه المناطق غالباً في المناطق الجبلية والهضاب العالية. الـ (زم) كلمة من اللغات الهندو-أوربية ومنها اللغة الكردية التي تعني البرد،

و(زمستان) بمعنى فصل (الشتاء) موجودة في الميدية والفارسية. وهي تطابق المقطع الأول من الكلمة الكردية (زمستان، زفستان). وهي نفسها التي تستعمل في جميع اللغات السلافية؛ البلغارية والتشيكية والأوكرانية والبولندية واللتوانية والمقدونية والصربية (زيماzima,)، الروسية (زيموي zimoy)، والسلوفاكية (زيمنى zimne).

الزموم جمع (زم). يعني محال الأكراد ومنازلهم بلغة فارس. (نزهة المشتاق، ج1/ص418 ومعجم البلدان ج3/ص71). وما تزال تطلق على المحال الخاصة بالقبائل الرحالة في المراعي الجبلية (زومه), وتعني مجموعة من الخيام[30]. وتعني الـ (زوم) أيضاً مناطق المراعي الباردة في الصيف وفيها عيون الماء العذبة، ومنها تأتي الكلمة الكردية (زوزان) بمعنى المصايف أو مكان الاصطياف، عكسها الكلمة الكردية (كرميان Garmiyan) بمعنى المناطق الحارة، كان الرعاة الرحالة يتنقلون في الشتاء من المناطق الباردة (زوم – زوزان) إلى المناطق السهلية الحارة.

ويقول البلاذري وكذلك الطبري في تاريخهما, شكلت القبائل الكردية (زموم الأكراد) المقيمة في إقليم فارس المطل على بحر فارس (الخليج) جنوب إيران منذ العهد الساساني وخلال العهود الاسلامية الأولى -أحد عناصر السكان بالإقليم, وكان لها دور مهم في الأحداث السياسية التي شهدت منطقتهم أيام الفتوحات الإسلامية و العهد الأموي[31].

إذا افترضنا أن (زمزم) الموجود في مكة مرتبط بقصة/أسطورة إبراهيم الخليل وخلافات زوجتيه سارة وهاجر، وإبعاد الأخيرة وتركها في واد مقفر لا زرع فيه ولا ماء ولا بشر، وفي تلك الأرض تلد هاجر وليدها الذي سميّ بإسماعيل -فإن هذا الافتراض يضع إبراهيم الخليل والقصة برمتها، وحتى اسم مكة، في ميزان البحث والتحقيق.

أولاً: التحقق من: هل هنالك فعلاً شخصية تاريخية باسم إبراهيم ولدت في (أور كلدان) في جنوب العراق، وتركت (الشخصية) مكان ولادتها متجهة صوب الشمال الغربي حيث مدينة أورفا، ثم إلى الشام ومصر والحجاز؟!

ثانياً: لماذا سلك إبراهيم وعشيرته كل هذا الطريق الطويل ولم يختصره بعبور نهر

الفرات، متجهاً إلى الشام من أراضي الأردن الحالية, وبعدها يتجه صوب فلسطين ومصر والحجاز؟! هل (إبراهيم) هو انعكاس لصدى (براهما) الأيونيم Epo-nym)) اسم رمزي طوطمي لجماعة عرقية من موجة إيرانية, استقرت في (أور) عبر لورستان في إيران, ثم هاجرت إلى حران في عهد الكاسيين (1800ق.م.) كما يكتب العلامة د. لويس عوض في كتابه مقدمة في فقه اللغة العربية، ص20؟

إن صحت هذه النظرية، فمعنى ذلك أنه لم يكن لبئر زمزم ومكة التي شيدت حوله فيما بعد من وجود قبل 1800 قبل الميلاد! وكل ذلك يضعنا أيضاً أمام إعادة النظر في قراءة التاريخ نفسه، والبحث عن الانتماء العِرقي لإبراهيم الخليل نفسه وعشيرته!

إن المتتبع لبعض المصادر التاريخية التي تتحدث عن حركة الشعوب والمجموعات البشرية القديمة، يلاحظ على سبيل المثال أن قبائل الهكسوس كانوا من الشعوب الهندو-أوربية, وقد تحركوا من شمال آسيا إلى مصر نحو الألف الثاني قبل الميلاد, وحكموها مئات السنين, وطُرِدوا منها زمن الفرعون أحمس ونزحوا إلى الجنوب. يقول د. لويس: "من حقنا أن نشتبه في أن الحجاز كانت المنطقة التي لجأ إليها "الحكاخازو-الهكازو" أوالهكسوس بعد طردهم من مصر." وأنهم أعطوا اسمهم (حكاخازو) إلى الحجاز، وأن ملك الهكسوس (خمودي Khamoudi) الذي ورد اسمه في بردية تورين, فيه جميع العناصر الفونطيقية في اسم (ثمود). ويبدو أن ثمود التي ازدهرت في القرن الثاني قبل الميلاد في شمال الحجاز أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر، وكان لها بعض الشأن نحو ثمانية قرون قبل الإسلام, ثم أهلكها الله كما أهلك "عاد". وأن عادَ أو "ختيKhatti" هم جيل من أجيال الهكسوس[32]. كما أن مكة (ملكاي Malichai) هي صيغة مجزأة من "ماهليك "Mahlik الحامية. وكان يسكن مكة قبل الإسلام "العماليق" ومنهم بنو جرهم. ومكة، كما ورد في بطليموس، وهي (ملكاي) أو موطن "أماليك" أو عماليق المذكورة في التوراة[33]. وعندما طُرد الهكسوس أو ملوك الرعاة من مصر استوطنوا الحجاز, واتخذوا مكة عاصمة لهم"[34]. ويذكر د. عوض في الصفحة (41) من كتابه "إن العرب حين نزلوا شبه الجزيرة العربية، كان فيها سكان أصليون. منهم العماليق

الذين نعرف من قصة الخروج في التوراة أنهم كانوا مستقرين في الحجاز إلى الجنوب من فلسطين قبل خروج بني إسرائيل".

وبناءً على ما تقدم، ليس من المنطقي أن ينزل قوم مثل الهكسوس الذين حكموا مصر أكثر من قرنين ونصف في مكان مقفر لا ماء فيه ولا كلأ! وبذلك يكون بئر (زمزم) موجوداً قبل ترك إبراهيم زوجته هاجر وولادتها لإسماعيل. وأن (زمزم) كلمة هندو- أوربية من لغة الهكسوس، ذلك الشعب الآسيوي القادم من مناطق القوقاز، كما أُشير إليه أعلاه.

استكمالا لموضوع بحثنا، نستنتج إن كلمة (زمزم) في معبد لالش تدخل ضمن لغة واصطلاح الشعوب الهندو-أوربية، وإن ربط اسم نبع (زمزم) في لالش الذي ينبع ماؤه من جبال هكار بكردستان العراق بـ (زمزم) مكة في الحجاز يدخل من باب الأسطورة، وربما دخلت التراث الثقافي الايزيدي، نتيجة تشابه جذور الإيزيديين الحاليين مع الهكسوس، أو دخلته من باب التقية!

* دا، داي، دايك، دايه/ الأم، خوشك، خوينك، خوه= الأخت، وكذلك (كيان/الروح Giyan) و (كاوده/الجسد Gawde)، هي امتداد لكلمة (كا Ga) صورة الجسد في اللغة المصرية القديمة.

* باب، بابير/الأب والجد:

هما امتداد لجذر كلمة (با Ba) مادة الجسد, أي الروح في اللغة المصرية القديمة. كما نجد هذا الجذر في كلمة (أب و آب) المستخدمتين في اللغة العربية، و (تاباخ- آب) المستخدمة في اللغة الكورمانجية الكردية.

دوتمام/ ابنة العم

بمعنى بنت العم. جذرها من الكلمة السومرية (DUMO-MI). المقطع الأول ((DUMO يعني الطفل، والمقطع الثاني (MI) يعني الأنثى. ومنها الكلمة الكردية (مى MÊ), كما نقول في كلمة (مێ كەو MÊ KEW) أنثى القبج، أو كلمة (دوتمام DUT MAM) محرفة من (DUM MAM) التي تعني ابنة العم.

* **آمين:**

الكلمة الدينية التي تردّد في الأدعية لدى العديد من الأديان. هي امتداد لكلمة (آمون) الهيروغليفية أو (أخناتون) إله الشمس. ربّ سائل: وما علاقة لغة مصر القديمة وثقافتها بنا؟ هذا ما سيقودنا إلى دراسة الهجرات البشرية، من ضمنها هجرة قوم إبراهيم الخليل وغيرهم من الأقوام الذين دخلوا مصر القديمة من ناحية الشمال وحكموها أكثر من خمسمئة عام. إضافة إلى العلاقات، ومنها المصاهرة بين حكام مملكة ميتاني الحورية شمال سورية الحالية وبين فراعنة مصر آنذاك.

سما Sama:

أصلها من كلمة (ساما فيداSama Vida) السنسكريتية. وتعني أنغام المعرفة، وليس لها علاقة بـ (السماع) العربية. و كانت (ساما فيدا) في الديانة الهندوسية تتضمن أغاني ومقطوعات شعرية مجوّدة "مانترا". فالمغنون عند الإيزيدية (القوالون) لا ينطقون الكلمة دفعة واحدة، بل يقسّمونها إلى عدّة مقاطع. وقد رتّبت (ساما فيدا) لتُرتّل بتسلسل محدد في أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية الخاصة بطقوس تقديم القرابين للآلهة. وجميع مقطوعاتها مخصصة لأداء المراسيم الدينية. نجد فيها أغاني كثيرة، تؤدى بنغمات مختلفة. كما يوجد فيها إشارات إلى أهمية الرقص[35]. وهنالك رأي يقول إن كلمة (سه ما) هي في الأصل من كلمة (سوما Suma-Soma) أو(سومSum) السنسكريتية التي تعني (العشب المقدس), وكانت تردّد في جميع الطقوس والممارسات الدينية, ولاسيّما في حلقات الدراويش المتصوفين وتجمعاتهم[36].

الرأيان صحيحان، ينطبقان على الطقوس التي يمارسها رجال الدين الإيزيديين وخاصة (القوالون) في أثناء إحياء المراسيم الدينية في معبد لالش أو غيرها من قرى وقصبات الإيزيدية من خلال ترتيل النصوص الدينية بميلوديا خاصة لكل منها, مصحوباً بالعزف على آلة (الدف والشباب)، مع دوران سبعة من رجال الدين ثلاث مرات حول سراج متقد بفتائل زيت الزيتون في صحن معبد لالش الرئيسي.

* جندي:

أصلها من كلمة (گوند وگوندي Gund-Gundi). تعني القرية في اللغة العربية. وقديماً كانت وحدات الجيش النظامي من السكان المزارعين في القرى؛ لذا سميت الوحدات الكبيرة من الفرق بهذه التسمية التي ظلت نفسها بالعربية (جند). أما (كارا) فكانت تطلق على الوحدات غير النظامية التابعة لرؤساء القبائل الرحالة. اختفت الأخيرة ودخلت في صيغة (كاروان= القافلة)[37]. إذن، كلمة (جندي، جندو) كاسم و (جندي/جنود) كمفهوم لقوة نظامية عسكرية من الكلمات الهندو-أوربية، مشتقة من كلمة (كوند=القرية) بمعنى القوة النظامية التي تشكلت من مزارعي القرى ولحقت بهم صفة الشجاعة.

هنالك رأي آخر يرى أن كلمة (جندي) تعود إلى كلمة (حوري-هوري- هوردي- خُرَدي Huradi) الجندي اليقظ، ويقال إن هذا المصطلح قريب اسماً ومعنىً من كلمة الكرد، فإذا كانت كلمة (خُرَدي) تعني الجندي اليقظ، فإنّ كلمة (كرد أو كردي في اللغة الآشورية تأتي بمعنى القوي وفي الفارسية القديمة "البهلوية" البطل أو المصارع)[38]. ظهر الشعب الهندو-أوربي في الألف الثالثة قبل الميلاد في منطقة (سوبارو، سوبارتو) الممتدة بين جبال زاغروس ومنابع الفرات؛ أي في شمال بلاد ما بين النهرين وشمال سورية. وقد سكنوا أول الأمر في جبال زاغروس، ثم زحفوا تدريجياً نحو الغرب حتى وصلوا إلى منابع نهر الفرات والخابور. وظهر مصطلح "حوري" أول مرة في القرن السادس عشر ق.م. في المصادر الحثية[39]. وظهر في القرن الخامس عشر ق.م في آلالاخ، كذلك ورد في النصوص الحورية والأورارتية والحثية بصيغة "خوردي"، وتعني الجندي اليقظ[40].

* رشو Rasho-Rashu:

أصلها من كلمة (ره شنو/راشنو Rashnu)، هو إحدى الإيزيدات التي كانت تعبد مع الإله ميترا الذي يعني (الحقيقة). أما الإيزد الأخر فكان يسمى (سروش/ سراوش Sraosha). يرى بعض الباحثين أن كلمة (ره ش) في كلا الكلمتين لا يقصد بها اللون الأسود، وإنما المقصود بها (راستى= الحقيقة)، وبهذا، وفق هذا

الرأي، فإن كتاب الإيزيديين المقدس (مصحف ره ش) يعني كتاب الحقيقة وليس الكتاب الأسود[41].

وفي كتاب آفيستا المقدس تعني كلمة (راشنو) مالك بذور النار في داخله.[42] هنالك رأي آخر يقول إن اسم (ره شنو) مشتق من تسمية الجان (ره شنو). (وثيقة تعود إلى العصر الفرثي مكتوبة بألفباء آرامية. عثر عليها في العصر الهليني/اليوناني، ونشرها السيد كاولي A. Cowley في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية [43]).(Journal of the Royal Asiatic Society, London1919) فإذا كانت كلمة (ره شنو) مشتقة من (الجان)، فهي تعني الظلام والعالم السفلي، حسب المفهوم الديني، وهي ترمز إلى اللون الأسود، لأن (الجان) تعيش في الظلام والعالم السفلي وليس عالم النور والحقيقة كما في الأصل الأول.

***هيكل:**

(آي) السومرية, تعني البيت (إيوان) و(كال) السومرية (الكبير), ومنها جاءت الكلمة العربية (هيكل).

*** محراب:**

أصلها أو جذرها من (مهر+آب= مهراب)؛ مهر/ميهر Mihr في اللغة البهلوية، ميتر/ميترا Mitra عند الشعب الميتاني، و ميثرا Mithra كما ورد في كتاب الآفيستا، و ميهرك Mihrik في اللغة الفارسية، و مر/مهر Mer/Mahir كما يرد في النصوص الدينية الإيزيدية، هو اسم الإله الهندو-أوربي إله الشمس. وهو من أكبر الآلهة، إله الخير والبركة والحق والمواثيق...إلخ. أما (آب) فتعني الماء. وتحولت كلمة (مهرآب) في العربية إلى (محراب)، هي مكان عبادة ميترا/ميثرا، كانت معابده تقام على عيون الماء.

ويمكن القول أيضاً إن (مير/ميهر) و(مهر آب) هو مكان عبادة ميترا، ومنها جاءت الكلمة العربية (محراب). فكلمة (مير) المستخدمة في اللغة الكردية و (الأمير) في اللغة العربية تعودان إلى أصل كلمة (مهر/ميهر) إله النور ميترا.

*خوار Hvar (خور)

إله الشمس الحوري, ومنه جاء اسم (الحوريين/الهوريين) كما يقول المؤرخ جيجر. بقي هذا مفهوماً دينياً ومن ثم قومياً لدى جميع السكان الذين آمنوا بإله الشمس والنور في بلاد (سوبارتوم) من كوتيين ولولوبيين وكاسيين.

خرتو/خورتو:

بمعنى الإسلفت. من الأسماء السوبارية القديمة. وهو اسم علم للذكور, مازال يستخدم بين الإيزيديين. أصله من الكلمة الكردية (كر gir) بمعنى (لهيب النار)[44].

شنكال: شنكال/شنغال Shingal:

سنجار في اللغة العربية. ورد في اللغة والوثائق السومرية باسم (سهل بلاد شنعار), والمقصود به هو أراضي ما بين النهرين، التؤامين، دجلة والفرات. وقد أطلق الإغريق على هذه الأرض اسم (ميزوبوتاميا)، وهي تعني بلاد ما بين النهرين. وتشكل أغلبها اليوم جزءاً من دولة العراق الحديثة، رغم أن الفرات في سورية، ودجلة في تركيا.

كالوّ Kalo-Kalu و كالا Kala:

أصلها سومري. ثمة كلمات في لغات عديدة ترتبط بهذه الكلمة، على سبيل المثال: ""call الانكليزية "ينادي"، وفي الأنكلوسكسونية "تشياليان ceallian"، وفي الجرمانية العالية القديمة "تشالون challon"، وفي الجرمانية العالية الوسيطة "كالن kallen"، وفي النوردية القديمة "كالا kalla". والجذر موجود في اللغات السامية كافة من العبرية "قول kol"، وفي السريانية "قالا kala", وفي العربية "قال kal"، كلها بمعنى الصوت. وتأتي أيضاً في اللغة الكردية, خاصة لهجة أهل سنجار "كالكال kalkal-galgal". ومن هذه الكلمة جاءت (القوّال الإيزيدي) بمعنى الحادي ومرتل النصوص الدينية بصوت عال.

كما ترتبط بها كلمة (كارو Karu) اليونانية الدورية بمعنى (مغن)، وكذلك

(خاروكس Xaruys)، وفي اليونانية الاتيكية (خيروكس mpuš), والجذر الافتراضي (گارGar) أو (كار [45]) (Kar). وفي اللغة الكردية كلمة (قير-قيركرن- qîr- qîrkirin) و (çîr- çîrandin). ومن هذا الجذر ظهرت في مجموعة اللغات السامية والمجموعة الحامية عدة ألفاظ بالصوت العالي، في العربية (جأر أو زأر), وفي الحامية المصرية (جعّر), أي ارتفع صوته.

سيتۆ و سينۆSîto-Sîno:

أصلها من (Setiou) ستيو- سئيو (Seaiw) (تبادل حرف التاء والياء). كان قدماء المصريين يطلقون على الشعوب التي تقيم في شرق سيناء, أو التي تغزو مصر, أوتغزوها مصر اسم (سيتو Setiou) يعني "الآسيويين". ويضيف الدكتور لويس عوض: أن كلمة (Setiou سيتو) وأحد صورها الفونطيقية سئيو (Seaiw) هي أساس كلمة "الشام" التي نعرف أن صورة من صورها في العربية "شآم" أو "شئام"، أما "م" النهائية فهي من آثار التصريف في مجموعة اللغات السامية[46]. ويمكن أن نضيف احتمالاً آخر لجذر كلمة سيتو، أن يكون له علاقة بـ (سيتون- صيد) إله الصيد البحري والبري الكنعاني[47].

شمو Şemo:

ان كلمة (شمو) المستخدمة عند الإيزيدية في وقتنا الحالي اسماً للذكور و(شمى) للإناث، هو اسم إله الشمس للشعب العيلامي القديم الذي سكن في جنوب شرق آسيا (شعب عيلام أو إيلام الذين سكنوا منطقة الأهوار في جنوب بلاد الرّافدين، والأهوار في القسم الجنوب الشرقي من إيران الحالية)، إلى جانب الآلهة (شو) و(شي). وفي الطرف الآخر من قارة أفريقيا، كان المصريون القدماء (الفراعنة) يحتفلون بعيد رأس السنة المسماة عندهم (شمو) أو كانوا يطلقون عليه (شم النسيم). وهو نفسه عيد رأس السنة (زاكموك) السومري, و(أكيتو) البابلي، و(نوروز) الهندو-إيراني و(سَرسال) الإيزيدي. كما هو معروف, يلعب الإله السومري (دوموزي) والبابلي (تموز) والإيزيدي (طاؤوس ملك) مع (إنانا) السومرية و(آشتار) البابلية الدور

الأساسي في هذه المسرحية الكونية المرتبطة بالطبيعة والتغيرات المناخية المرتبطة بالشمس والقمر، وتعاقب الزمن وفصول السنة ارتباطاً مع العملية الزراعية (حبة القمح) التي تمثل في جانبها الطبيعي عملية الحياة والموت.

ميشو Mêşo:

ما زال يُستخدم اسماً للذكور بين الإيزيدية. وهو من آثار (ميشا/ميشو) أو(ميترا-ميثرا) إله الشمس الذي عبدته الشعوب الآرية القديمة.

عزيز/ عزير:

هذا الاسم المستخدم بكثرة بين الإيزيدية, وورد في عدد من نصوصهم الدينية. (أوزير) هو عزيز-قانون تحويل (ر) إلى (ز) (عزيز مصر). اشتهر في العالم القديم بحامي حمى مصر، وقاهر أعدائها وأخذهم "أخذ عزيز مقتدر"، و"عزير" باق في "عاشور" المصرية وفي "العزى" الصنم الجاهلي، وفي "ليعاذر" وعاذر، لأن البعث وإحياء الموتى كانا في دائرة اختصاص (أوزير)، ملك الموتى (عوزيرئيل)، كما أن إيزيس ما تزال باقية في (عايده) الحبشية المصرية[48]. هو مذكر (أوزيرا) و(أوزوريس) و(إيزيس)، وهو كان ملكاً مصرياً اكتشف الزراعة والصناعة والأبجدية. ويأتي بصيغة (عزير) أي (أوزير), وهو ملك الموتى (عوزرايل= عزرائيل)، وهو نفسه إله (العزى) الصنم الذي كان يعبده العرب إلى زمن مجيء الإسلام، وكان محفوظاً في الكعبة.

جاء في نص ديني إيزيدي:

* ميريا دەنونى چێيە	/خالص حكم دنون
پاشایێ مسرێیە	/سلطان مصر
ئاشقێ دۆتا پیرێیە	/عاشق ابنة العجوزة
* ميريا دەنونى چێبوو	/كان حكماً كان جيداً
ئەو عەزیزێ مسرێ بوو	/كان هو عزيز مصر
ئاشقێ دۆتا پیرێ بوو	/وكان عاشق ابنة العجوزة

* دۆتێ دبێژته دێیه /الابنة تقول لوالدتها:

یا دایێ! /والدتي!

دەنگەکی عێلی وێ تێیه /صوت ينزل من العُلا

مینا دەنگێ عەزیزێ مسرێیه[49] !/يشبه صوت عزيز مصر!

ويقال أيضاً إن "عزيز" مصر يوسف بن يعقوب الذي صار وزير الخزانة في البلاط، وأبت عليه عفته أن يسقط في غواية "امرأة العزيز" (زليخة)- لم يكن سوى ملك الهكسوس "أسيس Assis" أو "كرتوس Kertos" (ساليتس)؛ أي (شيشي) الذي ورد ذكره في مانيثون و في بردية "تورينو" باسم "ماي ايب رع شيشي". ومع هذا الملك بدأ حكم السلالة الخامسة عشرة؛ اذ عدّ الهكسوس أنفسهم الملوك الشرعيين منذ ذلك التاريخ, وبسطوا سلطانهم على بلاد مصر. علماً أنه ما زالت الأسماء (سيسي) و(سيسو) للرجال، و (سيسى Sîsê) للإناث مستخدمة بين الإيزيدية.

أود:

اسم مشتق من أوتو إله الشمس السومري، وهو نفسه الإله الذكر (ودّ) الذي كان يُعبد في شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام. وكان اعتقاد سكان شبه الجزيرة آنذاك أن (اللات/ إلهة الشمس) هي أنثى الإله (ودّ). وكانت الشمس، إضافة إلى عبادتها ، إحدى سمات ديانة الحَضَر وتدمر. وكان إلهها هو الإله بعل- شمين (معبده في تدمر) في سورية الحالية. أغلب الظن أن الاسم (أودي) أو (آودي) المستخدم بين الإيزيديين حتى يومنا هذا، هو صدى لاسم إله/إلهة الشمس (أوتو/ودّ).

كور-كوركا-كوركوركي:

تعني كلمة (كو- كورku-kor-kur) الجبل في اللغة السومرية، وتكرارها (كوركور) يعني الجبال. مازالت هذه الكلمة باقية كتسمية كردية للجبال المسماة (كورداغ) في منطقة عفرين/محافظة حلب في سورية الحالية، و(كوركورداغ) الواقعة على الزاب الصغير قرب قرية (كاني تو) في قضاء بشدر، مركز البلاد اللولوبية

قديماً، فقد غدت الكلمة تعني في السومرية البلد، استمرت اللفظة السومرية (كو) تعني الجبل في اللغة الكردية، كما هو الحال مع اللفظة (كاميش=جاموس) التي يمكن التعرف إلى مدلولها القديم في ملحمة الثور العظيم (كلكامش) السومرية، والدور المتميز لهذا الحيوان الذي اعتبر رمزاً للذكورة والخصب منذ أن كان الإنسان يعيش في علاقة مباشرة مع الزراعة وتربية الحيوانات. أما في العربية فقد ظهر (كور) بشكل (كورة) ليعطي المدلول مفهوماً شاملاً[50]. أما في اللهجة الكرمانجية الشمالية فبقيت (جيا)، وفي لهجة أهل سنجار/شنكال بقيت (جوى/چوى êchuw). ومن الطبيعي أن يحدث تبديل بين الحروف، من (ج) إلى (ك), وتبديل الحرف من (أ) إلى (و)، فبُدّلت (كو) السومرية إلى (جو) مع (ياء) الإضافة. والدليل الأقوى هو وجود قرية في جبل سنجار تحمل اسم (كوركا-كولكا), فضلاً عن وجود عشيرة إيزيدية تحمل اسم (كوركوركا- كوركوركي) تعيش في جبل سنجار التابع إدارياً إلى محافظة نينوى في الوقت الحاضر. كما أن هنالك أعداداً كثيرة من عشيرة (كوركوركي) يعيشون في مناطق ماردين ودياربكر ومناطق أخرى من كردستان تركيا، إلاّ أنهم يعتنقون الدين الإسلامي.

كوتي Gotî-Kutî:

أقدم شعب عاش في جبال زاغروس وآسيا الصغرى. وكلمة (كوتي) تطلق على الشعب الذي سيطر على بلاد سومر، أصلها من كلمة سومرية (جوت/جوتي Cut أو Cot)، بمعنى الفلاحة ومنها (جوتيار) الفلاح, كانت تطلق على الشعب الكوتي الذي سيطر على بلاد سومر. وما زال هذا الاسم يستخدم بين إيزيدية شنكال بكثرة.

كاسي/كاشي:

تعني الجبليين في اللغة الكردية، و(العمال الفقراء) في اللغة السومرية. ومنها جاءت كلمة (كاسبكار/كاسيكار) في لغتنا الدارجة. والكاشيون من القبائل الهندو-أوربية، نزحوا من جبال آسيا الصغرى وشمال غرب إيران الحالية إلى الجنوب, وحكموا بابل عام 1580 قبل الميلاد. وهم جزء من الهكسوس والحوريين الذين

ينتمي إليهم النبي إبراهيم، انتشروا في أرض كنعان وحكموا مصر، وبعد طردهم من هناك وصلوا إلى الحجاز وأعطوها اسمهم. وإليهم تنتمي العدنانية وقبائل قيسي وقريش. سنقف بتفصيل أكثر عند هذا الشعب في فصل آخر من الكتاب.

* ميرزا/ميرزو/ميهرزاد:

المثقف والمتعلم أو ذو الدراية والعلم والمعرفة. هذا الاسم هو انعكاس للإلهة (ميثرا) بصيغة الأنثى عند الشعوب الهندو-أوربية (من ضمنهم الشعوب الإيرانية القديمة). وهي تمثل نور الصباح ومصدر الحياة والمعرفة وآلهة المواثيق والوعود[51].

*جوامير:

بمعنى الكريم والفاضل. مركبة من كلمتين (جوان+ ميهر), وتعني فتى الإلهة ميهرا (ميثرا). كما تأتي في أسماء عربية عبدالله، عبدالإله، عبدالرحمن، عطاالله، شمس الدين، بهاءالدين..إلخ.

* ماشو- Mashu Masho:

مازال هذا الاسم يستخدم استخداماً ملحوظاً بين النساء الإيزيديات. ولا يستبعد أن يكون الاسم (مرشو Marsho- Mersho- Mershu) المستخدم للذكور من جذر كلمة (ماشو) نفسها.

يأتي ذكر (ماشو) اسماً لجبل أسطوري في اللوح التاسع من ملحمة كلكامش. (ماشو) هو مدخل ومخرج (إله الشمس) نهاراً وليلاً، ذلك الجبل الذي يحرسه أناس لهم شكل العقارب. يصل كلكامش هذا الجبل بعد أن قطع البوادي والقفار باحثاً عن سرّ الحياة لدى (أوتنابشتم) الإنسان الخالد الوحيد الذي استطاع أن ينجو من الطوفان/الموت[52].

* مَمْو Mammo-Memmu

يستخدم اسم (ممو) (بفتح الميم الأولى وتشديد الثانية- مَمّو) للذكور لدى الإيزيدية في وقتنا الحاضر. ويعتبر (مَمّو) رسول أو وزير الإله الموغل في القِدم

(أبزو)، ويعني "نظام الكون العاقل". كان حينذاك لكل الآلهة الكبيرة رسلاً أو وزراء يقفون إلى جانبها ويشدون أزرها، وينفذون أوامرها، ويؤدون المهام المكلفين بها. وكان سفراء الآلهة الذكور ذكوراً وسفراء الآلهة الإناث إناثاً. كما أن (مَمّو) هو من ألقاب الإله (إيا-إنكي) بمعنى "الإله الخالق". كما أن (موممو) صفة من صفات الإله مردوخ عندما يقوم بعملية الخلق(53).

تظهر جذور بعض الأسماء ضمن حضارة يطلق عليها الهلال الخصيب، وهي تشمل (الحضارة السورية والفينيقية في لبنان الحالية والكنعانية). وأغلب تلك الأسماء تعود جذورها إلى آلهة تلك الحضارات، ووصلت عبادة عدد من تلك الآلهة إلى مصر.

رفو:

يعد من بين آلهة الحضارة السورية الفينيقية القديمة. ويظهر في الكتابات الأوغاريتية على شكل (رفو بعل). كلمة (رفا) تعني الشفاء، و(بعل) الإله السوري الكبير الذي يقابل (إيل) إله الخلق الكنعاني. وجاء ذكره أول مرة في كتابة فينيقية باسم الإله (شدرفا)، يعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، كما تذكره كتابات تدمر مرات عديدة. وتذكره كتابة عُثر عليها في كيليكيا باسم (ساترافه)، يعتقد أنه صيغة الاسم المدلع. ويشير اسم الإله (شدرفا) إلى وظيفته الطبية؛ فهو مؤلف من (شد) و (رفا) الذي يعني (شد الشافي). وقد وصلت عبادة هذا الإله إلى مصر خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة، ويشبه في مصر بأوزيريس المنقذ(54).

عُثر على ثلاث كِسر من رقم طينية، تتحدث عن كائنات تدعى (رفوم). ويُعتقد أن هذه الكائنات تمثل جنس العمالقة الذين ورد ذكرهم في أسفار العهد القديم باسم (رفائيم)(55). وتتحدث الكسر الطينية الثلاث عن حفل يقيمه الإله (إيل) ويحضره كل من بعل وعناة بصفتهما ضيفي شرف إلى جانب رفائيم، كما يظهر اسم (رفو بعل) و (رفو عناة) مع اللقب المقاتل في سبيل (بعل) والمقاتل في سبيل (عناة). ويعني الفعل (رفا) في نصوص العهد القديم (شفي)، ويعبر عن الإخصاب بعد العقم(56). كمياه أريحا التي شفت إلياس من العقم والموت حسب الأسطورة.

يُفْهم أن رفائيم هي آلهة تمتلك خاصية الشفاء والخصب. ويقترح بعضهم المعنى المستخلص من جذر الكلمة في اللغة العربية (رفا يرفو رفوا) أي جمع الشيء إلى بعضه (أصلحه). وبهذا المعنى تشمل كلمة رفائيم مجموع سكان العالم السفلي[57]. وحسب تصور الفينيقيين كانت الأرواح تعيش بعد فناء الجسد, ويطلقون عليها اسم رفائيم[58].

ماذا تعني (رفو) في اللغة الكردية؟

ڕەف ref : سرب من الطيور في حالة الطيران

ڕەڤ rev أو ڕەڤين revin : الهرب

ڕەڤا reva- ڕەڤاندن revandin: الخَطف - الاختطاف

ڕەڤۆ revo : قطيع

يلاحظ أن المعاني الكردية للاسم (رفو) لا تقترب من معاني (رفو) في الكتابات الأوغاريتية بمعنى (الشفاء)، ولا (رفوم) الوارد في الرُقَم الطينية والذي يعتقد أن المقصود به جنس العمالقة. إذا صح ما ذهب إليه المؤرخون وعلماء الآثار بأن الكائنات التي تتحدث عنها الرُقَم الطينية تمثل جنس العمالقة أو ما أطلق عليهم (الجبابرة) في التاريخ، فإن ذلك يضع أمامنا أحد الدلائل التاريخية التي تقول إن آماليك (العماليق) ومنهم "بنو جرهم" هم (الهكسوس) الذين كانوا يسكنون مكة قبل مجيء العرب إليها. ويفسر اسم "مكة" القديم كما ورد في بطليموس الجغرافي "ملكاى Malichae", أي موطن "أماليك" المذكور في التوراة. وأن الهكسوس أو الملوك الرُعاة عندما طُردوا من مصر استوطنوا الحجاز, واتخذوا مكة عاصمة لهم. وإذا كان اتجاه العلماء إلى تحديد مهد الهكسوس قبل مجيئهم إلى منطقة الشرق القديم ومصر بأنه جبال القوقاز ومنطقة بحر قزوين، وربما كان الكاسيون (-Kas sites) في العراق فرعاً منهم، فمن حقنا أن نستخلص أن لغتهم كانت لغة ميدية سكيذية ((Medo-Scythic, وهي أحد فروع المجموعة الهندو-أوربية[59].

ويمضي المصدر نفسه بالقول: إنه من الثابت أن القبائل الآسيوية (Asianiques) المنحدرة إلى الهلال الخصيب من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود، ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أياً كان منبعها وأياً كان تكوينها الأنثروبولوجي

- كانت تتكلم لغة ميدية سكيذية. وهي أحد فروع المجموعة الهندية الأوربية، وربما كان فيها موجات نزلت في شبه الجزيرة العربية, كما نزلت موجات منها في الهلال الخصيب. وفي هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية سواء في الهلال الخصيب أم في شبه الجزيرة العربية، هي في حقيقتها موجات تعاقبت في عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسيوية[60].

ان ما أثار فضولي وأنا أبحث في جذر الاسم (رفو) الوارد في الكتابات الأوغاريتية وفي كتاب العهد القديم، هو ترديد كلمة العمالقة في أحد النصوص الدينية الإيزيدية:

ئەو عەرد خۆش مەكانە /تلك الأرض الممتازة "المقدسة"

ل وى عەردى حەيران ددمامە / ظلوا تائهين في تلك الأرض

ناڤێ وى "قەومى بن قامە" /يسمون بـ "العماليق"

(سَبَقه 34 من النص الديني كاو ماسى= الثور والسمك)

ژۆر بەرە و ژێر هەڤرازە /في الأعالي جبل ونور (نار)

تەورات دا دەستێ موسا /سلّم التوراة بيد موسى

لسەر گەلەک تشتا كر ئەساسە/ وجعلها أساساً لأشياء كثيرة!

(سَبَقه. 40 من النص الديني كاو ماسى)

هذا شبه تأكيد بأن النص الديني (گاو ماسى) يتحدث عن قصة خروج اليهود والهكسوس من مصر إلى جبل سيناء[61].

ربما تطرح أسئلة كثيرة، إحداها: ما علاقة الإيزيدية بقصة اليهود التوراتية؟ لماذا ومتى نظم النص الديني (قەولێ گاى وماسى) هذا الحدث؟

تكمن العلاقة في البحث عن تاريخ وأصل وموطن المجموعة التي انطلقت مع العبرانيين الى أرض مصر ومنها إلى أرض كنعان وشبه الجزيرة، خاصةً (الهكسوس)! تشير كل الدلائل التاريخية إلى أن هذه المجموعة تركت بصماتها في شبه الجزيرة قبل ظهور العرب والإسلام. كما تكمن العلاقة في تحليل بُنية قصة إبراهيم الخليل وزوجته سارة مع فرعون، وزواج إبراهيم من هاجر المصرية, وهجْره لها في منطقة ولدت فيها إسماعيل الذي قيل إن ماء زمزم انفجر من تحت أقدامه!

السؤال الآخر: كيف يمكن تحليل ما يرد في بعض النصوص الدينية الإيزيدية (قول قره فرقان) مثالاً من كلمات (حشم/هاشم، قوريش/قريش) أو قول العديد من رجال الدين الإيزيدين الكبار أن "مكة" كانت لهم قبل الإسلام!!

هذه الإشارات التاريخية وغيرها الكثير، تجعلني أرجّح كفة انتماء جذر الاسم (رفو) إلى لغة أحد الأقوام الهند -أوربية التي انتشرت قديماً في بلاد الرافدين والهلال الخصيب حتى وصلت مصر والحجاز قبل ظهور الإسلام[62].

شامو:

عندما نتطرق إلى الاسم (شامو) لا بد لنا من معرفة (ألالاخ)، وهي تسمى اليوم تل عطشانة. تقع عند مجرى نهر العاصي الأسفل في منتصف الطريق بين حلب وأنطاكية في سورية. كانت ألالاخ عاصمة موكيش في العصر البرونزي (3300–1200 ق.م.) والعصر الحديدي (1200–539 ق.م.). اكتُشفت ألالاخ إثر حفريات عالِم الآثار البريطاني Leonard Wolley))؛ إذ اكتشف فيها تمثال (إدريمي) ملك (ألالاخ), رُتبت أسماء الآلهة في النص المشفع بتمثاله. جاء اسم إله السماء (دينجر شامو) في أعلى القائمة ثم جاء بعده أسماء آلهة السماء والأرض. مقارنة مع ما ورد في إحدى قوائم الأضاحي من ماري ذكر اسم إله شمس السماء (دينجر أوتوشاشمة) إلى جانب اسم إله الشمس الأكادي في بلاد الرافدين (شاماش).

كينجو:

هو ابن الإلهة (تيامات). تذكر ملحمة التكوين البابلي المسمى (أنوما اليش) أن ألواح القدر كانت بيد الإلهة (تيامات)، وهي التي منحتها إلى ابنها (كينجو)، ثم يسلبها (مردوخ) بعد معركة حامية يتغلب فيها على (تيامات) وابنها (كينجو).

وتوضح لنا أسطورة الطائر الخرافي (زو) أنه من يستطيع امتلاك ألواح القدر -مالكها الأصلي الإله (انليل)- فإنه يمتلك القدرة على حكم العالم حسب التصور الأكادي؛ لأنه مرقوم عليها مصير البشر وحياتهم[63].

أوسو:

يذكر فيلون الجبيلي (141-64 ميلادية) المعجمي وكاتب الأساطير الفينيقي اسم إله يدعى (أوسوس- أوسو)، ويقول إنه أول من استخدم جلود الحيوانات لباساً للجسم, وأول من استخدم جذع شجرة قارباً. ويُظن أن هذا الإله هو نفسه (حاسيس/حاساسو) الأكادي الذي يعني الذكي[64].

فتاح:

جاء من اسم الإله فتاح، إله مدينة ممفيس المصرية. ويُذكر أن اسم مصر مشتق من اسم هذا المعبد، وبسبب التأثير الحضاري المتبادل بين مصر وكنعان فسّر بعض المؤرخين القدماء الاسم المصري (بتاح) الذي تحول بتأثير اللغة الكنعانية السامية إلى (فتح) ومنها (فتاح)[65].

كولو:

من الأسماء المستخدمة للذكور. ويسمى في اللغة السومرية والأكادية (كولولو kolo lo) بالواو المفتوحة. فكلمة (لولو) تعني الإنسان و(كو) السمكة، كلاهما بمعنى (الإنسان السمكة). وهو كائن نصفه العلوي جسم إنسان ونصفه السفلي جسم سمكة، وذيله على شكل حراشف السمكة. وهو من الكائنات المائية التي تخضع إلى حكم الإله (إنكي/إيا). كما يبدو أن الاسم (قولو) المستخدم بكثرة في سنجار/شنكال، يعود جذره إلى الكلمة السومرية الأكادية أعلاه, وليس إلى (قول) بمعنى العبد أو أسود اللون.

نَمّو:

بفتح النون وتشديد الميم. اسم يستخدم للنساء. وهو اسم إلهة سومرية من آلهات الأمومة الأصول التي ولدت السماء والأرض وكل الآلهة، وربما تجسد في شخصها المياه الجوفية العذبة (أبزو)، وهي المياه الأولية التي انبثق منها كل شيء. ويظهر اسمها في محيط آلهة مدينة (إريدو) وفي أسطورة (إنكي وننماخ) خالقة البشر.

يساعدها عدد كبير من الآلهات إلى جانب إلهة الأم (ننماخ)، ولكنها لا تلعب دوراً بارز في النصوص الأكادية[66].

حاني:

يستخدم اسماً للإناث عند الإيزيدية. ويلفظ (حاني Hani) حيناً و(حانى Hanê) بالياء الممدودة، و (حانوك Hanok-Hanuk) أحياناً أخرى. أما في الأصل السومري فكان يُستخدم اسماً للرجال. وفي الأسطورة كان (حانى) زوجاً للإلهة السومرية (نيسابا) إلهة الحبوب. رمزها المسماري سنبلة القمح، ثم أصبحت إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك. وهي ابنة الإلهة (آن)، وفي مجمع آلهة (لجش) أخت نينجرسو، وابنة (إنليل)[67].

نينى:

من الأسماء المستخدمة للإناث عند الإيزيدية حتى وقتنا الحاضر، وتُكتب (نينى Nînê) بالياء المفتوحة في آخر الكلمة. وهي نفسها (إنانا- عشتار)، إلهة سومرية تدعى في اللغة الأكادية (عشتار)، وهي من أبرز شخصيات الآلهة وأصعبهم في مجمع الآلهة السومري والأكادي، فهي تأخذ أشكالاً كثيرة ومتباينة. ومن أصل أسمائها في اللغة السومرية (نين- أنّا)، ويعني سيدة السماء. ومن أسمائها الأخرى الثانوية (إنين)، وتدعى بصفتها إلهة الزهرة (فينوس) نينسيانا. وأصل الاسم الأكادي (عشتار) مطور عن اسم الإلهة السوريّة عطّار (عطّار وعشتارت وأستارته)[68].

ماميك:

من الأسماء المستخدمة للإناث. إن (مامي) و (مامه) مختصر اسم (ماميتو)، ولا علاقة لـهما مع الإلهة الأم (ماما). و(ماميتو) إلهة أكدية من آلهات العالم السفلي وإحدى زوجات الإله (نرجال)، رمزها رأس عنزة حسب الأسطورة. تعمل (ماميتو) قاضية في العالم السفلي، وتقرر مصير البشر المحتوم بالموت مع آلهة (الأنوتا)[69].

شيخو:

أحد آلهة الشعب الكشي /الكيشي/ الكاسي/ الكاشي، ذات الأصل غير السامي وغير الهندو- جرماني. يقابل الإله (شيخو) الكيشي الإله سن أو مردوخ البابلي. وهناك إله آخر من الآلهة الكشية/الكيشية باسم (شاخ أو أحياناً شورياش) والذي يقابله (شاماش) البابلي[70]. وإذا أمعنا النظر في مدلول الإلهين (شيخو) كإله للقمر (سن) والإله (شاخ) كإله للشمس (شورياش- سورياش)، يذهب بنا الرأي إلى ربط كلمة الـ (شيخ) الحالية مع (شيخو) و(شاخ) الكيشيين؛ فحرف العلة (ا) في الصوتيات يتحول إلى (ي) فتصبح كلمة (شاخ) (شيخ)؛ وهذا يدل على أن كلمة (شيخ) ليست كلمة عربية كما يدعي بعض الإيزيديين الذين لا يفقهون التاريخ، وينثرون الكلام جزافاً في أن كلمة الـ (بير) هي أقدم من الـ (شيخ)، وأن الأخيرة هي كلمة عربية!!

الإله الحامي:

في قديم الزمان كان لكل إنسان في الشرق القديم إلهه الخاص به, يسهّل له الوصول إلى الآلهة الكبيرة، ويتشفع به لديها. وتوجد هذه المشاهد مصوّرة على طبعات الأختام الأسطوانية والمنحوتات الحجرية الكبيرة في عصر أور الثالث والعصر البابلي القديم، إذ نرى الإله الحامي يقود صاحبه إلى إله ذي مقام أعلى ليباركه, ويقرر قدره ومصيره، وأصبح الملك نفسه في عصر أور الثالث هو الإله الحامي لشعبه[71].

وقد برز دور الإله الحامي الذي يرعى صاحبه من أذى القوى الشريرة مقابل تقديم الطاعة والخدمات والقرابين والصلوات. ومع أن هذا الإله كان إلهاً ضعيفاً وبسيطاً، فقد كان بمقدوره أن يحمل رغبات وشكاوى ومظالم صاحبه إلى إله الشعب الكاشي الأكبر (بابار Papar) وأن يتشفع له[72].

يُعرف الإله الحامي عند الإيزيدية بـ (خودانى مالى Xudanê malê) بمعنى (ربّ البيت) أو حامي البيت الروحي. لكل عائلة إيزيدية ومن أية طبقة دينية كانت، لها (خودان -رب) حاميها الروحي سواء أكان من مرتبة الشيوخ أم من الأبيار (جمع

بير). ويحتفظ لنا الموروث الديني بأسماء ثمانين من أرباب السلالات الإيزيدية؛ أربعون منهم لسلالات الشيوخ، وأربعون لسلالات الأبيار. أما الإله الأكبر (بابار Papar) أو (بيري كار Pîrî Kar) الذي تُحمل له الرغبات والشكاوى والمظالم من قبل الإله الحامي، فهو الذي يلعب دور (طاؤوس ملك) في الميث الإيزيدي. وقد خصصت له بحثاً خاصاً في هذا الكتاب.

الإله خالدي:

توجد عشيرة إيزيدية عريقة اسمها (خالدي أو خالتي) من السكان الأصليين لبلاد خالدي. كانت تسمى قديماً دولة (أورارتو) التي وصلت أوج ازدهارها من القرن التاسع حتى القرن السابع قبل الميلاد. وشكلت تلك الدولة قوة قتالية ضاربة في المنطقة الجبلية المحيطة ببحيرة (وان), وكانت مصدر إزعاج وقلق للدولة الآشورية. وبعد دراسة المخلفات الكتابية، تبين أن لغتها ذات قرابة إلى اللغة الحورية. ومن بين أسماء الآلهة المحلية الرئيسية التي تذكرها تلك الكتابات:

(خالدي) وهو إله الدولة الرسمي، وإله الطقس (تيشيبا). وهو نفسه (تيشوب) الحوري، وإله الشمس (شيوني)، إلى جانب إله القمر (شيلاردي3)[73]. إن ما تقدم يضع بين أيدينا دليل عراقة العشيرة/القبيلة الإيزيدية الخالدية المنسوبة إلى (خلدي) إله الدولة الرسمي.

ويؤكد الدكتور فاضل عبد الواحد بما لا يدع مكاناً للشّك أن السومريين امتداد لأقوام ما قبل التاريخ في وادي الرافدين، وأنهم انحدروا من شمال العراق. وأن الكلمة المقطعية السومرية (UMA-DA-KAR-DA) يرجع تاريخها إلى 2000ق.م. فُسّرت من قبل العالِم الأثري دانج DANGEN)) على أنها تسمية جغرافية، وفسّرها العالِم الأثري درايفر (H.K DRIVER) على أنها بلاد كاردو السومرية, وحدد موقعها في جنوب بحيرة (وان) [74]. ويقول الكاتب (أحمد الملا خليل): هنالك مدينة اسمها (كلديا) كانت مسرحاً للعديد من الشعوب الهندو-جرمانية (الأصح الهندو-أوربية) كالليديين والليكديين والأتروسكين، وقد دمرت هذه الشعوب تحت ضربات شعوب هندو-جرمانية أخرى تحمل اسم (كلديا) نسبة إلى الإله القومي

(كالد-خالدي)، وهو فرع من الشعوب الحورية أحد عناصر الأمة الكردية المعروفة في التاريخ. والخالدية اسم عشيرة إيزيدية في ولاية تبليس، ومنهم في العراق وسورية، والمرجح أنها من بقايا شعوب خالدي، خالتي، كالدي[75].

إن تأكيد الدكتور فاضل عبد الواحد، وتفسير العالِمَين الأثريين، يجعلنا نضع خط التشديد تحت أصل العشيرة الخالدية الإيزيدية.

ناسو:

يُستخدم اسماً للذكور عند الإيزيدية، ويعني الجثة. ويُسمى بـ "دروج" التي تصنع النجاسة والإصابات والشرّ في جسد الميت[76].

يمكننا ذكر العشرات من أسماء الإيزيديين المتداولة في وقتنا الحاضر التي تعود جذورها إلى حضارات الشعوب القديمة، ولها دلالات تاريخية تؤكد عراقة هذا المعتقد، وانتشاره في أكثر من قارة. على سبيل المثال لا الحصر، أسماء بعض العوائل الإيزيدية: خيان- خيو، عاد أو (ختي Khattî) هم جيل من أجيال الهكسوس[77]. كما أن الأسماء (قاسو، قاسم، كاسو/كسو، قيس وقيسي) تعود إلى الشعب الكاسي/الكاشي. و قاسو هو تحريف لكلمة (خازو- خاسوKhasaou) الصيغة المصرية القديمة بمعنى (غزا- يغزو) التي أطلقوها على الهكسوس والواردة في بردية تورين. والكاشيون هم نفسهم (الكالديون- الخالديون) من الشعوب الهندو-أوربية الذين حكموا بابل. ويقول الدكتور لويس عوض: "ربما الكاشيون مزيج من الهكسوس القادمين من جبال القوقاز ومنطقة بحر قزوين، وبهذا من حقنا أن نستخلص أن لغتهم كانت لغة ميدية سكيذية Medo-Scythie))، وهي أحد فروع المجموعة الهندية الأوربية"[78]. ودخل الهكسوس مصر وحكموها عدة قرون، وبعد طردهم منها، نزلوا إلى شبه الجزيرة, وسميت الحجاز باسمهم، واتخذوا مكة عاصمة لهم.

ماجو:

ماجو، وربما (مجو Micho) بعد حذف (الألف). من الأسماء الشائعة التي ما تزال مُستخدمة بين الإيزيديين، ولاسيّما في منطقة سنجار. يظهر اسم (ماجو)

في التاريخ كأول قائد كنعاني يؤسس جيشاً قرطاجياً قوياً مؤلفاً من الجنود من العناصر الليبية كافة، أي البربرية الذين كانوا يعملون مشاة في الجيش، وكذلك من النوميدية والعناصر الغالية، حتى إن اليونانيين انخرطوا في صفوف الجنود المرتزقة في الجيش القرطاجي. علماً أن الأسرة الماجوية أو الماجونية عُرفت باسم هذا القائد، ودامت المرحلة القرطاجية ما بين (14 6 - 550) قبل الميلاد، وانهزم القرطاجيون أمام الإغريق في سردينيا عام 535 قبل الميلاد[79].

تمو:

يستخدم اسم (تمو Temo-Timu) بكثرة للرجال, و(نمو) للنساء بين الإيزيديين. وهو اسم للإلهة السومرية الأم الأولى (تمو)، وكذلك إلهة كنعانية الأم الأولى التي أصبحت إلهاً ذكراً مع تصاعد حمى الانقلاب الذكوري وأنزلت إلى إله ذكر مغلوب وهامشي. وقد خرج المحيط السماوي البحري من الإلهة الأم الأولى (يمو), وهو يقابل محيط السماء والأرض السومري المزدوج (أن- كي) الذي خرج من (نمو) الإله السومرية الأم[80].

---

1. الحوراني (يوسف): البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، بيروت, 1978، ص 111. (مقتبس من كتاب: د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد، 1984، ص1)
2. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص16.
3. المصدر السابق نفسه، ص18.
4. أفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار دمشق، الطبعة الأولى, 2007، ص22.
5. أفيستا، مصدر سابق، ص27.
6. أفيستا، ص27
7. ينظر حامد عبد القادر، زرادشت الحكيم، مركز الإنماء الحضاري، القاهرة 2006، ص27.
8. أفيستا، ص 42.
9. أفيستا، هايتي 16، ص209
10. أفيستا، ص27
11. خالص مسور، أصل الأكراد، 20/4/2006.
12. آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب ومراجعة: عبد الواحد عزام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت, 1982، ص١٣٦. كذلك ينظر: كتاب: د. جمال رشيد، دراسات كردية في بلاد سوبارو، مصدر سابق، ص١٧.
13. للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة: سلسلة الأساطير السومرية، ديانات الشرق الأوسط، ص218-211.
14. أفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مصدر سابق، ص 113.
15. السبقات 32، 32، 35، 36، 38، من جمجمى سلتان، پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان، خلیل جندي، الطبعة الثانية، سپيرێز، دهوك، 2013، ص 251-246.
16. أفيستا، ص73.
17. مرشد اليوسف، ص 33

18. آفيستا، ص34.
19. آفيستا ص83.
20. هايتي 65، ص178 و400.
21. آفيستا، ص23.
22. آفيستا، ص 427.
23. آفيستا، ص 503.
24. آفيستا، ص 518.
25. آفيستا، ص 525.
26. آفيستا، ص580.
27. آفيستا، (ترنيمة آشي الخيّرة-الهة السعادة والقدر)، ص598.
28. جرنوت فيلهلم: الحوريون، ص100. مقتبساً من كتاب: تاريخ مملكة ميتاني الحورية، دكتور أحمد محمود خليل، مطبعة مكرياني، أربيل، 2013، ص197.
29. د. أحمد محمود خليل، تاريخ مملكة ميتاني الحورية، ص64.
30. د. زرار صديق، دراسات كردية غي بلاد سوبارتو، بغداد، 1984، ص106.
31. البلاذري، فتوح البلدان، ص381، تاريخ الطبري حوادث "23ه"، 178/4، ص183و186(مقتبس من د. زرار صديق، مصدر سابق، ص106).
32. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة، ص43 و61-60.
33. المصدر السابق نفسه، ص20.
34. المصدر السابق نفسه، ص 56.
35. الدكتور منذر الحايك، فيدا/نصوص هندوسية مقدسة، دراسة مقارنة، ترجمة عن الانكليزية: حكمت أبكر، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، 2018، ص23.
36. د. علي تتر نيرويي، الميثرائية/تاريخ ومعتقدات، ترجمة عن اللغة الكردية: بير خدر سليمان، منشورات مركز لالش الثقافي والاجتماعي، سلسلة رقم 7، مطبعة خاني، دهوك، 2008، ص 26.
37. دراسات كردية في بلاد سوبارتو، دكتور جمال رشيد أحمد، بغداد، 1984، ص16.
38. الكرد في سوريا قبل الميلاد وحتى نهاية العصر العباسي، فارس عثمان، 15/5/2018.
39. جرنوت فيلهلم،233-2002.
40. نضال حاج درويش، 23-2007، مقتبس من: أوركيش أولى المراكز الدينية في شمال ميزوبوتاميا، رستم عبدو، مركز الفرات للدراسات، 2/4/2018.
41. كرستينسن: إيران در زمان ساسانيان، ترجمة: رشيد ياسمي، ص9، طهران، ص56-55. مقتبس من كتاب: د. علي تتر نيروه يي، الميثرائية/تاريخ ومعتقدات، ترجمة: بير خدر سليمان، دهوك، 2008، 31.
42. آفيستا، هايتي 16، ص209.
43. ينظر: د. جمال رشيد أحمد دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد، 1984، ص62 و64.
44. دراسات كردية. ص 31-30.
45. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص 199.
46. د. لويس عوض، فقه اللغة العربية، مصدر سابق، ص 29-28.
47. الماجدي (د. غزعل): المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، عمان، الاردن، 2018، ص69.
48. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، ص 25.
49. د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، باللغة الكردية، (قولى دنون مسرى) السبقات 11،12،13 ، الطبعة الثانية، 2013، ص 588
50. د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلادسوبارتو، بغداد، 1984، ص12.
51. رشيد (الدكتور جمال): دراسات في بلاد سوبارتو، مصدر سابق، ص 17.
52. د. اذزارد، م.هـ بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين "السومرية والبابلية" وفي الحضارة السورية "الأوغاريتية والفينيقية" ص91.
53. د. اذزارد، م.هـ بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة.
54. قاموس الآلهة والأساطير، ص 175.
55. تكوين: 14/5، 15/20، تثنية: 2/11، 20، 3/11، يشوع: 17/15، سفر صموئيل الثاني: 21/16، 18، 20، 22.

56. تكوين: 20/17.
57. قاموس الآلهة والأساطير، ص 215.
58. المصدر السابق نفسه، ص 226.
59. دكتور لويس عوض، مقدمة في فقة اللغة العربية، ص56.
60. المصدر السابق نفسه، ص 58.
61. ينظر بحثي: هل من علاقة بين النص الديني (كاى وماسى Gay u Mas8) وسفر الخروج التوراتية؟ المقدم إلى مؤتمر بيليفيلد 2012.
62. قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين، مصدر سابق ، ص 100 و130.
63. نفس المصدر السابق، (ص 49.
64. قاموس الآلهة والأساطير، ص 240.
65. المصدر السابق نفسه، ص 241.
66. المصدر السابق نفسه، ص134.
67. المصدر السابق نفسه، ص 136.
68. قاموس الآلهة والأساطير، مصدر سابق، ص 53.
69. ينظر: ملحمة جلجامش، اللوح العاشر.
70. المصدر السابق نفسه، ص 50-49.
71. المصدر السابق نفسه، ص 40.
72. اليوسف (مرشد): دوموزي (طاووسي ملك) / بحث في جذور الديانة الكردية القديمة، ص 68.
73. نفس المصدر السابق، ص 39.
74. مرشد اليوسف، دوموزي "طاووسي ملك"، بحث في جذور الديانة الكردية القديمة، ص 25.
75. أحمد ملا خليل، إبراهيم خليل الرحمن بين (أور) الكلدان و(أورا) كوردستان، موقع بحزاني نت الإلكتروني، 19/11/2006.
76. ينظر: فارغارد 5، قوانين الطهارة، 28/1، كتاب آفيستا، د. خليل عبد الرحمن.
77. حول الهكسوس وقوم (عاد) المذكورين في القرآن، يراجع: د. لويس عوض، مصدر سابق، ص 61-60.
78. المصدر السابق، ص 59.
79. الماجدي، المصدر السابق نفسه، ص 49-48.
80. الماجدي، المصدر السابق نفسه، ص 65-64.

الفصل السادس

بحث في الحلقات المفقودة!(1)

تعريف

الهند بلد مترامي الأطراف (شبة قارة). يقع في جنوب قارة آسيا. ويعدّ سابع أكبر بلد في العالم من حيث المساحة (3287590) كيلومتر مربع. وثاني أكبر بلد، بعد الصين، من حيث عدد السكان (1.252.000.000) نسمة وفقاً لإحصائية عام 2013. والهند هي مهد حضارة وادي السند ومنطقة التجارة التاريخية, ومنشأ العديد من الإمبراطوريات.

تتكون الهند من ثماني وعشرين ولاية وسبعة أقاليم اتحادية. بالرغم من كون اقتصاد الهند هو سابع أكبر اقتصاد في العالم وثالث أكبر قوة شرائية، لكنها تعدّ من الدول الصناعية الجديدة، وما زالت تواجه تحديات الفقر والفساد وسوء التغذية وعدم كفاية الرعاية الصحية.

نشأت في الهند أربعة أديان رئيسية؛ هي: الهندوسية والبوذية والجاينية والسيخية. في حين أن الزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلام, وصلوا إليها في الألفية الأولى الميلادية. وشكلت هذه الديانات والثقافات التنوع الثقافي للمنطقة.

وتعدّ الهند بلد الحضارات وتعدد الثقافات ومنبع الأساطير وفلسفة الأديان. وأثرت بدورها في الأفكار الدينية والفلسفية في العالم ومنها الشرق الأوسط، ربما عن طريق موجات بشرية خرجت من الهند عبر التاريخ شرقاً وغرباً ولأسباب متعددة. الهند في الحقيقة بلد العجائب والغرائب والتناقضات.

انطباعات أولية:

خلال فترة وجودي في الهند، ولاسّما في العاصمة نيودلهي ومدينة آغرا (Agra)، زرت عدداً من المعابد الهندوسية، البوذية، اليهودية، الإسلامية، والبهائية, إضافة إلى المتحف الوطني الهندي. واطلعت على الآثار الحضارية مثل تاج محل، والقلعة الحمراء في مدينة آغرا (التي تبعد 270 كم عن دلهي العاصمة)، ومسجد راج غات (Raj Ghat) (1656م)، ومنارة القبب الأكثر ارتفاعاً في دلهي، ومعبد إيسكون (ISKON)

الشهير، ومعبد بيرلا (BIRLA TEMPLE). وأمام هذه الصروح الحضارية العظيمة، يقف الإنسان منبهراً ومندهشاً، وتتولد لديه الأفكار والتصورات التالية:

1 - قوة الإنسان الخارقة في صنع المعجزات، وتأثير الدين على الفرد والمجتمع وانعكاس فلسفته وأفكاره الروحية في أشكال مادية (أهرامات، معابد، كنائس، مساجد، قبب..) أو من خلال نصوص دينية.

2 - إن صروح الحضارات القديمة (الأهرامات، سور الصين، الجنائن المعلقة، تاج محل، قلاع وكنائس القرون الوسطى في أوربا، تماثيل آلهة اليونان..)، هي وليدة عهود العبودية والإقطاع. وتأسست نتيجة القوة والسلطة المطلقة للحاكم آنذاك، وعلى حساب دماء وأتعاب ومآسي عشرات الآلاف من الفقراء والمعدمين. فعلى سبيل المثال لا الحصر بنى الشاه جاهان لزوجته ممتاز عام 1639م تاج محل الذي استغرق بناؤه 22 عاماً، وجلب أنواعاً من المرمر والأحجار الكريمة من إيران وبلدان أخرى في ذلك الوقت.

3 - الشعور بالفوضى وعبثية الحياة وعدم وجود قيمة للإنسان من خلال ملاحظة الفارق الطبقي الرهيب في الهند بين أغنياء يعيشون حياة البذخ وفي أرقى الأماكن، وبين مئات الآلاف من المشردين، وما يسمون بـ (طائفة المنبوذين) من دون سكن ومأوى وأكل، ينتشرون على الطرقات والأرصفة والحدائق!

4 - إلى جانب ذلك تعدّ الهند بلداً للتسامح الديني والقومي؛ إذ يوجد فيها المئات من الأديان والمذاهب والقوميات والإثنيات والأعراق. ونظامها قائم على أساس ديمقراطي متميز.

5 - وفي الجانب الخاص من الزيارة، لاحظت وجود العديد من الأفكار والمعتقدات الدينية والرموز المتشابهة بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية مثل: (وحدة الوجود، تقديس مظاهر الطبيعة، الرموز الطوطمية، الطاؤوس المقدس وكريشنا، الناي، الكأس، تشابه شخصية كريشنا والشيخ آدي، التثليث، الحلول والتقمص، خصلات الشعر في مقدمة وخلف الرأس..إلخ.)، فضلاً عن حوار موجود في كتابهم المقدس (فيدا) بين النفس والروح والجسد، كما هو الحال في النص الديني (قه ولى نه‌فسێ) عند الإيزيدية.

شيء عن فلسفة الديانة الهندوسية:

الديانة الهندوسية أو البراهمية هي أقدم ديانة حيّة في العالم. تضم القيم الروحية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية, متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال الموكلة بها. ولكل منطقة من مناطق الهند، ولكل عمل وظاهرة طبيعية إله خاص بها. وهي ليست مثل الديانات الأخرى. هي ديانة ساناتان دارما (Sanatan Dhar-ma) أو ماناف دارما (Manav Dharma) أي الخلود والأبدية، أو بمعنى الديانة الشمولية. لذلك يمكن القول إن الهندوسية ديانة فلسفة الحياة. ومع أنها أقدم ديانة حيّة في العالم، لكنها تأثرت بالديانة الهندو-أوربية البدائية. وتقول فلسفة الديانة الهندوسية التي تستند إلى كتاب الفيدا إن الله وسائر الأحياء هم من نوع واحد (برهمن)، ويتجلى الله في ثلاثة وجوه؛ هي:

أ- برهمن (اللاشخصي)

ب- برماتما أي (الذات العليا)

ت- بهغفات أي (الغنى)، وتتفرع من هذه الوجوه الثلاثة جميع الأحياء الأخرى.

وتقول هذه الفلسفة أيضاً إن لله ثلاث قدرات: القدرة الباطنية/الروحية، والقدرة الخارجية/المادية، وقدرة الأحياء. والفلسفة الهندوسية هي عملية البحث عن الذات الروحية وفصلها عن المادة، فهي لا تنادي بخلاص الروح وإنقاذها باعتبارها سليمة، وكل ما يحتاج إليه الإنسان هو فهم اختلاف الجسم المادي عن الذات الروحية. وهذه الفلسفة هي التي تقود المؤمن الهندوسي إلى التقشف وحياة الزهد[2]. وإن عملية البحث عن الذات، أي الوصول إلى الآلهة، يمكن أن تتم بطرق عديدة, منها الـ (يوغا) حركات الجسم، أي بأشكال التحكم بالعقل والحواس قبل العثور على الذات العليا داخل القلب، ومن تلك الأشكال طريقة العمل الصالح المتمثل في أداء الطقوس الدينية, وتقديم القرابين إلى الملائكة. والشكل الثاني هو العلم التخميني بمعنى الاتحاد بالآلهة، والشكل الثالث هو التتيّم بحب الله.

أما نظرة الهندوس إلى الآلهة, فتنحصر في المفاهيم الآتية:

أ- التوحيد: أي الإقبال على إله من الآلهة بكل ما يملكون من مشاعر وكأنهم لا يرون إلهاً غيره، ويخاطبونه برب الأرباب[3].

ب- التعدد: يضعون لكل ظاهرة طبيعية سواء أكانت نافعة أم ضارة إلهاً يُعبد أو إلهة تُعبد. ومن تلك الظواهر: الشمس، الماء، الهواء، الأنهار، الجبال...إلخ. ويقدمون لها القرابين.

ت- التثليث: يُجمع كهنة الهندوس على أن الإله الواحد خلق العالم من ذاته, وهو الذي أسموه:

1 - براهما: هو موجود وسرمدي[4].

2 - فيشنو: هو حافظ.

3 - شيفا: هو مهلك[5]. ومن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى ولا فرق بينهما.

إن الديانة الهندوسية، خلافاً لمعظم الديانات الأخرى، ليس لديها نبي أو مؤسس[6]، بل هي تطور فلسفي على مرّ عدة عصور. أسهم فيها فلاسفة بارزون في فترات مختلفة. وهي تجلي وتتويج لعملية التفكير الإنساني. وبهذا الجوهر فإن الهندوسية تعتقد بوجود قوة واحدة لا حدود لسلطتها (الخالق)، ويعبده الهندوس بمختلف الأشكال التمثيلية مثل الأب والأم وروح الأسلاف.

إن من أبسط الأركان التي تستند إليها الديانة الهندوسية، هو عمل الإحسان والخير إلى الكائنات الأخرى، وهذا أعلى أشكال العبادة. وبالعكس من ذلك فإن إلحاق الأذى بالكائنات يُعد من أسوأ أشكال الخطيئة.

يدين الهندوس بولائهم إلى كتاب "الفيدا"[7] المقدس الذي أعد لهم القوانين الأساسية ونظمها. ويعتقدون أن جميع أديان الهند مدينة لـ "الفيدا" بوجه عام. وأن أصل الفيدا ما يزال غير مؤكد. وإنما هناك حتماً آية في الفيدا تقول إن المرء لا يعرف مصدره، لكن التقديرات تشير إلى أن العديد من الأديان قد استلهمت منها.

إن نظرية البروفيسور الألماني ياقوبي التي أسسها بناء على دراسته للعصور القديمة للفترة الفيدية التي يعود تاريخها إلى (4000 ق.م.)، وهي أقدم من العصور اليونانية؛ تقول إن أجداد الهندوس أعلنوا أن الفيدا قد أرسل إلى الحكماء من قبل الآلهة، لكن طريقة إرساله غير معروفة.

بعض الاقتباسات من الفيدا:

بدأت هجرة المجموعة الآرية الأولى في فترة (2000 ق.م.) أو في فترة أسبق. وكانت بقيادة مانو (Manu). ومن اسمه (Manava) اشتُقت كلمة (Man) التي تعني الرجل. ويبدو أنه كان البطل الأعظم من نظام الحكم الفيدي، وأتباعه ظلوا أوفياءً لمبدئه أكثر من أي وقت مضى.

الآية:

"أيها الإله، نحن لا نضلّ الطريق الذي وضعه لنا الأب مانو"[8]. ويتكون الطريق من قانون التوءمين الخالدين سام (سانتي)، وسلام ووحدة يو (يوغا). ومضت رسالة فيدا ترّن بالحقيقة إلى الجميع من دون تمييز بين الطوائف والعقائد والمجتمعات.

رسالة فيدا للنيات الحسنة، أنا أعلنه لجميع الرجال، وأنت أيضاً تظهره لبراهما وكشاتريا، شودرا والمرتبطين بفايسيا وغير المرتبطين به[9]. كانت البشرية واحدة، يدينون جميعاً بدين واحد، ويتكلمون لغة واحدة[10].

يتطلع سارفا بهووتراتا (Sarva Bhutra) باستمرار إلى تحقيق الرفاهية للجميع، ولا يضمنها للجنس البشري فقط، وإنما يضمنها أيضاً للطيور والحيوانات والنباتات والأشجار من كافة نواحيها.

وبسبب نظرتها التقدمية والليبرالية؛ فإن الثقافة الفيدية، جنباً إلى جنب مع الفلسفة، نشرت نورها للقاصي والداني، ونشرت الجيد من الثقافة الهندية في كل مكان ومن دون تردد. وكان هذا الاندماج المحتمل ممكناً، فالحكماء القدامى هدفوا إلى إيجاد تناغم هرموني بين آراء جميع الآلهة في مجمع (بانثيون) آلهة الهندوس، الذي هو في الحقيقة مظهر من مظاهر الإله الواحد:

"هو براهما، هو اندرا، وهو راجاباتي، هو هذه الآلهة جميعاً.
هذا هو صوت/صدى لفيدا: ايكام سات (الواحد الأحد هو الحقيقة)
نظرة واحدة عمت كل شيء
ماهو غير مرئي
لا أسرة له ولا عشيرة

لا بصر له ولا سمع

لا يد له، ولا قدم

هو الأبدي الخالد يسود جميع الجهات،

هو الخالد بين جميع الموجودات، (فنشر) الموجود في كل مكان، اللطيف جداً

هو الباقي الذي ينظر إليه الحكماء بوصفه مصدراً للكائنات.

السماوي العديم الشكل هو الشخص

هو الذي لم يلد ولم يولد بعد

لا نفس له، الـمغرور "Mindless " والطاهر

أعلى من العلا، هو الخالد." (Mundaka Up)

لا يمكن إلا النظر في نهاية المطاف مع العقل الباطني والبحث في فترة غير محدودة.

وقال: "إنه من الشخص الذي تصور أنه يعرف ما لم يكن، إنه غير مفهوم من قبل أولئك الذين يقولون إنهم فهموا وأدركوا ذلك، إنه معروف من قبل أولئك الذين يقولون إنهم لم يفهموه." (Kena Up II)

"في الواقع للفهم حدود

من هو الذي غير معروف

هو كائن وغير كائن

هو جميع وجوه الرغبة

هو أرفع من الفهم والإدراك[11].

"أعلن الحكماء القدامى أنه كان لديهم معرفة "به- الله". "اسمعوا يا أبناء آمريتا هذه دعوة واضحة للجميع، حتى اليوم في حين أن العالم مليء بالتوتر ووصمة العار، نحن مثل الأسد المقيد الذي يطوف عبثاً للخروج من الحلقات الصحيحة".

وعندما ينخفض الشعور بنبض الحياة والقدرة على كل شيء لدى الشخص الآري، يردد الدعاء التالي: "يا إلهي! ربما نحن نسمع بآذاننا ما هو جيد، ونرى بأعيننا ما هو حسن، وأنت معبودنا المقدس!"[12]. "هكذا منحتنا موطناً/مسكناً واسعاً خالياً من الأعداء، يا إلهي ترزقنا بأنواع المأكولات."[13]

وكان الحكماء يسألون عن شيء من النور السماوي: "حيث يوجد نور السماء ويضيء البريق الأبدي. فمن الواضح أن العالم مليء بالنور، وحيث يوجد الطعام توجد الفرحة الكاملة، وتوجد السعادة والأفراح ووسائل التنقل واندماج المرافق الحياتية وتتحقق رغبات الوجد."[14]

يدعو أتباع الفيدا ومحبوه إله الشمس[15] الذي يمدهم ويحييهم بالأشعة السماوية التي تطهر الجسم والعقل معاً، وتمنحهم الطاقة الأبدية. وفي غيتا (Gita) نجد الرب كريشنا يعلن لـ (Sri Arjun) أن الأشعة السماوية "توجد في كل شيء سواء أكان حياً أم جماداً".

نامو دارمايا، ناماه سافاداتيريكايا: تحية للدين، تحية للدين الذي يعد مصدر جميع الأديان. وهذا أيضاً كان نوعاً من اعتقاد آشوكاس (Ashokas) الذي وصف الدين الهندوسي بأنه جوهر الأديان[16].

ظهرت الديانات الأخرى غير ساناتان دارما (Sanatan Dharma) في مرحلة لاحقة ومتأخرة جداً وفقاً لاحتياجات الزمن. وكان النظام الطبقي من صنع الإنسان للحفاظ على نوع من الانضباط، لكن مما يؤسف له أن ذلك النظام تعرض إلى الكثير من التشويهات فيما مضى، وهو في حاجة إلى الإصلاح العاجل الآن. وقد رحبت الديانات الأخرى بالثقافة الهندية، ولم يكن هناك أي خلاف معها.

ونجد في الأساطير الهندوسية أن النسر خدم راما (Rama) وكاكبوشوندي (Kakbhushundi)، والغراب قرأ قصة راما، وذهب شيفا (Shiva) للإصغاء إليها. حارب الدب جاموانت (Jamwant) شري كريشنا (Shri Krishna) أول الأمر ثم تزوج ابنته. هانومان (Hanuman) هو القرد الذي قال لراما إنه يشبه شقيقه بارات. أما النسر غارود (Garud) فهو مركبة الرب فيشنو (Vishnu)، و شيفا يمتطي الثور، والإله لاكشمي (Lakshmi) يملك البومة التي لا يمكن رؤيتها في أثناء النهار. في حين أن الإله غانيش (Ganesh)- هو بهيئة جسم إنسان ورأس الفيل- يستخدم الفأر. حتى الكوبرا السامة تزين شيفا (Shiva). كما أن دورغا (Durga) تمتطي الأسد، وكارتيكا (Kartika) تمتطي طير الطاؤوس لتطوف به حول العالم[17]. وبناء عليه، فإن مختلف الآلهة يستخدمون مختلف الحيوانات

والطيور. وكل ذلك ليس من الخيال، بل له معانٍ رمزية عميقة، ولكن توضيح هذه المعاني يستغرق وقتاً طويلاً جداً.

حتى الأشجار لم تُنسى، فمثلاً شجرة (Tulsi) (التي تستخدم لاستخراج الزيت) تعتبر نباتاً مقدساً[18]. وتُعبد شجرة (Banyan). ويُعتقد أن أشجار Meli aza-dirachta arista وsaraca Indica وAshoka Punnag و Calophyllam in-ophyllum وMimosa Sirisa و Priyangu و Aglaia roxburg liana وغيرها الكثير من الأشجار- تجلب الرفاهية والرعاية للبيت.

كما يُعتقد أن شجرة بالاكا Palaka (Buteafrondosa) التي تنمو في شمال الهند، تجلب الحظ. وأن شجرة (vata) في الشرق، وشجرة Ashwattha (ficus-religiona) في الغرب من الهند، لهما فضائل مماثلة. ويشار إلى أن لشجرة الـ Neem (Melia indica) العديد من الصفات الطبية. لذلك لم تُنسَ الأشجار أو تهمل. وُصفت بكونها كائنات حيّة وتُعامل على هذا النحو.

منع الإمبراطور آشوك (Ashok) قتل الطيور وقطع الأشجار المزروعة على الطرق حتى يشعر المرء بالوحدانية معهم. ومن شاهد الهند يتضح له وجود وحدانية بين البشر والطيور، والحيوانات والنباتات. (وحدة الوجود). حتى اليوم، يشعر الهندوس بوجود الله سبحانه وتعالى في كل شيء، ويغنون له بصوت عالٍ:

"أصدحُ لك أغنية جاهزة
أغنية الإنسان بصوت عالٍ
بصوتٍ من أقصى الويل
أيها السائل، أيها الحرّ، أيها المعطاء!" [19](walt- whitman)

أما من ناحية العنصر، فيرى بعض العلماء أن العنصر الدرافيدي (قبل العنصر الآري) هو نتاج امتزاج حصل بين العنصر الأبيض المتوسط في العراق وعنصر الفيديد (الاستراليود)، فكان حصيلة ذلك العنصر الدرافيدي الحنطي المسود الذي يزداد سواده كلما اتجهنا جنوب الهند، ويزداد بياضه كلما اتجهنا شمال الهند وباكستان ليصل إلى البياض العام هناك. ويرى بعض من العلماء أن أصولهم تكمن في العراق بعد ظهور الزراعة، وتزداد الشعوب والأعراق، وهناك من يضع اللغة الدرافيدية الأم مع اللغة السومرية في تصنيف واحد[20].

الإله الأعظم هاري كريشنا[21] Hare Krishna

كريشنا هو الله بشخصه وعظمته. وهو الواعي لكل شيء. وهو أحد آلهة البانثيون الهندي. ويُكتشف من دراسة الأدب الفيدي أن أنصاف الآلهة هم بالفعل ملائكة، ومن فوقهم يوجد الله؛ الأحد، لم يولد، أزلي...هو كريشنا! وكما يعكس في الآية الأولى من كتاب الشريماد بهاغفاتام:

"ربي شري كريشنا ابن فاسودفا، أسجد تعظيماً لك أيها الحق الذي يَسِم الوجود. أتأمل في الرب شري كريشنا لأنه الحق المطلق والعلة الأخيرة لكل العلل. خلق الأكوان الظاهرة وحفظها وهلاكها. هو يعي كل الظواهر بصورة مباشرة وغير مباشرة, وهو المستقل لعدم وجود سبب وراءه سواه. هو الذي أوحى أولاً العلم الفيدي بقلب برهماجي أول مخلوقات الكون. هو الذي يصيب حتى كبار الحكماء والملائكة بالوهم, مثل حيرة الفرد حين يرى الماء في النار أو اليابسة في الماء. الأكوان المادية التي تظهر نتيجة ردود فعل الجبلات الثلاث تبدو حقيقية بخلاف الواقع. لذلك، أتأمل في الرب شري كريشنا باقي الوجود في داره العلية المنزهة, أزلياً عن أوهام العالم المادي. أتأمل فيه، لأنه الحق المطلق".

تختلف ماهية الله من معتقد وديانة الى أخرى. فهل الله مجرد طاقة أم نور لا نهائي أم فكرة سامية أم هو معتقـَد تجريديّ تماماً، أم هو على صورة إنسان كهل مع لحية طويلة، يجلس فوق العرش في السموات، ويحمل كتاباً ضخماً (اللوح المحفوظ), يسجل فيه أعمال البشر كي يحاكمهم في الآخرة؟

إن فكرة الفيدا ومفهومها للإله شائقة ومثيرة. فهي فلسفة متكاملة ومليئة لا يمكن مناقضتها. وهي تدور حول طبيعة محبة الإله. وتدعي هذه الفلسفة (الوحدة والاختلاف المتزامنين معاً). فهذا المفهوم يصف الإله كشخصي ولا شخصي في الوقت ذاته. بمعنى أن الإله موجود في كل شيء بصورة طاقة بوساطة قدراته المختلفة، ولكن مع ذلك، ينفرد عن كل شيء بشخصيته العلية. هل الله شخص أم شيء؟ تقول الكتابات الهندية إنه الاثنين معاً. ولكن أي مفهوم هو أعلى وأسمى، المفهوم الشخصي أم المفهوم اللاشخصي؟ مفهوم الإله كبهاغافانا (شخصية) أم مفهومه كبراهمان (طاقة لا بداية لها ولا نهاية)؟

"وأنا هو صمد براهمان، الروح السرمدي الخالد، مقام السعادة الأبدية"[22].

كريشنا هو مصدر البراهمان، الطاقة السرمدية المقيمة في كل شيء. وتفسر الكتابات الهندية وهج البراهمان كالنور المنبثق من جسم الإله الروحاني. مثل الشمس التي يغمر ضوءها كل شيء وتضيء الكون، ولكن هذا الضوء هو فقط إشعاع كرة الشمس الساطع. من الواضح أن الشمس ذاتها هي مصدر ضوء الشمس. وبالمثل، كريشنا أيضاً هو منبع كل طاقاته.

وحسب الفلسفة الهندوسية فإن الله، كريشنا، هو الشخصية الأصلية. وكل ما يوجد في الإنسان موجود بماهيته أيضاً في مصدر الإنسان. الابن يحمل صفات معينة مما لدى أبيه. وبالرغم من أن كريشنا والإنسان (حسب فلسفة الفيدا) يملكان الهيئة والشخصية، لكن هيئة كريشنا غير محدودة مثل هيئة البشر؛ هيئته روحانية، لم تولَد، أزلية، ولا يحدّها وقت أو مكان. كريشنا هو شخصية فريدة من نوعها. هو الأجمل، هو الأكثر فكاهة، هو الأقوى. هو الصديق الأوفى، هو غاية المحبة الأكثر استحقاقاً، وهو الذي يحب أكثر من أي شخص آخر. فاتن ألباب كل من يلقاه, وهو يدعو البشر إلى لقائه، بداية، عن طريق التأمل باسمه. يُرسم كريشنا عادة على هيئة ولد راعي بقر يعزف الناي أو أمير يقدم توجيهات فلسفية.

يتبع محبو حركة هاري كريشنا الأدب الفيدي الهندي القديم، وفي المقام الأول(Bhagavad Gita [23]) و(Bhagavadm التي تعود إلى أكثر من خمسة آلاف عام، ويؤمن بها في الوقت الحاضر أكثر من تسعمئة مليون شخص؛ أي تعد ثالث أكبر ديانة من حيث العدد في العالم بعد المسيحية (2 مليار)، الإسلام (1.3 مليار وثلاثمئة مليون)، و(850 مليون) من غير المؤمنين بأي دين من شعوب الأرض. وتعتقد الهندوسية أن آلهتهم قد حلت في إنسان اسمه (كريشنا)، وقد التقى فيه الإله بالإنسان أو حلّ اللاهوت في الناسوت. وهم يتحدثون عن (كريشنا) كما يتحدث المسيحيون عن (المسيح)، وكما يتحدث الإيزيديون عن (آدي). وهنا يظهر كأن الديانتين الأخيرتين أخذتا مفهوم (التثليث) من الهندوسية.

لماذا يهتف أتباعه دعاء هاري كريشنا؟

إن دعاء/تعويذة (Hare) هي حركة أو (اهتزاز) الصوت الروحي الذي ينقّي الوعي ويوقظ الحب الإلهي. الهتاف بـ (كريشنا، هارى كريشنا، كريشنا هارى، كريشنا هارى هارى، هارى راما، هارى هارى راما، راما راما هارى هارى).[24] ينصح في الأدب الفيدي بوصفه أسهل طريقة للوصول إلى الكمال الروحي في هذا العصر. (كاليوك Kaliyuk وكريشنا Krishna) هو الاسم السنسكريتي، ويعني "كلي الجاذبية". و(راما Rama) هو اسم آخر من أسماء الله بمعنى "خزان جميع النعم والمسرات". وتشير كلمة هارى (Hare) إلى الطاقة الداخلية للرب، وذلك فإن شعار "هارى كريشنا" يعني "يا كلي الجاذبية، يا رب جميع النعم والمسرات، أيتها الطاقة النابعة من الرب، مبتهلين لك أن تدخلنا في خدمتك". وهناك طريقتان لترتيل هذا الشعار/الدعاء: مجموعة تردد (Kirtana), وأخرى تهتف فردياً (Japa). وتطبّق قواعد صارمة لكلتا الطريقتين، ويمكن لأي شخص أن يتلو هذا الدعاء متى ما شاء.

كما أشرت إليه في الحاشية، يهتف الإيزيديون هتافات مدوية مصاحبة بانفعالات روحية وشبه هيسترية في المناسبات الدينية: (هۆل هۆلا تاوسیمەلەکە Hol hola Tawsîmeleke- هۆل هۆلا ئێزیيە Hol hola Êzîye - هۆل هۆلا شیخادییە! Hol hola Şîxadîye)، بمعنى التقديس والمجد للأسماء المذكورة. على الأرجح (هۆل هۆلا Hol hola) هو نفسه (Holy) في اللغة الإنكليزية و(Heilig) في اللغة الألمانية بمعنى مقدس وخالد، ومنها (هلّلويا Halleujah) بمعنى الشكر لله، و(هاللو Hallow) بمعنى يقدس ويبجل[25]. وتعود إلى الجذر "هلج" و"هلت", والأرجح أنها من جذر (هال) و (جل).

لماذا الهندوس نباتيون؟

تسمى الكتب الفيدية التي تدعو إلى اللاعنف الـ (ahimsa) بوصفها الأساس الأخلاقي للنباتيين و للمجتمع السلمي. وفقاً للفيدا فإن الله هو الأب الأعلى لجميع المخلوقات، وليس فقط للبشر. ولذلك يعدّ قتل الحيوانات البريئة وذبحها معادلاً لقتل الأخ أو الأخت.

يلتزم أتباع كريشنا بتطبيق نظام غذائي نباتي صحي باستثناء أكل اللحوم والأسماك والبيض. وحسب المعتقد الفيدي يمكن القول إن النباتيين مذنبون بـ (قتل) الخضراوات والأطعمة مثل الفواكه والمكسرات والحليب والحبوب التي لا تتطلب القتل، لأن النباتات تملك أيضاً وعياً مختلفاً عن الحيوانات؛ لذلك عندما تؤخذ حياة النباتات (كقطعها أو قلعها..إلخ)، فإن الألم أقل بكثير مما لدى الحيوانات الحساسة مثل البقر والخروف. يقول الرب في غيتا باغافاد: " إذا قدّم لي أحد بالمحبة والاخلاص ورقة، زهرة، فاكهة أو ماءً، فأنا أقبلها منه"[26].

وفقاً لـ (Karma) إن قانون الطبيعة المتمثل بالفعل وردّ الفعل, يفرض على البشر أن يعانوا من أي قتل هو ضد شريعة الله؛ لهذا السبب ومن أجل إظهار الاعتراف والتقدير للرب والواهب لجميع المواد الغذائية، يُعدّ أتباع كريشنا وجبات طعام نباتية كقرابين للمعبود كريشنا، الشخصية الربوبية الأعلى، ويُطلق على هذا الطعام [27](prasadam) أي الغذاء الروحي, وهو كامل الاستمتاع ومن دون ردة فعل الـ (Karmic).

لماذا يرتدي كهنة الهندوس الجلباب والساري Saris؟

يرتدي الشخص في الثقافة الفيدية القديمة، رجلاً كان أم إمرأة، الملابس وفق حالته الاجتماعية والدينية. وحسب تلك التقاليد فإن النساء اللواتي يعملن في خدمة هارى كريشنا، يرتدين الساري (Saris)؛ أما الرجال فيرتدون الجلباب (dhotis)؛ والمتزوجون منهم يرتدون الملابس الزعفرانية (أصفر قهوائي), ويحلقون رؤوسهم, ويتركون خصلة من الشعر خلف الرأس تسمى بـ (السيخ أو السيكا [28])(Sikha) ، ويعد ذلك علامة على التنازل والاستسلام لكريشنا، فضلاً عن كونها تعني النظافة والبساطة. و الـ (سيخ، سيكا) هي أيضاً علامة على قبول الفرضية القائلة إن الله على هيئة شخص/بشر، وليس مجرد قوة وصفات شخصية. والطين المسمى (Ti-lak)[29] الذي يضعه الهندوسي على جبهته يشير أو يعني أن الجسم هو هيكل الإله. ويؤتى بذلك الطين من الأنهار المقدسة في الهند.

هل تعتقد الهندوسية بالحلول والتقمص؟

نعم، يؤكد الكتاب الرئيسي (Bhagavad Gita) لحركة هاري كريشنا أن "الروح المجسدة تمر باستمرار من هيئة إلى أخرى؛ من الصبا إلى الشباب إلى الشيخوخة. وأن الروح تمر بالمثل إلى هيئة أخرى عند الموت". وتدرك النفس أن الروح ليست حائراً بمثل هذا التغيير". ويفسر "الفيدا" أيضاً أن الروح في العالم المادي تتحول/تتقمص (transmigrates) ضمن دورة الحياة والموت المادي من خلال 8.400.000 شكل من أشكال الحياة. وأن الشكل البشري للحياة هو الولادة الوحيدة التي توفر فرصة واحدة للكمال الروحي. أما الكائنات والأنواع الأخرى الأدنى من البشر، فإنها لا تتمتع بالموهبة والذكاء الكافيين للفهم والإدراك الروحي كشيء مختلف عن الجسم.

هدف الحياة وفقاً لفلسفة كريشنا الواعية

تنص تعاليم "الفيدا" على أن الهدف من الحياة هو تعلّم كيفية خدمة الله، وإحياء تلك المحبة في سبيل الله، والعودة إلى العيش الأبدي[30] معه في العالم الروحي في نهاية الحياة أي بعد الموت. وأن الشفاعة من ماها مانترا (Mahaimantra) توقظ الهوية الهندوسية الروحية الأبدية[31] بالكامل، تلك الهوية التي هي أبعد ما تكون على هيئة مؤقتة أو قيود مفروضة على العالم المادي. هذا الإدراك الذاتي ينقي الوعي الهندوسي, ويحررهم من دورة الولادة والموت المتكررة أو من التناسخ.

متى بدأت حركة كريشنا؟

في عام 1965م سافر الكاهن الهندوسي (A. C. Bhaktivedanta Swami) مع جده من الهند إلى أمريكا لنشر الأفكار والوعي بتعاليم كريشنا في العالم الغربي. وهو الشخص الوحيد الذي أسس الجمعية الدولية للوعي بكريشنا (ISKON). تضم اليوم أكثر من خمسمئة معبد ومجمعات زراعية ومدارس، مع أكثر من ثلاثة ملايين عضو في الغرب، وخمسين مليوناً في جميع أنحاء العالم. وترجم (Srila Prabha-pada) أكثر من خمسين كتاباً حول تعاليم كريشنا, أصبحت الآن متوفرة في أكثر

من ثمانين لغة. قبل وفاته عام 1977، قال(Bhaktivedanta Swami): أنه نظم لجنة مجلس الإدارة لحركة الاسترشاد. تتكون من كبار تلامذته للاستمرار في نظام الخلافة، وإعطاء صلاحيات تدريب لتلامذته، تمكنهم من إيصال هذه المعرفة إلى الآخرين، وتسهيل استمرار هذه الحركة في المستقبل.

مقاربات بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية

تمهيد:

قبل الدخول في المقاربات بين الديانتين، من الضروري الإشارة إلى حركة الأقوام والمجموعات البشرية عبر التاريخ القديم من موطنها الأصلي إلى أماكن أخرى, واختلاطها بمجموعات وأقوام أخرى. نتج عنها عملية تأثر وتأثير في الأساطير والأفكار الدينية والعادات الاجتماعية واللغة...إلخ.

وبهذا الصدد نعود إلى نظريات العديد من العلماء الكبار، منهم (آرثر كيث، ماكس مولر). تحدث هذان العالمان عن عصر الهجرات البشرية وموطنها, وعن الصلة الحميمة بين اللغات التي تشترك فيها أوربا كلها تقريباً مع نصف آسيا الغربي تقريباً. فمن جهته يكتب (آرثر كيث) أن الهجرات البشرية بدأت منذ نحو عشرين ألف سنة. ويقول (ماكس مولر) إن من (البحر الآري) كما يسميه، الممتد من الهند الى الأطلسي، نبع مخزن بشري, كان يعيش في العصور السحيقة في منطقة نهري سيحون Oxus)) وجيحون (Jaxartes) شمال أفغانستان وغرب البامير(Pamir) والهندكوش Hindkush)). وقد تدفقت من هذا النبع عبر التاريخ وما قبل التاريخ موجات بشرية متعاقبة نتيجة للجفاف الذي حل بالمنطقة تدريجياً عبر آلاف السنين فجعل الحياة فيها صعبة أو مستحيلة، ما حدا بتلك الموجات جنوباً نحو سهول الهند وغرباً نحو هضبة أرمينيا والأناضول ثم أوربا، وكل موجة تأتي كانت تدفع سابقتها باتجاه الأطلسي[32]. وقد أثبت التاريخ، كما أثبتت الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الاجتماعية، أن المخزن البشري العظيم الذي خرج منه العديد من أقوام منطقة الشرق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، كان في المنطقة المحيطة ببحر قزوين في ميديا عبر جبال القوقاز حتى البحر الأسود. وقد دلت الأبحاث

التاريخية والأثرية على أن حضارة سومر Sumer)) جنوب العراق، وهي أقدم حضارة معروفة في بلاد ما بين النهرين، كانت حضارة هندية أوربية. فبتحليل نقوشها وجد العلماء أن اللغة السومرية لغة ميدية سكيذية (Medo-Scythic)؛ وهذا يشير إلى موجات هجرة بشرية خرجت في أوائل الألف الثالثة ق.م. من مراعي ميديا شمال إيران المتاخمة لبحر قزوين، ومن مراعي سكيذيا في القوقاز، ومن مراعي "سيميريا Cimmeria" حول البحر الأسود، واستقرت هذه الموجات في بلاد ما بين النهرين, وأعطتها لغتها الهندية الأوربية, وربما أعطتها اسم "سومر" أو "ثومر" من اسم "سيميريا" القديم[33].

من هذا العرض العلمي المقتضب، يواجه الباحث العديد من الافتراضات والحقائق؛ منها:

- التاريخ الحقيقي هو ما يتركه الانسان من أثر على الأرض، وما تصنع يداه، وما يخرج من فكره وما يخطه قلمه. مع ذلك وحسب رأي بعض الباحثين لا يوجد تاريخ صحيح للماضي بالمفهوم العلمي لعلم التاريخ، بل هناك علم تفسير الآثار والحفريات والبرديات. بمعنى أن العلم متغير بطبيعته. والافتراضات والتخمينات التي يضعها الباحث هي محاولات لملء بعض الثغرات أو الفراغات في سلسلة التاريخ القديم.

- تحدث الهجرات البشرية بين الأقوام التي تمتلك مقومات القوة والحيوية ودرجة عالية من التنظيم والتماسك الاجتماعي لكي تتمكن من غزو الأقوام الأخرى.

- عندما تهاجر الأقوام فإنها كثيراً ما تنقل معها إلى مهجرها الجديد أسماء الأعلام والأنهار, وأسماء الأعداد, وأسماء القرابة الأساسية, وأسماء الحيوانات والنباتات, وأسماء الظواهر الطبيعية، وأسماء القبائل والأبطال والآلهة وأنصاف الآلهة. ولهذا فإن الطقوس المشتركة بين الأقوام ليست نتيجة التأثر والتأثير، بل هي نتيجة وحدة في الأصول.

- إن الأقوام القادمة إلى غير أماكنها تأتي بالقوة غالباً, وتفرض ثقافتها على أهل الأرض الأصليين، والأخيرة تدافع عن أرضها حسب إمكانياتها.

- بناءً على حركة التاريخ تلك، يجب أن نقف موقف الحذر من نظريات النقاء

السلالي والنقاء اللغوي[34] ، وعدم الخلط دائماً بين الجنس واللغة أو بين القومية واللغة, مثلما تدعيه النظريتان المستمدتان من أدب التوراة والأفيستا, وذلك بتقسيم البشر إلى ساميين وحاميين وآريين (يافث). فليس جميع الناطقين باللغات الآرية دائماً آريين، وليس جميع الناطقين بالساميات دائماً ساميين. لذلك, فإن السامية والحامية واليافثية ليست تقسيمات سلالية, وإنما مجرد تقسيمات لغوية[35].

أين تقف جذور الإيزيدية وأفكارها وتراثها ومعتقداتها الدينية الحاضنة للعديد من عقائد ديانة سومر وبابل وآشور، ورموز عقائد الديانات الهندية التي أشرنا إلى بعض المقاربات في الهوامش، وسنشير إلى بعضها الآخر لاحقاً؟ وإذا كان السومريون من أقدم الموجات البشرية القادمة من مراعي ميديا شمال إيران المتاخمة لبحر قزوين، و"إبراهيم" -حسب بعض المصادر- هو "الايونيم Eponym القومي"، اسم رمزي طوطمي لموجة عرقية هندية إيرانية استقرت في "أور" عبر لورستان في إيران ثم هاجرت إلى حران في عهد الكاسيين (Kassites (1800 ق.م.)- فإن الإيزيدية هي الديانة الوحيدة الباقية لإحياء أكبر وأهم أعياد سومر (عيد أكيتو/رأس السنة)، وتقدس رئيس الملائكة ديموزي/طاؤوس ملك، وتتبع التقويم الشمسي البابلي، والحاملة لقصص ونصوص دينية "إبراهيم".

ألا يثير ذلك سؤالاً؟ ألا تجلب هذه الطقوس المشتركة انتباه الباحث وتدفعه إلى النبش والتقصي, ووضع مقاربة بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية من خلال جملة من العقائد والرموز؟ من أين دخلت هذه الأفكار إلى الديانة الإيزيدية؟ ولماذا تحتفظ هي بها من دون غيرها من الديانات؟ السؤال الآخر: هل يمكن القول: نحن هنا نضع أيدينا على حلقة مفقودة من حلقات الديانة الإيزيدية التي هي في حاجة إلى البحث للتعرف إلى مسار نشأتها وتطورها عبر التاريخ القديم؟ علماً أن هنالك العديد من الأفكار والقصص والرموز المتبعثرة في ثنايا النصوص الدينية الإيزيدية التي لها دلالاتها حتماً. وهي في حاجة الى النبش والتنقيب لمحاولة معرفة جذورها الفكرية والتاريخية. هذه خميرة لفرضية لكتابنا السابق (نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية).

براهمن/براهما وإبراهيم الخليل، تشابه الأفكار

في كتاب فيدا المقدس، القسم الأول، مادة "سر الموت"، يؤدي الكاهن "فايا سرافاسا" طقوسه الدينية بسرور، راجياً رِضا الآلهة التي اشترطت أن يتخلى عن كل ما يملك مقابل ألا تتقصده بشرّ، وأن يكون دائم التقرب إليها بتقديم القرابين، على ألا يكون فيها ماشية ضعيفة أو عمياء أو عرجاء أو هرمة أو عقيمة. وكان للكاهن "فايا سرافاسا" ابن اسمه " ناخيكيتا" وهو أصغر أبنائه. فكّر هذا الابن وقرر أن يهب نفسه لأبيه؛ ليتصرف بها كما يريد، وقال:

" يا أبي، إني وهبتك نفسي لتفعل بها ما تريد

وستجدني من المطيعين الخاضعين، فلمن ستهبني؟[36]

إذا كان النبي إبراهيم، أبو الديانات الابراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، هو (براهما) إله الهندوس، فما علاقته بالإيزيدية؟ وما الأساس الفكري العقائدي والتاريخي لاحتفاظ المخزون الديني الإيزيدي لكمٍّ من قصص النبي إبراهيم سواء في مصر أم في قصة بناء الكعبة في مكة؟ وهل تعدّ الايزيدية النبي إبراهيم أباً لها كما هو الحال لدى الديانات التي يطلق عليها الإبراهيمية أم هنالك علاقة أخرى تربط الإيزيدية بهذا النبي؟

يشير الكثير من المؤرخين والكتاب إلى أن النبي إبراهيم هو من أور الكلدانيين جنوب العراق الحالي. ومن هناك رحل شمالاً إلى حران ومنها إلى أرض كنعان فمصر زمن حكم الفراعنة[37]. وقسم أخر يعود بأصله إلى مدينة نمرود شمال شرق مدينة الموصل التي ما زالت آثار قلعتها شاخصة إلى هذا اليوم. وفى رواية أخرى يذهب بعضهم إلى أن إبراهيم كان من الهكسوس، وأنه دخل مصر عام 1780 ق.م. مع بداية حكم الهكسوس لمصر. ويقول المؤرخ فيليب فاراداى (Phillip R. Sr Varaday) إن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة. كما أنه يتفق أيضاً مع بعض المؤرخين بأن هناك علاقة وثيقة بين حكام الهكسوس وتسهيل دخول العبرانيين إلى مصر واستقرارهم فيها، وهذا يتفق مع ما ورد فى كتاب نايت ولوماس (Knight & Lomas)) أن إبراهيم كان من الهكسوس، وأنه وصل إلى مصر عام 1780 ق.م.[38].

لكن رغم اتفاق القصة التوراتية مع قصص الإخباريين المسلمين حول موطن

النبي إبراهيم الأصلي التي مفادها: إنه هاجر من موطنه الأصلي في بلاد الرافدين إلى فلسطين، وإنه زار مصر زيارة مهمة وخطيرة- فإنه لم يُعثر حتى الآن على أي دليل آثاري سواء كان كتابة أم نقشاً يقبل التفسير أم في نصوص تقبل التأويل يمكن أن تشير إلى النبي وقصته سواء في آثار وادي النيل أم في آثار وادي الرافدين، على كثرة ما اكتشف فيهما من تفاصيل ووثائق[39]. ورغم الحضور الكثيف للنبي إبراهيم في الديانات الثلاثة، إلاّ أن بعض الباحثين يعدونه شخصية أسطورية، لا تمت إلى علم التاريخ بصلة، حتى أن بعضهم قد عدّ جميع قصص البطاركة القدامى مجرد قصص خرافية لا ظل لها من حقيقة. وأثبت بعضهم أن تلك الأسماء كانت أسماء لشخصيات إلهية في عبادات قديمة، وأن أساطيرها كانت متداولة قبل التوراة في القصص الأسطوري لبلاد كنعان، وأن العبريين عندما جاؤوا أرضهم وورثوها، ورثوا معها تراثها، فوجد هذا التراث طريقه إلى التدوين في التوراة كقصص أنبياء بني إسرائيل. في حين يشير آخرون, فيما يخص النبي إبراهيم، إلى أسطورة باسم (براما) كانت واسعة الانتشار قبل ظهور العبريين، وعُرفت في بلاد إيران والهند وما حولها، وأنها أصل عقيدة (براهما) الهندية، وأن العبريين بدورهم قد تبنوا هذه الأسطورة, وحولوها إلى شخصية إنسانية، واحتسبوا (براما) جدهم البعيد، تأسيساً على منهج التدين القديم القائم على تقديس الأسلاف.

وبهذا الصدد يضيف د. لويس عوض: أن براهما (ربما كان "براهما" الذي نسمع صداه في "إبراهام" أو "إبراهيم" هو "الإيونيم Eponym" القومي، اسم رمزي طوطمي لموجة عرقية هندية إيرانية استقرت في "أور" عبر لورستان في إيران, ثم هاجرت إلى حران في عهد الكاسيين(Kassites 1980 ق.م.)، لتعيش في ظل هذه الأرستقراطية العسكرية التي نزلت إلى حرّان من القوقاز (Casicasus) أو سكيذيا Scythia))، وخرج منها الأشكينازي ((Ashkinazi, وكان إبراهيم يعبد الإله "سن Sin" رب القمر.. وكان اسم الإله الذي عبده إبراهيم هو "شداي Shaddai" أي إله الجبل[40].

يلعب إبراهيم الخليل دوراً بارزاً في الديانة الإيزيدية التي تقدس إله القمر والشمس. وتطلق على الأول "ملك سن" وعلى الثاني "شمس". وتذكر الكتب

أن إبراهيم كان يعبد إلهاً اسمه "شداي". فهل إله إبراهيم هو الذي تحول إلى "شيطان" وألصق زوراً بالإيزيدية؟! إذا كانت النظرية التي مفادها أن إبراهيم له صلة بـ "براهما" و"الإيونيم Eponym" القومي الهندي الإيراني، فسيكون لصلة "إبراهيم الخليل" بالإيزيدية حديث آخر. وهذه الفرضية ستكون نقطة أساسية لانطلاق مشروع بحثنا هذا[41].

* ديموزي/طاؤوس ملك الإيزيديين:

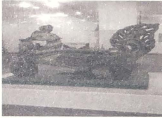
حاول العالمان (هيرتزفيلد ولويس غراي) إثبات أن (ديموزي آبسو Dumu-zi Apsu) بمعنى "ابن آبسو الحقيقي" رب الخصب عند السومريين والبابليين والآشوريين، هو نفسه ابن أبتيا (The son of Aptza) الذي حدثنا عنه "الآفيستا". وهو نفسه "آبسو" رب الماء في الأساطير الآرية (الهندية-الأوربية). وحاول هيرتزفيلد أن يثبت "دوموزي" بمعنى "بيت آبسو" ولها صلة بالجذر الهندي الأوربي "دوم Dom" لاتينية Domus بمعنى "بيت". فإن (أسورا) في "الفيدا" و(آهورا) في الآفيستا، فالكلمات الثلاثة من جذر واحد الـ (س)[42].

وإذا صحت هذه النظرية أو الفرضية، فإن (تاوس، تاوز، تيئوس) رئيس ملائكة الإيزيديين هو ديموزي نفسه. ويشترك معهم في الجذر ذاته (س) أو (ز). لا يفرق كونه يخضع لتبديل الحروف. وبهذا نضع أيدينا على أحد الخيوط الفكرية العقائدية المهمة التي تربط بين الديانة الهندوسية- السومرية البابلية والإيزيدية (آبسو- ديموزي- تاوس، تاوز).

لتعزيز خيوط الفكرة العقائدية أعلاه بين الديانتين، يمكن طرح رمزية الـ(طاؤوس) المقدس من خلال (هيكل الطير طاؤوس) و(الناي) مع كريشنا الهندوسي الأعظم، مقابل الطواويس المقدسة لدى الإيزيدية. ويعتقد الهندوس أن كريشنا فضّل طير طاؤوس على جميع الطيور، كونه يمثل جمال العالم وعيونه، ويتجلى فيه جمال الشمس. وفي بناء المعابد (كما في الصور المنشورة أدناه) يُلاحظ أن هيكل الطير طاؤوس يعد ركناً من أعمدة المعابد، ومرسوماً في واجهاتها و شرفاتها[43].

أما فيما يحص آلة (الناي) المقدس الذي ينفخ فيه الإله الهندوسي كريشنا، وهو نفسه (الشباب) الشبه المقدس عند الايزيدية، فتقول القصة أو الأسطورة الهندوسية إن الإله كريشنا قطع نبتة القصب ذات مرة، فسأله أحدهم متعجباً: كيف تقتل (تقطع) نبتة القصب البري؟! فردّ عليه: إنه سوف يحييها. وصنع منها آلة الناي، وبدأ ينفخ فيها فأصدرت أجمل الألحان الشجية! ولهذا نلاحظ الناي ملازماً للإله كريشنا وهو يغني لعشيقته دارما. بالمقابل نلاحظ قدسية الـناي (الشباب والدف) في النصوص الدينية الإيزيدية؛ يتجلى ذلك بصورة واضحة في النص الديني الذي يدور حول كيفية خلق قالب آدم في لالش المقدس, وطلب الملاك من الروح أن تدخل قالب آدم. لكن الروح أبت الدخول فيه (أي القالب) قبل أن تنزل الآلتان المقدستان (الدف والشباب) من السماء وتعزفا ألحاناً. نزل (الدف والشباب) من السماء, وعزفا ألحاناً شجية, فدخلت الروح قالب آدم، وظهر اللحم والعظام, وتحرك الدم في شرايينه، فعطس وسرت الحياة في جسده![44].













* ليس للديانتين الهندوسية والإيزيدية نبي أو مؤسس، وإنما الديانتان هما نتيجة تطور فلسفي على مرّ العديد من العصور، أسهم فيها فلاسفة ورجال فكر بارزون، فهما تجليان لعملية التفكير الإنساني.

تعدان من ديانات الطبيعة والخصب الأولى المرتبطة بمرحلة اكتشاف الزراعة أول مرة في تاريخ الإنسان. وتعتقد الديانتان بوجود قوة واحدة لا حدود لسلطتها العليا. تسمى هذه القوة عند الإيزيدية بـ (خودى= الله), يعني الذي خلق نفسه بنفسه. وبما أن كليهما يؤمنان بوحدة الوجود، فإنه إضافة إلى عبادة الله هم يقدسون العديد من الأرباب وأرواح الأجداد والأسلاف.

* وحدة الوجود

وحدانية العالم والكون وما يتضمناه من مخلوقات حيّة ونباتات وجمادات, تحمل شيئاً من قبس الخالق وسرّاً من أسراره. وأن الله موجود في كل شيء بصورة طاقة بواسطة قدراته المختلفة، ولكن مع ذلك، ينفرد عن كل شيء بشخصيته العلية. وبما أن الله هو الأب الأعلى لجميع المخلوقات، وليس فقط للبشر وفقاً للفيدا؛ لذلك يعدّ قتل وذبح الحيوانات البريئة معادلاً لقتل الأخ أو الأخت.

* الشمس

تحتل الشمس مكانة عظيمة ومقدسة لدى أتباع الديانتين الهندوسية والإيزيدية؛ فهم يدعون إله الشمس أن يمدهم بالنور, ويحييهم بالأشعة السماوية التي تطهر الجسم والعقل معاً, وتمنحهم الطاقة الأبدية. وفي غيتا (Gita) نجد الرب كرشنا يعلن لـ (Sri Arjun) أن الأشعة السماوية "توجد في كل شيء سواء أكان حياً أم جماداً". وفي الديانة الإيزيدية يتحرك المؤمن كزهرة عباد الشمس مع حركة الشمس في شروقها ومغيبها, ويرتل دعاء الصبح والظهيرة والمساء.

* الرموز الطوطمية وتقديس الأجداد والأسلاف

بما أن القوة الإلهية تتجلى في جميع الاشياء, وهناك وحدانية بين الإنسان

والحيوانات والنباتات والجمادات، يلاحظ أن الديانتين الهندوسية والإيزيدية تتخذان كثيراً من الحيوانات رموزاً ذات دلالات ترتبط بأحد الآلهة أو الأرباب. على سبيل المثال رمزية طير الطاؤوس لدى الديانتين, وارتباطه بالإله الأعظم كريشنا لدى الهندوس وبطاؤوس ملك رئيس الملائكة عند الإيزيدية. كذلك الفيل، النسر، الدب، القرد، الغراب، الكوبرا/الأفعى، الأسد، العقرب، القط، الغزال، الأرنب، الحمام، السمك، الثور..إلخ. وتعتقدان أن هذه الحيوانات ليست رموزاً أو قصصاً خيالية فقط، بل لها معانٍ عميقة. وحتى النباتات والاشجار لهما أدوار رمزية في الديانتين, ويعتقد أنهما يجلبان الرفاهية والرعاية وتحقيق الأماني.

* التناسخ والتقمص

تفرّق الديانتان الهندوسية والإيزيدية بين الروح والجسد، فالجسد هو الفاني أما الروح فهي نورانية, خلقها الله ووضعها في القنديل السماوي. وهي خالدة أبدية لا نهاية لها حسب المعتقد الإيزيدي المقارب والمشابه للمعتقد الهندوسي القائم على أن الروح في العالم المادي تتحول ضمن دورة الحياة والموت المادي من خلال 8.400.000 شكل من أشكال الحياة. وأن الشكل البشري للحياة، هو الولادة الوحيدة التي توفر فرصة واحدة للكمال الروحي. أما الكائنات والأنواع الأخرى الأدنى من البشر، فإنها لا تتمتع بالموهبة والذكاء الكافيين للفهم والإدراك الروحي كشيء مختلف عن الجسم.

* إن تراتيل هارى هارى (Hare Hare- هول هولا Hol Hola/دعاء)، أو الهتاف (Hare- Hare) عند أتباع الديانة الهندوسية، و(Hol- Hola) عند أتباع الديانة الإيزيدية، و(هاي هو Hay-Ho) عند دراويش شيوخ الطرق الصوفية عامة ,وأتباع الشيخ شمس الدين التبريزي والشيخ جلال الدين الرومي خاصة- هي صدى الصوت الروحي الذي ينقي الوعي ويوقظ الحب الإلهي لدى المؤمن. وهي أسهل طريقة للوصول إلى الإشباع الروحي. تعني كلمة الإله (كريشنا) في التراث الفيدي "كلي الجاذبية". وتعني كلمة "هارى" الطاقة الداخلية للرب وتعني "يا كلي الجاذبية، يا رب النعم والمسرات، أيتها الطاقة النابعة من الرب، نبتهل إليك أن

تدخلنا إلى ملكوتك وفي خدمتك". بمعنى أن صرخة (Hare- Hare و Hol- Hola و Hay-Ho) هي الحركة والاهتزاز الروحي التي تجذب العابد المؤمن نحو الرب، نحو الحقيقة المطلقة كنقطة مركزية.

*** الإله والأرباب (الخلان) الأربعة:**

كثيراً ما تُذْكر في النصوص الدينية الإيزيدية القوى الخمسة (الإله والأرباب الأربع)؛ عن ركوبهم (المركب) وإبحارهم في المياه والبحار التي خُلقت بعد انفجار (الدرّة) في الزمن السرمدي. يقول النص:

24. جرى الماء من الدرّة
صار بحراً واستكان (توقف)
جهز إلهي القارب وأبحر فيه.
25. صعد إلهي القارب
مع خلانه الاربعة
أبحروا في الاتجاهات الاربعة
رسوا في لالش, وقالوا:
هذا هو المسكن الحقيقي
26. توقفوا في المسكن الحقيقي
رمى إلهي الخميرة في البحر, فتخثرت
صعد منها دخان، فخلقوا من ذلك الدخان السموات السبع[45].

مَنْ هو الإله وخلانه الأربعة، أي القوى الخمسة التي قامت بعملية الخلق؟ مما لا شك فيه، إنهم أرباب من الزمن الأزلي، وليست قوى قدسية من الزمن الحديث. بحثت في مصادر كثيرة تتعلق بأسطورة أو قصة الخلق في معتقدات وأديان قديمة، فلم أجد أقرب ربطاً بين فكرة (الإله والخلان الأربعة) الواردة في النصوص الدينية الإيزيدية وبين مجمع الآلهة (البانثيون) الذي يتكون من الإلهة الأم "نمو" ومواليدها الأربعة: "آن، كي، إنليل، إنكي". وأصبح كل منهم إلهاً لأحد أوجه الطبيعة الأربعة: "السماء، الأرض، الهواء، الماء". وهي العناصر الأساسية الأربعة للكون كله[46].

أما الربط الثاني، فإنه في أغلب الظن إشارة إلى أولئك الأرباب الذين شغلوا دوراً بارزاً في الريغ- فيدا عن ديانة الفرع الهندي للأسرة الهندية-الإيرانية. وهم: مثرا، وفارونا، واندرا، والناستتياس (أغني-إله النار)، وعلى رأسهم (دياؤوس- بيتار Diaous Pitar) الذي هو أب أغلب الآلهة[47].

ما رمزية (السفينة، المركب) التي يأخذها الإله وأربابه الأربعة ويبحرون بها في الاتجاهات الأربعة؟ أحسب أنها تشير إلى قصة الطوفان السومرية الأصل، وإليها تعود قصة الطوفان البابلية (اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش)، وقصة الطوفان الواردة في التوراة (نوح). تقول قصة الطوفان السومرية إنه كان هنالك ملك يسمى (زيوسدرا)، أخبر مجمع الآلهة إنه سيرسل الطوفان. و(زيوسودا) هو الذي بنى السفينة وحافظ على الجنس البشري[48]. يتحول زيوسدرا السومري إلى (أوتانبشتم) في الرواية البابلية. ونجد طراز شعر البطولة السومري شبيهاً بالأسلوب الإغريقي والهندي. فالأساطير الهندوسية تحوي نصوصاً لقصص الطوفان العظيم مثل (ساتاباثا براهمانا) و(بورانا)، إذ يحذر (أفاتار فيشنو) الرجل الأول (مانو) من الفيضان الوشيك، وينصحه ببناء قارب عملاق (سفينة عظيمة)، لكننا نجد في هذه القصة سبعة من الـ (rishi) بدل أربعة أرباب، يرافقون (مانو) في السفينة العظيمة. و(rishi) هم فقراء الهند من أهل الباطن ومن النساك المتعبدين[49].

قدسية الماء والكأس:



تقترب رمزية الكأس الموجودة مع آلهة الهندوس وتلك الموجودة بمعية رمز الطاؤوس عند الإيزيدية مع الكأس في الرسومات السومرية التي يتدفق منها الماء دلالة على مصدر الخلق واستمرارية الحياة الأبدية.



فالماء هو المادة الأولى للخلق، ومصدر الخليقة وجوهرها، والعنصر الأساسي للحياة وديمومتها. والماء أصل الاشياء، وجميع الكائنات من بشر ونباتات وحيوانات يعتمد عليه ويتغذى به. وبما أن العلة والمعلول (السحاب والمطر) مصدرهما الماء، وينزلان من السماء حيث مكان وجود الآلهة في الفكر العراقي القديم؛ لذلك يعد الماء مقدساً، وله قوة خلاقة وإرادة إلهية لإنتاج غلال الأرض كافة، وإنتاج حياة وكائنات وأشياء جديدة. وقد وضع السومريون (على سبيل المثال) الإله إنكي / ايا إلهاً للمياه. وبناءً على التصور الفكري أصبح الماء لدى الكثير من الأديان (من ضمنها الهندوسية، الإيزيدية، الصابئة المندائية، المسيحية) رمزاً وعنصراً للخصب والشفاء والتطهير والتعميد وغسل الذنوب وغسل الموتى، وصار الكأس الملازم لذلك الماء من الرموز المقدسة أيضاً، حيث نشاهد رمز الكأس مصاحباً لرموز الآلهة. وتعني كلمة (لالش) المقدسة لدى الإيزيدية الماء أو المطر مثلما يعكس معناها في نصوص الخليقة عند الإيزيدية[50].

خصلات الشعر



انتشرت ظاهرة ترك خصلات من الشعر في جبهة الرأس بين ذكور الإيزيديين الى وقت قريب؛ فقد كان الإيزيديون يحلقون رؤوسهم، ويتركون خصلة شعر تسمى "بزيكا bijika"، وكان بعضهم يترك خصلة الشعر عند مؤخرة الرأس. لهذه الخصلة

الشعرية موروث ديني له علاقة، في أغلب الظن، بحياة ما بعد الموت واعتقادات أخرى؛ إذ نلاحظ إلى الوقت الحاضر وقبل أن يوارى الميت الثرى، يأتي شيخ أو بير الطريقة أو آخ الآخرة بحل عقدة رأس المتوفى ويدفن بعدها. أما الهندوس فيحلقون رؤوسهم, ويتركون خصلة من الشعر خلف الرأس تسمى بـ "السيخ أو السيكا" (Sikha)[51] ، ويعدّ ذلك علامة على التنازل والاستسلام لكريشنا، فضلاً عن كونها تعني النظافة والبساطة. والـ (سيخ، سيكا) أيضاً علامة على قبول الفرضية القائلة إن الله هو على هيئة شخص/بشر، وليس مجرد قوة وصفات شخصية.

لا بدّ من الانتباه إلى التشابه اللفظي (فوناتيك) بين الكلمتين (سيكا Sikha) و (بزيكا bijika), ووحدة جذر الكلمتين (سيك)، علماً أنه في علم الصوتيات تتبدل الحروف من (س) إلى (ز) وبالعكس، أو تبديل في مكان الحرف في اللغة الكردية على سبيل المثال (به فر= الثلج) يتبدل إلى (به رف) في منطقة سنجار.

الطبقات الدينية والاجتماعية

تمتاز الديانة الهندوسية بنظام طبقي اجتماعي ديني مختلط, يتوزع وفق الشكل الآتي:

أ- البراهمة/ الطبقة العليا: هم من الكهنة والمعلمين وحملة الثقافة. وظيفتهم الحفاظ على المعرفة والثقافة وإرضاء الآلهة. ولهم الحق في أخذ الصدقات من الطبقات الأخرى، كما هو الحال لدى شيوخ وأبيار الإيزيدية.

ب- الكشاترا: تعد هذه الطبقة من حماة المجتمع والقائمين على إدارة شؤونها، وتنفذ الوظائف الاجتماعية الضرورية، والقيام بكل ذلك يحتاج إلى الكفاءة والقوة العسكرية والسياسية إضافة إلى الاستقامة.

ت- الويشاش أو الفايشاش: هي الطبقة العامة. ومن مهامها إدارة الشأن الاقتصادي, وامتهان الزراعة, وتربية الحيوانات, وتوفير الغذاء, والحفاظ على الاستقرار المعيشي.

ث- الشودر: الطبقة الدنيا أو ما يُطلق عليها طائفة المنبوذين. وهم أشبه بالعبيد. عليهم العمل والخدمة وإنجاز كل ما يوكّل إليهم من الطبقات الأعلى, وأن يكونوا

مخلصين في خدمتهم.

بعيداً عن العناوين والأسماء والتفاصيل، إن الديانة الإيزيدية تتقارب في العموميات مع الديانة الهندوسية بوجود نظام طبقي ديني (طبقات الزواج) اجتماعي واقتصادي، متمثلاً بالطبقات الآتية:

أ- الشيوخ.

ب- الأبيار (جمع بير).

ج- المريدون/الطبقة العامة.

وأظن إلى حد كبير، أن مجموعة (فقراء سنجار) الذين يلبسون الـ(خرقة) المقدسة، كانوا يشكلون في زمن ما من التاريخ الإيزيدي مجموعة أو طبقة رابعة كحماة الإيزيديين وقوتهم الضاربة، ويأتي ظني بناءً على عدة مؤشرات:

أولاً: ورود كلمة الجيش وما يتصل بها من المعدات العسكرية في بعض النصوص الدينية الإيزيدية (قه ولى شيخادى و سلتانى زه نك، قه ولى شه رفه دين).

ثانياً: إن احترام الإيزيديين لمجموعة (فقراء سنجار) وعدم التجرؤ في ضربهم أو الإساءة إليهم، ليس بسبب ارتدائهم اللباس المقدس (الخرقة)، وإنما يعود إلى أن هؤلاء كانوا في تاريخ ما قوة ذات صلاحيات مطلقة لقائد ما؛ أي اختلط التاريخ مع المقدس ليصبح رصيداً لهم حتى اليوم.

من جانب آخر, فإن شيوخ الإيزيدية وأبيارهم، كما طبقة البراهمة الهندوسية، يأخذون أيضاً الصدقات من طبقة المرداء (المريدين). ويطلق على تلك الصدقات الـ (رسم) أو (فتو)؛ فالكلمة الأولى (رسم) يبدو أنها عربية بمعنى الضريبة أو الجباية؛ أما الثانية (فتو) فتعكس معنى الزكاة في أغلب الظن. و كلا المصطلحين يحملان مفهوماً لعلاقات اقتصادية بين طرفين. ويلاحظ المتتبع لهذه المقاربة بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية اختلاط وتداخل الأفكار الدينية مع العلاقات الاقتصادية والعادات الاجتماعية, واستغلالها من قبل الطبقة المسيطرة, ومباركة الكهنة ورجال الدين, وإضفاء الصبغة الدينية عليها.

تأملات فكرية في النصوص الدينية

مبدأ التثليث في المعتقد الإيزيدي[52]

ورد في إحدى (سبقات) النص الديني:

شيخادي وتاوسى مەلەك وئێزي ئێكن/الشيخ آدي وطاؤوس ملك وإيزي أقنوم واحد

هوون مەعنيا ژ ئێك نەكن / لا تفرقوا بين المعاني

ئەو زوو مرازا حاسل دكن/ إنهم يحققون المراد حالاً.

(سه ب. 4 ز قه ولى كه نيا/كانيا مارا= شيخ ئادى شيخى شارا)

يا رەبى تو خوداوەندێ سەفەرى /ياربّ، أنت إله الليل والنهار

تو خوداوەندێ ماه و مەرى/ أنت إله الشمس والقمر

تو خوداوەندى چەندى ئۆمەرى/ أنت إله جميع البشر

(سه ب.: 4 ز دوعا/يان قه ولى تاوسى مه له ك)

ئێزى ددەم مەدەهێ /أقدم ثنائي إلى إيزي(الله)

لالشێ خودانێ قوبەهێ / وإلى لالش وأصحاب القبب

ئەز خەلاتكرم بستێرا بەرى سبەهێ/ الذين كرموني بنجمة الصباح.

(سه ب.: 1 ز قه ولى سلتان ئيزى)

تاوسى منى مێرانه / طاؤوس الملائكة سيد الرجال (الأولياء)

خالقى منى بعەردا هەتا ئاسمانا / هو خالقي وخالق الأرض والسموات

ئەو سلتان شێخ ئادييە، مێرا بساغى ژێ ددا بەيانە/هو السلطان الشيخ آدي، أشاد الأولياء به حياً!

* * *

بەرى ئەرد، بەرى ئەزمانا / قبل خلق الأرض والسموات

خودێ هەبوو نورا نورانە / كان الله موجوداً كنور الأنوار

ژ قودرەتێ كەون كر بەيانە/ أظهر الكون بقدرته

* * *

پەدشايى هەزارو ئێك ناڤ لخۆ دانايە/ سمى الإله نفسه بألف اسم واسم

ناڤێ مەزن هەر خودايە/ الله اسمه الأعظم!

*   *   *

تشترك الديانة الإيزيدية مع الديانتين (الهندوسية والمسيحية) بعقيدة "الثالوث"، أي إن الإله ذو ثلاثة أقانيم. والثالوث لدى الإيزيدية هو: (إيزي-يزدان/الخالق، طاؤوس ملك، الشيخ آدي) ثلاثة أقانيم في إله واحد. وعند الهندوسية هو: (براهما، فيشنو، وشيفا) ثلاثة أقانيم غير منفصلة عن الواحد، يشكلون الرب والمخلص والمهلك. ويرمز الهندوس لهذه الأقانيم بثلاثة أحرف، هي: الألف والواو والميم ويلفظونها (أوم). وعند المسيحية يمثل الثالوث: الأب والابن وروح القدس.

إن المشترك بين الديانات الثلاثة هو الثالوث وإن اختلفت الأسماء. السؤال المطروح: من أين جاء مبدأ الثالوث؟ هل له منبع واحد أم عدة منابع, وكل واحد نشأ من عبادات بيئته؟

من الصعوبة تحديد نشأة الديانة الهندوسية الحقيقية، وتحديد بدايتها الزمنية علمياً، لكن الهندوس يعطون تقديرات تقريبية لبداية ديانتهم, حيث تعود إلى ما بين الألف الثالث والثاني قبل الميلاد. ومن المعروف أن الهند كانت حاضنة لفلسفات العالم القديم وأفكاره، وفيها اختمرت مختلف أنواع الأفكار الغيبية الإلهية, فصدر عنها مجموعة ديانات. فمن تعدد هائل للآلهة والمبالغة في تقديسها إلى حد الإلحاد، مروراً بالتوحيد والتثليث ووحدة الوجود واعتقادات أخرى. وأمام هذا الكم الهائل من النشاط الفكري والروحي في الهند, كان ذلك يترافق مع حركة بشرية على شبه القارة الهندية. ويذكر أنه في القرن السادس عشر قبل الميلاد, رحلت مجموعة من الغزاة من سواحل بحر البلطيق أو من جنوب روسيا الحالية نحو شمال غرب الهند، تلك المجموعة التي سميت لاحقاً بالهنود الأوربيين، سيطروا على بلاد الهند, وأخضعوا سكانها القدماء الأصليين (الدرافيد)، أصحاب حضارة وادي الأندس التي تعود تاريخها إلى نحو 3000 ق.م.، وهي كانت تعاصر الحضارة السومرية في العراق، وعلى صلة وثيقة بها، حتى أن بعض الباحثين يظنون أن أصل السومريين من هناك.

أولئك الغزاة الذين سيطروا على بلاد الهند سموا أنفسهم (آرياس)، أي النبلاء، ومنها جاءت تسمية (آري) و(آريون). وسمّى رجال الدين الآريون أنفسهم

(البراهمة) وتعني: ولي الله، أو رجل الله، أو العارف بالله. وصاغوا من الفيدية الهندية القديمة ديانة تسوّغ تسلطهم, وتدعم بقوة الدين موقعهم الاجتماعي المتميز المتربع في قمة المجتمع الهندي[53].

في ضوء هذا التوضيح، يمكن القول إن بدايات الديانة الهندوسية تعود إلى ما قبل مرحلة التاريخ المدون، ويعتقد أنها تشكلت من معتقدات عدة شعوب، منها: معتقدات الآريين، ومعتقدات الدرافيد البدائية، ومعتقدات الهارابان بناة حضارة وادي السند المتقدمة. فقد جمعت كل تلك التعاليم الروحية والصوفية والأسطورية لحضارة الشعوب الآرية والهندية، وظهرت منها الديانة (الإبراهمية) التي تقوم على الكيان الإلهي. تحولت بعد عدة قرون إلى الديانة الهندوسية.

رسّخ الآريون نظام الطبقات في الديانة الهندوسية، وأعطوه بعداً دينياً مقدساً من أجل الحفاظ على تفوقهم وسيطرتهم واستغلالهم للدرافيد. ومايزال هذا التقسيم الطبقي الديني مقدساً لدى الهندوس. كما هو حال التقسيم الطبقي الديني المقدس في الديانة الإيزيدية.

ترتبط فكرة الثالوث أو التثليث عند الديانات الثلاثة (الهندوسية، المسيحية، والإيزيدية) بفكرة المخلّص/المنقذ. يعتقد الهندوس, كما يعتقد الإيزيديون والمسيحيون، أنه سيأتي زمان تمتلئ فيه الأرض ظلماً وجوراً وفساداً، ويختفي منها العدل، فينزل الإله في صورة بشرية ليملأ الأرض عدلاً. ويعتقد الهندوس أن (كريشنا) بطل ملحمة المها بهارتا هو الذي يتمثل فيه الإله, وينزل إلى الأرض لإقامة العدل. ويعتقدون أن (كريشنا) هو المخلّص, والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس: الأب والابن وروح القدس. ويقولون إن (كريشنا) ولد من العذراء (ديفاكي) التي اختارها الله والدة لابنه. وقد عرف الناس ولادة (كريشنا) من النجمة (نجمة الزهرة) التي ظهرت في السماء ساعة ولادته. ومن آيات (كريشنا) وعجائبه أنه عالج الأبرص! هنا نقف في حيرة: هل ما ذُكر أعلاه هو اعتقاد هندوسي بــ (كريشنا) أم اعتقاد مسيحي بيسوع المسيح؟!

قبل الإجابة عن السؤال المثير للاهتمام، نود الإشارة إلى أن اعتقاد الديانة الإيزيدية بــ (الشيخ آدي) تتماثل إلى حد كبير مع شخصية (كريشنا) عند الديانة

الهندوسية؛ فهو (الشيخ آدي) ممثل رئيس الملائكة (طاؤوس ملك)، والإله (إيزي) في صورة بشرية، كما جاء في النص الديني المشار إليه في أول المقال. ويذهب الاعتقاد الإيزيدي إلى أن ولادته لم تكن طبيعة، وهو الذي ردّ السلام بثلاث على أحد الشيوخ وهو في رحم أمه. وأظهر من الكرامات في لالش وغيرها من الأماكن. وبمجرد ذكر اسم الشيخ آدي تمكن (بير مندي كور) الهارب من العائلة الشمسانية إلى أفغانستان من إحياء أحد الموتى من القبر![54]

عودة إلى السؤال المطروح أعلاه: هل الثالوث هو اعتقاد هندوسي بـ(كريشنا) أم اعتقاد مسيحي بيسوع المسيح؟ وأين يقع الاعتقاد الإيزيدي بـ(الشيخ آدي) من كلا الاعتقادين؟

تعود جذور الديانة الهندوسية بصيغتها المكتوبة إلى الألف الثالث أو الثاني قبل الميلاد. وهناك من يرجعه إلى أبعد من ذلك التاريخ. أما الديانة المسيحية فتاريخها الآن دخل عامه الـ (2022). فليس من المنطقي أن تأخذ ديانة عمرها (3000) أو (2000) سنة قبل الميلاد من ديانة تظهر بعدها! وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى القول إن المسيحية اقتبست معتقد الثالوث من الهندوسية القديمة. ولكن ثمة باحثون يذهبون إلى أن ثلاثي الآلهة حالة قديمة في حضارات الشرق الأدنى القديم. وقد نشأ عن العبادات المحلية البدوية الأصل القائمة على تأليه تركيبة (الشمس والقمر والزهرة)، فلكل واحد منها قواه الإلهية الخاصة، وكبير الثالوث هو (الإله الشمس) إله السماوات، ويأتي بعده إله القمر (الإله سين)، وهو الابن وروح الأقدس، ثم الإلهة الزهرة/عشتار إلهة الحب والخصب وهي الأم الكبرى. ويقول هؤلاء الباحثون: إن "المسيحية نشأت في أرض التثليث، وربّما أخذت مع الهندوسية من مصدر واحد، ويقولون إنه ثبت ثبوتاً قاطعاً تأثر حضارة وادي السند بالحضارة البابلية منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد"[55].

ماذا عن الثالوث الايزيدي؛ هل أخذها من الثالوث الهندوسي أم من المسيحي أم من حضارات الشرق الأدنى القديم أم ما زال يحتفظ بخاصيته المميزة؟

إذا عدنا إلى الموروث والنصوص الدينية الإيزيدية، سنلاحظ مفاهيم ورموز واضحة لا لبس فيها عن تقديس الشمس والقمر ونجمة الصباح (الزهرة) التي تأتي

في النصوص الدينية باسم (ستيرا دەملقاپى). لكل منهم إلهه الخاص: إله الشمس الذي كان يُعرف عند السومريين (دينغر اوتو) أو (أود- أدد)، و(شمش) عند البابليين والآشوريين. إله الشمس بحسب الميثولوجيا السومرية هو ابن إله القمر (نانا) والإلهة (ننكال). أما إله (أحياناً إلهة) القمر فكان يعرف عند السومريين (إنيانا/إينانا)، و(سين) عند البابليين والآشوريين، وكان يعرف بـ (نانار/نانا) ايضاً. المركزان الرئيسيان لعبادته كانت مدينة (أور) جنوب العراق و(حرّان) مدينة إبراهيم الخليل ونمرود في الشمال, المعروفة الآن بمدينة (أورفا) في تركيا. وفي الديانة المصرية القديمة كان إله القمر يعرف بـ (خونسو)، ويعدّ ابن آمون وموت في ثالوث طيبة و(سيلين) إلهة القمر عند اليونانيين.

ما يهمنا هنا مبدأ الثالوث في الديانة الإيزيدية، فطاؤوس ملك، حسب الميثولوجيا الإيزيدية وكما يظهر من خلال النصوص الدينية، هو إله الشمس. وبما أن الشمس هي عين الخالق (خودى- الله), فإن طاؤوس ملك هو ذات الله أو اسم من أسمائه. وكما يبين النص الديني الذي أشرنا إليه في أول المقال أن:(شيخادي وتاوسى مەلەك وئێزي ئێکن/الشيخ آدي وطاؤوس ملك وإيزي أقنوم واحد، هوون مەعنيا ژ ئێك نەکن/لا تفرقوا بين المعاني), فإن (الشيخ آدي) هو أيضاً من ذات الله. وهنا تتصل الإيزيدية بالهندوسية في عقيدة (التوحيد ووحدة الوجود) في آن واحد. فالخالق هو الواحد الأحد، لكنه يظهر نفسه في صور وأشكال غير معدودة. إنه موجود ويحلّ في كل الكائنات، وكل الكائنات تحلّ فيه. زيادة في المعلومات يأتي في أحد الأدعية الإيزيدية: (يا ره بى تو بده يه خاترا دوتى ودايى) بمعنى (يا رب، بجاه البنت ووالدتها!). فمن هما الأم والبنت اللتان تتوجه إليهما الإيزيدية في أدعيتهم ومناجاتهم؟ ثمة رجال دين إيزيديين يقولون إن المقصود بـالبنت والوالدة (الشيخ آدي والشيخ حسن), عندما اتخذ الشيخ آدي الثاني ابنه الشيخ حسن شيخاً له:

شيخادي مه لك شيخ سن بشيخانى قه بلاند/ قبِل الشيخُ آدي الشيخَ حسن شيخاً له

لئاسمانا ملياکه تا بورا هلهلاند /هللت له الملائكة في السماء.

هنا، ربما نواجه مشكلة لغوية؛ لأن (دوت و دايى= البنت والأم) صيغتين

مؤنثتين، أما(الشيخ آدي والشيخ سن) فاسمان مذكران. إذا ربطنا ذلك بميثولوجيا شعوب الشرق الأدنى القديم وشعوب وادي الرافدين وميزوبوتاميا القدماء في أن الإلهة (الشمس) هي بنت إلهة (القمر) لدى أساطير بعض الشعوب، أو بالعكس إن إلهة (القمر) هي بنت إله (الشمس) لدى شعوب أخرى، حينئذٍ تقترب الفكرة من أن (البنت والوالدة) مفهومان يرمزان إلى (الشمس والقمر). وبما أن هنالك من يمثل الإلهة أو يمثل الإله على الأرض، فالمعتقد الإيزيدي وضعهما في (الشيخ آدي والشيخ سن). بالطبع تتغير مكانة الآلهة عند الشعوب والمجموعات البشرية القديمة صعوداً ونزولاً ومن مرحلة إلى أخرى؛ ففي مرحلة الرعي والبداوة كان القمر أنيس الرعاة ودليلهم في تجوالهم، ولهذا احتلت إلهة القمر المكانة الأولى، وأصبحت (بصيغة المؤنث) أماً، وإلهة الشمس في مرحلة التحضر والزراعة والاعتماد على نور الشمس، فقد تراجع دور إلهة/إله القمر أمام بروز دور إلهة الشمس. وفي حين كانت (الشمس) ابنة (القمر) حسب ميثولوجيا الشعوب الرعاة، صار (القمر) ابنة (الشمس) حسب ميثولوجيا المجتمعات الحضرية والزراعية.

لتقريب الصورة الميثولوجية في الموروث الديني الإيزيدي بما يتعلق بموضوع الثالوث ومفهوم (دوت وداى=الوالدة والبنت)، كان السومريون يطلقون على الإلهة عشتار (عناة). ومركز عبادتها الأصلي مدينة أوروك (الوركاء). ولها معبد رئيسي في نينوى قرب مدينة الموصل. (من حوارات جلجامش وعشتار. وكذلك: محمد عجاج الجميلي، عن آشور ونينوى: www.azzaman.com/22.1.2014)، وهي في أساطيرهم، كما في الأساطير البابلية، ابنة الإله (سين) إله القمر، وأمها ننكال، وأخوها الإله (أوتو) إله الشمس. وفي بعض الأساطير نجد عشتار هي نفسها أم (ديموزي) الذي يمثل (طاؤوس ملك) عند الإيزيدية. وبما أن (طاؤوس ملك) هو إله الشمس فإن الإلهة عشتار تكون بالنتيجة أماً لإله الشمس.

هناك الكثير من التقاربات الميثولوجية فيما يخص مبدأ التثليث أو الثالوث بين الديانة الإيزيدية وحضارات الشرق الأدنى القديم. وما زالت الإيزيدية الديانة الوحيدة المحافظة على تقديس الشمس والقمر ونجمة الصبح. وهي الديانة التي تربط قوى السماء بممثليين أرضيين عن طريق مفهوم (السرّ) و (الكرامات). وهذا

ما يدفعنا إلى القول إن الثالوت الإيزيدي لم يُؤخذ من الثالوث المسيحي، بل يحمل خصوصيته الممتدة إلى عمق تاريخ حضارات بلاد الرافدين والهند.

التصوف وتناسخ الأرواح أنموذجاً!

كل شئ في الدين رمز، رمز إلى معنى كبير؛ لالش مركز الدين الإيزيدي رمز. الحج إلى لالش رمز، الطواف حول الأضرحة رمز. رقصة (السماع) رمز. إشعال الفتائل رمز. الدعاء رمز. طقوس (القاباغ) وذبح الثور رمز. التعميد في ماء العين البيضاء (كانيا سبى) و (زمزم) رمز. عقد خرق الأقمشة على أغصان بعض الأشجار في لالش وغيرها من الأماكن رمز. صنع (البرات) وتوزيعها رمز. تهيئة أكلة (السماط) رمز. جولات (الطاؤوس) بين القرى والقصبات الإيزيدية رمز. تعميد (به رى شباكى=عرش الشيخ آدي) و (الطاؤوس-السنجق) في عين ماء (كلوك) رمز. تعميد الأطفال في ماء (كانيا سبى-العين البيضاء) و (عين زمزم) رمز. الطوق (كريفان) الذي يلبسه الإيزيدي من يوم ميلاده حتى مماته رمز. إحياء وإقامة الطوافات (المهرجانات) الربيعية سنوياً في جميع القرى الإيزيدية رمز. وضع خيط ملون (باصمبار) رمز. عدم الزواج وعدم حفر الأرض في شهر نيسان رمز. هناهين وزغاريد النساء رمز[56].

فالخالق موجود في كل مكان وليس في لالش فقط، والدعاء وترتيل (الأقوال) والنصوص الدينية هو إعداد للجسم وللنفس لتكون أكثر صفاءً وأكثر قرباً إلى الخالق. وكل شيء يرمز. ما من دين إلاّ وبه رموز إلى معانٍ أكبر. وحتى الذين لا يؤمنون بدين عندهم أيضاً رموز: زعماء وأبطال وتماثيل ومواقع ومعارك وكتب، كما يقول الكاتب أنيس منصور، وكلها رموز صغيرة لمعانٍ أكبر. وهم حريصون على أن تكون أبقى![57].

أنا الآن، أمام الكثير من الرموز والألغاز، لكن المشكلة هي كيف أستطيع نقل هذا الكثير في قليل من الكلمات والحروف؟. فهل يستطيع ثمانية عشرحرفاً من حروف اللغة العربية أو اثنان وثلاثون حرفاً من حروف اللغة الكردية الكرمانجية أن يرسم لنا صورة كلمات لفك معاني تلك الرموز؟ لن أبحث عن أنسب الكلمات، بل سأحاول

البحث عن أنسب المعاني التي تحملها تلك الرموز.

الديانة الهندوسية أو الهندوكية هي من أقدم الديانات التي اعتنقها الإنسان قبل ميلاد المسيح بأربعين قرناً. ويدين بها الآن أكثر من 400 مليون هندي. ليس لهذه الديانة كتاب واحد ولا نبي واحد ولا إله واحد. واختصرت آلهتهم إلى ثلاثة أو أربعة أو سبعة. ويعدّ كتاب "فيدا" بأجزائه الأربعة عن الطقوس والابتهالات والصلوات من أهم كتب هذه الديانة. وهناك كتاب التعاليم السرية الفلسفية "الأوبانيشاد".

يقول الكاتب أنيس منصور في كتابه "ديانات أخرى" الذي أشرنا إليه في الهامش رقم (294): إن أسهل طريقة لسوء فهم الديانة الهندوسية أن ننظر إلى ما يفعلونه. إنهم يقدسون الأبقار والقردة وبعض الطيور[58] , وبعض الحشرات وبعض الأشجار والأنهار، وقليل جداً من يقدس الثور أو يقدس النمل والنحل.ومن وراء هذا يظن بعضهم أنهم وثنيون، ولكن المعنى وراء تقديس الحياة والأحياء شيء آخر. "إنهم يقدسون كل كائن حي له روح. فالروح مقدسة لأن الروح أبدية مثل روح الإله. وحتى إذا مات الإنسان أو الحيوان فإن هذه الروح تنتقل من جسم إلى جسم، من جسم إنسان إلى جسم إنسان آخر أو حيوان. وفي الجسم الجديد تكفّر عن خطاياها القديمة, وتظل هكذا إلى الأبد. أي عندما تنعدم الحياة تماماً، وبعد انعدامها تعود إلى الحياة مرة أخرى"[59]. هذا المعتقد الذي يُطلق عليه "تناسخ الأرواح" أو "التقمص" أو "كراس كهورين Kiras guhoreen" راسخ في الديانة الإيزيدية والكاكائية وعند الكثير من كبار المتصوفين.

تعتقد الديانة الهندوسية، ومعها الديانة الإيزيدية، أن هنالك حقيقة كبرى أو حقيقة مطلقة وراء كل شيء, تظهر في أشكال مختلفة، وليس هذا الكون من أوله إلى آخره إلاّ تجلياً لتلك الحقيقة. ومن المستحيل حسب فلسفة هاتين الديانتين أن يرى الإنسان الحقيقة الكبرى، ولكن بإمكانه أن يرى صوراً لها في الإنسان والحيوان والأرض والنار والماء والهواء والظواهر الطبيعية، وفي الخير والشرّ، وفي الحياة والموت. ويعتقد المؤمنون بالديانتين أن من واجبهم أن يتحرروا من قيود الجسم, وينطلقوا إلى الزهد والتقشف والخلاص من الشهوات، وأن يبتعدوا عن متاع الدنيا, ويديروا ظهورهم للكون، ويتحرروا من كل قيد حسي, ويحققوا الخلاص لأنفسهم

من أجسامهم، فالجسم سجن النفس. فإذا تحقق لهم ذلك فقد تحولوا إلى نفس، وتحولت النفس إلى احتضان النفس الكبرى. فإذا فعلت ذلك عادت إلى مصدرها الأول. بمعنى أن العظمة الأخلاقية حسب هذه الفلسفة هي (جهاد النفس)، أي أن تعتمد على نفسك في محاربة نفسك! وهنا وطبقاً لهذه الفلسفة, فإن حياة الإنسان الصالح تمر بأربع مراتب: المرتبة الأولى: الطفولة المخصصة لحب الحياة. المرتبة الثانية: الشباب لمتعة الحياة. المرتبة الثالثة: الرجولة لحمل المسؤولية. والمرتبة الرابعة: الشيخوخة للفكر ومن ثم الاتصال بالألوهية[60]. فالروح بلا بداية ولا نهاية، والكون كله ليس إلاّ رموزاً إلى الحقيقة الكبرى أو الروح المطلقة، و الروح إذا تنفست ظهر هذا الكون! كما جاء في كتاب (الأوبانيشاد). أو الروح - كما جاء في كتاب (باجافادجيتا)- هي عين العين، وأذن الأذن، وقوة القوة، وعقل العقل، وجسم الجسم ونفس النفس. فالروح هي التي تجعل العين ترى، ولكن العين لا تراها، وهي التي تجعل الأذن تسمع، ولكن الأذن لا تسمعها!

فالروح مقدسة رحمانية[61] ، لا تموت حسب فلسفة الديانتين الهندوسية والإيزيدية. في الهند وعند الهندوس بالذات، إذا توفي شخص ما، يظل الناس يصلّون لروحه عشرة أيام[62] , حتى تتمكن من الدخول في جسد آخر لتكمل تكفيرها من خطاياها السابقة. أما إذا لم يصلّ أحد لهذه الروح فإنها تظل هائمة بين الإنسان والحيوان والأشجار بلا مأوى معذبة ملعونة مطرودة.

وتقول الديانتان إن الحياة عذاب. وعلى الانسان أن يتحملها لكي يتخلص منها، ولا خلاص منها إلاّ باحتقارها والزهد فيها. وفي الزهد أكبر دليل على قدرة الإنسان. فالإنسان له قدرتان: القدرة على جسمه والقدرة على نفسه عندما يجعلها تتحد "بالروح وراء كل وراء" أي بالروح المطلقة، أي "الله"، وإن كانت الهندوسية لا تستخدم كلمة الله الواحد الأحد، لأن عندهم عدداً كبيراً من الآلهة أو المقدسات التي لها مقام الآلهة[63].

تقريباً, معظم مظاهر الطبيعة مقدسة لدى الديانتين. يقدم أتباعهما ابتهالات وأدعية إلى تلك المظاهر: كالفجر والشمس والقمر والنار (أجني) والريح (فايو)، وإله السحب والمطر والرعد والماء (فارونا)، وابتهالات الموت (ق. سه ره مه ركى)

والآباء (خودان) وآلهة الحياة وآلهة الخلق وللأرواح ولصانع الكون وللزمن الذي يشبه حصاناً[64] يجري بدقة, وقد وضع على ظهره إناء ماء ممتلئ بالماء فلا تسقط منه قطرة واحدة.

يقول المطلق الموجود في كل شيء، الموجود في مظاهر الطبيعة والكون: إنني أنا كل شيء. أنا مصدر هذا العالم، وأنا سبب تفككه. لا شيء فوقي. كل شيء ملتصق بي تماماً كما تثبت الأحجار الكريمة في خيط. أنا طعم الماء، أنا نور الشمس والقمر، أنا صوت البحر والهواء وكل ما يرتطم على الأرض. أنا البذرة القديمة لكل الكائنات، وأنا عظمة كل ما هو عظيم. ركز تفكيرك فيّ, "ضع عقلك عليّ" حينئذٍ تعيش فيّ.

تتدرج فلسفة الديانتين في مراتب من الأدنى إلى الأعلى حيث السمو والسلام كالتالي: الممارسة, المعرفة, التأمل, الزهد, السلام. أي أن الهدف الأسمى للحياة بالنسبة إلى المؤمنين أن ينكر الإنسان جسمه، وأن يتنكر لنفسه، وأن ينجو بنفسه من جلده. فالحياة حرب مع النفس لإذلال الجسد والقضاء على النفس والتوقف نهائياً عن الإحساس بشيء. هذه هي السعادة المطلقة والخير الأسمى، وهو "العدم النشوان"! لكل هندوسي. وهذا هو الهدف الأسمى نفسه لدى الإيزيدي المؤمن قبل قرن أو قرون خلت!! أسطع مثال وأصدق تعبير عن حالة الزهد والتقشف والتصوف التي نحن بصددها, هو ما يتضمنه النص الديني (العين واللسان والنفس) والحوار الشائق الذي يدور بينهم. أما حول كلية (الحقيقة الكبرى) أو(الحقيقة المطلقة) فيمكن قراءة ما يرد في النص الديني (ألف اسم واسم) على لسان (إيزي)! أو كيف يصوّر كتاب (مصحف رش) قوة ومكانة ودور طاؤوس ملك في الكون!

يذهب الاعتقاد الديني الإيزيدي إلى أن منبع الخير والشرّ واحد. وهو من عند الخالق الأول (خودى- الرب)، إذ نجد في الأدعية الإيزيدية: (يا رەبى خێرا بده شەرا وەرگەرين Ya Rebi xera bide shera wergerin- بمعنى أيها الإله, امنح الخير, واحجب عنا الشرّ..) فليس هنالك إله للخير وآخر للشرّ، وليس هناك مفهوم العصيان في المعتقد الإيزيدي، بل "النفس" الإنسانية هي المسؤولة عن الشرّ؛ فالخير والشرّ

متلازمان في وحدة واحدة هي كيان الإنسان أو في الطبيعة. وتنعكس هذه الفلسفة في أجمل صورة في حوار أدبي بين (العين والقلب واللسان والنفس). وتعني النفس هنا غريزة الإنسان الشهوانية، تظهر (النفس) مذنبة, وهي منبع الشرّ.

حوار العين والنفس واللسان والقلب

(قەولێ چاڤ و نەفس و زمان و دلی)

1 -هنجیێ حوکم کر لزمانی /كل من أحكمَ على اللسان

وەی بۆربیە لبەر رەحمانی /يغفره الرحمن

وەکی چل چلەو مجادە هلانی/كأنما أدّى المناسك، وصام أربعين مربعانية[65]

2 - هنجیێ حوکم کەت زمانێ خۆیە /كل من يتحكم بلسانه

بزانت وەزنە دەنگ بکەیە /ويعرف التكلّم باتزان،

نە حەوجەی چلەو مجادەیە /لا حاجة به إلى صيام المربعانية.

3 - ئەی زمانۆ یی خەباتە /أيها اللسان المكافح!

خەبەرا خۆش نەباتە /الكلمة الطيبة نبتة (حلوة)

خەبەرا نەخۆش جچ مفعەتە /فما نفع الكلام المؤذي،

4 - هەی زمانۆ یێ سۆتنێ /أيها اللسان الموجب حرقه!

خەبەرەك وا هەیی نەیا گۆتنێ /هنالك خبر لا يمكن البوح به

دێ بۆچی داهر کەیە رویێ دنێ /إذن، لماذا تظهره للعالم!

يستمر النقاش بين (العين والقلب واللسان)/ويبقى اللسان مذنباً رغم دفاعه عن نفسه:

5 -چاڤ بازیێ سەری /العين باز في العلا،

دل خوندکارە وێ ل وی بەری /القلب سلطان في ذلك الصدر،

چاڤ دبینت، دل دخوازت /العين ترى، والقلب يهوى،

زمان دبێژت: من دە وری! /واللسان يقول: هاتها!

زمانۆ خۆزی من تو کربایە کەربکەری!/أيها اللسان، ليتني قطعتك إرباً إرباً!

6 - چاڤ بازیێ بلندە /العين باز في العلا

دل خوندکارە وێ ل بندە /القلب سلطان يتربع تحته

چاڤ دبینت، دل دخوازت /العين ترى، والقلب يهوى

زمان دبێ: بینەو بمن دە!   /هاتها, أعطني، يقول اللسان!
زمانۆ خۆزی من تو بریبایە ژ بندە/ليتني قطعتك من الأساس، أيها اللسان!
7 - زمان دبێژتێ: دلو ئەز دەلالم /أيها القلب! أنا سمسار يقول اللسان
هەتا ژ با تە نەخولقت، نێتە بالم /إذا لم تخلق عندك الفكرة وتأتيني
ئەز پەجومەکی کەری لالم   /أنا قطعة صماء بكماء!

بعد ذلك يأتي دور "النفس" وما تفعله بصاحبها. وإذا كان الاتهام الموجه إلى اللسان أنه لا يملك قدرة السيطرة على نفسه؛ ويُنْطَق بقضايا لا تخصه، ويخلق مشاكل وأهوالاً لصاحبه، فإن اللسان يعد نفسه قطعة صماء بكماء، لا حول له ولا قوة، ولا ينطق إلاّ إذا أتته الأوامر من القلب. ويضع القلب بدوره أسباب الخطيئة على "النفس":

8 -سوبحانە ژ تە سوبحانە   /سبحانك أيها الخالق!
تە دانە من ئاقل وفامە   /لقد وهبتني العقل والفهم،
تە ئەز ژ شەرقێ برمە شامە   /وسيرتني من المشرق إلى المغرب.
9 -هەی نەفسێ یە بێ مەعریفەتێ /أيتها النفس اللئيمة الضالة!
یە بێ رێیە   / دائماً، في الليالي الطوال
شەڤێد گران تە دائیم دەعوە لغەدرێیە./عن الغدر تبحثين!
10 - شەڤێد گران تە دائیم دەعوە   /دائما في الليالي الطوال،
لغەدرێیە وزێدە   / تبحثين عن الغدر وأكثر
تو رونێ دمالێدا   /اهدئي أنت في المسكن!
تەخیالە لە هێساکی چرایی ژ پێتە/ويحك؟ أتنوين إطفاء نور السراج عنا!
11 - تە خیالە لە هێساکی چرێد گوڕی/ويحك تطفئين المصابيح المتقدة عنا!
گاڤا طەیرێ دەولەتێ فری   /حينما طار طير السعد! "طير الدولة"
یارو برایێد ئاخرەتێ ناسبوونی ژ مە بڕی/حين قطع الخلان وأخ الآخرة معرفتهم بنا

12 -نەفسێ چەندی تو دکەی گومانێ /أيتها النفس! كلما تسيئين الظن!
تو خالی نابی ژ غەدرێ ودوخانێ /لم تخلصي من الغدر والنميمة!

تە خەیالە خودانێ خۆ خلاسکەی ژ ئیمانی!/ویحك، تجردین إیمان صاحبك!
13 – نەفسێ چەندی دکەی خەباتێ /کم تحاولین أیتها النفس!
وەکی قازی دسەکنت لپێ پرا صەلاتێ/حینما یقف القاضي عند جسر الصراط
تو وا لهیڤیێ مە بهێلی لکشێ وماتێ! /تریدین أن نخسر کل شيء!
14 – تە مال لە خرابکر، ئەی کفرێ /هدمت الدار علینا أیتها الکافرة!
تە ئەم خلاسکرین ژ نەسرێ، ژ لەیلون،/حرمتنا من النصر، من لیلون
شیخ عە بروس، ژ "لیلة القدر" ێ /شیخ عبروس، من لیلة القدر
والآن یاتي دور "النفس" لترد علی اتهامات العقل لها, فتقول:
15 – ئاقلۆ خەبەرێد تە دکورن /أیها العقل! أحادیثك ذات مغزی
قەداو قۆتکێد دنیایێ دبڕن، دنیا دونگە /کثیرة هي مصائب الدنیا،
لێبدەو ببڕن! / الدنیا کاللیّة![66] اقطعها وکُلها!
16 – ئاقل دبێژت: نەفسێ، نە وەتا /یقول العقل: لیست کذلك أیتها النفس
چی کەسێ بخۆت لوقمەکە بێ رەدا /کل من یأکل السعت الحرام
رۆژا ئاخرەتێ دێ ل بێشیێ بتە قەدا /سیلاقي المصائب أمامه یوم الآخرة!
تقول النفس:
17 – نەفسە کبیرە، بەحرەو نە بیرە / کبیرة هي النفس، هي بحر ولیست بئراً
یە لسەر دەستێ عالەمێیە، یە لبن /تسیطر علی عوام الناس،
دەستێ فەقیرە، یێ لنەفسا خۆ کری ئێقسیرە/هي أسیرة لدی الزاهدین والنساك
18 – فەقیرا ئێکە چێکر /حرم الزاهدون أنفسهم
خۆ ژ خۆشیو لەفزەتا دنێ کر /من ملذات الدنیا ونعیمها،
لڤێ دنیایێ بەرب ئاخرەتێ کر /واختاروا الآخرة بدلاً من هذه الدنیا!
یمضي الحوار الساخن بین الأعضاء الاربعة, ویضع (النص الدیني) اللوم علی "النفس". وحسب اعتقاده فإن الإنسان الذي لم یتمکن من ضبط نفسه والسیطرة علیها یواجه مصاعب متعددة. لنتابع إلی أین تقود "النفس" صاحبها:
19 – وەکی تە بۆر بەطەر بوو /حصانك[67] حینما یبطر
لغافو هەڤسار لسەری کەربکەر بوو/ویحل الرسن واللجام من رأسه

ئەو شۆلێ نەفسێ بوو /كان ذلك خطيئة النفس

رەنگێ خودانی ژ بەر زەر بوو /يصبح لون صاحبه شاحباً

20 -وەكی تە بۆر نە دبەستە /حين لم تلجم حصانك الجامح

لغافو هەڤسار چۆن ژ دەستە /وتفقد السيطرة على الرسن واللجام

بۆرێ تە لهەموو مێرگا دكر قەستە/يتوجه حصانك إلى جميع المروج

ئەو شۆلێ نەفسێ بوو /كان ذلك من أفعال النفس

رەنگێ خودانی ژ بەر شكەستە /ينقلب وجه صاحبها خجلاً

21 - وەكی حەیا ژ حوسن دەردبی/حين يتجاوز الحياء حدود الحسن

وەكی رەزەكی بێ بەردبی /يكون بمثابة بستان بلا ثمر

تژی گای و كەر دبی /يمتلئ بالثيران والحمير

خودان لئاخرەتێ ڤێرا بێ مەفەر دبی/لن يظل لصاحبه مفر في الدنيا الآخرة.

22 - حەیا ژ حوسن دوور دبی /حين يبتعد الحياء من الحسن،

وەكی رەزەكی بێ شوور دبی /يشبه بستاناً بلا سياج

تژی گای و كور دبی /يمتلئ بالثيران والصخول

"بكێر مێرا دئێت حەیاو ئەدەب وئاقل" / "يليق بالمرء العقل والحسن والحياء"

23 -ژ وان نەبن مشەمر مەبدەیە /لا تكونوا من عديمي المبادئ

رێ براستیێ دبت خۆیا / بالحقيقة ينكشف الطريق

بكێر مێرا دئێت حوسن وئەدەب وحەیا "يليق بالمرء الحسن والأدب والحياء".

إلى جانب تقدم الحضارات وقيام الحروب بين الإمبراطوريات القديمة وسيطرة القوية منها على الضعيفة، كانت المعتقدات الدينية والفكرية تتغير هي الأخرى، وكان يزداد الميل لاستبدال حكم آلهة الظواهر الطبيعية المتعددة بسلطان الإله الواحد, والاقتراب أكثر فأكثر من فكرة الإله الملموس إلى فكرة الإله المجرد. وهنالك أراء متعددة بشأن ظهور إله التوحيد؛ منهم من يربطه بقيام دولة ميديا (632 ق.م) التي مهدت الطريق للانتقال من ظاهرة تعدد الآلهة إلى إله التوحيد. ومنهم من يقول إنه بدأ مع البابليين وتسارع في كل مكان فيما بعد[68]. ويقول الإيزيديون إنهم أول من توصلوا إلى فكرة (خودى- الله) و(طاؤوس ملك).

1. انطباعات أولية عن زيارتي الاستطلاعية للهند للفترة من 30-16/آب/2016.
2. في هذه النقطة تلتقي الديانتان الهندوسية والإيزيدية بشكل كبير؛ فالأخيرة تؤمن أيضاً بأن الله هو خالق كل شيء وكلّي القدرة، وقوته (سرّه) موجودة في جميع المخلوقات كونه الروح العليا، لذلك نجد أتباع الديانة الإيزيدية، كما هو الحال لدى المعتقد الهندوسي، يقدسون الشمس والقمر وجميع الأجرام السماوية، ويرون فيها تجسيداً لعظمة الخالق.
3. وهي تشبه تقريباً ظاهرة وجود الأرباب (خودان) عند الإيزيدية.
4. السرمدي: الشئ الذي لا بداية ولا نهاية له.
5. يلاحظ تقريبا التشابه، بل التطابق في العموميات بين النقاط الثلاثة، ومن ضمنها (التثليث) من خلال دراسة قصة الخليقة في النصوص الدينية الإيزيدية (زبوونى مكسور، شيخوبكر، ئافرينا دنيايى) وكيف كان الرب ساكنا الدرّة، أو كيف خلق الرب الدرة من ذاته، وانفجرت الدرّة وخلق منها كل شيء. ونصوص دينية أخرى تقول: (لا تضعوا تمييزاً بين طاؤوس ملك وإيزيد وشيخ آدي فالثلاثة هم قوة واحدة ومن سرّ واحد!).
6. هنا تتشابه الديانتان الهندوسية والإيزيدية، كلاهما لانبي ولا مؤسس لهما، (نبي)-هم هو تلاقح فكر تلك المجموعة البشرية في ذلك الزمن مع الطبيعة وحركة المجتمع البسيط وبالتالي هو تجلٍ لمخزون التفكير الانساني.
7. الفيدا: كلمة سنسكريتية تعني الحكمة والمعرفة، وهو الكتاب المقدس للهندوس تصور حياة الآريين ومراحل ارتقاء الحياة العقلية من الأفكار البدائية والسذاجة إلى الشعور الفلسفي. ويتضمن الكتاب أدعية تنتهي بالشك والارتياب، وفيه تأليه يرتقي إلى وحدة الوجود.
8. R.V.VIII 30.3
9. Yajurvada, XXXVI, 2.
10. وهذا ما تؤمن به الديانة الإيزيدية أيضاً.
11. Mundaka Up. 1.II.I.
12. Rigvad.1.89.8.
13. Rigvad. 48. 15.
14. Rigved. IX,133-7-11
15. تلعب تلعب دوراً بارزاً، بل محورياً في الديانة الإيزيدية كما هو الحال في الديانة الهندوسية، وسنشير إلى ذلك لاحقاً ضمن المقاربات بين الديانتين.
16. يلاحظ الاعتقاد نفسه لدى أتباع الديانة الإيزيدية بأن ديانتهم هي من أقدم الديانات. فهل لذلك علاقة بالاعتقاد الهندوسي أم له خصوصية أخرى؟
17. بقايا رموز الحيوانات في الديانة الإيزيدية: طير الطاؤوس/طاؤوس ملك أو الشيخ آدي، الحيّة/سلالة الشيخ مند، العقرب/سلالة بير جروان، القط/سلالة بير مهمد رشان، الغزال/سلالة الشيخ شمس، الديك/سلالة الشيخ ئَمادين، الأرنب والحمام/له علاقة بسلالة الشيخ حسن، الثور، السمك.. إلخ، مع وجود أرباب لكل واحدة من هذه الحيوانات. فهل يمكن عدّها من بقايا آثار الطوطمية في هذه الديانات؟
18. هذا ما نلاحظة عند الإيزيدية بوجود أشجار شبه مقدسة مثل: شجرة الزيتون، الدفلي، وشجرة الـ "زركوز"...
19. للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة كراس بعنوان: Hinduism, A philosophy of life, L. N. Birla, Shri Lakshmi Narain Temple, New Delhi.
20. الماجدي (دكتور خزعل): الحضارة الهندية، دار الرافدين بيروت، وتكوين الكويت، طبعة 2019، ص 29.
21. تتشابه إلى حد كبير شخصية (كريشنا) الهندوسي مع (الشيخ آدي) الإيزيدي، إذ تعتقد الهندوسية أن آلهتهم قد حلت في (كريشنا)؛ بمعنى التقى فيه الإله بالإنسان، وحلّ اللاهوت في الناسوت. نلاحظ الاعتقاد نفسه لدى الإيزيدية: إن سرّ الله وطاؤوس ملك حلّ في (الشيخ آدي). وهو صاحب كرامات ومعجزات، ويكنى باسمه العديد من الرموز المقدسة والمناسبات الدينية.
22. بهاغافتا غيتا 14.27.
23. كلمة بهاغافاد تعني الله أو الرب أو الإلهي، وترمز إلى كريشنا، وكلمة غيتا تعني المغنّاة أو القصيدة أو الأنشودة. معلم البهاغافاد غيتا هو الرب كريشنا الذي يقدسه الهندوس بوصفه مظهراً من مظاهر الله أو براهما، الخالق الأعظم مانح الحياة وينسبون إليه الشمس التي تجري بسببها الحياة. وهو أحد ثُلاثي الآلهة العِظام، وهم فيشنو وشيفا.
24. هارى/هولا /هولا (Hare=Holla)): بمعنى (التقديس- التقديس) الهتافات المدوية والمصاحبة بانفعالات روحية تنطلق من حنجرة المؤمن الهندوسي والإيزيدي في أثناء أداء الطقوس الدينية.
25. ينظر: منير بعلبكي، قاموس المورد، إنكليزي عربي، دار العلم للملايين- بيروت، 1981، ص410.
26. Bhagavad Gita 9.26

27. وهو مقارب للطعام الذي يعدّ مقدساً لدى الإيزيدية، ويسمى بـ "سمات Simat"، يُعدّ في معبد لالش وفي القرى والقصبات الإيزيدية أيام الأعياد والمناسبات الدينية، ويتكون من حبات القمح المجروش مع اللحم.

28. كانت هذه الظاهرة موجودة إلى وقت قريب لدى الذكور من الإيزيديين، كان الرجال يتركون خصلة من الشعر في جبهة الرأس تسمى "بزيك bijik"، أو كان بعضهم يترك خصلة الشعر تلك عند مؤخرة الرأس.

29. للإيزيدية تربة مقدسة تسمى الـ "برات"، وهي على شكل حبات تصنع من تراب مخصص في معبد لالش، ممزوجاً بماء زمزم والعين البيضاء المقدستين في لالش. يتبرك الإيزيديون بهذه التربة، ويضعون هذا "الطين"، كما يفعله الهندوس، على جباهم في أثناء زيارتهم إلى هذا المعبد.

30. الأبدي: الذي لا نهاية له.

31. الأبدية: لا بداية ولا نهاية له.

32. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، القاهرة, 2005، ص123.

33. المصدر السابق نفسه, ص52.

34. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص 54.

35. لويس غراي وهيرتزفيلد.

36. الدكتور منذر الحايك، فيدا/نصوص هندوسية مقدسة، دراسة مقارنة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2018، ص 37-59.

37. يمكن مراجعة، د. تهامي العبدولي، النبي إبراهيم في الثقافة العربية الاسلامية، دار المدى، ط1 سنة 2001. وكذلك د. سيد القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مكتبة مدبولي الصغير، ط1، لسنة 1996.

38. http://www.prvsr.com/median.htm:

39. عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، بيروت، 1985، ص 131، 132.

40. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص20, 32.

41. سبق وأن قدمت بحثاً تحت عنوان: (هل من علاقة بين النص الديني "Gay u Masi" وسفر الخروج التوراتية) في مؤتمر الأكاديمية الإيزيدية في مدينة بيلفيلد، المانيا, 24-23/حزيران/2012.

42. د. لويس عوض، المصدر السابق، ص133.

43. أخذت صور لطواويس برونزية من المتحف الوطني الهندي في العاصمة نيودلهي بتاريخ 20/آب/2016.

44. يراجع كتابي: به رن ژ ئه ده بى دينى ئيزديان=صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، دار سبيريز, دهوك، الطبعة الثانية، النص الديني "زه بوونى مه كسور". ص 174-173.

45. المقاطع (السبقات 24، 25، 26) من النص الديني (زبووني مكسور= الناسك)

46. الماجدي (د. خزعل): الأساطير السومرية, تصور ميثيولوجي لنشوء الإنسان والكون والإله. منشور بتاريخ 2013/09/18.

47. ينظر: ر.س. زيهنير: المجوسية الزرادشتية، مصدر سابق، 71. وينظر أيضاً: فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمه عن الفرنسية: حافظ الجمالي، مكتبة المهتدين الإسلامية- دمشق، الطبعة الثانية, 1994، ص 71.

48. كريمر (صمويل): من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم ومراجعة: د. أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد, 1956، ص 254.

49. www.hindawi.org قصة الطوفان مقارنات

وكذلك راجع: التشابهات المذهلة بين الأسطورة الهندية لطوفان مانو والقصة الكتابية لنوح، هرمس مثلث العظمة.PDF

50. راجع كتابي: صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، (باللغة الكردية) دار سبيريز، دهوك، الطبعة الثانية، نصوص القسم الأول عن الخليقة والكون. ص 172.

51. يلاحظ تقارب المصطلحين أو الكلمتين (سيكا- سيك- سيخ) الهندوسية و(بزيكا bijika) الإيزيدية من ناحية التلفظ (الفونتيك)، وكذلك جذر الكلمة (سيكا- بزيكا) بتبادل السقوف الصوتية بين حرف (س) و (ز).

52. كتب في مانيلا بتاريخ 12/3/2019.

53. فيدا/نصوص هندوسية مقدسة، دراسة مقارنة، ترجمة: الدكتور منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر 2018، ص 12.

54. يراجع، د. خليل جندي: پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان "صفحات من الأدب الديني الإيزيدي"، ص 893. قصة (پير مندي كوّر).

55. فيدا/نصوص هندوسية مقدسة، مصدر سابق، ص 15.

56. حول هناهين وزغاريد الأعراس، راجع: جورج كدر (كاتب وباحث سوري)، تاريخ كلمة "لي اي ليش" وحقيقة معبد لالش الإيزيدي، موقع اولتر أصوات بتاريخ 8/1/2016.

57. أنيس منصور، ديانات أخرى، دار الشروق، الطبعة الثانية، 2007، ص 9.

58. يلاحظ بشكل واضح أن لبعض الحيوانات والأشجار دور ومكانة في الديانة الإيزيدية وارتباط كل واحد/واحدة منها باسم أحد أولياء (خودان) الإيزيدية: (الغزال، الغنم، الأرنب، الحمامة، الحيّة، العقرب، الثور، السمك، شجرة الزركوز والزيتون، شجرة الدفلي...) والطاؤوس الذي يمثل بـ (السنجق) يعد رمز الديانة الإيزيدية المقدس. وطير الطاؤوس بالاصل طير هندي وصل عن طريق التجارة إلى إيران ووادي الرافدين، وصار يرمز إلى الخلود والروح الطاهرة في المسيحية. وفي الأساطير الهندية يمثل الطاؤوس الأعين الكثيرة التي لا حصر له، كما يمثل السماء ذات النجوم. وما زالت قبيلة موري Mauri في أواسط الهند تعبد طير طاوؤس.
59. أنيس منصور، مصدر سابق، ص 16.
60. للمزيد مراجعة أنيس منصور، مصدر سابق، ص17.
61. العديد من النصوص الدينية الإيزيدية تشير إلى قدسية الروح وخلودها وخلقها الخالق ووضعها في القنديل، ويظهر بأن الروح هي الخالق أو تحمل صفاته!!
62. تعتقد الإيزيدية أن الروح بعد أن تفارق الجسد، تبقى هائمة لمدة ثلاثة أيام حول بيت أهلها، وفي عيد بيلندا شهر كانون الثاني من كل عام تذهب النساء الإيزيديات لزيارة القبور مصطحبات معهن أنواع المأكولات اعتقاداً منهن أن الروح تحوم في ذلك اليوم لرؤية أهلها!!
63. أنيس منصور، مصدر سابق، ص 21.
64. لاحظ دعاء الصبح والمساء الذي يقول: (يا سوارى روز هلاتى روز ئافايى...) = يا فارس طلوع الشمس ومغيب الشمس. كأن هناك فارساً يمتطي صهوة حصان تجر الشمس في عربة من المشرق إلى المغرب!
65. المربعانية: صوم المتزهدين والصوفيين مدة أربعين يوماً خلال منتصف فصلي الشتاء والصيف.
66. اللية: ذيل الاغنام من النعاج والكبش.
67. الحصان: يقصد به "النفس، الغريزة الشهوانية للحيوان، وتماثلها لدى الانسان"
68. سنان بن ثابت، الصابئة المندائية "إشكالية التسمية" الثقافة الجديدة، العدد 248 آب\1992، ص32.

الفصل السابع

نبوخذ نصر والإيزيدية!

ما يثير الانتباه هو ما يتداوله الموروث الديني الشفهي الإيزيدي، وما تعكسه بعض الطقوس والعبادات الدينية، وما تتركه بعض الرموز من مشتركات بين الحضارة البابلية إلى حد الآن. فهل هي محض مصادفة أم لها ما يبررها؟!!

يأتي في (مصحف رش XXII) المنسوب إلى الإيزيدية "أن طاؤوس ملك أقام لهم ملوكاً ما عدا ملوك الآشوريين: (نسروخ) وهو ناصر الدين، و(كاموش) وهو الملك فخرالدين، و(أرطيموس) وهو الملك شمس الدين". ويقول الراوي باسم طاؤوس ملك: "وبعد ذلك صار لنا ملكان (شابور الأول) و (شابور الثاني)، ودام ملكهما مئة وخمسين سنة. ومن نسلهما قام أمراؤنا إلى الآن". ويضيف المصدر نفسه XXV: "قبل مجيء المسيح عيسى إلى هذا العالم، كانت ديانتنا تسمى الوثنية. اليهود والنصارى والإسلام ضادوا ديانتنا والعجم كذلك". ويمضي بالقول (XXVI): "وكان من ملوكنا (آحاب). فأمر كل من كلم منا أن يسميه باسم خاص به، فسموه (الإله آحاب) أو (بلعزبوب)، والآن يسمونه عندنا (بيربوب)". ويقول (XXVII): "كان لنا ملك في بابل اسمه (بختنصر)، وفي العجم (أحشويرش)، وفي قسطنطينية (أغريقالوس)".

إذا أخذنا جميع هؤلاء الملوك بجدية، فإن معنى ذلك يفترض بنا عمل مسح تاريخي وجغرافي واسع جداً لحركة الهجرات البشرية القديمة في جميع الاتجاهات، ومدى تأثر أو تأثير بعضها في بعض من النواحي الفكرية والعقائدية والدينية والثقافية.

مند- مندي- مندائية-أومان ماندا أو أومرماند:

تعني كلمة (مند ومنداي) باللغة الآرامية العارف. كما توجد لفظة (مندا) و(مندي) أو (مندافا) و (مانديا) في لهجات آرية عديدة مثل "كوجوراتي" و "السنسكريتية" بمعنى الظل أو الهيكل، وهي مأخوذة من (مانديا) السنسكريتية. وهناك مجموعة من الهنود "التوديون" الذين يسكنون جنوب شبه القارة الهندية، يسمون قراهم أو أكواخ القش للأبقار المقدسة "ماند". ويطلق الصابئة المندائيون كلمة (مندي) على معابدهم، وتكون عادة على شاطئ نهر أوقرب نبع ماء جار[1].

وترد (ماندا) في اللغة السومرية أيضاً بمعنى الأرض أو السكن. ومن كلمة (ماندا) اشتقت المفردات التالية: "مندا"، "مندائي"، بيماندا"، "بيت مندا" بمعنى بيت العلم والمعرفة[2].

ويقول البروفيسور صلوات غولياموف: جاء ذكر الكرد باسمهم القومي القديم الهندو-إيرانية أول مرة باسم (قبائل كوتي أومان ماندا) في النصوص المسمارية الأولى لكل من سومر وأكد في الألف الثالث قبل الميلاد كالسكان الأصليين لجبال زاغروس وطوروس الذين قادوا حروباً مستمرة ضد دول العبودية الأولى في ميزوبوتاميا. وسقطت إمبراطورية أكد وسومر التي أسسها سرغون العظيم تحت ضربات قوات السكان الأصليين- قبائل أومان ماندا الهندو-إيرانية. إن الاسم القديم لسكان جبال زاغروس وطوروس (أومان ماندا), القسم الأول منه (أومان) مشتق من (هەمی Hemy أو هەموو) بمعنى الجميع، و (مان دا man da) يعني من سلالة (مانو) الذي هو ,حسب ميثولوجيا الشعوب الهندو-أوربية، أسلاف البشرية. والمعنى الاشتقاقي لكلمة (أومان ماندا) يتطابق بدقة مع اسم أكبر القبائل الكردية (كورمان جي= كرمانجي) أي (أبناء أرض مانو) من الكلمة الكردية (كور kur) بمعنى الابن-الأبناء-الذرية[3]. وبَيَّنَ علماء علم الانتقاء النباتي، وعلى رأسهم العالم الروسي ن.ف. ڤابيلوف، أن الكوتيين من سكان جبال زاغروس وطوروس, هم أول من اكتشفوا القمح البري، ووضعوا فيما بعد أسس ازدهار الحضارة الزراعية الأولى في أودية ميزوبوتاميا. وتشهد استمرار وجود قبائل كوتي في السفوح الجنوبية لجبال طوروس، وكذلك كاستا پيروف كهنة كاتاني المقدسة عند الكرد اليزيديين، وكذلك الكرد- كرمانجي. ويقول المصدر نفسه إن كلمة (كوتي) تعود في علم الاشتقاق إلى أقدم اللغات الهندو-أوربية، وتعني حبة (بذرة القمح). وفي معناها الواسع تعني الزراعة أو الحراثة في تصنيفها الاجتماعي. والكلمة في الأصل الهندو-أوروبي هي (كوتان), وتعني "المحراث لفلاحة الأرض" وطاحونة لطحن حبوب القمح"[4].

ويرد في (سبقات، مقطع) من النص الديني الإيزيدي (قەولێ ئیمانێ/حديث الإيمان):

* يا سلتان ئێزی، چەندی مەدەها ژ تە ددەمە/مهما أمدحك إلهي!
بەری لۆح و قەلەمە /قبل خلق اللوح والقلم
بەری هاواو ئادەمە /قبل خلق آدم وحواء
بەری عیساو مریەمە /قبل ظهور عيسى ابن مريم
يا سلتان ئێزی، /يا إلهي!
بەری نۆت هەزار سالی ئەز لبا تەمە/قبل تسعين ألف سنة كنت عندك
*يا سلتان ئێزی، /يا إلهي!
بەری هنگی نۆت هەزار سال لوێ بووم/قبل تسعين ألف سنة كنت هناك
نە ژ باب بووم، نە ژ دێ بووم /لم أخلق من أب ولا أم
لبەر خلمەتا مەولێ بووم /كنت في خدمة المولى!

إن الذي يحفز العقل إلى التساؤل هو ما ذُكر في النص الديني"قبل تسعين ألف سنة كنت هناك في خدمة الخالق، ولم أخلق من أب ولا من أم!" لماذا يرد في النص ذكْر هذه الفترة الزمنية بالتحديد لا غيرها؟ هذا القول له دلالة؛ إذ تشير الاكتشافات الأركيولوجية في منطقة الشرق، أن الفترة الممتدة من 100000 إلى 10000 قبل الميلاد، سميت بالعصر البليوستوسيتي الأعلى، هي الفترة التي شعر بها الإنسان بانفصاله عن عالم الحيوان، وأخذ يدرك إمكانيات بيئته الطبيعية وتكييف نفسه تجاها أو تنظيم جهوده من أجل استغلالها وتوجيهها لمصلحته. وقد اصطلح على تسمية جملة التغيرات التي حدثت خلال هذه الفترة الممتدة عبر تسعين ألف سنة بالثقافة الباليوليتية Palaeolithic)) أي ثقافة العصر الحجري القديم[5]. وبعدها يأتي (العصر النيوليتي)، عصر اكتشاف الزراعة.

وتعد أعياد الإيزيدية، وإن كانت بأسماء متعددة، مرتبطة بالإله (دوموزي- تموز) ابن وحبيب إلهة الكون وهو روح القمح. وعند تحليل مغزى الأعياد يتبين جلياً ارتباط الآلهة أو الإله بزراعة القمح (الحراثة، الإنبات، والحصاد). بمعنى أدق إن أعياد الإيزيدية تحمل بصمات العصر الزراعي. "بطله" القمح في شكله الظاهري، والإله (دوموزي-تموز- طاؤوس ملك) في شكله السري الباطني. وإن السرّ الذي يكمن وراءه هو موت الإله أو الآلهة وانبعاثهما، وهي دورة الحياة الأزلية المتجددة

بذاتها وعودتهما إلى الحياة مع دورة الطبيعة[6]. وما زال القمح من أهم المقدسات عند الإيزيدية، وبه يقسمون ويعتبرونه زاد الدين والإيمان، ومَنْ لا يأكله، لا دين له ولا إيمان. بمعنى أن سرّ طاؤوس ملك يكمن فيه:(Bi vê qeweta îmanê, yê nexot, ne dîne ne îmane!) بما معناه: "قَسَماً بهذا الزاد، إن الذي لا يأكله، لا دين له ولا إيمان". ونظراً لقدسية القمح، فإنه يدخل في تركيبة الكثير من الأكلات الخاصة بالأعياد والطقوس الدينية مثل "السماط" الذي يعد ويطبخ في جميع الأعياد تقريباً، و(pêxun- Qelatik- Cerxus) في عيد خدر إلياس، و(-Keşik) في عيد بيلندا، و(Sewik) في غالبية الأعياد.

تأتي كلمة (كرمانج- أومان ماندا) في الذاكرة الإيزيدية بعدة معانٍ؛ منها: أولاً: الفلاح بمعنى التحضر وزراعة الأرض، عكس الجوالة الرعاة (Koçer), وإذا سألت أحداً عن مهنته، يقول: (Ez kirmancim), بمعنى أنا فلاح ومزارع.

ثانياً: اللغة. إذا سألته: ما لغتك؟ يقول: (zimanê min kirmanciye) بمعنى لغتي هي الكرمانجية[7]. كما يحتفظ الموروث الشعبي الإيزيدي حتى وقتنا الحاضر بمقولة اجتماعية لا نعرف جذورها بالضبط، تقول: (Heke êk dîn bû, dê bene ber Oman mand, heke Oman manda dîn bû, dê bene ber kê!!) بما معناه: "إذا أصيب شخص بالجنون يأخذونه إلى أومان ماندا، فيما إذا أصيب أومان ماندا بالجنون، فإلى أين سيأخذونه؟!!".

توجد بين الإيزيدية عائلة شيوخ باسم (مند), وهو ابن الشيخ فخرالدين بن شمس الدين، و"مند" هو الجد الأعلى لأسرة "جانبلاط= جان+ بولا" الروح الفولاذية. وقد أسست هذه الأسرة إمارة سنة 1300م, ودامت إلى سنة 1425م في منطقة القصير التابعة لولاية حلب, وهي قريبة من أنطاكيا[8]. وقد ولاه السلطان الأيوبي على الأكراد في ولايتي الشام وحلب[9]. وللعلم مازال إلى يومنا اسم هذه القرية (أومان ماندا- أو أومر ماندا). تقع شرق قضاء الشيخان وجنوب قضاء عقرة حيث منطقة سكن الإيزيدية قديماً وحديثاً. وكما توجد قرية باسم (عمر مندان) بين كركوك وطقطق، أهاليها من الأشراف, ولديهم القدرة على شفاء لدغات الأفاعي[10].

ومن المعروف بين الإيزيدية أن شيوخ أسرة "الشيخ مند" الموجودين في مناطق

أقضية الشيخان وتلكيف وسنجار وزاخو، وكذلك في جبل الأكراد (عفرين) بمحافظة حلب ومحافظة الحسكة؛ لهم القدرة على مسك الأفاعي والشفاء من لدغاتها. وتُرى على الأغلب صورة الأفعى منقوشة على الجدران الخارجية لمزارات هذا الشيخ.

إذا أمعنا النظر في عقائد الصابئة المندائية الحرّانية والإيزيدية، نجد تشابه العديد منها, مثل: الأفعى السوداء المنقوشة فوق عتبات دورهم. والحيّة رمز الحياة المتجددة.

وإذا كانت الصابئة المندائية تربط تاريخ ظهور ديانتها بأيام النبي "شيت بن آدم"، فإن الإيزيدية أيضاً تذهب إلى أنها من ذرية (شهيد بن جر) الذي هو (شيت بن آدم) وليسوا أبناء حواء! كما تقدس الإيزيدية الإله سين/إله القمر، وتؤدي صلواتها باتجاه الشمس، وتؤمن بعقيدة التناسخ والحلول. ربما يكون العيش المشترك في مدينة حرّان المنسوبة إلى إله القمر أساس هذه العلاقة بين الصابئة والإيزيدية أو هناك علاقة أخرى. السؤال الآخر: هل الصابئة المندائية هي نفسها الصابئة الحرّانية[11] ؟

نقف عند ملك بابل (بختنصر- نبوخذ نصر). وما يجعلنا نقبل هذه الفكرة نوعاً ما هو بقاء الاحتفال بعيد أكيتو (رأس السنة البابلية الجديدة) عند الإيزيدية في أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي, محافظين على طقوسها ومراسيمها لتحريم الزواج خلال هذا الشهر، وجز صوف الأغنام وعدم حرث الأرض وتجديد خميرة اللبن. يضاف إلى ذلك المشترك بين الإلهة عشتار وديموزي/تاووز، ومعبد إيساجيلا/إيزاجيلا/إيزيدا، وتطوير (شريعة الشمس) من قبل نبوخذ نصر، فضلاً عن وجود العديد من بقايا الأسماء من تلك الفترة كـ (نابو، حمو، خدر، نيسان..إلخ).

توجد أيضاً قصة (نبوخذ نصر) ضمن الأدب الديني الشفهي، معززة بنص ديني باسم (قەولێ ئێزیدو مەدەهێ). رواها لي عالِم الدين الإيزيدي (فقير خدر بركات كسو) بتاريخ 31/1/2000, في أثناء زيارته لنا في جامعة غوتنغن/ألمانيا. القصة منشورة في كتابي (پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان)[12]. تروي الرواية الشفهية الإيزيدية أن الملك (بختنصر) ذهب لفتح مدينة أورشليم, واستعاد منها العديد من الرموز الدينية الإيزيدية؛ هي: كتاب مصحف رش/المصحف الأسود، المصباح ذو الفوهات التسع/چرایێ نەه لوولی"، كبش إبراهيم الخليل/ بەرانێ

براهيم خەليل".!!

السؤال: متى وكيف وأين وقعت هذه الرموز بيد دولة يهوذا حتى يذهب (بختنصر) لاستعادتهم؟!

قبل تدوين موجز بقصة نبوخذ نصر ضمن التراث الديني والشعبي الإيزيدي، أحاول إلقاء الضوء على بعض جوانب حضارة بابل.

لمحة عن آثار بابل العظيمة

صرح حضاري عظيم اسمه (بابل)، المحرف من (باب إيل) الذي يعني (باب الآلهة). تعدّ مدينة بابل - تقع على بُعد تسعين كيلو متر إلى الجنوب من العاصمة بغداد، من أشهر المدن القديمة بعظمة آثارها وجمال أبنيتها وثقافة سكانها. بقيت بابل مركزاً للإشعاع الحضاري مدة خمسة عشر قرناً (1894 - 1594 ق.م.) السلالة الأولى. وكان حمورابي (1792 - 1750ق. م.) أول المشرعين وأحد ملوكها, وصاحب المسلة المعروفة باسمه (مسلة حمورابي). وقد دمر الحيثيون بابل عام 1595 ق.م. وحكمها الكاشيون عام 1517 ق.م. وظلت منتعشة ما بين عامي 626 و539 ق.م. ولاسيّما في أيام حكم الملك نبوخذ نصر حيث قامت الإمبراطورية البابلية. وكانت تمتد من البحر الأبيض المتوسط وحتى الخليج العربي. استولى عليها كورش الفارسي سنة 539 ق.م, وقتل آخر ملوكها بلشاصر. ظلت بابل أكثر من قرنين تحت سيطرة الإمبراطورية الأخـمـيـنـية إلى أن جاءها الإسكندر المقدوني في نهاية عام 331 ق.م، فاتخذها عاصمة لإمبراطوريته. عاش وتوفي فيها 13 حـزيـران 323 ق.م. عن عمر ثلاثة وثلاثين عاماً، كما هو منقوش على حجر أمام العرش الذي كان يجلس عليه الملك نبوخذ نصر.

من الجدير بالذكر أن الإسكندر المقدوني أظهر تقديـسه لآلهة البابليين، وأمر بإعادة تشييد الـ "أي سجيل- إيزاجيلا"، معبد الإله مردوخ الّذي تهدّم منه أجزاء كثيرة. كما اعترف من قبل في أثناء احتلاله لمصر بالإله آمون. وكان الكبش رمزاً للإله آمون، ولهذا وضع الإسكندر قرنَي كبش على خوذته ليدل على أنّه ابن آمون. وبعد موت الإسكندر، حُنّط جثمانه, ووُضع في نعش من ذهب. وقـرر قـواده

أن يدفنوه في عاصمته مقدونيا، ولكنّ القائد بطليموس استولى عليه وحمله إلى ممفيس في مصر قبل أن يدفنه في الإسكندرية.

أعيد بناء بابل وسورها العظيم في عهد الملك نبوخذ نصر (605 - 563 ق.م). وهو السور المشيّد إلى جانب شارعين آخرين لم يجرِ التنقيب عنهما بسبب المياه الجوفية. وفي زمن الملك نبوخذ نصر صارت بابل من أوسع المدن وأجملها في ذلك الزمان؛ إذ تنساب فيها مياه نهر الفرات من الشمال إلى الجنوب, وهي محاطة بخندق وسورين؛ الخارجي طوله 16 كم والداخلي 8 كم، وفيها شبكة من الشوارع المستقيمة والعريضة المعبدة بالآجر والقار. وفيها الشارع الذي سُمّي شارع الموكب الذي يمر ببوابة عشتار وينتهي حيث كان البرج المدرج (الزقورة). وعلى الجانب الغربي للشارع تشاهد بقايا القصر الجنوبي 190x300م الذي يتكون من خمس باحات, كل منها وسط مجموعة من الحجرات والصالات, ومن ضمنها قاعة العرش 50x16م المزينة بصورملونة, منها صورة الأسد الموجود الآن في متحف برلين. القصر الأول بجانب السور مخصص لحرس الملك، والثاني قصر الموظفين، والثالث قصر عرش الملك، والرابع قصر عائلة الملك، والخامس مخصص للنساء والخدم.

وفي شمال هذه القصور توجد مجموعة ممرات على شكل متاهات؛ يصعب على العدو الخروج منها في حال محاولته اقتحام القصور. وداخل هذا القصر توجد بقايا آثار الجنائن المعلقة التي ذكرها المؤرخون اليونان والرومان من عجائب الدنيا السبع. وإلى الشمال قليلاً، يلاحظ بقايا آثار القصر الرئيسي الذي ما زال أسد بابل موجوداً فيها، وهو جاثم على صدر إنسان. يمثل الأسد رمز قوة بابل وعظمتها. والإنسان الجاثم تحته يمثل الأعداء الذين قُهروا من قبل ملك بابل. وعلى الجهة الشرقية لشارع الموكب يوجد معبد الإله إيماخ الذي أعيد بناؤه.

وتذكر المصادر التاريخية أن نبوخذ نصر دعم بابل بسورين؛ أحدهما داخلي والآخر خارجي, وكان عرضهما كبيراً. وقد ذكر هيرودوت أن بابل هي المدينة الوحيدة التي تسير فيها العربات على سورها. كما بنى نبوخذ نصر لمدينة بابل ثماني بوابات، أكبرها بوابة عشتار باسم الآلهة عشتار التي تتوسط شارع الموكب الذي كان يحتفل فيه البابليون بعيد أكيتو (رأس السنة البابلية). كما بنى نبوخذ

نصر المعابد مثل معبد إيساكيلا ومعبد إيتيمينانكي (وهي زقورة بابل التي عرفت عند اليهود ببرج بابل) الذي كان مسكن الإله مردوخ حسب المعتقد البابلي. وبنى نبوخذ نصر قصراً كبيراً لنفسه. كما نُسب إليه بناء تمثال أسد بابل الذي مايزال موجوداً في بابل. كما ذُكر أن الملك كتب شريعة قانونية مشابهة لشريعة حمورابي وطورها، وسميت باسم (شريعة الشمس). كانت بابل في زمن نبوخذ نصر أجمل مدن العالم القديم, ونالت شهرة كبيرة بين الأمم في ذلك الوقت. ويقول نبوخذ نصر في إحدى الكتابات المنقوشة على جدار بوابة عشتار: أنا (نبوخذ نصر) باني هذه الأسوار والبوابات. وأنا الذي أوصلتها إلى المياه. وأنا الذي وضعت فيها الحجارة الزرقاء الصافية، وبنيت الغرف داخل السور، ونقشت صور الثيران والتنانين في السور، وزينتها بهذه الأشكال الجميلة لكي تتمتع البشرية برؤية هذا المنظر المهيب.

من هو نبو خذ نصر؟

نبوخذ نصر أو بختنصر أو بخترشاه (بالآرامية), هو أحد الملوك الذين حكموا بابل، وأكبر أبناء الملك نبوبولاسر. ويعد أحد أقوى الملوك الذين حكموا بابل وبلاد ما بين النهرين، فقد جعل الإمبراطورية البابلية من أقوى الإمبراطوريات في عهده بعد أن خاض عدة حروب ضد الآشوريين والمصريين.

الاسم الأكدي لنبوخذ نصر هو نبو كودورو أوصور، ومعناه نابو حامي الحدود. و(نابو) هو إله التجارة عند البابليين, وهو ابن الإله (مردوخ). وقد أطلق عليه الفرس اسم بختنصر ومعناه السعيد الحظ. أما الأكاديميون والمؤرخون الحاليون فيفضلون تسميته بنبوخذ نصر الكبير أو نبوخذ نصر الثاني؛ وذلك لوجود ملك آخر استخدم هذا الاسم قبله, وهو نبوخذ نصر الأول الذي حكم بابل في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

أما في المصادر الإسلامية، فذكره المؤرخ الطبري باسم (بخترشاه) أو (بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ بن عابر, ونمروذ صاحب النبي إبراهيم) أي نبوخذ نصر. قال إنه كان ملكاً من أصل فارسي من سلالة جدهارز.

وهناك من آمن بأنه قد عاش 300 سنة. وتوجد مصادر تاريخية تذكر أنه كان ملكاً عديم الرحمة. وهناك مصادر أخرى صوّرته بأنه حاكم عادل ويعبد الله[13].

قاد نبوخذ نصر، قبل أن يصبح ملكاً، الكلدان إلى هزيمة الآشوريين الذين حظُوا بدعم الملك المصري نخاو الثاني. وتمكن من هزيمة الفراعنة والآشوريين في معركة كركميش عام 605 ق.م. وبعد ذلك تمكن نبوخذ نصر من السيطرة على المناطق التي كانت محتلة من قبل الآشوريين ومنها سورية وفينيقية، ولكن في العام نفسه توفي والده الملك نبوبولاسر، فعاد إلى بابل ملكاً شرعياً عليها.

استمر نبوخذ نصر بقيادة جيوشه إلى سورية ويهوذا، ووصل إلى حدود مصر عام 601 ق.م. وبعد انسحاب مصر من الأراضي السورية بدأت الممالك الكنعانية تحرّض ضد سلطة بابل عليها، فاحتلها نبوخذ نصر سنة 604 ق.م، وسبى بعض سكانها وعيّن ملكاً آخر عليها. وعندما رفضت مملكة يهوذا دفع الجزية إلى بابل، قرر يهوياقيم ملك يهوذا العصيان على بابل، ففرض نبوخذ نصر الحصار على أورشليم عاصمة مملكة يهوذ, وسبى بعض سكانها مع ملكهم يهويا كين سنة 597 ق.م. سمي ذلك بالسبي البابلي الأول. أما السبي الثاني فقد جاء بعد حصار أورشليم سنة كاملة؛ فقد تمكنت جيوش نبوخذ نصر من اختراق مدينة أورشليم والدخول إليها، وسبي معظم سكانها، ومنهم ملكهم صدقيا (الذي نصبه نبوخذ نصر ملكاً), وأحرقوا هيكل سليمان. وبهذا أنهى حكم سلالة داوود على مملكة يهوذا في عام587 ق م. ويعد هذا الحصار الأطول في تاريخ هذه المدينة. وحسب ما يقول نبوخذ نصر في أحد الألواح الأثرية إنه تمكن من عزل ملكها الشرير، وشق الطرق بين الجبال إلى صور، وشتت سكانها الأشرار في اتجاهات الأرض الأربعة، واختارلها ملكاً آخر.

بنى نبوخذ نصر في آخر أيامه إمبرطورية كلدانية بابلية عظيمة. امتدت قوتها من الخليج العربي وبلاد الفرس إلى البحر الأبيض المتوسط. وكانت بابل الإمبراطورية الأقوى في زمنه. وفي الشهر السادس من سنة حكمه، مات نبوخذ نصر عن عمر ناهز أربعة وأربعين عاماً، وخلفه ابنه اميل مردوخ.

خارطة الإمبراطورية البابلية في أوج توسعها

ملاحظات عامة:

الملاحظة الأولى: يلاحظ على جدران السور الداخلي الممتد بموازاة شارع الموكب صور حيوانات: موشخشو Mushhushu (التنين) صورة حيوان أسطوري, جسمه أفعى وأرجله الأمامية لأسد والخلفية لطير الصقر. إضافة إلى الثيران والأسود بذيول مرفوعة تارةً دلالة على التأهب والاستعداد والحرب ولقدوم موكب الملك، وتارة أخرى بذيول متدلية إلى الأسفل دلالة على احترام حضور الملك. ترمز الحيوانات الثلاثة إلى القوة والحكمة والخصب والرفعة. وجميع هذه الصور منقوشة بالآجر المرجج بالألوان.

الملاحظة الثانية: هنالك 53 معبداً في مدينة بابل، و8 بوابات للسور الداخلي أبرزها بوابة عشتار.

الملاحظة الثالثة: يتكون خِتْم نبوخذ نصر الموجود على العديد من أحجار وطابوقات القصر من 3 أو 6 أو 4 أو 8 أسطر.

الملاحظة الرابعة: يبعد معبد إيساجيلا/أو إيزيدا مسافة كيلومتر من الجهة الشمالية للسور. وكان مكاناً للإله مردوخ.

نبوخذ نصر و (قەولێ ئێزیدو مەدەهێ)

تقول الرواية الإيزيدية إن نبوخذ نصر كان يتيماً، لا يملك مأوى يعيش فيه، ويبحث عن مخبأ يختفي فيه بسبب ملاحقة بني إسرائيل له.

كما تقول القصة، كان اليهود يريدون القضاء على الإيزيدية، وأنشؤوا دُوراً لتوليد النساء الإيزيديات ودوراً لتربية الأطفال بغرض عزلهم عن المجتمع، وغسل أدمغتهم وإبعادهم عن تعاليم دينهم. سبب كل ذلك هو اعتقاد اليهود أن الله سوف ينصر الإيزيدية عليهم, حسب ما فهموا من تعاليم دينهم.

حكم بابل ستة ملوك قبل نبوخذ نصر. وهذا الأخير أعطاه الله القوة والقدرة، وجاءه قاصد الله في منامه يقول له: "بأمر من الله، سوف تُسال الدماء ثلاث ساعات في القدس! استيقظ من حلمه, قائلاً: يا إلهي! ما هذا القتل؟ وما هذه المصيبة؟ لمَ تحدث في زماني؟ أنا لست مسؤولاً عنها، ولست مذنباً!

كانوا صادقين، يدعون ربهم فيستجيب دعاءهم. ففي زمن (النبي دانيال) جاءه قاصد الله في منامه مرة ثانية، قائلاً له: " بأمر من الله، سوف تُسال الدماء ثلاث ساعات في القدس! انتقاماً لدم (حامورابي)!" فقال النبي دانيال[14] : ما شأني في ذلك! و لم يكن النبي دانيال طالب خير. ويقال إن في زمنه منح الله القوة والنصرة للإيزيديين. وكان الإيزيديون جماعات رُحَّل مع قطعانهم في المراعي. بدأ اليهود إرسال المشروبات والذهب إليهم من أجل إغرائهم والإيقاع بهم، لكن مخططهم لم ينجح؛ بدؤوا بإغراء الكبار، قائلين لهم: "أنتم محرومون من ملذات الدنيا، فلا حياة لمن لا يشرب من هذا المشروب!" رفض الكبار ذلك، وقالوا: إن رؤساءنا ورجال ديننا نهونا عن شرب الكحول!". كان هدف اليهود إفساد عقولهم ودفعهم نحو الرذيلة. وعندما فشلوا في ذلك، عرضوا عليهم الذهب والمال، لكنهم رفضوا بالطريقة نفسها بناءاً على وصية رؤسائهم وعلماء دينهم. وعندما باءت جميع محاولات اليهود بالفشل في شراء ذمم كبار الإيزيديين والإيقاع بهم، توجهوا إلى الشباب والأطفال للإيقاع بهم ودفعهم إلى شرب الكحول، قائلين لهم: إن آباءكم شربوا وسكروا ليلة أمس. لكن أحد الأذكياء من بين الشباب ردّ عليهم: إذا كان آباؤنا قد أخطؤوا وشربوا الخمر، فنحن لا نقع في الخطأ نفسه!!

لمدة ثلاثة أيام على التوالي، كان قاصد الله يأتي إلى نبوخذ نصر في منامه، قائلاً له: "جاءك النصر من الله، وجعل فتح القدس بيدك!" عندما استيقظ نبوخذ نصر نظر حوله، لم يجد تلك القوة التي تمكنه من فتح القدس، وقال في قرارة نفسه: أين القوة؟ أين المال؟ أين القوات والأسلحة لفتح القدس؟! كيف أتمكن من دخول القدس وهي مدينة حصينة؟!

في اليوم التالي جاءه قاصد الله في منامه، مكرراً الطلب نفسه. فذهب إلى والدته، شارحاً لها حلمه. فقالت له:

– لا تعلن عن نفسك؛ نحن ضعفاء لا قوة لنا، ولا نريد أن تجلب لنا الإبادة. سوف يقتلون البقية الباقية، ويبيدون هذا الشعب. وإذا كان القاصد فعلاً من عند الله فسوف يأتيك هذه الليلة أيضاً، فاشترط عليه بعض الشروط. إن استجاب وتحققت شروطك، حينئذٍ افعل بما يأمرك به.

جاء القاصد في الليلة الثالثة، كما توقعت والدة نبوخذ نصر، فقال للقاصد:

– لدي مئة شخص، لا سلاح ولا مال لنا. كيف أستطيع فتح مدينة القدس من دون جيش وعتاد ودعم؟!

ردّ عليه القاصد:

– انهض صباحاً واعتلِ تلةً، وإرمِ أربعة سهام في جهات الدنيا الأربع، بقدرة الرب سوف تدار وتتوجه جميع تلك السهام باتجاه القدس وستعود إليك السهام مخضبة بالدماء دلالة على مقدرتك, وسيكون النصر حليفك! وأوصى القاصد نبوخذ نصر أيضاً بأن يجمع قواته ويتقدم على مراحل، وعند كل مرحلة سيزداد عديد قواته إلى أن يصل القدس. وقال له: امكث هناك ليلة. سيرسل الله إليك قوات من الغيب بكامل عُدتها وتسليحها. وحين تصل إلى جوار مدينة القدس ستجدها محاطة بسور وأبوابها فولاذية. أنت لا تقوى على فتح تلك الأبواب، لكن قبل بزوغ الفجر دعْ قواتك تتهيأ وتقف خاشعة أمام نور الشمس. حينئذٍ تأتيك القدرة والمكرمة الإلهية، وسينزل كبش من السماء، وينطح بقرنية أبواب القدس الأربعة ويفتحها، ويدخل جيشك القدس!!

اطمأن نبوخذ نصر إلى ما رواه له القاصد من خطة في منامه. بدأ التحرك على مراحل. وفي كل مرحلة كانت تتضاعف قواته إلى أن وصل إلى القدس وضربها بأسلحته بكل قوة، ولكن من دون أن يتمكن من الدخول إليها أو يرى أبوابها، ناسياً ما قيل له في حلمه. عند الفجر، هيأ جيشه ليقف خاشعاً متعبداً أمام نور الشمس. ورأى باباً يفتح من السماء وينحدر منه كائناً، قال عنه الرواة إن رأسه كان يشبه رأس كبش، وصدره صدر أسد، وذيله يشبه ذيل السمك!! ويُقال إن رمز ذاك الكائن موجود في خزينة الرحمن في معبد لالش. ويُروى أيضاً أن لذلك الكائن قرناً واحداً على جبهته!!

هاجموا مدينة القدس وحاصروها. وعندما وصلوا إلى بابها رأوا ما يشبه صاعقة من السماء. أسروا النبي دانيال[15] ، وطلبوا منه أن يفسر لهم معنى هذا الدم الفائر!

طلب النبي دانيال الأمان وعدم قتله. أعطوه الأمان والقَسَم بعدم قتله. قال دانيال:

– هذا دم أحد أتباع ديانتكم, قُتِل في كنيسة القدس. الآن جاء الوقت ليطالبكم برفع الحيف وألا يذهب دمه هدراً!

يُقال إن نبوخذ نصر أحرق القدس وقتل مَنْ فيها، وأخرج رموز الإيزيدية التي استولى عليها اليهود بعد مقتل حمورابي، وهي: كتاب (مصحف رش) الذي كان مخفياً في أحد الأماكن، والمصباح ذو التسع فوهات (جرايى نه هـ لوولى)، ورمز الطاؤوس الأزلي (تاووسا عه نزه لى). وبعد أن أنجز ذلك، نظر نبوخذ نصر إلى نفسه فرأى جسمه كله من ذهب. نام في تلك الليلة ورأى في منامه أن رأسه من ذهب، ورقبته من فضة، وصدره من فولاذ، وأحشاءه من حديد، وقدميه من خشب[16] !!

في الصباح، قال للنبي دانيال: لقد رأيت حلماً وعليك أن تفسره. ردّ دانيال:

- لايمكنني تفسير أحلام الملوك. ولا أعرف ماذا حدث بينك وبين جبرائيل!

قال له نبوخذ نصر: سأقتلك إن لن تفسره!

- أعطني الضمان والأمان بعدم قتلي، سأفسره لك.

قال دانيال: إن الله قد وهبك القوة والأمر وقتل أعدائك، لكنك أحرقت الكتب الدينية. تلك الكتب التي تحتوي على معاني قديمة، ولم يكن لك الحق في ذلك. كما أحرقت الأشياء المقدسة، لهذا حكمت على نهايتك. الذهب معناه أنك سوف تعيش في نعيم وعصر ذهبي. أما الفضة فمعناها أن ابنك سيقضي وقته في كرامة. ومعنى الصدر الفولاذي أن أحفادك سيكونون أقوياء. والأحشاء الحديدية معناها القوة وعدم الانكسار. أما قدماك من خشب فمعناه أنت وحظلك، هل ستقطع شجرتك أم ستثمر؟!! لقد قُطعت شجرة نبوخذ نصر، لأن الظلم لا يدوم، كما قال الراوي رجل الدين (فقير خدر بركات كسو). وأضاف: جمع (عزير) كتاب التوراة، وأظهر الدين اليهودي الذي كان ضائعاً.

وقال (فقير خدر بركات كسو): كان اسم معبد نبوخذ نصر (إيزيدا). وكان اسم الإيزيدية حينذاك (ئَزداهي). وأضاف: إذا سألت اليهود الآن، يقولون: "نحن كنا أسرى إيزي. ذاك إيزي نبوخذ نصر وليس (إيزيد الشام)، بل (إيزي) الذي احتل القدس وأسر اليهود!

وذكر (فقير خدر بركات) أن النص الديني الإيزيدي (قەولێ مريدا) أو (ئێزيدو مەدەهێ) هو تابع لهذه القصة الدينية. مع العلم أن هذا النص يتألف من (27 سبقه/مقطع)، وكل مقطع يتكون من ثلاثة أسطر بوزن وقافية محددة، وميلودية

خاصة بالترتيل. سأشير إلى بعض (السبقات) مع الترجمة:
١- ژ وان مەبن کول عەمەلە/لا تتدخلوا فيما لا يعنيكم
مەکەڤن هەموو کەلە /ولا تثوروا لجميع الأشياء
دا هوون نەبن ئارمانجێت قەداو بەلا/لكي لا تصبحوا أهداف المصائب
٢- ژ وان بن کول تفاقە/كونوا متحدين دائماً
قەسد بکەن دیوانێت خاسا،/اقصدوا مجالس الخواص،
مەحفەلێت چاکا /ومحافل الأولياء
دا وە نە هاڤێژنە زکاکا/لكيلا يرموكم في الأزقة
٣- بسلتان ئێزی دەم مەدەهێ/أقدم الثناء إلى السلطان إيزي
سەرخۆشکرم بوێ قەدەهێ/ناولني من ذاك الكأس
خەلاتکرم بستێرا سبەهێ/وكرمني بنجمة الصباح
٤- بستێرا سبەهێ ئەز خەلاتکرم/بنجمة الصباح أكرمني
بسێ حەرفا خەبیرکرم/وجعلني خبيراً بثلاثة أحرف (معاني)
هاتیمەو ڕابوهرم /قادم أنا لأكمل المشوار
٥- هاتم ڕابوهرم بچمە پێش /قادم، أتقدم إلى الأمام
لوێ حەرفێ بکەم تەفتێش/لأفتش عن ذلك الحرف
وێ حەرفێ ژ هەڤکرن حەشەم و قورێش!/الذي عزل بين هاشم وقريش!
٦- حەشەم و قورێش ژ هەڤ دکرە/عزل هاشم عن قريش
قال و قیل چێ دکرە /وأظهر القال والقيل
فەقیر دمخفی بوون، داهر دکرە/برز الفقراء(17) بعد أن كانوا مخفيين
٧- وەکی فەقیر دمخفی بوون/حين كان الفقراء مخفيين
ئب ئا خۆ درازی بوون/كانوا راضين بما لديهم
بسلتان ئێزی ڕا لوەحدانی بوون /كانوا وحدانيين مع السلطان إيزي
٨- فەقیر داهر بوونەو نا سەبرن /لن يصبر الفقراء بعد ظهورهم
پڕ بوونەو نا هێشرن /زادوا ولن يهدؤوا
لەو سلتان ئێزی بڅۆف ژ ڤێ/لذا قام السلطان إيزي

دنیایێ کێم کرن[18] /بتقليص الظالمين في الدنيا
١٥- پەدشایێ منی دەلیل عێلم[19] /إلهي العليم العارف!
ئەز بەر بوێ ڕم[20] /أنا ذاهب (مَعَرجُ) إلى هناك
بقەسرێ ڤەنا سێلم /أسند (السُّلُمُ) إلى جدار القصر
١٦- سێلم بقەسرێ ڤەنیا/أُسند المِصْعَدُ (السُّلُمُ) إلى جدار القصر
کولاڤە وە لێ شدیا/ هكذا شدّ الأوتاد
ئیلاهیۆ! تویی مشوری لهەموو جیا/إلهي! أنت مشهور في جميع الأماكن!
١٧- ئەو بوو قەسرا عزێری تێ[21] /كان ذلك القصر الساكن فيه (عزير)
دەستخەت و بێری تێ/وفيه المخطوطات والكتب القديمة
خولام و جێری تێ/وفيه الخدم والجواري
١٨- خولام و جێری زۆر قوماشە/أنواع متعددة من الخدم والجواري
ئەون جندیێت ژ نوورا پەدشا[22] /هُم الجنود من نور الإله
سلتان ئێزی ژ دیوانا خۆ/ يرسل إليهم السلطان إيزي من خزينته
بۆرا دشینە دەبرو ماشە/التدبير والمعاش
(السبقات 8-1 و 18-15 من النص الديني: ئێزیدو مەدەهێ)
ما يلفت الانتباه هو (السبقتين/ المقطعين) الخامس والسادس من النص الديني أعلاه:
- هاتم ڕابوهرم بچمە پێش/قادم، أتقدم إلى الأمام
لوێ حەرفێ بکەم تەفتێش/لأفتش عن ذلك الحرف
وێ حەرفێ ژ هەڤکرن حەشەم و قورێش!/الذي فَصَلَ بين هاشم وقريش!
٦- حەشەم و قورێش ژ هەڤ دکرە/فَصَلَ هاشم عن قريش
قال و قیل چێ دکرە /وأظهر القال والقيل
فەقیر دمخفی بوون، داهر دکرە/برز الفقراء بعد أن كانوا مخفيين
إضافة إلى (السبقتين 34 - 35) من النص الديني (قه ره فرقانْ):
٣٤- ئەو حەرفا ژ پێش/ذلك المعنى القديم
جائزە لوێ حەرفێ بکەن تەفتێش/جائز أن يُبحث عن ذلك المعنى

ژێككرن هەشەم و قورێش/الذي فَصَلَ بين هاشم وقريش

٣٥- هەشەم و قورێش ژێككرن[23] /فَصَلَ بين هاشم وقريش

قال و قيل ناڤدا داهركرن/دبّ القيل والقال بينهما

سلتان ئێزی ب شيرێ هەقيێ ژێک كرن /بسيف الحق فصل السلطان

إيزي بينهما

السؤال الجدي هنا: هل هناك علاقة تاريخية وعقائدية بين بابل وقريش والإيزيدية؟

حسب الموروث الديني والثقافي الإيزيدي، هناك علاقة روحية بينهم وبين بابل من خلال قصة نبوخذ نصر التي نحن بصددها. إذن, يجب أن ندخل في عمق التاريخ لنكشف عن رأس خيط ذلك الرابط، ونبحث فيما إذا كان هنالك علاقة بين البابليين وقريش.

حكم الكاشيون بابل 1517 قبل الميلاد. وظل حكمهم منتعشاً ما بين أعوام (626 - 539) قبل الميلاد، ولاسّيما في أيام حكم الملك نبوخذ نصر الثاني (605 - 561 ق.م.) وهو الابن الأكبر لنبوبولاسر من سلالة بابل الحادية عشرة.

ادعى نبوخذ نصر أن نارام سين هو جده. وسبى اليهود مرتين، السبي البابلي الأول عام (597) قبل الميلاد، والسبي البابلي الثاني بعد حصار أورشليم واحتلالها (586 - 587) قبل الميلاد[24].

توفي نبوخذ نصر عام 561 ق.م.. وخلفه ابنه (أميل مردوخ أو أفيل مردوخ)، لكن أزيح هذا الملك عن الحكم لصغر عمره أو لأسباب أخرى. تسلم نبونائيد العرش البابلي في الحقبة البابلية الثانية التي تسمى بـ(الكلدانية) عام (556 ق.م.) علماً أنه لم يكن من العائلة المالكة، بل هو ابن الكاهنة الكبرى معبد سين إله القمر في حرّان. وكان مقرباً من نبوخذ نصر أو ربما كان متزوجاً ابنته الكبرى (نكتوريس) مما جعله مؤهلاً لتسلم العرش. ويذكر التاريخ بروز العديد من المشاكل في عهد نبونائيد، منها المشاكل الاقتصادية والدينية التي كانت هي الأبرز، فقد كانت بابل دولة دينية بامتياز، القرار والقول الفصل للكهنة. عمل نبو نائيد على زعزعة مكانة مردوخ وإحلال الإله (سين) مكانه بوصفه معبوداً رئيسياً في البلاد التي تحت

سيطرته، مما جعل كهنة مردوخ وأتباعه يبغضون نبونائيد الذي ترك مدينة بابل، وعمل على إعادة تشييد معبد سين في حرّان، كما أنه ذهب ليستقر في واحة تيماء في أطراف الجزيرة العربية[25].

لم يقرر المؤرخون السبب الذي دفع نبونائيد إلى ترك بابل والإقامة في تيماء طوال عشر سنوات، تاركاً ابنه (بليساصر) الذي لم يكن على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه. يذكر بعضهم أن سبب استقراره في تيماء يعود إلى كونها وسط سهل خصب ومناخ صحي, ووقوعها على الطرق التجارية القادمة من اليمن وجنوب الجزيرة العربية والذاهبة إلى بلاد الشام. ويؤكد قسم آخر أن سبب إقامة الملك نبونائيد في تيماء يعود إلى كونها أحد المراكز الرئيسية لعبادة الإله سين (إله القمر)، فأهل تيماء كانوا يعبدون إله القمر أو أحد أوجهه, ويعتبر ذلك شكلاً من أشكال عبادة سين البابلي[26].

ثمة سؤال ربما يكشف لنا رأس الخيط في علاقة البابليين وقريش ومعهم الإيزيديون الحاليون، كيف انتقلت عبادة إله القمر (سين) إلى تيماء؟ ومَنْ نقلها إلى هناك؟

من المعروف تاريخياً أن الكاشيين الذين استولوا على بابل وحكموها أكثر من خمسة قرون (1700– 1175 ق.م.), هم من قبائل زاغروس أحفاد الخالديين (الكلديين- الخلديين) نسبة إلى كلديا أورارتو من الشعوب الهندو-أوربية. ويبدو أن موجاتهم بلغت سورية وفلسطين, ودفعت قسماً من سكان تلك البلاد الذين احتفظوا بهم إلى دخول مصر معهم. وكما يقول المؤرخ فيليب فراداي: إن (الكاسيين/الكاشيين) في العراق القديم من الهكسوس المعروفين في التاريخ بـ (العماليق). ويذكر العالِم لويس عوض في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية) أن آماليك (العماليق) ومنهم "بنو جرهم" كانوا يسكنون مكة. وهم (الهكسوس) أو الملوك الرعاة الذين طردوا من مصر واستوطنوا الحجاز واتخذوا مكة عاصمة لهم. أما الدكتور سيد القمني في كتابه (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) فيربط لغوياً وتاريخياً بين الهكسوس والنبي إبراهيم، ويقول: إذا كان "ولد عدنان يقال لهم قيس، وولد قحطان يقال لهم يمن"، فهذا ليس في حاجة إلى إيضاح أن (كاسي) هي (قيسي)، وأن القبيلة

العدنانية (النسل الإبراهيمي) قد وفدت ضمن مجموعة من الهجرات المتدفقة على شكل موجات متلاحقة من المنطقة الكاسية، سكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام نحو شمال الخط القادم من الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية.

تعطينا هذه الحقائق التاريخية صورة شبه واضحة بأن الكاشيين (الهكسوس) والمجموعات الإثنية التي هاجرت معهم، نقلوا عبادة إله القمر (سين) إلى شمال شبه الجزيرة، وأن الملك نبو نائيد البابلي الكاشي بعد أن احتدم الصراع بينه وبين كهنة مردوخ ترك مدينة بابل واتجه إلى حرّان، ومنها إلى تيماء بين أهله حيث يوجد مركز رئيسي لعبادة سين (إله القمر)[27].

يبدو أن تلك هي الشفرة التي تفسر لنا قول رجال الدين الإيزيديين عن علاقتهم ببابل وقريش. القبيلة الكاشية الهكسوسية غير العربية التي نزلت الجزيرة بعد طردها من مصر، واتخذت مكة عاصمة لها. وكان من مقدساتها تقديس إله القمر (سين) و(إيزي) الذي هو تحريف للإله (إساف)، كما يذهب إليه الكاتب (باراني). وكان (إساف) في الأصل يسمى (يوسف) ويعد إلهاً للسمنة والزيادة والنجاح المادي والرخاء. ويقابل (يوسف) في اللغة العربية اسم (يزيد). ويفيد اسم (يوسف) المعنى ذاته في اللغة العبرية[28]. و(إيزي- يوسف- أساف) من جرهم، وجرهم هم قوم (عاد) الهكسوس الكاشي. و (عاد) هو معرب (آد)، ويبدو أنه من الأخيرة اشتقت كلمة آدان (عدن اليمنية) و(آدانية/العدنانية) قبيلة النسل الإبراهيمي، و(آدي/عدي). وجميعها تعود إلى جنة (آدن) حور الكاسيين/الكاشيين جنوب جبال آرارات وبحيرة (وان) حيث ملتقى الأنهار الأربعة: دجلة والفرات وسيحون وجيحون.

تأكيداً على إلهية (إيزي) أو (إيزيد) في المعتقد الإيزيدي، يقول نص ديني:

١- پەدشایێ منی هەزارو یەک ناڤە/إلهي يملك ألف اسم واسم

لبا وی ئەڤ دنیا سەعاتو گاڤە/قياس العالم عنده هو ساعة وخطوة

سلتان ئێزی دزانە لبەحرێ چەند کەشکول ئاڤە/ويعرف كَمْ قطرة ماء في البحر

لبەستا چەند کەڤر لناڤە/ وكَمْ حجر في مجرى الوديان

سلتان ئێزی هاوا کرە بووک، ئادەم زاڤە[29] /هو الذي جعل حواء عروساً وآدم عريساً!

١٩- ئەو سورا پڕ حسێبە/كان ذلك السرّ المعتبر جداً
ئەوێ سوڕێ ناڤداركرن مەككەو كابە[30] /اشتهرت مكة والكعبة بذاك السرّ
وێ سوڕێ پێک شرینکرن پس و بابە/ذاك السرّ خلق المحبة بين الابن والأب
٢٠- زۆرا لوێ سوڕێ دكر پرسە/الجميع كانوا يفتشون عن ذاك السرّ
ئەوێ سوڕێ شريف كرن مەككەو قودسە/السرّ الذي جعل مكة والقدس شريفتين
ئەوێ سوڕێ پێک شرين كرن بابو پسە[31] / وخلقت المحبة بين الأب والابن
* پەدشايی هەزارو يەك ناڤ لخۆ دانايە/ سمى الإله نفسه بألف اسم واسم
ناڤێ مەزن هەر خودايە / والأكثر تعظيماً وإجلالاً هو الله.

نعم، إيزي أو(إيزيد) هو اسم من أسماء الله، وهو الإله ذاته الذي تعظمه الإيزيدية, وليس (يزيد بن معاوية) حسب ما ذهب إليه معظم الكُتاب العرب والمسلمين وعدد من الأجانب.

كما لفت انتباهي أيضاً، ما ورد في (السبقات4، 15، 16، 17) عن رمزية: نجمة الصبح (ستێرا سبەهێ)، والمِصْعَدُ (السُّلُمُ) (سێلم) المسند إلى جدار القصر القصر الساكن فيه (عزيرأو عزيز)! عن أية نجمة صباح، وعن أي قصر، وعن أي (عزير) يتحدث النص الديني؟!

بعد البحث في عدة مصادر، توقفت عند كتاب البروفيسور آرثر جفري، الفصل المخصص لـ "الإسراء والمعراج"[32]. يرى آرثر جفري أن ميثة الإسراء لا علاقة لها مع سورة النجم، كما يذهب إليه معظم المسلمين. }وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{]النجم:-1 2[. تسبق سورة النجم سورة الإسراء بخمس سنوات على الأقل، في حين يُجمع المسلمون عموماً على أن الإسراء والمعراج حدثا في وقت واحد[33]. ويعتقد البروفيسور جفري أن المسلمين نقلوا سورة الإسراء والمعراج من الأدب الديني اليهودي- المسيحي، وتبنوا ميثة سلّم يعقوب الواردة في سفر التكوين:

"تك:10-28: وخرج يعقوب من بئر سَبْع ومضى إلى حاران. تك:11-28: وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت. فأخذ بَعضَ حجارة المكان, ووضعها

تحت رأسه ونام. تك:12-28: وحَلمَ حُلْماً، فإذا سُلَّمٌ منتصب على الأرض ورأسه يلامس السماء، وملائكة الله صاعدون نازلون عليه، تك:13-28: وإذا الرَّبُّ واقف بالقرب من يعقوب، فقال: "أنا الرَّبّ إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. إن الأرض التي أنت نائم عليها، لك أُعطيها" إلى أن يصل ما جاء في: تك:16-28:"فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: "حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ في هذا المكان، وأَنا لم أَعلَمْ". تك17-28: فخاف, وقال: "ما أَرهَبَ هذا المكان! ما هذا إلاّ بَيتُ الله! هذا باب السماء!"

إن (السلم) في اللغة الإثيوبية يعني المعراج، كما يقول الباحث هوروفيتس (كتاب حكايات الصعود)، فاللغة الإثيوبية كانت طاغية، بعد السريانية طبعاً، في كتاب المسلمين المقدّس. ورد في لسان العرب:

مِعراج: (اسم)

الجمع: مَعَارِجُ ومَعارِيجُ.

المِعْرَاجُ: المِصْعَدُ والسُّلَّمُ.

المِعْرَاجُ: ما عرجَ عليه الرسول ليلة الإسراء.

ليلة المعراج: ليلة السابع والعشرين من شهررجب، ليلة صعود الرسول إلى السماء. وهذا يعني أن النبي صعد على سلّم وليس على البراق الأسطوري. ويضيف البروفيسور أنه ليس من الضروري أن يكون المسلمون قد أخذوا ميثة المعراج عن النص الإثيوبي لسفر التكوين؛ فثمة عمل مدراشي معروف للغاية يهودياً-مسيحياً اسمه "سلّم يعقوب" بغض النظر عن العمل المسمى (سفر أخنوخ-إدريس) الإثيوبي الذي يتقاطع في كثير من نصوصه مع ميثة المعراج الإسلامية[34].

ما يهمني من هذه الإشارات، هو تضمين النص الديني الإيزيدي (ئێزيدو مەدەهێ) على ثلاثة عناصر(رموز) مرتبطة مع قصة /أسطورة (الإسراء والمعراج):

أ- نجمة الصبح (بستێرا سبەهێ ئەز خەلاتكرم/أكرمني بنجمة الصبح). ب- المِصْعَدُ (السُّلُّمُ) (سێلم بقەسرێ ڤەنيا/أُسند المِصْعَدُ (السُّلُّمُ) إلى جدار القصر). ج- عزير أوعزيز (ئەو بوو قەسرا عزێرى تێ/كان ذلك القصر الساكن فيه عزير).

استناداً إلى رواية رجل الدين (فقير خدر بركات كسو) وقناعته بأن النص الديني الإيزيدي المشار إليه أعلاه له علاقة بفتح مدينة القدس من قبل الملك نبوخذ نصر، في حين أن هذا النص يتضمن عناصر من أسطورة (الإسراء والمعراج). وهنا تقفز إلى الذهن عدة أسئلة مُحيرة. هل بناء هذا النص متأثر بالميث اليهودي- المسيحي أم بالميث الإسلامي أم هو بناء خاص بموضوع آخر لا علاقة له بالاثنين؟

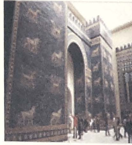
هل (السُّلَّم) المذكور في النص الديني هو (سلّم يعقوب) الصاعد من الأرض إلى السماء، أم هو السلّم المسند إلى (سور القدس) أو (جدار قصر القدس) كما ذكر الراوي في قصة نبوخذ نصر؟

السؤال الآخر: مَنْ هي شخصية (عزيرأو عزيز) في النص الديني؛ هل هي إشارة إلى (أوزيرا- أوزوريس- إيزيس) المَلِك المصري الذي اكتشف الزراعة والصناعة والأبجدية، أم هو مَلك الموت (عوزرائيل-عزرائيل)، أم هو (عزيز) مصر، ملك الهكسوس (آسيس Assis) أو (كرتوس-ساليتس- شيشي)؟

السؤال المثير للانتباه هو: لو افترضنا أن الرموز الواردة في النص الديني هي إشارات إلى (سلّم يعقوب) أو (الإسراء والمعراج)، فلماذا يأتينا النص مكتوباً باللغة الكرمانجية- الكردية؟ علماً أن (سبقات) أخرى من النص تتحدث عن قضايا قبل ظهور الدعوة الإسلامية.

كما يحتفظ التراث الشفهي الإيزيدي بقصة وفاة الإسكندر المقدوني، وهي قصة شائقة وطريفة مع اختلاف في نقل جثمان الإسكندر إلى بلاده وكيف استقبلته والدته. أما القصة التاريخية فتقول إن الإسكندر توفي في بابل وقرر قواده نقل جثمانه إلى مقدونيا، لكن قائده بطليموس أخذ جثمانه إلى ممفيس في مصر، ودفنه في الإسكندرية التي سميت باسمه! لكن التنقيبات لم تكشف عن قبر الإسكندر المقدوني لا في مصر ولا في العراق حيث توجد أيضاً مدينة شمال بابل باسم الإسكندرية.

أكتفي بالاشارة إلى هاتين الروايتين الشفهيتين عند الإيزيدية إلى جانب بعض الطقوس المشتركة والرموز المتبقية من الحضارة البابلية، وربما المستمدة جذورها من حضارة أو حضارات أقدم منها بين موروث الديانة الإيزيدية.



بوابة عشتار في متحف برلين



معبد ننماخ



جانب من معبد ننماخ



تمثال أسد يقف على شخص بشري، يرجح أنه بُني من قبل الملك نبوخذ نصر الثاني

605 - 562 ق م



استخدم البابليون الإسفلت والطين المفخور في البناء.

يمكن مشاهدة الخامات المستخدمة على الأرض.



بقايا من الآثار الأصلية لمدينة بابل الأثرية

---

1. سليم البرنجي، الصابئة المندائيون، دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ترجمة: جابر أحمد، دار الكنوز الادبية، بيروت, 1997، ص80، والحمد، محمد عبد الحميد، صابئة حران والتوحيد الدرزي، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1999، ص28.. مقتبس من: محمد الناصر صديقي، تاريخ اليزيدية/النشأة، الفكر والمعتقدات، العادات والطقوس، دار الحوار، الطبعة الثانية، سورية, 2015، ص72.
2. ب.ش. دلكوفان، المرجع السابق، ص132.
3. كوليلموف (صلوات): آريا القديمة وكردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمه عن الروسية: د. إسماعيل حصاف، أربيل، الطبعة الأولى، 2011، ص25-24.
4. المصدر السابق نفسه، ص 24.
5. السواح (فراس): لغز عشتار، مصدر سابق، ص 14. وكذلك جندي (خليل): الدين الإيزيدي/المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، الطبعة الثانية، بيروت, 2018، ص 111.
6. جندي (خليل): الدين الإيزيدي، مصدر سابق، ص 121 و128
7. يُقَسِم اللغويون الكرد والمدارس الكردية الحديثة اللغة الكردية إلى فرعين أو لهجتين أساسيتين، الأولى: الكرمانجية الشمالية التي يتحدث بها الأكراد في تركيا وسورية وجورجيا وأرمينيا قاطبة مع أكراد محافظتي دهوك ونينوى في العراق وقسم من أكراد شمال إيران (الشكاك). وقسم يضيف اللهجة الزازاكية-الدوملكية إلى اللهجة الكرمانية الشمالية، وهنالك من الكتاب والمستشرقين الأجانب من يعدها لغة خاصة. ثانياً: الكرمانجية الجنوبية، التي يطلق عليها (الصورانية) خطأ. يتحدث باللهجة الكرمانجية الجنوبية أكراد محافظتي أربيل والسليمانية وكركوك وأكراد محافظة ديالى التي تشمل خانقين إلى أن تصل بدرة وجصان في العراق، إضافة إلى الأكراد في إيران، بدءاً من مهاباد وسنه وسابلاغ شمالاً إلى كرمنشاه جنوباً، فضلاً عن أكراد خراسان في شمال وشمال شرق إيران. وهناك من يعدّ الهاورامانية والفيلية لهجات كردية خاصة.
8. العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، "دولة اللماليك الأولى"، دراسة وتحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت, لبنان, 1986، ص200.
9. البدليسي، شرفخان، شرفنامه، الطبعة العراقية، ص231-230. وكذلك (ب.ش. دلكوفان، مصدر سابق, ص 131.

10. سي. جي. إدموندز، كرد وترك وعرب، منشورات جامعة أوكسفورد، لندن، 1957، ص173.
11. هذا يحتاج إلى دراسة وبحث أشمل، محمد ناصر الصديقي، ص478.
12. خليل جندي، پەرن ژ ئەدەبێ دينێ ئێزديان، مطبعة دار سبيريز، الطبعة الثانية، دهوك، 2013، ص 940 – 953.
13. الطبري، مصدر سابق، ص322.
14. من المثير والملفت للنظر أنه في كتاب تاريخ الطبري، المجلد الأول، الصفحة 320 وما بعدها، يتطرق إلى مضمون قصة غزو نبوخذ نصر لمدينة القدس، ولكن مع اختلاف في بعض الأسماء والتفاصيل الأخرى، حيث تذكر أن احتلال القدس جاء انتقاماً لمقتل يحيى بن زكريا، وليس لمقتل حمورابي (ص 320). كما يأتي اسم (إرميا) في كتاب الطبري بدل اسم (دانيال) في القصة الشفهية الإيزيدية.
15. إرميا في كتاب الطبري، ص 323.
16. يذكر الطبري هذه الرؤيا بالشكل التالي: "رأيت تمثالاً؛ قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضّة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد" فدعا نبوخذنصر دانيال، وحنانيا وعزاريا، وميشايل من ذراريّ الأنبياء، فقال لهم: أخبروني عن رؤيا رأيتها، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته، فهي التي أنستكها. قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: تأويلها أنك أريت مُلك الملوك، فكان بعضهم أليَنَ مُلكاً من بعض، وبعضهم كان أحسن مُلكاً من بعض، وبعضهم كان أشدّ مُلكاً من بعض، فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه. ثم كان فوق النحاس وهو أفضل منه وأشدّ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثم كان فوق الفضة الذهب، فهو أحسن من الفضة وأفضل، ثم كان الحديد مُلكك؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقّته، نبياً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع، ويصير الأمر إليه. (ص 324)
17. يقصد بـ"الفقراء" رجال الدين الذين يرتدون "الخرقة" اللباس الديني المقدس عند الإيزيدية.
18. ينظر كتابي: پەرن ژ ئەدەبێ دينێ ئێزديان= صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، سبيريز، 2004، ص918–908، أوالكتاب نفسه الطبعة الثانية، سبيريز، 2013، ص 953–940
19. پەدشايێ منۆ لدنێ علم
20. ئەز گەلەكى بەرب وترم
21. قەسرا عە زيزى تێ
22. ئەون جنديێت نورى پەدشا
23. جندي (دكتور خليل): پەرن ژ ئەدەبێ دينێ ئێزديان، مصدر سابق، ص 220.
24. موقع: أنا أصدق العلم- https:www.ibelieveinsci.com
25. بطرس رمو (فاضل): نبو نائيد، انهيار الدولة...الدروس والعبر، الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، 28 / 10 / 2011.
26. المصدر السابق نفسه. وكذلك ينظر: محمد سعدون محمد، حوليات نبو نائيد، موقع الهيئة العامة للآثار والتراث، في 7/ 6/ 2020.
27. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، راجع الفصل الحادي عشر عن (كافان زارزان- گاڤانێ زەرزان (Gavanê Zerzan) و"زرباب" وشؤون أخرى، جذورهم التاريخية وآثارهم الحالية.
28. باراني (شمدين): حبات ذهبية إيزيدية، الطبعة الأولى، طهران، 2020، ص 398
29. جندي (د. خليل): صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، باللغة الكردية، الـ "سبقه" 1 من النص الديني (قه ولى هەزارو يەك ناڤ = قول ألف اسم واسم)، ص230
30. مكه والكعبة: مكة بوصفها المدينة التجارية المهمة في شبه الجزيرة قبل ظهور الإسلام والتي تسيطر عليها قبيلة قريش، وفيها الكعبة التي جمعت فيها قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام أصنام آلهتها، وبذلك أصبحت مكاناً مقدساً من ذلك الوقت وإلى وقتنا الحاضر. وكان من بين تلك الآلهة صنمان (إساف ونائلة)، ويُعتقد أن أساف ونائلة (رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلي، ونائلة بنت زيت من جرهم) وهما إلهين من آلهة الحب والخصب، ولا سيما أن أحدهما كان في موضع زمزم. (نقلاً من كتاب "الصنام" للكلبي، وكذلك رجاء بن سلامة، الشق والكتابة، ص 269. مقتبساً من كتاب كتاب شمدين باراني: حبات ذهبية إيزيدية، ص 397)
31. جندي (د. خليل): صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، باللغة الكردية، الـ "سبقات" 19 و20 من النص الديني (قه ولى سورا= قول الأسرار)، ص 268.
32. آرثر جفري، البحث عن محمد التاريخي، ترجمة وتعليق: نبيل فياض، دار أبكالو، الطبعة الأولى، 2020، ص 101 وما بعدها.
33. آرثر جفري، ص 105.
34. آرثر جفري، البحث عن محمد التاريخي، ص 106 – 107.

الفصل الثامن

المراحل التاريخية لتطور عقيدة طاؤوس ملك

لا يمكن معرفة عقيدة دين من الأديان الحالية بكل تفرعاتها من دون معرفة نشوء الفكر الديني للإنسان البدائي نفسه، ومن دون التعرف إلى أساطير التكوين والخليقة وتطور نظام الحكم عند أعظم الحضارات والشعوب القديمة؛ مثل حضارة وادي الرافدين وميزوبوتاميا، والحضارة الفرعونية في مصر، وحضارة الهلال الخصيب، وحضارة الشعوب الهندو-إيرانية القديمة، وشعوب جنوب شرق آسيا، وغيرها من الحضارات.

مما لا شك فيه أن جميع الأديان الحالية قد أخذت عقيدتها وفلسفتها وعدداً من عاداتها من أديان سبقتها، مع بعض الإضافات عليها من طبيعة مجتمعها وتطورها الاقتصادي ومستوى تفكيرها. أي ليس هنالك دين يدعي أنه يمتلك الحقيقة الكاملة. وبهذا التوصيف يعد الدين وليد الطبيعة في مرحلة تاريخية محددة ومستوى تطور معين. والدين البدائي هو ابن الخوف من الطبيعة والموت، وحيرة الانسان البدائي أمام الظواهر الطبيعية التي كانت تحدث من حوله يومياً، ولم يكن بمقدوره فهمها ولا السيطرة عليها، مما دفعه إلى أن ينسج قصصاً حولها وأساطير، ويقيم لها طقوساً وعبادات، ويجسدها فيما بعد في صور مادية ملموسة. كما أن نشوء الفكر الديني وتطوره لم يحدث بالسهولة التي نتصورها، وإنما أصبح وسيلة وأداة بيد الحكام لاستعباد الشعوب وقهرهم بمساعدة الكهنة ورجال الدين ومباركتهم! مع الإقرار بوجود تعاليم دينية تعطي الراحة النفسية للمؤمنين بها.

توصلت في بحثي الموسوم: "لمحات من الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية" إلى العلاقة بين الإله دوموزي/ تموز ابن آلهة الكون وحبيبها وبين (طاؤوس ملك)، وهو الإله المخلص الفادي الذي يموت في الصيف ويُبعث في الربيع، متجسداً سرّه في حبة "القمح" التي تزرع في الشتاء وتنبت في الربيع، وتحصد (تموت) في فصل الصيف. تتجلى هذه الفلسفة في أعياد الإيزيدية التي تحمل بصمات العصر الزراعي. "بطل" الدراما هو القمح في شكله الظاهري،

والإله (تموز/طاؤوس ملك) في شكله الباطني- السرّي ممثلاً بموت الإله وانبعاثه، وهي دورة الحياة الأزلية المتجددة بذاتها[1].

وجاء في الكتاب أيضاً، بروز مفهوم الإله الابن تموزمن خلال النقوش المكتشفة في المعابد منذ الألف السابع قبل الميلاد. كما في رسم شتال حيوك جنوب الأناضول. فأصبح تموز في أسطورته النيوليتية (عصر الزراعة) إلهاً للقمح خاصةً، بل كان القمح جسده، وكان هو للقمح روحاً.

لقد نشأت الآلهة الذكور جميعها في الثقافة الذكورية من الإله الابن، واتخذوا لأنفسهم شخصيات مستقلة، وارتفعوا إلى السماء ناكرين أصلهم الأرضي. وبقي الإله تموز وفياً لأصله كقوة خلاقة تبعث الحياة في مظاهر الطبيعة في الربيع حين يظهر العشب وينمو الزرع وتتكاثر الماشية، محافظاً على وضعه القديم, وظلاً للأم الكبرى إنانا/عشتار مكملاً لها، حاملاً الكثير من صفاتها بصفتها إلهة للخصب في مظاهر الطبيعة المختلفة وصلاحياتها، فهو: دوموزي في سومر ابن إنانا، وتموز في بابل ابن عشتار، وأدونيس في سورية القديمة وأوزوريس، أي "سيد القمر" في مصر، وآتيس في روما، وديونيسيوس عند الإغريق.

بالرغم من فصل الأم والابن، فإنهما أي (إنانا ودوموزي، عشتار وتموز...) في الحقيقة أقنومان, وليسا إلهين مستقلين؛ اثنان في واحد، وواحد في اثنين، الوجه الأبيض والأسود للشيء نفسه، الخير والشر، الموجب والسالب، الأصل والظل.

إذن، دوموزي/تموز هو ظل الأم الكبرى ووجهها الآخر أو شقها الذكري الذي كان كامناً فيها منذ الأزل، ثم انفصل عنها شكلاً، ولكن بقي جزءاً منها فعلاً. فإذا كانت الأم الكبرى قبل ظهورالابن تحمل التركيبتين الأنثوية والذكرية، فإن ابنها سيحمل التركيبتين ويعيش حياته (ابن أمه- دايي و دوت). وكان (الثور) منذ البدء رمزاً للأم الكبرى، سيدة الكون، وقد حمل الابن (دوموزي/تموز) هذه الخاصية منها أي الثور السماوي ابن القبة المعتمة الذي تظهر قرونه في الأفق ليلة ميلاد القمر الجديد وإلى دورة حياة (28) يوماً. فيموت، أي يختفي القمر، ويُبعث في اليوم الثالث من الأموات[2].

أما الأستاذ فلكنشتاين، فقد رأى ,في استعراضه لمجموعة من النصوص

السومرية التي سبق أن نشرها الأستاذ كريمر عام 1964 لأسطورة "نزول إنانا إلى العالم الأسفل"، أن دموزي يموت نصف سنة ثم يخرج من عالم الأموات على أن تحتل أخته (كشتن- إنان) مكانه في النصف الآخر منها بصفتها بديلة عنه:

"أنت (يا دموزي) نصف سنة

وأختك (كشتن- انا) نصف سنة" [3]

ينسجم رأي فلكنشتاين مع المعتقدات الخاصة بإله الخصب وضرورة وجوده حياً من أجل استمرار الحياة في مظاهر الطبيعة، كما ينسجم مع ما هو شائع عن موت هذا الإله في الصيف وعودته إلى الحياة في الربيع. كما أنه ينسجم مع قوانين العالم السفلي التي توجب تقديم بديل عمّن يخرج منه[4]. فقد تميزت المعتقدات الدينية لدى السومريين والبابليين بصفات عديدة, من أبرزها وأهمها: مبدأ الحيوية (Animism)، ومبدأ التشبيه (Anthropomorphism), وهما يرجعان أصلاً إلى معتقدات إنسان عصور ما قبل التاريخ الذي كان، بحكم أسلوب حياته البدائية، شديد التأثر بالظروف الطبيعية. فقد كان منطقياً أن يتصور إنسان ذلك العصر تلك القوى الطبيعية على هيئة البشر، وأن يجسدها في الآلهة ويصبغ عليها جميع صفاتها. ولهذا فإن "الآلهة في وادي الرافدين كانت تتصف بكل مظاهر الحياة اليومية للإنسان، وكانت تشبهه في احتياجاته وسلوكه ورغباته. ولعل الفرق الوحيد بينها وبين البشر، في نظر القدماء من سكان وادي الرافدين، أن الآلهة لا تموت وإن كان بعضها لم يسلم من الموت كلياً كما في حالة الإله دموزي"[5].

ففي المرحلة الأولى، حسب ما يعرف من قصة التكوين في وادي الرافدين، إن مصدر الوجود هي المياه التي كانت في حالة الظلام الأزلي الراكد. وكان هنالك (آبسو- المياه العذبة- مذكر) و (تيامه- المياه المالحة- مؤنث), ونتيجة لامتزاجهما وُلِدت أجيال من الآلهة. ولم تلبث أن اضطرت الأجيال الجديدة أن تخوض معركة مصيرية مع أبويها (آبسو وتيامة) عندما اكتشفوا أن آبسو دبر مكيدة لإبادة الآلهة الجديدة بسبب انزعاجه من سلوكها وضوضائها، فقتلوا أباهم آبسو، لكن تيامة عزمت على الانتقام له. وتقول الأسطورة البابلية إن الآلهة اختاروا الإله

مردوخ لقيادة الحملة ضد هجوم تيامة، يستطيع في النهاية دحر جيشها وقتلها. وبعد ذلك استيقظت الآلهة، وباشرت في صنع الكون والعالم. ويتجدد الخلق بمساعدة البشر عن طريق ممارسة بعض الطقوس والعبادات التي من شأنها مساعدة آلهة الخلق والحياة ضد آلهة الموت والفناء.

ويقول الأستاذ جاكبسون: "كانت الفيضانات السنوية في وادي الرافدين في مفهوم الفرد عبارة عن تجسيد لطغيان المياه الأزلية الأولى وما كلف الآلهة من صراع عنيف لكبح جماحها. ولذلك فقد كان من المحتم على الآلهة أو على ممثليها في الأرض (كالملوك والكهنة) خوض هذه المعركة وكسبها كل عام, مثلما فعلت الآلهة في الدهور الأولى وإلاّ تهدد الكون بالفناء. لقد كان هذا الإيمان بأسطورة التكوين السبب في ظهور ما يعرف باحتفال رأس السنة الذي بقي يقام سنوياً في وادي الرافدين إلى قرون متأخرة جداً من تاريخ الحضارة البابلية"[6]. (لو كان الأستاذ جاكبسون مطلعاً على طقوس الإيزيدية واحتفالهم سنوياً في أول أربعاء من شهر نيسان بعيد رأس السنة، لعدّل عبارته الأخيرة، قائلاً: ما زال احتفال رأس السنة يقام سنوياً في الديانة الإيزيدية).كان يوجد حينها ثلاثة آلهة: آن (إله السماء)، أنليل (إلة الهواء), وإنكي (إله ماء الأعماق).

المرحلة الثانية:

تبدأ في الألف الثالث قبل الميلاد مع كثرة الآلهة، فقد بدأ الناس يؤمنون بالإله الأقرب إلى عواطفهم ومشاكلهم، إله يعيش بينهم ثم يموت كما يموتون، ويصعد من عالم الأموات, ألا وهو الإله الإنسان دوموزي (الإله ملك أوروك، الإله الراعي سيد المواشي والحيوانات الأهلية). وهو النموذج نفسه لجميع آلهة النبات في غرب آسيا والممثل في شخصه وذاته حياة الطبيعة التي تموت في الصيف وتنبعث في الربيع من جديد. وفي ذروة الاحتفالات بعيد قيامة الإله دوموزي, كان يؤتى بـ (ثور) بوصفه يمثل الإله نفسه، يذبحه المؤمنون ويلتهمون لحمه، معبرين بذلك رمزياً عن رغبتهم في الاتحاد معه. لذا أجد "إن التضحية بالثور في يوم (القباغ) عند مزار الشيخ شمس, ووضع اللحم مع (السماط) المطبوخة مع حبات

القمح، كلاهما يمثل روح تموز. يأكله الإيزيديون بوصفه شيئاً مقدساً كي يدخل جزء من روح الإله في جسدهم. وهنا نواجه أو نقترب من مفهوم الخلود عند الإيزيدية الذي هو خلود الروح وليس الجسد، الأخير من التراب وإليه يعود"[7].

المرحلة الثالثة:

في عصر سلالة أور الثالثة (الألف الثاني قبل الميلاد)، اقترنت عقيدة دوموزي (طاؤوس ملك) بالشمس لمقارعة قوى الظلام والشرّ. يقول جوديا أمير سلالة أور الثالثة عن الشمس: (أوتو يعطي الصلاح ويسحق الشرّ بقدمه). وأخذ الإله الشمس (أوتو) السماوي مفاهيم الإنسان الإله دوموزي. وانتقال مفاهيم دوموزي إلى الإله الشمس يعني انتقال صفة الخلود إليه.

إذا قارنا عقيدة الدين الإيزيدي الحالية مع عقيدة السومريين في عصر سلالة أور الثالثة، نجدها لا تتشابه وحسب، بل تتطابق مع تقديس الشمس ومع مقولة جوديا عن الشمس (أوتو يعطي الصلاح ويسحق الشرّ بقدمه). يقابلها في أحد الأدعية الإيزيدية: (يا ره بى خيرا بده، شه را وه ركه رين= يا رب أعطِ الخير "الصلاح"، واسحق الشرّ!". وهنا (أوتو- إله الشمس- دوموزي- طاؤوسي ملك) بدرجة الرب.

المرحلة الرابعة:

في المراحل المتأخرة من عصر السلالات السومرية وبدايات ظهور الدولة البابلية، ومع ازدياد دور مدن واضمحلال دور مدن أخرى، كان يحل إله محل إله آخر على الدوام في مجمع الآلهة؛ فقد حلّ الإله (إنليل) محل (آن)، وحلّ الإله (مردوخ) محل (آنو) إله السماء. وفي هذه المرحلة نال دوموزي مرتبة الملاك الأكبر وشرف القدسية الأبدية. وتطور أسلوب التعبير عن عقيدته من الصورة المجسدة إلى الصورة الرمزية المجردة، ومن الصورة الرمزية المجردة إلى عقيدة باطنية لا يفهمها إلاّ معتنقوها، بمعنى منذ الألف الثاني قبل الميلاد حصل دمج بين عقيدة الإله دوموزي الأرضية وعبادة الإله الشمس (بابار السماوية)[8].

ارتباطاً بهذه الفكرة أيضاً، كتب الأستاذ جورج حبيب "تحول اسم الإله نابو إلى (طاؤوس ملك)، لكن أين ومتى؟ إنه لا يعطي الإجابة، بل يعزو ذلك إلى أن الاضطهاد الذي قام به ملوك الدولة الساسانية لتركيز عبادة أهورامزد تنبئ عن إمكانية تسمية رمزية منذ ذلك العهد"[9]. ويذكر أن أبعد ما وصلنا عن (طاؤوس ملك) هو ما جاء في المدونات المندائية من أن ملك النور (ملكا دنهورا) طلب من (بيت الحياة) ان يهيؤوا كتاباً لا يمس المندائي، فأرسلوا لهذه الغاية ملاكاً هو (طاؤوس ملك) ليدون التوراة، لأنه رب القلم والحكمة.

إن تحول اسم (نابو) إلى (طاؤوس ملك) حسب رأي الأستاذ جورج حبيب هو من قدسية يوم الأربعاء عند الإيزيدية. فقد كان الأربعاء هو يوم (نابو) في الديانة البابلية، وكوكب العطارد يمثل الإله نابو أيضاً، ومن صفاته: "هو شاب يركب طاؤوساً-طاؤوس ملك- وبيمينه حيّة (رمز الحكمة التي هي من خواص نابو, كما هي من خواص طاؤوس ملك، كما يؤكد ذلك نحت الحيّة على مدخل معبد الشيخ عدي في لالش), وبيسراه لوح يقرؤه (إشارة إلى ألواح القدر التي يتصرف بها)، أما صورته الأخرى فكلها تدل على السلطان والحكمة (التاج والكرسي والمصحف)"[10]. ونابو هو الذي يرعى الزراعة ويجعل الحنطة تنمو في الأرض. وفي النصوص التاريخية والدينية يُحمد بوصفه الشخصية الإلهية التي تفجر ينابيع الأرض لري الحقول، فهو يكدس الحنطة في الأهراء، كما أنه إذا صرف عنايته عن البشر جاء البؤس وجاءت المجاعة.

ويرى الباحث جورج حبيب أن هذه العناية وهذا التأكيد على رعاية الحنطة من قبل (نابو) ماهي إلاّ عناية طاؤوس ملك لتيسير الحنطة لآدم ونصيحته له بتناولها من أجل الحفاظ على الجنس البشري[11]، حسب الأسطورة. وعند احتلال حمورابي عرش بابل ولأسباب فرضتها السياسة آنذاك، أُهمل ذكْر نابو ليحل محله الإله (مردوخ). وحُوّل معبد نابو (إيزيدا) في مدينة بورسيبا إلى معبد مردوخ في الموقع نفسه. وفي بلاد آشور أصبحت عبادة نابو منتشرة أيضاً إلى جانب الإله آشو. وشملت تلك العبادة منطقة الشيخان الحالية والزابين وجزيرة بوتان. وأقيمت تماثيله في نمرود (كالح) شرق مدينة نينوى. يبدو أن (نابو) لم يكن

إلهاً قومياً يختص بدولة معينة مثل مردوخ حامي الإمبراطورية البابلية أو آشور حامي الإمبراطورية الآشورية، وإنما كان إلهاً يرعى البشرية بحكمته وبرعايته للأحوال المعاشية؛ لذلك كان إلهاً شعبياً يعبده الناس حباً بصفاته الإنسانية، لا إلهاً مفروضاً من قبل الدولة على الناس. وخرجت عبادته من نطاق وادي الرافدين لتصل إلى مناطق بعيدة، لنجد بعض صفاته لدى الإغريق والرومان في هرمس وفي مركيوري. وإن عبادة نابو هي التي جعلت ذكراه عالقة في خيال رجال الدين الإيزيديين، ولاسيّما في قولهم: "كان لنا في بابل ملك اسمه نبوخذ نصر، وآخر في فارس اسمه احشويرش".

لا يفوتنا ذكر رأي العالِم والباحث هيرتزفيلد عن الإله (دوموزي-ديموزي-تموز) في أثناء حديثه عن السلالات البشرية وشكّه بالتقسيم التوراتي للأجناس البشرية (سام/أبو الساميين، وحام/أبو الحاميين، ويافث/أبو الآريين) وفي كون الثلاثة من أبناء نوح، بل إنه يربطه بـ "آبسو Apsu" ربّ الماء في الأساطير الآرية (الهندية الأوربية) المنسوب إليه (تموز Thammuz) ربُّ الخصب عند السومريين والبابليين والآشوريين، واسمه عندهم (دوموزي آبسو Dumuzi Apsu) بمعنى "ابن آبسو الحقيقي"، وهو ابن أبيتا ((The son of Aptya الذي حدثنا عنه "الآفيستا"، كما حاول هيرتزفيلد Herzfeld أن يثبت، ولعله بمعنى "بيت آبسو" ببساطة، إن كان "دوموزي" له صلة بالجذر الهندي الأوربي (دوم Dom) "لاتينية Domus" بمعنى "بيت"[12]

مَنْ هو (بيري كار)؟

*عندما تتحول الكلمة إلى بضاعة رخيصة، ويسيطر النقل على العقل، وتطغى العاطفة والجهل بالأشياء على ما عداها، حينئذٍ يختلط الحابل بالنابل!

ربط بعض الكتبة الإيزيديين كلمة الـ (بير) بـ (طاؤوس ملك) بدلالة ورود كلمة (بيري كار) في الموروث الديني الإيزيدي، من دون أن يجهد هؤلاء أنفسهم في البحث عن جذر هذه الكلمة!! بعد التنقيب والبحث في العديد من المصادر المتوفرة ، لم أجد أية صلة بين كلمتي (بير) والـ(شيخ) بـ (طاؤوس ملك)، وإنما

هنالك منابع فكرية أخرى، نناقشها هنا في هذا البحث.

إن ما يلفت الانتباه هنا، هو اسم (بابار Papar) أحد أسماء إله الشمس. فما جذر هذا الاسم؟ ومن أين أتت فكرة هذا الإله؟

في الألف الثاني قبل الميلاد في أثناء عصر سلالة أور الثالثة، حصل دمج بين عقيدة الإله دوموزي الأرضية وعبادة الإله شمس (بابار السماوية) وانتقلت مفاهيم دوموزي، وخاصة مسألة تواريه عن الأنظار، أي الموت والبعث، إلى الإله الشمس (بابار) الذي كان مركز عبادته في سيبار (زيبار) في شمال وادي الرافدين (كردستان العراق حالياً). ويذهب الباحث مرشد اليوسف إلى أن (بابار) هو اسم إله الشمس في اللغة السومرية، ومنه جاء اسم (بابير), وهو كبير الكهنة في الديانة الإيزيدية[13]. ويضيف: "في العصر الكردي الكاشي الأول (1570 ق.م.) ارتبطت عقيدة الإله الشمس (بابار) الشمولية بصفات الجبروت الكلي والحكمة والعدالة. وكان الإله (بابار) الشمس يطوف بمركبته الشمسية كل يوم حول العالم ليطلع على أحوال الناس وأعمالهم عن قرب. وحتى تكتمل عقيدة الإله دوموزي في شخصية الإله بابار أصبغ الحكيم الكردي الكاشي مفهوم الإله الإنسان على إلهه العلوي بابار. وبذلك ظهر الإله بابار على هيئة إنسان, تخرج منه أحزمة من الأشعة والضوء. وحسب المعطيات الأثرية فقد تربع الإله بابار على رأس البانثيون الكردي الكاشي تربعاً مطلقاً"[14].

إن دمج عقيدة الإله دوموزي الأرضية وعبادة إله الشمس (بابار السماوية) في عصر سلالة أور الثالثة وفي العصر الكاشي، يقودنا إلى التساؤل: هل تقديس الإيزيدية لعقيدة طاؤوس ملك, إلى وقتنا الحاضر، الذي يمثل نفسه (دوموزي، بابار السماوي وبير كار) هو استمرار للعقيدة السومرية؟ وهنا يتفرع السؤال الرئيسي إلى سؤال آخر حول معرفة أصل السومريين ومن أين قدموا إلى بلاد الرافدين وأسسوا أول حضارة في جنوبها

لم يستقر الباحثون على رأي واحد عن أصل السومريين من أين جاؤوا، من الشمال أو الشرق أو الجنوب. إلاّ أن المتفق عليه بين الباحثين هو أن السومريين جنس غير سامٍ, وأن لغتهم غريبة عن المنطقة لا تشبه اللغات السامية. وربما

كان مجيئهم في الألف الرابعة قبل الميلاد. وهناك من ذهب الى أنهم هاجروا من منطقة ما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوجستان وجاؤوا عن طريق الخليج وجزيرة البحرين بعد أن استقروا في غرب إيران فترة من الزمن. وذهب آخرون إلى اعتبارهم بَدَويين من وراء القفقاس أو بحر قزوين. ويرى آخرون أنهم جاؤوا من آسيا الصغرى، ونجد رأياً آخر يقول إنهم جاؤوا من السند. وأخيراً اتجه فريق إلى أنهم من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ، وأن حضارتهم أصيلة في العراق، ويمكن تسمية أصحاب حضارة العبيد بالسومريين[15].

مَنْ هم العبيد؟ وماهي حضارتهم التي ظهرت قبل السومريين كما يذهب إليه الدكتور سوسه؟ كانت تُطلق كلمة العبيد على اللولوبيين سكان البلاد الشمالية والشرقية لبلاد سومر وأكد، المسماة في التاريخ ببلاد (سوبارتوم). تلك المناطق الواسعة التي تقع بين سهل كركوك إلى بحيرة أورميا وإلى بلاد حلوان جنوباً. كانت هذه البلاد المصدر الأول والوافر لعبيد بلاد سومر وأكد, فقد لعبوا دوراً مهماً في بناء حضارتها[16]. وكان لتسمية (لولو) معانٍ مختلفة حسب اللغات وتغيرت بمرور الزمن؛ فلفظة (لو) لدى السومريين تعني الإنسان، وتكرارها (لولو) يعني الناس. وكذلك (الجبليين أو العبيد) ثم (العدو أو الغريب) عند الأورارتيين. ودلت هذه التسمية فيما بعد إلى مجموعة أثنوغرافية متميزة عاشت في المناطق الجبلية شمال ما بين النهرين وشرقها آلاف السنين قبل التحولات اللغوية الحضارية التي حدثت فيها، لأن هذه البلاد كانت المصدر الأول والوافر لعبيد بلاد سومر وأكد حيث لعبوا دوراً مهماً في بناء حضارتها، ورغم الصفة القومية التي اتخذتها التسمية منذ الألف الثالث قبل الميلاد[17].

ويذكر العالِم والمؤرخ الروسي غولياموف أن الكرد كانوا يقطنون منذ القِدم على ضفاف نهري دجلة والفرات في جبال زاغروس وطوروس، حيث ظهرت مراكز الحضارة الإنسانية الأولى في التاريخ. ويرى انطلاقاً من وجهة النظر التاريخية هذه إلى يومنا الحاضر "أن الكرد بالذات كانوا أصل الدول القديمة مثل سومر وأكد"[18]. ويضيف: جاء ذِكر الكرد باسمهم القومي القديم الهندو-جرماني أول مرة باسم (قبائل أومان ماندا) في النصوص المسمارية الأولى لكل من سومر

وأكد في الألف الثالث قبل الميلاد كالسكان الأصليين لزاغروس وطوروس. سقطت إمبراطورية سومر وأكد التي أسسها سرغون العظيم تحت ضربات السكان الأصلاء/ قبائل كوتي أومان ماندا الهندو-إيرانية. ويقول: تعود كلمة "كوتي" في علم الاشتقاق إلى أقدم اللغات الهندو-إيرانية, وتعني (بذرة القمح) وفي معناها الواسع تعني الزراعة أو الحراثة في تصنيفها الاجتماعي. وإن الكلمة ذاتها في الأصل الهندو-أوربي هي "كوتان", وتعني "المحراث لفلاحة الأرض" أو"طاحونة لطحن حبوب القمح"[19]. ويقول العالِم الروسي المتخصص في علم النبات (ن.ف. ڤاڤلوف): إن جبال زاغروس وطوروس في كردستان هي المناطق الجغرافية التي امتلك قاطنوها القدامى في الألف الثامن قبل الميلاد القمح البري.

ونقرأ في ترنيمة الفصول الأربعة في كتاب آفيستا دمجاً بين أهورا ومثرا في عبارة أهورا-مثرا في صيغة بايو- ثورشتارا، وتعني حرفياً "الخالقين- الحافظين" أو الخالق والحافظ. وجاء في اليسنا: "نقدم القربان للتلال التي تجري فيها السيول، للبحيرات التي تطفح بالمياه، للحبوب التي تملأ حقول الحبوب. ونقدم القربان للخالق والحامي/الحافظ كليهما، للرب وزرادشت كليهما"[20]

لا يتضح نوع علاقة الحافظين/الخالقين الاثنين مع الجبال والمياه والشعير, ولا نوع العلاقة التي تربطهما مع مزدا وزرادشت. وهذا المحتوى لا يساعدنا إذا لم يتم مطابقة "الخالق" أو المبدع حرفياً مع مزدا، و"الحافظ" مع زرادشت. قدم لنا المترجم البهلوي شرحاً لهذا النص، يمكن إرجاعه إلى تقاليد أصيلة قبل الزرادشتية، من دون أن يدرك أن العبارة هي بالفعل بالعدد الثنائي "الحافظ المبدع BRINKAR"، وفسرّها بكلمات "الرب مثرا", ويظهر هذا في النص المماثل (يسنا 2/57):

نحن نعبد سراوشا

الذي عبد أهورا- مزدا

الذي عبد الفيوض السرمدية

التي كانت تعبد الحافظين/ الخالقين الاثنين

اللذين خلقا (ثورستو- مثنى) جميع الكائنات الحية.

إذا كان واحداً من الحافظين- الخالقين هو مثرا، فإن الآخر يكون أهورا. بمعنى أهورا ما قبل الديانة الزرادشتية، وهكذا يبدو أن أهورا هو الخالق، ومثرا هو الحافظ. وإن كلمة (ثورشتر) تتطابق مع توشتر الفيداوية الذي يظهر عادة في الفيدا بوصفه ربّاً خالقاً مستقلاً، نقرأ في الريغ- فيدا (4/42-43): "أنا (فارونا) العارف بالفضاء والعمق، أسست بثبات مناطق الفضاء في عظمتها كلها، (والعارف أيضاً) بجميع المخلوقات كمبدع لها (توشتر)، لقد خلقت (ابرايام) العالَمين وحفظتهما"[21]. إذا كان المترجم البهلوي مصيباً في مطابقة مثرا مع أحد الحافظين الخالقين، كما يقول الأستاذ زيهنير، فلا بدّ أن يكون الآخر (أهورا) ما قبل الديانة الزرادشتية الذي يتطابق إلى حد بعيد مع ترنيمة الفصول السبعة مع الفارونا الفيداوي. وعليه فإن زوج الخالقين/ الحافظين يمثل الزوج الإلهي القديم: أهورا ومثراـ أي مثرا- فارونا في التقاليد الفيداوية.

ويأتي اسم (بابا) كإحدى آلهات مدينة (لجش) السومرية، وكانت تدعى بالإلهة الأم. ويعتقد أنها كانت في الأصل إلهة محلية، وربما كانت إحدى آلهات الشفاء؛ فقد كانت إحدى الأغنيات السومرية المعروفة في العصر البابلي القديم تلقبها باسم (نينيسنا-طبيبة الرؤوس السود)[22].

ويحمل إله القمر في اللغة السومرية لقب (أشيم بابار). ويعني صاحب الشروق المشع، وهو نفسه المعروف في السومرية (نانّا)، وفي الأكادية القديمة عهداً (سو إين) و(سن) لاحقاً، إذ ورد اسمه في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في (فارا)، وربما اسمه أقدم من ذلك بكثير، ويعود إلى عصر الكتابات القديمة المكتشفة في (أوروك). وكان يُعبد في أور وحرّان[23].

للتعرف أكثر إلى حقيقة مفهوم الإله (بابار) وعبادته، يجب علينا تتبع آثار الديانة الهندو-إيرانية القديمة في (ريغ فيدا) الهندي المدون سنة 1500 ق.م.، وكذلك ما دونه أبو التاريخ هيرودوت عن الإله نفسه. حين انفصل الإيرانيون عن الهنود، اتجه الهنود نحو الجنوب عابرين جبال همالايا إلى بنجاب. أما الإيرانيون فقد نزلوا إلى هضبة إيران، وكان الإيرانيون -مما لاشك فيه- آنئذٍ يعتنقون دين الهنود، ولكن ظهور زرادشت وما أتى به من إصلاحات، تعرض الدين القديم إلى

بعض التغييرات والإصلاحات. كانت الآلهة الإيرانية القديمة تظهر على النسق الآتي:

1 - (دياووس بيتر Diyvuh Piter= أب السماء أو الأب السماء= إله السماء) الإله الأكبر الفاعل للخير. وكان مقدم معبودي الهندو-أوربيين (الديفات) يسمى (دي يوس= إله السماء)، و(دياووس بيتر) المعبود الهندي الحالي، وهو نفسه (زؤوس باتير Zeus Piter) اليوناني و(ژوپيتر Jupiter) الروماني كلها (الأب ديوس) أي الأب السماء بعينه.

2 - الديفات؛ بمعنى قوى الطبيعة المصورة في صور مادية محسوسة. وهي تتضمن نوعين: قوى خيرة وقوى شريرة. يتم تمييزهما وفق الظواهر الطبيعية المنسوبة إليهما، كأن تكون القوى المؤمّنة لحاجات الناس أو القوى المكدرة والمسيئة لمصالح الناس، كانتشار الأمراض والقحط والجوع والفيضانات والحرائق.

3 - عبادة الآلهة العظام (آهورا Ahura أو آسورا Asura)، حماة المبادئ الأخلاقية. وكان (دياووس بيتر Diyvuh Piter) ومهر/ميثرا= الإله الشمس) حاميَين للمحبة والوفاء بالعهد. علما أن آلهة النار (Atharwan) كانت من جملة الآهورات/الآسورات.

لقد أطلق زرادشت على الذين لم يتبعوا دينه اسم (دئيفه يسنه) أي عبدة الجن. يقول الأستاذ المرحوم توفيق وهبي: "ليس ببعيد أن تكون لفظة (داسني) التي تطلق على اليزيدية أحياناً محرفة من (دئيفه يسنه)"[24] ، علماً أنه لم يكن لهذا الاسم مفهوم قبيح لدى عبدة (ديو) أنفسهم. ورغم محاربة زرادشت أتباع العقائد الإيرانية القديمة ووصمهم بعبدة الجن، إلاّ أنه في عهد شابور الثاني الساساني تم رد الاعتبار إلى الكثير من الآلهة القديمة كالشمس والقمر والشعرى والأرض والهواء، ونالوا تقديساً يتفق مع الديانة الزرادشتية، وألفت المزدسنية التي هي مزج للديانة الزرادشتية والعقائد القديمة التقليدية وعده ديناً رسمياً للدولة.

ويذكر هيرودوت عن عادات البارسيين "أنهم يصعدون إلى أعلى قمم الجبال، فيقدمون قرابينهم إلى (زؤوس)، وهو إله يطلقون اسمه على الكون والأفلاك".[25] وهذا يدل على أن الإله دياووس كان من مجموعة الآلهة البارسيين، فقد كانوا

يقدسون قبة السماء بكاملها. وكان هناك إله هندو-إيراني أو هندو-آري آخر يدعى (فارونه) جاء وصفه في (الفيدات) على أنه إله السماوات الساتر للكون كله.

كيف نتصور أن البارسيين، ومن بعدهم الساسانيين، قد اعترفوا بربوبية كل من (أهورامزدا) و(دياووس) في آن واحد؟ كما أشرنا إليه أعلاه, إن البارسيين لم يكونوا قد تركوا عبادة قوى الطبيعة بعد، من الممكن أن يكون (دياووس) مايزال إلهاً من تلك الآلهة، ومن المحتمل أيضاً أن تكون الإصلاحات التي جاء بها الزرادشتيون في عهد الأخمينيين, اعتبارهم أهورامزدا إلهاً للآلهة، أدى ذلك إلى تراجع منزلة (دياووس) إلى الدرجة الثانية من الألوهية، كما جرى هذا التراجع نفسه بالنسبة إلى (دياووس) في الفيدات[26]. علماً أنه وُصف إله السماء (دياووس) في الفيدات "بأنه الحكيم الأكبر الفاعل للخير ذو العزم والإرادة", ووُصف (فارونه) الذي كان إله السماء في الليل بأنه "إله الحكمة والنظام والقانون والعدل والصدق والطهارة"[27]. وكان (فارونه) يلقب في الفيدات بـ (آسورا) يقابله في الإيرانية (آهورا)، كما كان (دياووس) يلقب باللقب ذاته. ونجد تشابهاً كبيراً بين (فارونه) و(أهورامزدا)، وكذلك نجد أن (فارونه) و(دياووس) كلاهما من منشأ واحد، ولذلك لا بد أن نحكم بأن (أهورامزدا) ناشئ من تطور الإله السماء (دياووس) الذي هو الإله الأكبر فاعل الخير (آهورا-اسورا)، أو ناشئ من تطور (فارونه). بمعنى أن الإيرانيين قد غيروا (فارونه) إلى (أهورامزدا)[28]. كما أن أتباع العقائد القديمة الذين لم يدينوا بدين زرادشت، كان لهم إله أعظم يعمل الخير، وهو الإله الطبيعي الذي عرفوه مع بقايا تلك الآلهة الطبيعة الأخرى منذ أدوار ما قبل التاريخ، وكانوا قد ورثوا معرفته من أجدادهم الأقدمين. وكان هذا الإله هو (دياووس پدر) الذي ما يزال الداسنيون= اليزيديون يعبدونه حتى الآن, ويعرفونه باسم (الملك طاؤوس أو"أب طاؤوس= عب طاؤوس")[29].

ويرى البروفيسور مينورسكي أن "طاؤوس ملك-الأب طاؤوس"، هو أحد سيماء الألوهية لدي اليزيدية, تظهر نفسها مذهباً ثنائي الاعتقاد. لكن هذه النظرية غير صحيحة؛ لأن الخير والشرّ ليس في التناقض الأساس في البداية

(أهورامزدا وأهريمان) وإنما على النقيض. فالخلق كله من مصدر واحد، وهم مخلوقون مثل خلق الضياء من الضياء (النار تتكون من النار)، و(الأب طاؤوس) عند الإيزيدية هو قبلة للعبادة والتقديس[30].

ويشير أحد الكُتاب إلى أن عبادة تموز (الملك طاؤوس) والشمس بين إيزيدية جبل الأكراد ماهو إلاّ تموز النبطيين الأقدمين والإله الذي تكلّم عنه حزقيال النبي (ف8ع14): "ثم أتى بي إلى مدخل باب بيت الرب في جهة الشمال, فإذا هناك نساء جالسات يبكين على تموز". ويقول: "إن الإيزيدية يدعون الطاؤوس (الأب الطاؤوس)، وحين يقدمون له العبادة يزينون ملابسهم بشقائق النعمان ذات اللون الأحمر. وكانت هذه الزهرة مكرسة لأدونيس وهو تموز. واسمه السوري أدون، أي الرب والسيد كما تقدم. ويقول لنا الشاعر اللاتيني أوفيد: إنّ دم أدونيس ينمي شقائق النعمان. وانتقلت هذه الخرافات إلى بعض العرب, وقد جاءت من سورية أو بابل فيسمون شقائق النعمان زهور جراح أدونيس. ويخبرنا الرحالة البيروني في القرن العاشر أنّ الصابئة كانوا يقدّمون العبادة لتموز بنوح وبكاء، كما أنّنا نرى عبادة هذا الإله دائمة إلى الآن بين اليزيدية"[31].

إن هذا الاكتشاف الذي نشره الدكتور يوسف أفورد عام 1904, ووقع تحت أيدينا الآن، يعزز أولاً- فرضيتنا التي توصلنا إليها عام 1993 ونشرناها في أكثر من موقع؛ بحثنا المنشور المعنون "الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية", والربط الرمزي بين تموز/طاؤوس ملك وحبة القمح. كما يعزز، ثانياً- ما ذهبنا إليه في بحثنا الموسوم "البحث في الحلقات المفقودة" الحلقة الرابعة الخاصة أيضاً بديموزي-تموز- طاؤوس ملك. وثالثاً- إن هذا الاكتشاف ينسف آراء وادعاءات جميع الكتاب الذين قالوا بحداثة ظهور الديانة الإيزيدية فيما بعد ظهور الشيخ آدي بن مسافر، وربط الاسم بيزيد من معاوية.

كما نودّ الإشارة إلى أن اسم (عزيز) الذي له علاقة واضحة بـ(تموز/طاؤوس ملك) والذي يؤكده الاكتشاف أعلاه، فإنه أي (العزيز) يرد بكثرة في النصوص الدينية والأدب الشفهي الإيزيدي.

بعد هذا العرض المقتضب للتطور التاريخي لعقيدة دوموزي/تموز/طاؤوس

ملك، نصل إلى الاستنتاجات الآتية:

- كان الهندو- إيرانيون أو الهندو- آريون قبل ظهور زرادشت يعبدون (دياووس بيتر Diyvuh Piter= أب السماء أو الأب السماء= إله السماء) الإله الأكبر الفاعل للخير. وكان معبود الهندو-أوربيين (الديفات) يسمى (دي يوس= إله السماء) و(دياووس بيتر) المعبود الهندي الحالي. كما كانوا يعبدون الآلهة العظام (آهورا Ahura أو آسورا Asura)، حماة المبادئ الأخلاقية. وكان (دياووس بيتر Diyvuh Piter، ومهر/ميثرا= الإله الشمس) حاميَين للمحبة والوفاء بالعهد.

- عندما ظهر زرادشت بدعوته الإصلاحية الجديدة، حارب بقوة أتباع "الديفات"، وأبقى على بعض العقائد الهندو-إيرانية القديمة, ودمج بين أهورا ومثرا في عبارة أهورا-مثرا في صيغة (بايو-ثورشتارا) التي تعني حرفياً "الخالقين- الحافظين" أو الخالق والحافظ. "الحافظ المبدع BRINKAR", وفسرّها بكلمات "الرب مثرا"

- هذا يعني، إما أن (أهورامزدا) الزرادشتي ناشئ من تطور الإله السماء (دياووس) الذي هو الإله الأكبر فاعل الخير (آهورا-اسورا)، أو ناشئ من تطور (فارونه)، بمعنى أن الإيرانيين قد غيروا (فارونه) إلى (أهورامزدا).

- وفي العصر السومري والكاشي حدث دمج بين عقيدة دوموزي و(بابار) إله الشمس (1500 قبل الميلاد)، وانتقلت مفاهيم دوموزي الخاصة بالموت والانبعاث إلى الإله بابار.

- إن الإله (بابار) هو نفسه (مهر/مثرا/ميثرا) إله الشمس للشعوب الهندو-إيرانية من عصر فيدا. ويبدو أنه نفسه (دياووس بيتر- الأب طاووس) الرمز الأقدس في الديانة الإيزيدية. نرى ونسمع صدى هذا الاسم في التراث الديني الإيزيدي (بيري كار Piri Kar) المحرفة من (بابار Papar) و(BRINKAR) بمعنى "الحافظ المبدع" وهو الإله ميثرا، وكذلك (الأب طاؤوس) بعد حذف حرف (الراء) للتخفيف وسهولة النطق. ونجد صدى (الأب) و(بابا) في لقب التبجيل لرجال الدين الإيزيديين: بابا شيخ، بابا كافان، بابا جاويش، بابا قوال. وحتى أن لقب (بابا الفاتيكان) يأتي من المنبع نفسه.

- إن كلمة (بير Peer أو pir) ليس لها علاقة مع (بيري كار Piri Kar) كونه طاؤوس ملك، كما يدعي بعض الكتبة الإيزيديين الذين يشوهون الحقائق. فـ (بيري كار Piri Kar) ماهو إلاّ تحريف الإله (بابار) أو (BRINKAR) إله الشمس/ميثرا الذي دُمجت عقيدته مع دوموزي/طاؤوس ملك.

لقد برز مفهوم الإله الابن بواسطة النقوش المكتشفة في المعابد منذ الألف السابع قبل الميلاد، وأصبح تموز في أسطورته النيوليتية (عصر الزراعة) إلهاً للقمح بشكل خاص، بل كان القمح جسده, وكان هو للقمح روحاً.

إن اكتشاف الإنسان للقمح وأكله الخبز، كما يقول فراس السواح، كان القفزة الحضارية الكبرى التي حققها الإنسان، وكان رغيف الخبز برزخ العبور من مرحلة الهمجية إلى مرحلة الحضارة[32]. وما زال القمح من أهم المقدسات عند الإيزيدية، وبه يقسمون ويعتبرونه زاد الدين والإيمان والذي لا يأكله، لا دين له ولا إيمان؛ بمعنى أن سرّ طاؤوس ملك يكمن فيه: (بڤى قوتێ ئيمانێ، يێ نەخۆت، نه دينه نه ئيمانه) أي "قَسَماً بهذا الزاد الذي لا يتناوله، لا دين له ولا إيمان". ونظراً لقدسية القمح فإنه يدخل في تركيبة العديد من الأكلات الخاصة بالأعياد والطقوس الدينية[33].

وفي هذه المرحلة نشأت الآلهة الذكور جميعها في الثقافة الذكورية من الإله الابن. واتخذ هؤلاء لأنفسهم شخصيات مستقلة وارتفعوا نحو السماء ناكرين أصلهم الأرضي. إلاّ أن الإله تموز بقي وفياً لأصله، محافظاً على وضعه القديم وظلاً للأم الكبرى عشتار مكملاً لها، حاملاً الكثير من صفاتها وصلاحياتها، فهو: دوموزي في سومر ابن إنانا، وتموز في بابل ابن عشتار، وأدونيس في سورية القديمة, وأوزوريس-أي سيد القمر- في مصر، وآتيس في روما, وديونيسيوس عند الإغريق.

وعلى الرغم من شكل التقسيم الوارد وفصل الأم والابن، فإنهما أي (إنانا ودوموزي، عشتار وتموز...) في الحقيقة أقنومان وليسا إلهين مستقلين، اثنان في واحد، وواحد في اثنين؛ الوجه الأبيض والأسود للشيء نفسه، الخير والشرّ، الموجب والسالب، الأصل والظل. فتموز هو ظل الأم الكبرى ووجهها الآخر، ولنقل

شقها الذكري الذي كان كامناً فيها منذ الأزل ثم انفصل عنها شكلاً، ولكن بقي جزءاً منها فعلاً. فإذا كانت الأم الكبرى قبل ظهور الابن تحمل صورتها التركيبيتين الأنثوية والذكرية، فإن ابنها بدوره سيحمل التركيبتين ويعيش حياته (ابن أمه-دايي و دۆت). وكان (الثور) السماوي ابن القبة المعتمة الذي تظهر قرونه عند الأفق ليلة ميلاد القمر الجديد وإلى دورة حياة (28) يوماً، فيموت، أي يختفي القمر، ويبعث في اليوم الثالث من بين الأموات.

إن مقارنة ما مرّ بعقيدة (دوموزي- ديموزي-تموز) من مراحل مع عقيدة طاؤوس ملك الأساسية والراسخة بين الإيزيدية حتى الآن، نستشهد فقط بـ (سَبَقه) من نص ديني:

قبل خلق الأرض، وقبل خلق السماء /بەری ئەرد، بەری ئەسمانە

كان الخالق موجوداً نور الأنوار/كان الخالق موجوداً نور الانوار

ئەردو عەرش وئیمانە/الأرض والعرش والإيمان

سمى ذاته طاؤوس الملائكة. /ناڤ لخۆكر تاووسێ مێرانە

أو:

أسمي الخالق بألف اسم واسم/پەدشادن هەزارو ئێک ناڤ لخۆ دانایە

الاسم الأعظم هو الخالق (خودی)/ناڤێ مەزن هەر خودایە

هنا يظهر بوضوح أن (طاؤوس ملك الإيزيدية) هو اسم من أسماء الخالق مما لا لبس فيه.

---

1. د. خليل جندي، نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، الطبعة الأولى، السويد, 1998، ص 115-79، والدين الإيزيدي: المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، الطبعة الثانية، بيروت, بغداد, 2018، ص -101 142.
2. فراس السواح، لغز عشتار، ص 279.
3. .Kramer, UR Excavations Texts, vol. VI part 1, no. 10
4. د. فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق, 1999، ص98.
5. د. فاضل عبد الواحد، المصدر السابق نفسه، 99.
6. Jacobson, Before Philosophy, p. 115-214.ينظر: د. فاضل عبد الواحد، مصدر سابق، ص 100.
7. يراجع كتابي المذكور أعلاه في طبعته الأولى والثانية، ص 107 و133.
8. يراجع كتابي المذكور أعلاه في طبعته الأولى والثانية، ص 107 و 133.
9. جورج حبيب، اليزيدية بقايا دين قديم، بغداد, 1978، ص 26.
10. المصدر السابق نفسه، ص 18.
11. المصدر السابق نفسه، ص 19.
12. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص 133.

13. مرشد اليوسف، دوموزي (طاؤوسي ملك)، بحث في جذور الديانة الكردية القديمة، ص 54 – 55.
14. المصدر السابق نفسه، ص 67.
15. د. أحمد سوسه، حضارة وادي الرافدين/في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، بغداد، 1983
16. د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية، مصدر سابق، ص 12.
17. Speiser E.A., Mesopotamian Origins. The Basic Pupulation of the Near East. Philadelphia 1930, p. 96
18. صلوات غولياموف، مصدر سابق، ص 21.
19. صلوات غولياموف، مصدر سابق، ص 24.
20. أفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، هايتي 42/2، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، ص 135. أما الترجمة الواردة في كتاب: ر.س. زيهنير، المجوسية الزرادشتية/الفجر-الغروب، ص 76 فهي بالشكل التالي: "نقدس الجبال التي تجري المياه منها، نقدس البحيرات التي تحتوي المياه، نقدس الشعير الذي يجلب النماء، نقدس الخالقين الحافظين الاثنين، نقدس مزدا وزرادشت"
21. ر.س. زيهنير، المجوسية الزرادشتية/الفجر-الغروب، المصدر السابق نفسه، ص76 – 77.
22. د. اذزارد، م.هــ بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) وفي الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ص 74.
23. المصدر السابق نفسه، ص 49-48.
24. توفيق وهبي، أثران تاريخيان عن الكرد، تحقيق الأول وتعريب الثاني: محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1995، الحاشية رقم 20، ص 71.
25. هيرودوت (1/131) الترجمة الفارسية؟ مقتبس من توفيق وهبي، مصدر سابق، ص 75.
26. توفيق وهبي، مصدر السابق، ص 77.
27. د. محمد معين، مزديسنا، ص 38.
28. توفيق وهبي، مصدر سابق، ص 79
29. المصدر السابق نفسه، ص 84.
30. ف.ف. مينورسكي، الأكراد: ملاحظات وانطباعات، موسكو 1915، ترجمة وتعليق: د. معروف خزندار، بغداد 1968، ص 45. كذلك انظر: د. خليل جندي، الدين الإيزيدي، مصدر سابق، ص 40.
31. نشر هذا البحث تحت العنوان أعلاه في مجلة المشرق، 7 (سنة 1904، ص 908 – 910). وأعيد نشره في كتاب صدر حديثاً بعنوان: اليزيدية/إشكالية المنهج- دراسة ونصوص وتعليقات، الدكتور: وليد محمود خالص، الجزء الأول، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، 2016، ص 106.
32. فراس السواح، لغز عشتار، ص 79.
33. خليل جندي، الدين الإيزيدي، مصدر سابق، ص 119 – 120.
34. لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة: فراس السواح، لغز عشتار، مصدر سابق، ص 279
35. يمكن مراجعة النص الديني كاملاً في كتاب: د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي (باللغة الكردية)، مصدر سابق، ص 122.

الفصل التاسع

هل يمكن التوفيق بين القصص الديني والحقائق التاريخية؟

بناءً على بعض الوقائع التاريخية التي تمت الاشارة إليها في متن هذا الكتاب، نعتقد أن هنالك علاقة بين قبيلة/شعب (هكسوس) وقبيلة (هكار- هكاري- هاكاري) من ناحية فقه اللغة، وبين الهكسوس القدماء والإيزيديين الحاليين من خلال وجود العديد من القرائن والمعتقدات والعبادات الدينية والإشارات المتناثرة بين ثنايا النصوص والتراث الشفهي الديني الإيزيدي التي لا يمكن الاقرار بأنها من باب الصدفة. ومن هذه القرائن ما يأتي:

- الفقه اللغوي لجذر كلمة (الهكسوس) و(هكار) وتشابهما تقريباً.
- العدنانية، القحطانية، الشمسانية. هل هي (آدانية، قاتانية، شمسانية)؟
- دور إبراهيم الخليل في الديانة الإيزيدية، وقصة بناء الكعبة (مكة)، ما علاقة الإيزيديين بإبراهيم، وهل الأخيرة ديانة إبراهيمية؟
- تقديس الشمس والقمر والنجوم.
- عادات مصرية قديمة ما زالت تُمارس بين الإيزيدية، مثلاً (الختان)[1]، عبادة الشمس (رع-را)، (عزير) أوزير، إيزى، عزرائيل، عزازيل، ملكه موت، عزيزى مسرى...
- عادات باقية تُمارس عند الإيزيدية من السومريين والبابليين والآشوريين (عيد أكيتو- ديموزي- الثور), والهند (الطاووس- بژيكBijeek), وإيران (عالم الملائكة)، واليهود (سفر الخروج= كاى وماسى، الختان، التابوت، العجل، قصة النبي سليمان وبلقيس، قصة أيوب..), والمسيحيين (التعميد), والإسلام (هاشم، قريش، محمد، ايزي، علي، عباس..الحج، زمزم)
- قول الإيزيدية: نحن أقدم الديانات، و(مكة) كانت لنا!

إضافة إلى ما ذكر أعلاه بشأن أصل كلمة (مكة)= (ملكاي- ماهليك)، فلا يستبعد أن نضيف إليها: (ماهكه Mahgeh) - ماه= بمعنى مكان عبادة إله القمر)، ولاسيّما إذا ما عرفنا أن أبراهام/إبراهيم كان يعبد (سن) إله القمر. إضافة إلى أن الهكسوس الذين طردوا من مصر قد عبدوا إله الشمس

(رع- را) الفرعوني زمن حكمهم لمصر. وبهذا فإن تقديس (الإيزيديين) الحاليين إلى يومنا هذا لإلهي الشمس والقمر، ربما يدعم فرضيتنا بوجود علاقة بين العنصر الإيزيدي والهكسوس. ومقولة رجال الدين الإيزيديين، وأنا سمعتها منهم مراراً، إن (مكة) كانت لأسلاف الإيزيديين الحاليين قبل الاسلام، لهذا يجب ألا نستغرب عندما نقرأ في النصوص الدينية الإيزيدية (قول قره فرقان) على سبيل المثال، ذكراً لقبيلة قريش وبني هاشم قبل وبعد ظهور الإسلام:

*ئەوە حەرفا ژ پێش / كان ذلك هو الحرف (المعنى) القديم

جائزە ل وێ حەرفێ بكەن تەفتێش/ يجوز أن نفتش عن ذلك الحرف

ژێككرن هەشەم وقورێش / الذي فَرّق بين هاشم وقريش

*هەشەم وقورێش ژێككرن / فَرّق بين هاشم وقريش

قال وقيل ناڤدا داهركرن/ وأظهر بينهما القال والقيل

سلتان ئێزى شيرێ هەقيێ ژێككرن/السلطان إيزي ميّز بسيف الحق بين الاثنين

(ژ قەولێ قەرە فەرقان، سە بە قا 34، 35)

يبدو أن تلك الأقوام (من بينهم الهكسوس) سكنوا رويداً رويداً في تلك المناطق، متخذين حواضر لهم، وبدأوا يبتعدون عن لغتهم الأصلية شيئاً فشيئاً، وأصبحوا تحت سيطرة المجموعات السامية وخاصة العرب، لذا أطلق عليهم مصطلح (العرب المستعربة). بمعنى أن أولئك الغرباء قادمون بالأصل من مناطق أرمينيا وشمال بحر قزوين وجنوب شرقي البحر الأسود.

يجب ألا يصيبنا الهوس "العرقي والقومي" عندما نجد في نصوص أدبنا الديني ذكراً للنبي نوح، إبراهيم الخليل والنمرود، موسى، يعقوب، كنعان، مكة، القدس، العدنانية، القحطانية، الشمسانية، وغيرهم من أسماء الأنبياء وأسماء المدن والسلالات. كما يجب ألا تصيبنا الدهشة حين يعود الشيخ أدي الهكاري أو الشيخ آدي رب (خودان) هكار، زاهداً ومتصوفاً جليلاً بمقام (الشيخ آدي) من بلاد الشام ويقصد مرة أخرى موطن أجداده، ويلقب باسم

قبيلة أو موطن أسلافه (الهكاري):

هەی جانه، هەی جانه/يا للروح، يا للروح

ئەو سلتانێ مێرانه /هو سلطان الأولياء

شيخادی ژ شامێ هاته/قَدِمَ الشيخ آدي من الشام

للالشى دكەت خەباته /لينشر دعوته في لالش

أو:

شيخادی هاته هەكاره/قَدِمَ الشيخ آدي إلى هكار

لێ سجوده بوون بەرو داره /سجد له الحجر والشجر

شيخادی لناڤ مێرا سەرداره! /الشيخ آدي قطب بين الأولياء

ويجب ألا تصيبنا الدهشة أيضاً، حين تتولى أحفاد سلالة الشمسانية إمارة حلب وكليس! أو كما يُذكر في بعض النصوص الدينية أن يُلقب الشيخ فخرالدين بــ (المصري):

ژ قەولێ شێخ فەخرێ ئاديیا / من رواية الشيخ فخرالدين

ئەزی ئەسليمه، ژ ناڤودكارێت ئەسليمه/أنا أصيل، من أصل مشهور

ئەزی مسری بووم، ژ مسريمه!/أنا مصري من مصر

(من النص الديني: الشيخ فخر الزركون، المقطع 10)

أو كما يُلاحظ من النص الديني المعروف بــ(كای وماسی= الثور والسمك)، فهو انعكاس واضح لسفر خروج العبرانيين اليهود والهكسوس من مصر! والذي سبق أن توقفنا عنده سابقاً.

كما أشير إليه في كتاب (صفحات من الأدب الديني الإيزيدي) أن هكذا موضوع حساس يحتاج إلى بحث دقيق وخاص. وسبق لي أن طرحت العديد من رؤوس المواضيع في مادة (الأسئلة المخفية، كيفية فهم الأدب الديني الإيزيدي ص 149-123)، لتصبح مادة للبحث والتنقيب في المستقبل، ويفتح ذلك باباً لتأسيس نظرية جديدة في معرفة تاريخ الإيزيدية وفهم فلسفتها الدينية.

- "مەی ئبن مەی"، و"زەنجەلی تەمام": لا يُعرف بالضبط من المقصود

بهما، لكنني لا أستبعد أن تكون كلمة (مەی ئبن مەی) هي تحريف لكلمة (بني أمية!). و يُستخدم (زەنجەلی تەمام) اسماً وإشارة إلى (الشيخ شمس), كما سمعتها من العديد من رواة النصوص الدينية. إذا كانت تفسيرات مقاطع النصوص الدينية التي أشير إليها أعلاه صحيحة، يكون معنى النص: إن الله قد خلق (العماليق، الشمسانية وبني أمية)، مع ملاحظة انتساب "الشمسانية" إلى عبد شمس وبني أمية استناداً إلى النص الديني:

٨- من يارەک دڤێ قورێشی بە/أريد خلاً قريشياً

هەی شبهەتۆ یی سریفی بە /عارفاً وعالماً

ئیلاهیۆ! مە نە شەبهینی بەر تو ئادەمیا/إلهي! لا يشبهنا بالآدميين

٩- سەحیمە، نەی ئادەمیمە/حقاً، لست من الآدميين

ژ نوختا، ئەزی دمشقیمە/أنا من النطفة الدمشقيّة

ژ نزانە بئەسل ئەز لکومە[2] /لا أحد يدري من أين أصْلي!

ويأتي في النص نفسه المنسوب إلى قول الشيخ شمس:

*يا ئێزی! بەری هنگی نۆت هەزار سال/يا إلهي! قبل تسعين ألف سنة

ئەز لوێ بووم/كنت هناك

نە ژ باب بووم، نە ژ دێ بووم/لم أَخلق من أب ولا من أم

لبەر خلمەتا مەولێ بووم/كنت في خدوة المولى!

-11 ئەز نە وێرم بکەلم/أخاف أن أبوح

هەکە بێژم بەری ئادەمم/وإذا قلت أني قبل آدم

ئەز دێ بشەرعا رەجمم/سوف أُرجم من قبل أهل الشريعة[3]

إن (إيزي أو يزيد) الذي يُنسب إليه الدين الإيزيدي، هو الإله الذي يتحدث عنه النص الديني قبل تسعين ألف سنة، وليس (يزيد بن معاوية) الذي حكم مدة ثلاث سنوات (683-680 ميلادية). وإن تسعين ألف سنة هي المرحلة التي يطلق عليها العلماء العصر البليستوسيتي الأعلى. كما اصطلح على تسمية جملة التغيرات التي حدثت خلال الفترة الممتدة عبر تسعين ألف سنة (10000-100000 ق.م.) بالثقافة الباليوليتية ((Palaeolithic أي ثقافة

العصر الحجري القديم، فترة انفصال الإنسان عن عالم الحيوان والتكيف مع الطبيعة وتنظيم جهوده من أجل استغلالها وتوجيهها لمصلحته، وبداية اكتشاف الزراعة[4] .

في أثناء كتابتي لهذا البحث عام 1993, لفت انتباهي وجود التشابه أو التقارب بين عدد كبير من مفردات وكلمات إيزيدية سنجار مع المفردات الفارسية رغم وجود مسافة خمسمئة كيلومتر تفصل بين الاثنين. في ذلك الوقت لم يكن تحت تصرفي أي مصدر أستعين به. أما اليوم فوقع تحت تصرفي مصدر[5]، فيه إشارة إلى ذلك التقارب؛ "اليزيدية, وإن اعتبرهم المؤرخون الأقدمون وأغلب الرحّل من إحدى القبائل الكردية الأصلية الخمس وإن لغتهم هي الكردية, من الصعب اليوم, لا بل من المحال أن يسلم بأن هذا الذي تظهر على سيمائه جميع مميزات السلالة الهندية أصلي النشأة في تلك الأرض، بل يظن أن اليزيدية هجروا بلاد فارس عقب نشر راية دين الإسلام في تلك البلاد. لكن هذا لا يكفي لبيان أنهم ليسوا كرداً بما أن كردستان القديمة كانت تشتمل قسماً عظيماً من جنوب بلاد فارس. وهناك من يوافق أصحاب الرأي القائل إنهم من السلالة الهندية الأوربية. يوجد في حضيض جبال هملايا جيل من الناس يعرفون باسم لبخوس أو لبكوس (Lepchos)[6] ، عقائدهم تشابه عقائد اليزيدية، فاللبخوس يؤمنون مثل اليزيدية بمبدأين صالح وطالح, ولا يترضّون إله المبدأ الشرير، وله يقدّمون الذبائح تسكيناً لثورة غضبه، ويعتقدون أنه هو وحده علّة مصائب الناس كلها"[7] .

ويضيف الأب أنستاس الكرملي البغدادي:"إننا نزيد هنا أن هؤلاء اللبخوس هم أصل اليزيديين الموجودين في جبل سنجار ونواحيه؛ لأنه في القرنين التاسع والعاشر من التاريخ المسيحي لمّا كثر اليزيدية في وطنهم, ذهب دعاة من هذه الشيعة ينشرون ألوية دينهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. ودُحروا كلهم لغرابة دينهم. ولما لم يروا في البلاد التي وطنوها جبالاً يلجؤون إليها عند تضييقهم, رجعوا بخفي حنين الى حيث أتوا. وأما البلاد التي رأوا فيها

وهاداً وأوتاداً, فتحصنوا في جوارها كما فعل أسلافهم في جبل سنجار. فالذين أمّوا بلاد الشمال لاذوا إلى فروع جبل كو قاف (يعني جبل قوقاس), وهم إلى يومنا هذا موجودون هناك. وأما الذين ضربوا في الأرض نحو الجنوب فاعتصموا بجبال هيملايا، لكن لما أصبحت بلادهم بعيدة عن وطنهم الأصلي، بقوا منفردين عن إخوانهم. ثم فعلت فيهم طوارئ وطنهم الجديد كلّ الفعل، حتى كاد الفرع لا يشبه الأصل بشيء. فلا يمكن القول أبداً إن المتوطنين في الجزيرة هم من أصل هندي، كما لا يمكن القول إنهم من أصل كوه قافي, بدليل أنه يوجد عصابة هناك من هذه الشيعة. بل الأحسن والأصح والأصدق أن يقال: إن ذينك الفرعين هما من الأصل ليس إلاّ، كما أنّ: "قصيرة من طويلة" فحرّر كلّ ذلك واحفظه حفظك الله"[8] .

الإيزيدية

من نظام العشيرة إلى نظام الطبقات الدينية[9]

تطرقتُ إلى النظام الطبقي الديني في كتاب سابق، وأشرت إلى الكوتيين بصفتهم أقدم شعب من شعوب جبال زاغروس. تركوا آثاراً في العديد من الشعوب والحضارات القديمة كالسومرية والأكادية والعيلامية والبابلية والآشورية وغيرها[10] . توقفت بشيء من التفصيل عند النظام الطبقي الديني مع التركيز على العشيرة بوصفها أول خلية اجتماعية متماسكة، ضَمّت -وما تزال تضم- ثلاثة عناصر أساسية في بنيتها، وهي: (البير- الشيخ- المريد)[11] . وانتماؤهم إلى شجرة يُطلق عليها (مالا ئاديان= عائلة آديان) اسناداً إلى المقولة المتداولة في الموروث الإيزيدي (شێخ و پير گولێد دارەكێنه= الشيخ والبير أزهار شجرة واحدة). أُضيف اليوم إلى هذه المقولة (شێخ و پيرو مريد گولێد دارەكێنه= الشيخ والبير والمريد أزهار شجرة واحدة). بعد أن ظهرت دلائل ووثائق ومصادر تاريخية تدعم الفرضية التي طرحتها منذ عام 1993 في الجزء الثالث من كراس "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية". إضافة إلى المحاضرة التي ألقيتها في مدينة هانوفر

بمناسبة عيد رأس السنة الإيزيدية (سرسال) تحت عنوان: "جذور طقوس رأس السنة ومغزى الاحتفال به"، وعُدّل العنوان فيما بعد إلى "لمحات من الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية".

حسب المصادر التاريخية الموثقة، كانت شعوب جبال زاغروس وكرد دولة عيلام في جنوب أراضي خوزستان ولورستان، والدولة الحورية -الميتانية في شمال ميزوبوتاميا، هم من أقدم الشعوب الهندو-آرية والهندو-أوربية والهندو-جرمانية، وكانوا يقسمون بين فئتين اجتماعيتين: (الرحل والمزارعون). وكانت البنية القبلية قوية ومن دون تغيير لدى الفئتين. وكانت (العشيرة) تنقسم إلى عدة فروع، يقف على رأسها (servar) أو (seryar) اللقب الذي يرجع إلى (ser) السومرية الكردية القديمة (ser) الرأس و(-yar) بمعنى القرية. يمكن مقارنة ذلك مع الروسية (star)، والإنكليزية (cer)، و(yar) الروسية بمعنى الفناء- الدار، والإنكليزية (yard). والاسم الآخر لـ (Raj-servar) الذي يعود إلى الفيدية- الآرية (Raja) بمعنى (رأس المحاربين) الطبقة الثانية عند الهندو- آريين، وقارن مع الفرنسية (Roi) بمعنى (الملك). إن (servar) أو (Raj) يديرون شؤون العشيرة ويتمتعون بسلطان واسع.

إن لقب (پير) عند الإيزيدية هو هندو-جرمانية قديمة (قارن peer الإنكليزية)، وكان يمثل دور الكاهن في العشيرة. ويرجع لقب (شێخ) إلى خشاييا خشاترا (ملك المحاربين) الإيرانية القديمة الذي يتطابق تماماً مع لقب (راجانيا) عند فيداد الهندو-آريين -كرد. لقد حمل ملوك الفرس من السلالة الأخمينية لقب (خشاير شاخ) بمعنى (الملك العظيم)، ولا سيّما أنه ورد اسم دارا العظيم في نصوص بهيستون الشهيرة- خشاير شاخ.

كان في البداية المصطلح الكردي (Ashiret) -عشيرة (الحليب الواحد) أو (مربيون- رضيعة) (بحليب واحد) من اللغة الفيدية الآرية (شير= حليب) يطلق على طبقة المحاربين في القبيلة المنضوية تحت لوائها الشبان (ماريانو- مردي) التي تتناسب من الناحية الاشتقاقية حالياً مع طبقة (مريد

Mird- Mireed/) عند الإيزيديين. استخدمت هذه الفصائل العسكرية في القبائل من أجل رد غارات العدو، فقد كان يتكفل بمعيشتهم سكان كردستان الرحل والحضر في المقاطعة[12] .

ويضيف الكاتب: بالنسبة إلى القبائل الكردية العادية الذين لم يتمكنوا من إنشاء الشعائر (ماريانو- مردي)، أصبحوا يخضعون لتسمية (رايات) التي منها ظهرت قديماً كلمة (إيريت= العبد) السومرية – نظام القن[13] .

يضاف إلى العناصر الثلاثة للعشيرة عنصر رابع هو (الآغا) كأساس في القرى، حيث كان، ومازال إلى حد ما، يتمتع بسلطات أبوية، وكان يملك مساحات لا تحصى من الأراضي الزراعية، ويربطه مع جميع السكان شكل ما من صلة الدم. وكان الآغا يحل نزاعات القرويين، ويحدد زمن الترحال، ويعين لكل أسرة قطعة صغيرة من الأرض. كما كان كل (آغا) ولا سيما في القرى الإيزيدية- عابدو الشمس، يملك فرقة من المقاتلين الشبان (Merdi). وعبر الزمن ونتيجة تبادل الحروف تحول إلى Mired)-مريد)، وعند الكرد الإيرانيين يحمل رئيس العشيرة (الآغا) لقب بك (Beg) أو لقب خان (-Xan Khan) عند الهندو- إيرانيين[14] .

ويذكر المصدر نفسه (ص 180) أن منطقة (مهري) هي أول مستوطنة للهندو-آريين-كورو في مناطق جبال زاغروس, وأقدم موطن للزراعة والكروم، وكيف أخذت الشعوب الهندو-أوربية القديمة كالحثيين والحوريين القفقاسيين الشرقيين ما يتعلق بالقمح وزراعته من الكوتيين. ويشير إلى التطابق التام لمصطلح (الكورد)- كوتي عند السومريين من كلمة (كوتان) الكوردية بمعنى جرش القمح التي بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد- كوتان- محراث، مع (Kurtac) الإيرانية المتأخرة، والسومرية (NiN/girs) إله الجرش، واللاتينية (Horteum) الشعير...إلى غير ذلك من التطابقات التي تدل على الطبيعة الهندو-أوربية الأصيلة سواء لسكان زاغروس القدامى أم للمزارعين الأوائل فيما بين النهرين في ميزوبوتاميا السفلى الذين كانوا يقدسون إله الجرش نين غيرسو (Nin-(h)yrte) الصفة التي كانت المزراق

لعزق التربة. وقد أطلقت كل من (آفيستا) والمصادر السومرية-الأكادية على (مهري= بلاد المزارعين). فطبقاً للديانة الزرادشتية في كتاب الآفيستا، وجد منذ البداية في الكون ثلاثة نيران مقدسة: آتور فارنباغ ((Atur farinbag، وآتور غوشناسب (Atur gushnasip)، وفارنام ((Varnam، وبموجبها يُقسم المجتمع القديم للهندو-آريين كورو-الكورد.

كانت الطبقة الأولى: الكهنة (براهمان- بير Peer)، تقدس نار فارنباغ.

الطبقة الثانية: الملوك- المحاربين (راجانيا- خشاي ياخشتارا= شيخ), كانت تقدس نار غوشناسب.

الطبقة الثالثة: من المزارعين (العامة- المريد), قدست نار المزارعين بورزان ميهربان[15] .

ويقول غولياموف في كتابه القيم: إن انتصار الفرس على أستياغا ابن كياخسرو(الذي يعده إيزيدياً-خليل) أدى إلى تقوية مؤامرة السحرة الميديين المحبوكة من قبل غارباك(Xwar-pak- الشمس النقية).

إن اللغز الذي عجز العلماء عن فهمه يكمن في إصلاحات النظام الطبقي لدياكو في أثناء قراره تحطيم النير الآشوري المقيت، الأمر الذي أدى إلى ظهور الدولة الميدية المستقلة. في وقت السلام، كانت قبائل مانو- كورمانجي تدار من قبل الكهنة- خدمة الطقوس. وفي الحرب وبقرار من مجلس زعماء القبائل، كانت السلطة تنتقل إلى الملوك- المحاربين (خشاياخشاترا- شيخ) التي كانت تشكل الطبقة الثانية بعد الكهنة في المجتمع الفيدات الهندو-آريين الطائفي- الطبقي للكورد. وخلال الحرب مع آشور من أجل تحرير مملكة مانو، انتقلت السلطة في بلاد الكورد من الكهنة بير Pîr (السحرة) إلى الملوك-المحاربين (الشيوخ) أي إلى دياكو الذي كان يقود قوات مانو (Made-Mark-Madai) [16] .

وحول نظام الزواج، يذكر الكتاب أن الميديين كانوا يرفضون زواج الابنة من شخص ينتمي إلى قومية أو ديانة أخرى. ويضيف: "بأن ديانة الكورد الأصلية هي اليزيدية- عابدو الشمس. ووفقاً لأفكارهم ومعتقداتهم، لا يمكن

لإنسان غريب أن يصبح يزيدياً، فالديانة عندهم تنتقل بالوراثة (التولد)". ويقول: "إن اليزيدية عبارة عن طائفة إثنية دينية منطوية، مثل اليهود والعلويين والدروز، يعتقدون بتقمص الأرواح، كما كان الحال عند أسلافهم المشتركين مع الكورد- فيدات الهندو-آريين كورو"[17] .

إن هذه المعطيات التاريخية الموثقة تدعم اليوم الفرضية التي طرحتها سنة (1993)، في الجزء الثالث من بحثي "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية"، من خلال الرسم التوضيحي رقم (8) الصفحة 276، بأن كل عشيرة إيزيدية تضم (الشيخ، البير، المريد). ضربنا ثلاثة أمثلة من العشائر (الهكارية- الهويرية- الترك). نشير هنا على سبيل المثال إلى العشيرة الهويرية التي يكون شيخها من سلالة الشيخ مند، وبيرها هسنالكان، إضافة إلى رئيس العشيرة الدنيوي (الآغا) من مجموعة (الماريانو-مردي- مريد) غالباً. إذا علمنا أن العشيرة (الرعوية أو الحضرية) بُنِيَتْ على قرابة الدم، وعلى أول خلية زراعية وحدت أراضي العديد من الشعوب القديمة.

وتذكر المصادر أن المشاعية المنزلية كانت تسمى في الوثائق العيلامية من خلال إيديوغرافيا السومرية باسم كردي قديم (إديا). وفي اللغة الكردية المعاصرة (ئودا Oda) تعني (المنزل- المسكن) غرفة خاصة برئيس العشيرة. يقول المثل الكردي: ji Odara lazime nan u run! بمعنى الغرفة يلزمها الخبز والسمنة. تطابق كلمة (nan) الخبز مع (Nan) السومرية. عثرنا بسهولة في هذه الجملة باللغة الكردية على كلمتين (Nan) الخبز و (Oda) الغرفة اللتين تعودان إلى دولتين في الألف الثالث قبل الميلاد, وهما عيلام وسومر[18] .

استناداً إلى معطيات تاريخية ووثائق ومقارنات لغوية، يمكن أن نشير إلى بعض الاستنتاجات:

- إن الحضارات القديمة (بمعنى التحضر)، ظهرت بظهور أولى الخلايا الزراعية وقيام الإنسان القديم بإنتاج قوته من قمح وشعير وبقوليات وسواها بدل جمعها، مع تدجين بعض الحيوانات مثل: الماعز والغنم والثور

والحصان في مراحل لاحقة. وكانت العشيرة (الرعوية والحضرية) هي البنية والنظام الاجتماعي والعسكري والاقتصادي القائم على رابطة الدم وصلة القربى.

- ضمت العشيرة الأولى في بنيتها العناصر التالية: (البير-الكاهن، الشيخ-ملك أو رئيس المحاربين، ماريانو- مريد- المحاربين، الآغا المسيطر على الأراضي الزراعية الذي أصبح على رأس المحاربين الشبان فيما بعد).

- تطورت العشيرة من نظام اجتماعي وعسكري واقتصادي ودنيوي إلى نظام ديني اقتصادي، لكننا لا نعرف بالضبط في أية مرحلة تاريخية حدث ذلك، ومتى حلّ الآغا محل الشيخ في قيادة المحاربين؟

- إن (البير، الشيخ، المريد) من أرومة واحدة ومن عائلة واحدة, تربطهم قرابة الدم والحليب الواحد. والكلمات الثلاث (بير, شيخ, مريد) هي كلمات من أصل هندو-أوربي أو هندو-آري أو هندو- جرماني كما أشير إليهم. وليست كلمة (الشيخ, المريد) عربية دخلت إلى الديانة الإيزيدية حديثاً كما يدعي بعض الذين لا يفقهون التاريخ ولا علم اللغة!

- بناء على ذلك، ألا يحق أن يذهب بنا التصور إلى أن مصطلح (آديا-آديان) المستخدم بين الإيزيدية إلى حد الآن (مالا ئاديا= عائلة آديا) هو تحوير لكلمة (إديا) بوصفها أول خلية زراعية في التاريخ، وجاءت بمعنى الغرفة والمنزل والمسكن لرئيس العشيرة عند الشعوب الهندو-آرية التي تحمل القدسية؟

- كما يمكنني الخروج باستنتاج مثير للانتباه هو إن سرّ بقاء الإيزيدية وتمسكها بعقيدتها رغم تعرضها إلى الإبادات وحملات التنكيل، هو قوة العشائر الايزيدية ومتانتها داخلياً ومع بعضها. فمتى ضعفت أواصر العشيرة وضعفت شوكتها، سيؤثر ذلك حتماً على مكانة الدين وهيبته! رغم الملاحظات الكثيرة على العادات العشائرية التي لا تتماشى مع روح العصر.

1. سيد القمني، النبي موسى وآخر ايام تل العمارنة, ص43.
2. جندي (د. خليل): پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان=صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مصدر سابق، (قەولێ ئێزدینە میر8-9&)، ص 520.
3. المصدر السابق نفسه، المقطع 11 من النص الديني (قەولێ عەرەب بەگیا)، ص 408.
4. جندي (د. خليل): الدين الإيزيدي، مصدر سابق، ص 111-110.
5. فيتال كينه, ص 776-775.
6. مجلة الرسالات الكاثوليكية (الفرنسية), العدد 956, 30 /أيلول/1887.
7. فيتال كينه، ص 776-775. (مقتبس من: اليزيدية/إشكالية المنهج، دراسة ونصوص وتعليقات، دكتور وليد محمود خالص، الجزء الأول، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى, 2016، ص89-87).
8. الأب أنستاس الكرملي البغدادي. مصدر سابق، ص89.
9. كُتِبَ هذا الموضوع بتاريخ 7.8.2021.
10. ينظر إلى: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، رابوون, السويد1998، الطبعة الأولى، ص 175 وما بعدها. كذلك ينظر الكتاب نفسه المنقح تحت عنوان "الدين الايزيدي/ المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، دار الرافدين بيروت, والمسارات بغداد، الطبعة الثانية, 2018، ص 205 وما بعدها".
11. ينظر كتاب: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، الرسم التوضيح رقم 8، ص 276/ أو الدين الايزيدي،...، ص 296.
12. صلوات غولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة عن الروسية الدكتور إسماعيل حصاف، متابعة وتدقيق: مارغريت حصاف، الطبعة الأولى، أربيل 2011، ص 158-157
13. المصدر السابق نفسه، ص 158.
14. المصدر السابق نفسه، ص 162-161.
15. المصدر السابق نفسه، ص 180.
16. صلوات غولياموف، مصدر سابق، ص 279.
17. المصدر السابق نفسه، ص 278.
18. مصدر سابق، ص 160.

الفصل العاشر

تأملات فكرية مع نصوص دينية إيزيدية
إعادة قراءة التاريخ!

جاء في الـ (سبقات/ المقاطع 4 - 7) من النص الديني "قه ولى كانيا مارا" أو "شيخ ئادى شيخى شارا" أي (نبع الأفاعي أو الشيخ آدي شيخ الأمصار والمدن):

4 - شيخ ئادى وتاوسى مه له ك وئيزى ئيكن/الشيخ آدي وطاؤوس ملك وايزي من سرّ واحد

هوون مه‌عنيا ژئك نه‌كن /أنتم لا تفرقون بين معانيهم

ئه‌و زوو مرازا حاسل دكن! /وهم يحققون المُراد سريعاً

5 - ئه‌وان حاسل كربوو مرازه /هم الذين حققوا الأمنيات

پادشايێ من خالقێ هه‌زارو ئێك ناڤه/إلهي خالقٌ لألف اسم واسم

غافلا ديت نه‌كر ناسه. /شاهده المغفلون دون أن يعرفوه

6 - غافلا ديت ناس نه‌كر / المغفلون شاهدوه دون أن يعرفوه

پادشايێ من بره‌حم وشفقه‌تێت خۆ كر/برحمة وشفقة إلهي

ئه‌ردو ئه‌زمان چێكر. / خلقت السماء والأرض

7 - ئه‌وى چێكربوو ئه‌ردو ئه‌زمانه/هو الذي خلق الأرض والسماء

قه‌ومى بن قامه /وخلق (قوم بن قام)

مه‌ى بن مه‌ى، زه‌نجه‌ئيلى ته‌مامه/وخلق "مي بن مي"! و"زنجل"الكامل!

وترد كلمة "قه‌ومى بن قام" في النص الديني (Gay u Masi) أيضاً:

34 - لوى ئه‌ردى حه‌يران دمامه /بقيت محتاراً من تلك الأرض

ناڤێ وى قه‌ومى بن قامه! /فيها قوم يُعرفُون بالعماليق!

(سه ب. 34 ژ قه‌ولێ گاو ماسى)

ورد في النصين الدينيين المشار اليهما أعلاه كلمة "قه‌ومى بن قام". كيف تقرأ هذه الكلمة؟ وماذا تعني؟ ومن المقصود بها؟ لماذا يتضمن النص الديني هذه الكلمة؟ ولماذا جاءت تحت عنوان (Gay u Masi) وكذلك النص الديني "شيخ ئادى شێخێ شارا"؟

يمكن الجزم أن كلمة (قه‌ومى بن قام) هي تحوير لكلمة (العماليق) أو (الجبابرة)؛ تلك المجموعة، أو ذلك القوم الذي عرف بـ (الهكسوس)، وذُكر في التوراة وكتب التاريخ.

السؤال: ما علاقة الإيزيديين الحاليين بـ (العماليق/الهكسوس) أو بمعنى أدق هل من علاقة بين الاثنين، حتى يأتي ذكرهم في أحد نصوصهم الدينية؟

لمحة تاريخية عن الهكسوس/العماليق

اختلف المؤرخون في أصل الهكسوس والبلاد التي قدموا منها. هناك فريق يأتي بالهكسوس من جزيرة العرب (السعودية الحالية واليمن)، وفريق آخر يأتي بهم من البراري والسهوب الآسيوية الوسطى. وهذا يعني مفارقة كبرى لأن سكان جزيرة العرب ساميين, وسكان براري آسيا عند قزوين وآرارات من الجنس الهندو-آري, وهو أيضاً يعني أنه حتى الآن لم يُتّفق حول جنس الهكسوس[1].

تعدّ الوثائق المصرية القديمة أقدم نظرية تربط بين الإسرائيليين و(الهكسوس), إذ ورد ذكرهم بصفتهم أجانب محتلين للبلاد. المؤرخ الكلاسيكي اليهودي (فلافيوس يوسفيوس/100-37م.) وضع كتابه الثالث المعروف بـ (ضد آبيون) رداً على (آبيون النحوي الإسكندري) المصري الذي كان يبغض الجنس الإسرائيلي، وتحدث عنهم بسوء كبير ووصفهم بالأنجاس الدنسين! وقد ردّ (يوسفيوس Josephus) على (أبيون النحوي) في كتابه (الرد على آبيون) واضعاً نظريته حول خروج بني إسرائيل من مصر، قائلاً: إن هؤلاء الانجاس الدنسين لم يكونوا سوى (الهكسوس) الذين دخلوا مصر فاتحين، وحكموها ملوكاً ولم يعيشوا فيها عبيداً، ولم يكونوا أنجاساً ولا ملاعين[2]. و فلافيوس هو أول من أشار إليهم وإلى علاقتهم ببلاد ميتاني الواقعة بين الفرات والخابور، مع وجود دولة الآشوريين في الطرف الشرقي.

ويروي يوسيفوس أن هناك من يرى أن الهكسوس من العرب. وقالت رواية أخرى إنهم من الفينيقيين (مانيثون السمنوديManethon). وقد حاول يوسيفوس أن يكتشف علاقة بين الهكسوس وأجداد اليهود، فذكرأن كل الدلائل تشير إلى أن قصة يوسف وأخوته قد حدثت في عهد الهكسوس، وأنه لا يستبعد أن يكون خروج موسى وبني إسرائيل من مصر قد رافق طرد الهكسوس من البلاد. ولكن ليس هناك وثائق تؤيد مثل هذه الدعوى.

دخل الهكسوس مصر من الشرق في عهد الملك تحتميوس Tutimaios))،

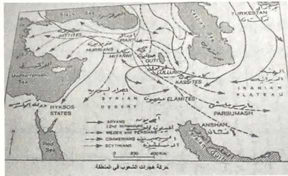
وفتحوها دون معركة واحدة، وحطموا المعابد وخربوا المدن، وفتكوا بالمصريين واستعبدوهم. حكم ملكهم ساليتس (Salitis) مصر من منفيس, وجبى الجزية من مصر كلها. ويقول يوزيفوس: إن هؤلاء الهكسوس هم بنو إسرائيل. ويأتي في التوراة أن ملوك العبرانيين اجتمعوا وضربوا الرفائيين والزوزيين والحوريين، وضربوا كل بلاد العمالقة, وأيضاً الأموريين الساكنين في حصون تامار[3].

وتذكر التوراة أن مجيء الهكسوس مع العبرانيين كان بالتزامن مع مجيء إبراهيم الخليل هرباً من الجوع والقحط[4]. وتعني مقولة "مجيء الهكسوس مع العبرانيين" أن الهكسوس هم غير العبرانيين، ربما كان كلاهما من سكان منطقة واحدة أو من سكان منطقتين متجاورتين، رحلا معاً إلى أن دخلا مصر. وتقول كتب التاريخ إن الهكسوس Hyksos)) والعمو (Ammou) عرفهم قدماء المصريين بين 1580–1730 قبل الميلاد. ويقدر علماء آخرون أن الهكسوس حكموا مصر نحو 153 سنة (1720 – 1567) قبل الميلاد[5]. ويقول فيليب فاراداي-Philip Var-aday: إن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة. عندما طردوا من مصر اتخذوا مكة عاصمة لهم، وسكنوا الجزيرة قبل نزول العرب إليها[6]. وإن (الكاسيين/الكاشيين) في العراق القديم من الهكسوس وكانت لغتهم ميدية. وتذكر مصادر أخرى أن الهكسوس (هاي سن) أي هم الحثيون من مناطق إبراهيم الخليل, لكن عاصمتهم كانت (حاتشوه) قرب أنقرة اليوم[7].

ويقول آخر إن الهكسوس هم جماعات من أصول آرامية سامية في الأغلب, وإن كان فيهم بعض الحوريين وبعض الكاسيين. وهم أهل حضارة كانت موجودة شرق بلاد النهرين, ولكن أصولهم كانت من أواسط آسيا، وعاشت مابين تخوم بلاد النهرين وحتى الحدود الفينيقية. وهم طائفة وليسوا جنساً له طابع خاص مميز، عبارة عن مجموعات من القبائل مختلفة الأصول. ومن الصعب أن يُوضع تعريف محدد لهم. ولكن كان لهم صفات أبرزتها الآثار، وقد انحصرت مابين (أغراب، عبيد مغيرين، جوالين، أعداء أجانب، مخاطرين)[8]. وتعد موجة الكاسيين إحدى الموجات الهندية الأوربية التي غزت العراق بين 1530و1200 قبل الميلاد، تلتها موجة الميتاني، وهم الحوريون. وقد استمرت شوكة الحوريين والميتاني بين 1800

و1300 قبل الميلاد[9].

كانت تسكن الشعوب الهندو-أوربية (Indogerman) أو الآرية قبل 4000 قبل الميلاد في منطقة قريبة من شرق أوربا ما بين البحر الأسود وبحر الأورال، أي في مناطق أوراسيا[10]. ثم رحلت مجموعة منها إلى أوربا، أما الثانية فاتجهت إلى جنوب آسيا واستقرت في الهند[11]. والمجموعة التي تفرعت عنها مجموعتان, قصدتا غرب آسيا قرب كردستان. و المجموعة التي قصدت الهند افترقت عن الفرع الإيراني. وفي النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد تمكنت من الاستحواذ على الحضارة الدرافية (Dravid) أي (موهنجودارو). وانتشرت في أغلب المناطق الشمالية من الهند[12]. أما المجموعة الصغرى التي تتألف من الفرسان المحاربين الأشداء (أي الهكسوس) فاستقرت في كردستان على الجهة اليسرى من نهر الفرات ما بين نهري الخابور والبليخ، كان مشهوداً لهذه المجموعة ولعها بالفروسية, فجلبت معها الجياد (وهم نفسهم الهكسوس الذين دخلوا مصر وحكموها) أول مرة إلى الشرق الأوسط. أفلحت في بسط سيطرتها على (الحوريين-الهوريين), وتمكنت في القرن السادس قبل الميلاد من تأسيس دولة قوية عُرفت بالدولة الميتانية[13]. والمجموعة الثانية استقرت في لورستان وكرمنشاه جنوب شرق كردستان حيث تمكنت أخيراً من بسط سيطرتها على بابل مزيحة سلطة حمورابي، وأسست دولة (كاردونياش) في القرن السادس عشر قبل الميلاد، ودام حكمها ما يقارب خمسمئة عام[14].



الخريطة التوضيحية من كتاب: تاريخ مملكة ميتاني الحورية

وبهذا يعدّ الحوريون من الجماعات التي تألّف منها خليط الهكسوس. وثمة اختلاف في تحديد هويتهم، فمن الكُتّاب من قال إنهم شعب ليس بالسامي ولا بالهندي-أوربي، لا يُعلم عن أصله أيّ شيء، جاؤوا من المرتفعات الواقعة شمال شرق الخصيب، بين بحيرة أوروميا وجبال زاغروس، ودخلوا في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد شمال بلاد الرافدين، ثم اتجهوا إلى سورية، وأسسوا الممالك القوية[15]. إلاّ أن غالبية المؤرخين ذكروا أن القبائل الحورية هاجرت إلى شمال غربي بلاد الرافدين، واستوطنت المناطق الواقعة في أعالي نهر الخابور، وشكلت جزءاً مما يسمى الموجة الهندو-آرية الكبرى[16]. عكس ما ذكره عبد الحميد زايد بأنه لا يعلم عن أصل الحوريين أيّ شيء! وذكر الباحث فراس السواح أن الحوريين شعب يتكلم اللغة الهندو-أوربية، بدؤوا التسرب إلى مناطق بلاد الشام الشمالية والجزيرة العليا منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، واستغلوا فترة ضعف السلطة في وادي الرافدين لتشكيل ممالكهم هناك، وأهمها مملكة "ميتاني" التي ازدهرت في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد في حوض نهر الخابور[17].

وقد ورد اسم الحوريين بصيغة (حوريم) في كتاب (العهد القديم). ولعب الحوريون دوراً مهماً في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد في نقل الحضارة إلى سورية وآسيا الصغرى[18]. ويستخلص أحد الباحثين أن الحوريين هم نتاج الاندماج الإثني والثقافي بين القبائل الآرية وأقوام زاغروس القدماء، وأن ذلك الاندماج لم يحصل في سنة أو في عقد أو عقدين من الزمان، وإنما استغرق عدّة قرون، وأن كثيراً من الصراعات والحروب نشأت بين أقوام زاغروس القدماء والوافدين الآريين الجدد، فكانت الغلبة والتفوق للوافدين نتيجة امتلاكهم الأسلحة المصنوعة من الحديد واستخدامهم الخيول في الحروب، فأصبحت السلطة بأيديهم, وأضفوا طابعهم الثقافي والسياسي والديني على التكوين الاجتماعي الجديد[19].

يعدّ بعض المؤرخين الأجانبَ الهكسوس من حكام الأسرة الخامسة عشرة في مصر, فقد كانوا من أصول غير مصرية. وهناك العديد من النظريات حول هويتهم العرقية. يصنفهم بعض علماء الآثار من الشعب السامي القادم من آسيا. وبعضهم يرى أنهم شعوب بدوية من أصول مختلفة دخلت مصر من الشرق, وأنهم أصحاب أصول آسيوية

متعددة[20].

إن ما يمكن تأكيده بالاستناد إلى الشواهد التاريخية هو أن استيلاء الهكسوس على مصر لم يكن في غارة بربرية مفاجئة كما يصفها مانيثون. فالتنقيبات الأثرية لا تشير إلى أعمال تخريب وإبادة، ولا تدل على وقوع تبدل جوهري في تكوين السكان والعادات والتقاليد والطقوس الجنائزية، بل حدث تسلل بطيء وتغلغل تاريخي. ومن المؤكد أن الغزاة الذين استولوا على مصر لم يكونوا ينتسبون إلى عِرق واحد, بل كانوا خليطاً من أقوام مختلفة من العموريين والكنعانيين، وبينهم بعض الأقوام الآسيوية الأخرى. وقد اعتاد المصريون مشاهدة أفراد أو جماعات صغيرة من هؤلاء الآسيويين يتسللون إلى وادي النيل طلباً للرزق. وكانوا يطلقون عليهم أسماء مختلفة مثل "عامو" و"ستيتيو" و"رتينو". ويقصد بها أحياناً البلاد، وأحياناً أخرى القبائل. ومن المعروف أن بلاد الشرق الأدنى تعرضت منذ الألف الثاني قبل الميلاد إلى هجمات القبائل الهندية-الأوربية من الشمال والشرق، وإلى هجرة جماعات منهم إلى الجنوب. مثل الحثيين الذين استقروا في الأناضول، ثم الكاشيين الذين استولوا على بابل وحكموها أكثر من خمسة قرون (1700 – 1175 ق.م.). والكاشيون هم جماعات جبلية سكنت غرب إيران، واستوطنت الجزء الأوسط من جبال زاغروس في جنوب همدان، ويسمى الآن لورستان. ظهرت طلائعهم الأولى في أراضي سومر وأكاد. وللكاشيين صلة بعناصر المحاربين الهندو-أوربيين الذين قدموا من الشرق. وعلى إثر ذلك أنشأ الكاشيون مملكة قوية, عرفت باسم الدولة الكاشية أو مملكة بابل الثالثة التي استمر حكمها 433 عاماً، أي بين الفترة (1595 – 1162 ق.م.)[21]. أما الحوريون فقد أسسوا فيما بعد مملكة "ميتاني" في شمال ما بين النهرين. ويبدو أن موجات من هؤلاء المهاجرين بلغت سورية وفلسطين، ودفعت قسماً من سكان هذه البلاد الذين احتفظوا بهم إلى دخول مصر معهم.

لقد استفادت جماعات الهكسوس التي تسللت واستقرت في مختلف أنحاء الدلتا الشرقية من ضعف حكم السلالة الرابعة عشرة (1786 – 1213 ق.م.)، فاستولت على موقع المدينة القديمة (حت – وعرة = آواريس) في الدلتا الشرقية. وكان هناك معبد للإله "سيت"، فأعاد الهكسوس بناءه وتوسيعه سنة 1720ق.م. كما اتفق عليه

الباحثون في التاريخ القديم، لأن الهكسوس رأوا في هذا الإله المصري القديم، وهو أخ وعدو لأوزيرس، تجسيدا للإله "بعل" أو "رشف" عند الساميين، وأخذوا يهتمون بطقوس عبادة "سيت" أو "سوتخ"، ويعملون على تطويرها.

وبعد الاستقرار في أواريس استولى الهكسوس تدريجياً على أكثر مقاطعات الدلتا. واستطاعوا بعد ستة وأربعين سنة أن يدخلوا العاصمة ممفيس 1674 ق.م. وأن يُجلسوا على العرش واحداً من زعمائهم, سماه مانيثون "ساليتيس" أي (شيشي) [22]. وقد جاء ذكره في بردية "تورينو" باسم "ماي ايب رع شيشي". ومع هذا الملك بدأ حكم السلالة الخامسة عشرة؛ إذ عدّ الهكسوس أنفسهم الملوك الشرعيين منذ ذلك التاريخ وبسطوا سلطانهم على بلاد مصر كلها (مانيثون). وكان بعض هؤلاء الحكام يطلقون على أنفسهم لقب "ملك الشمال والجنوب"، وآخرون لقب "حقا –خاسوت" أو لقب "الإله إيطب" أو لقب "ابن الشمس". وضمت الأسرة الخامسة عشرة (1674 – 1567 ق.م.) ملوكاً اصطُلح على تسميتهم الهكسوس الكبار، في حين أُطلق على الأمراء الآخرين الذين كانوا يحكمون في الوقت ذاته بعض المقاطعات اسم الهكسوس الصغار.

لم يفرق بعض المؤرخين بين الهكسوس وبني إسرائيل بوصفهما قومين مختلفين، إلاّ أن طرد كل منهما من مصر يظهر أنهما قومان مختلفان. وهذا ما أوصل بعض المؤرخين إلى قناعة بأن بني إسرائيل لم يكونوا من حشود الهكسوس, وإنما كانوا قبائل مسالمة دخلت مصر نحو 1650 قبل الميلاد، متسللة من شرق سيناء إلى مصر أيام حكم الهكسوس لمصر، وأقاموا فيها كجالية, وعاشوا في كنفهم وفي خدمتهم في شرق الدلتا، ولم يرحل بنو إسرائيل عن مصر مع الهكسوس المطرودين 1567 قبل الميلاد، بل ظلوا في البلاد نصف متمردين, ومتمركزين أساساً في شرق الدلتا حيث كانت (آفاريس) عاصمة الهكسوس القديمة، بحجة أنهم غرباء يزاولون شؤون معاشهم ولا صلة لهم بالغزاة الهكسوس[23]. ويبدو أن "عزيز" مصر الذي أصبح يوسف بن يعقوب في بلاطه وزير خزانته, وأبت عليه عفته أن يسقط في غواية "امرأة العزيز" (زليخة)؛ لم يكن سوى ملك الهكسوس "أسيس Assis" أو كرتوس Kertos (ساليتس) الذي ورد ذكره في مانيتون وفي بردية تورين[24].

كان الهكسوس بعض الحوريين وبعض الكاسيين. وهم حضارات كانت موجودة شرق بلاد الرافدين، ولكن أصولهم من أواسط آسيا. وعاشت ما بين تخوم بلاد الرافدين وحتى الحدود الفينيقية. وهم طائفة وليسوا جنساً له طابع خاص مميز، عبارة عن مجموعات من القبائل مختلفة الأصول[25]. فالهكسوس لم يكونوا قبيلة واحدة بل خليطاً من القبائل المتقاربة من ناحية القرابة والعبادات، وهم الكاشيون الحوريون الميتانيون والحيثيون.

فالهكسوس، إذن، ليسوا بني إسرائيل وإنما بنو إسرائيل كانوا على الأرجح قبائل دخلت مصر تحت جناح الهكسوس، ثم طردوا من مصر بعد رحيل الهكسوس بقرون. ولعل بني إسرائيل هم قبائل (العمو26)(Ammou) التي يرد ذكرها مع "الخازو" أو الهكسوس في النقوش المصرية القديمة، وكانت متمركزة معهم في شرق الدلتا بصفة أساسية مع جيوب هنا وهناك أكثرها في مصر الوسطى[27].

وكان المصريون القدماء يطلقون اسم (العامو) أو (العامو ليق) على شعب الهكسوس البدوي. وطبقاً للنقوش الآرامية فإن (العماليق) كانوا بدويين قاطنين في بلاد الشام والعراق، نزحوا إلى مصر تحت ضغط الحثيين واستطاعوا حكمها.

وأطلقت المدوّنات السومرية على العماليق (الهكسوس) اسم أمورو أو أَمُورُّم Amurrum (الأموريين) أي الغربيين أو أهل الغرب, حيث كانوا بدوؤا يتجولون في أواسط بلاد الرافدين وجنوبها. وهناك رأي يقول إن أهل الغرب قد يكونون الآريين شعب إيران أو شعوب أخرى.

كما ورد ذكر العماليق في المدونات العراقية في الألف الثالث قبل الميلاد. وأطلق الأكاديون عليهم اسم عمورو. وثمة دلائل تشير إلى ازدياد عددهم واشتداد خطرهم على بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد، منها أن الملك شوسين ملك أور أقام حصناً ليحمي البلاد من هجماتهم. وقد كان العماليق في نظر سكان العراق أقواماً بدوية غير مستقرة تتصف بخشونة الطبع، وقد وصفته أسطورة سومرية: إن السلاح رفيقه, ولا يخضع ويأكل اللحم نيئاً, ولا يمتلك بيتاً طوال حياته, ولا يدفن في قبر بعد موته[28]. يكشف ما ورد أعلاه أن الهكسوس ليسوا أكديين ولا من المجموعات السامية، حتى أن تسميتهم بـ "عمو- عموريين" أي الغربيين هي صفة وليست تعريفاً إثنياً

لمجموعة بشرية.

جنّدت مملكة بابل الأولى العماليق, ووزّعت عليهم مساحات من الأراضي مكافأة لهم وتشجيعاً لغيرهم. وكانت السلالة الحاكمة في بابل من العماليق العموريين أسرة حمورابي. تذكر الكتب والمراجع العربية ومصادر التراث والتاريخ الإسلامي أن العماليق حكموا أرض مصر. وقد عدّهم ابن خلدون من العرب القدماء, فيقول في كتابه: فـ (عاد) و(ثمود) و (العماليق) وأميم وجاسم وعبيل وجديس وطسم هم العرب. إلاّ أن العالِم لويس عوض يذكر أن آماليك (العماليق) ومنهم "بنو جرهم" كانوا يسكنون مكة (ملكاى Malichae)، وهم (الهكسوس) أو الملوك الرعاة، طردوا من مصر، واستوطنوا الحجاز، واتخذوا مكة عاصمة لهم. ويضيف: "ربما الكاسيون فرع من الهكسوس، ولغتهم كانت لغة ميدية سكيذية Med-Scythie، وهي أحد فروع المجموعة الهندية الأوربية.

كما يعدّ د. العوض (العاد) أو (ختي khatti) جيلاً من أجيال الهكسوس. ويذهب إلى أن تبويب القواعد الفونطيقية في العربية ومواجهتها بنظائرها في مجموعة اللغات الهندية الأوربية هما الخطوتان الأوليتان نحو أية دراسة علمية لنشأة القبائل العربية وتطورها منذ انبثقت من مهدها القوقازي الأول حتى توحدت تحت لواء قريش، ويضيف: ربما كشفت لنا دراسة هذه القوانين والقواعد الفونطيقية عن حقيقة علاقة العرب بأهل سكيذيا ((Scythia وأهل سيميريا (Cimmeria) وأهل سارمارتيا (Sarmatia) الأولين الذين كانوا يفيضون من جبال القوقاز وسهوب قزوين والبحر الأسود[29].

أما شبه جزيرة العرب أو الهلال الخصيب والتراكمات السلالية فيهما، ففيه من تعقيدات التكوين اللغوي بما فيه الكفاية، كما يقول د. عوض، بما يكفي أن نقرر أنه من الثابت أن القبائل الآسية Asianiques)) المنحدرة إلى الهلال الخصيب من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أياً كان منبعها وأياً كان تكوينها الأنثروبولوجي، كانت تتكلم لغة ميدية سكيذية، وهي أحد فروع المجموعة الهندية الأوربية. ربما نزلت موجات منها في شبه الجزيرة، ونزلت موجات أخرى الهلال الخصيب. و ليس هناك ما يمنع، كما يقول د. عوض، أن تكون

الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية سواء في الهلال الخصيب أم في شبه الجزيرة، هي في حقيقتها موجات تعاقبت في عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة(30).

ويقول المؤرخ الطبري: عمليق أبو العماليق، ومنهم البربر. وهم بنو ثميلا بن مار بن فاران بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح. كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان منهم أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل العراق وأهل الشام وأهل مصر؛ ومنهم كانت الجبابرة في الشام الذين يُقال لهم الكنعانيون. ويقال: إن عمليق أول من تكلّم اللغة العربية حين ظَعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم: العرب العاربة(31).

وقد غزا الهكسوس (العماليق) مصر مرتين، الأولى فى نهاية عصر الدولة القديمة ودخول مصر عصر الاضمحلال الأول. وكانت نهاية حكمهم بعد حكم سبعة ملوك (وقيل خمسة). كانت نهايتهم الغرق فى خليج السويس بعد مطاردة ملكهم الطاغية فرعون لموسى وبني إسرائيل.

إن "العماليق" حسب الكثير من المصادر التاريخية هم قبيلة أو مجموعة إثنية من سكان آسيا القاطنين في المنطقة الواقعة بين جبل جودي وهكار وآرارات، أو تلك المجموعات التي كانت تسكن المنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود. رحلوا لأسباب نجهلها مع قطعان ماشيتهم ودوابهم باتجاه الجنوب الى أن وصلوا أرض مصر سنة 1788 قبل الميلاد، وحكموا مصر مدة 153 سنة، وقسم آخر يقول 238 عاماً. وعرفوا باسم (الهكسوس). وعندما تمكن الفراعنة من القضاء على حكمهم، ترك (الهكسوس) والإسرائيليون (العبرانيون) اليهود بقيادة موسى أرض مصر، متجهين صوب شبه جزيرة سيناء ومن بعدها الى أرض آدوم, ثم إلى المنطقة المسماة الشام (كنعان، فلسطين، لبنان، وسورية) حيث سكنوا فيها.

الهكسوس لغة واصطلاحاً:

أطلق المؤرخ المصري مانيثون (في القرن الثالث قبل الميلاد) على الحكام الآسيويين الذين سيطروا على مصر من سنة 1730 حتى سنة 1520 ق.م. تقريباً اسم الهكسوس.

ويجمع العلماء المصريون على أن كلمة (هكسوس) هي صيغة يونانية من اسم (حكاخاسوت) أو (حكاخازوت Heqa Khassout) من النقوش المصرية القديمة التي

تشير إلى الهكسوس الغزاة, ويفهم على أنه يعني (الحكام الأجانب)[32]. وقد أطلق هذا الاسم على الحكام البدو الآسيويين القادمين من مناطق أرمينيا كما تذكر بعض المصادر. والكلمة مركبة من مقطعين: (هيَك-هيَك بالياء المفتوحة- هَك- هاك= بمعنى الملك المقدس) + (سوَس بالواو المفتوحة- سوس= بمعنى الراعي).

ويطلق اسم الهكسوس عادة على حكام البدو الآسيويين كما يفهم من بردية تورين. ويرد الاسم في النصوص المصرية القديمة في صورة (خازو) أو (خاسو Khasaou) من (الغز) المصرية ومادة (غزا- يغزو) العربية[33]

وهنالك من يرى أن كلمة "هكسوس" ليست (آرية) ولا(سامية)، وإنما حُرِّفت عن الكلمة المصرية القديمة المركَّبة: "حقاو- خاسوت"، بمعنى:(حكام البلاد الأجنبية).

ويرجع لقب "حقا – خاست" (فى صيغة المفرد) إلى عصر سابق لعصر "الهكسوس"، وبالتحديد عصر الأسرة الثانية عشرة، فقد أطلقه المصريون على بعض الآسيويين الذيَن قدموا إلى مصر في هذه الفترة بغرض الزيارة.

(هك - سوس) = (هك = حق؛ سوس = حصان) = (حق الحصان) = (مالك الحصان) = (ملوك الخيل)

ويقول كاتب آخر إن هكسوس هم (هاي سن), أي حثيون من مناطق إبراهيم الخليل, لكن عاصمتهم كانت (حاتشوه) قرب أنقرة اليوم[34]. ومن جانب آخر، إذا أمعنا النظر في كلمة (خاسو) نرى فيها صورة (كاسو) التي تشير إلى الشعب الكاسي أو الكاشي، خاصة إذا حوّلنا الحرف الصوتي (خاء) إلى (كاف). وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم ضمن العلاقة بين (كاشي، قيس، قريش).

وكان يُطلق على هؤلاء القوم اسم "الهكسوس" يعني الملوك الرعاة، لأن كلمة "هيك" في اللغة المقدسة تعني الملك. وكلمة "سوس" يقصد بها في اللغة العامية الراعي. ومن اجتماع الكلمتين تألف اسم "الهكسوس"[35].

إذا كانت كلمة "هكا" تفيد (حقاً) في اللغة المصرية القديمة الرئيس أو الأمير, فإن الكلمة الثانية "سوس" لا ترجع في الأصل إلى "شاسو" أي البدو أو الرعاة، بل هي مختصرة من كلمة "خاسوت" التي تعني البلاد الأجنبية؛ ولذلك يتفق الباحثون في تاريخ مصر على أن كلمة "هكسوس" تعني حكام البلاد الأجنبية.

وترد كلمة (العماليق) كثيراً في النقوش والكتابات الآرامية في حضارات بلاد الشام والعراق وأيضاً في التوراة اليهودية. وفسّر علماء الآثار معنى كلمة (عماليق) على أنها تعني (جنود البدو): عمو (بدوي) + ليق أو لاق (جندي)[36].

ولم يترك العماليق نصوصاً أو كتابات بلغتهم، والسبب في ذلك هو أنهم كانوا بدويين عند دخولهم مدن بلاد الرافدين والشام, لا يعرفون القراءة والكتابة.

فهل (الراعي) معناه (صاحب، مالك، ربّ) أم (راعي الأغنام والأبقار)؟ يُفهم من التفسير الأول أن (هكسوس) يأتي بمعنى (ملك الملوك)؛ أما التفسير الثاني فيترجم (ملوك الرعاة). يميل المؤرخون إلى التفسير الثاني (ملوك الرعاة)؛ فالمجموعة القادمة من الشمال (أرمينيا) كانوا أصحاب قطعان الماشية والأبقار والخيول، ومن أوائل المجموعات التي أوصلت العربات التي تجرها الأحصنة إلى مصر. بمعنى أنهم كانوا شعباً متحضراً وليس همجياً.

مع أن الهكسوس والعبرانيين دخلوا مصر معاً، لكنهم كانوا مجموعتين مختلفتين. وما يلفت الانتباه أيضاً أن (نوح و أبراهام/إبراهيم الخليل) هما من المنطقة نفسها التي قدم منها الهكسوس. وهم من الأقوام التي تنتمي إلى المجموعات (الهندو-أوربية، الآرية، الحورية، الميتانية، الكاسية..إلخ.). وتزامن مجيء الهكسوس مع العبرانيين مع مجيء إبراهيم الخليل هرباً من الجوع والقحط, حسب ما جاء في التوراة. "وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبراهام إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع في الأرض كان شديداً"[37] أما مجيء إبراهيم إلى مصر فكان في عام 1898ق.م.. ويقال إن إبراهيم هو من الهكسوس الذين وصلوا إلى الشام ومصر والحجاز ضمن الجزيرة المعروفة بالعربية[38]. وهنا تذكر بعض المصادر "أن العرب حين نزلوا شبه الجزيرة العربية، كان فيها سكان أصليون. منهم العماليق الذين نعرف من قصة الخروج في التوراة أنهم كانوا مستقرين في الحجاز إلى جنوب فلسطين قبل خروج بني إسرائيل. واستطعنا تحديدهم بجحافل الهكسوس المطرودين من مصر في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. لا شك أيضاً في أن الهكسوس أو "الأماليك" كما تقول التوراة قد نقلوا إلى شبه الجزيرة معتقدات المصريين الدينية ورواسب لغوية فضلاً عن

لغتهم القوقازية.."[39]. ويضيف المصدر نفسه: أن أصول العرب الإنثروبولوجية تعود إلى موجة هندية إيرانية، "فالعرب" ينتسبون إلى "إبراهيم"، وربما كان "براهما" الذي نسمع صداه في "أبراهام" أو "إبراهيم" هو "الايونيم Eponym" (اسم رمزي طوطمي لجماعة عرقية من موجة إيرانية). استقرت في "أور" عبر لورستان في إيران, ثم هاجرت إلى حرّان في عهد الكاسيين (1800ق.م.)، لتعيش في ظل هذه الأرستقراطية العسكرية التي نزلت إلى حران من القوقاز (Cauca-sus) أو سكيذيا ((Scythia, وخرج منها الأشكينازي [40](Ashkinazi).

وكان إبراهيم يعبد الإله "سن Sin" رب القمر، كما كان يعبد الإله "شداي Shaddai" إله الجبل، وبعدها ثار على عبادة قومه، ودعاهم إلى التوحيد، وهاجر غرباً إلى كنعان مع مريديه[41]. وقد استمر الجدال العنيف حول أصل إبراهيم ومسقط رأسه، فالإسرائيليون يرون في إبراهيم أباهم الأول. ويقول العرب إن إبراهيم الخليل عاش في عصر عربي قائم بذاته, ليس له صلة بعصر موسى وقومه[42].

مكة- (ملكاي Malichai) أي موطن "أماليك" أو "عماليق" المذكورة في التوراة، وهي صيغة مجزوءة من "ماهليك Mahlik" الحامية. كان يسكن مكة قبل الإسلام "العماليق" ومنهم بنو جرهم. كما ورد في بطليموس أيضاً، مكة (ملكاي) أو موطن "أماليك" أو العماليق المذكورة في التوراة. ومن هذا يستخلص أن الهكسوس أو ملوك الرعاة عندما طردوا من مصر توجهوا شرقاً وجنوباً. وتقول المصادر إنهم اختفوا من مسرح التاريخ. هذا الاختفاء يمكن أن يكون سياسياً، لكنه غير ممكن بشرياً لحشود بشرية أتيح لها أن تخضع المصريين أكثر من قرنين، فلا بد أنها قد استقرت في مكان آخر خالٍ، تنشئ فيه مضاربها، أو مكان آخر مأهول تختلط فيه مع السكان الأصليين[43]. ومن خلال تتبع أسماء الأعلام والأماكن والمدن وأسماء القبائل والشعوب والأبطال التاريخيين والأسطوريين.. إلخ. ومن خلال علم الفونطيق وتداخل علم اللغة مع علم الأجناس؛ يصل عالِم اللغويات (لويس عوض) إلى العديد من الاستنتاجات منها: إن ملك الهكسوس (حمودي-خمودي Khamodi) الذي ورد ذكره في بردية تورين، فيه العناصر

الفونطيقية في اسم (ثمود). ويبدو أن ثمود التي ازدهرت في القرن الثاني قبل الميلاد في شمال الحجاز كانت مدينة أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر. وكان للمدينة بعض الشأن نحو ثمانية قرون قبل الإسلام، ثم أهلكها الله كما أهلك (عاد) حسب ما جاء في القرآن[44]. ويذهب العالِم نفسه إلى القول إن من حقنا وفق المنهج ذاته أن نشتبه في أن (الحجاز) كانت المنطقة التي لجأ إليها الحكاخازو ""Heqa Khasou" أو الهكسوس بعد طردهم من مصر. ودعماً لما ذهب إليه العالِم لويس عوض في أن الهكسوس لم يختفوا من مسرح التاريخ بعد طردهم من مصر، فإن الإيزيديين الحاليين يحتفظون حتى وقتنا الحاضر بالعديد من أسماء الهكسوس، على سبيل المثال لا الحصر:

(ختي و آد/آدي) المحرّف من (عاد/عادي), كان جيلاً من أجيال الهكسوس, وقد جاء ذكره في القرآن. (سيسي أو شيشي/ساليتس) أحدَ ملوك الهكسوس. (حمو أو خمو Khamoudi) أحد ملوك الهكسوس، وفيه العناصر الفونطيقية لاسم مدينة (ثمود) التي أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر في شمال الحجاز، وكان لها شأن نحو ثمانية قرون قبل مجيء الإسلام. (قاسو و كاسو) محرّف من خاسو أو خازو. (كاشو/كاشي) الصيغة المصرية القديمة للهكسوس. (قورتاس) محرّف من اسم كيرتوس أحد ملوك الهكسوس. (قريش) محرّف من (كيش) المدينة السومرية. (عماليق) تحريف (أماليك)، زمنهم بنو جرهم كانوا يسكنون مكة (ملكاي Malichae) وهم الهكسوس. (عزيز) هو أسيس (As-sis) ملك الكهسوس. هذه الأسماء والكثير غيرها يحتفظ بها الموروث الثقافي والنصوص الدينية الإيزيدية.

فالهكسوس، حسب رأي الدكتور لويس عوض، لم يأتوا إلى مصر من الحجاز ومن شبه جزيرة العرب, وإنما استقروا فيها بعد طردهم من مصر. أما المنبع البشري الذي تدفقوا منه إلى الشرق القديم ثم عبروا إلى مصر سواء على مراحل أم دفعة واحدة، فهو بحسب تقدير الكثير من علماء الآثار والتاريخ القديم المستودع البشري نفسه المعروف في عصر الهجرات العظيمة حول بحر قزوين. وربما كان هذا المنبع ذاته مجرد محطة وسطى استقروا فيها زمناً منذ هجرتهم من وسط

آسيا شأن كافة القبائل التي تسمى آرية وطورانية وسامية[45]. والهكسوس ليسوا بني إسرائيل، كما قال الكاتب اليهودي يوسفيوس، وإنما بنو إسرائيل كانوا على الأرجح قبائل دخلت مصر تحت جناح الهكسوس وعاشت في كنفهم، ثم طردت من مصر بعد رحيل الكهسوس بقرون أو ربما طُردت معهم أيام أحمس, ثم استجدت العودة أيام تحتمس الثالث. ولعل بني إسرائيل هم قبائل (العمو Am-mou) التي ذُكرت مع (الخازو) أو الهكسوس في النقوش المصرية القديمة.

النبي إبراهيم

يجب أن نقرّ بعدم وجود أسانيد مادية حول قصة شخصية إبراهيم، ولم يحصل علماء الآثار على أية معرفة تاريخية عن الآباء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)[46]. وكَتَبَ (ت.ل. تومبسون) في عام 1974: إن مسألة البحث عن إبراهيم التاريخي عملاً غير مجدٍ وغير مثمرٍ بصورة أساسية؛ فالقصة لا تزيد عن كونها تراثاً أدبياً تتداوله الديانات الثلاثة (اليهودية، المسيحية، والإسلام)[47]. ولا يقبل فكر هذه الديانات مجرد افتراض أن تكون قصة إبراهيم مؤلفة من الخيال، وليس لديهم أي شك في صدقها وصحتها بعد ورودها في كتبهم ونصوصهم الدينية. فنحن هنا ننطلق مما دُوّن في كتاب العهد القديم (التوراة) الذي كُتِبَ بعد إبراهيم بخمسمئة عام، يليه كتاب العهد الجديد (الإنجيل) والقرآن والنصوص الدينية الإيزيدية.

ينقسم الدارسون بشأن النبي إبراهيم سواء أكان شخصية أسطورية مؤلفة من الخيال أم شخصية حقيقية إلى قسمين أو أكثر؛ إذ يتفق معظم الدارسين تقريباً على أن شخصيته بزغت في وادي الرافدين الذراع الأعلى من الهلال الخصيب. وهناك من يربط بزوغه بآسيا الصغرى وخاصة منطقة آرارات وبحيرة وان قبل 1800 قبل الميلاد. وعلماء التاريخ أخذوا ما جاء في سفر التكوين في كون عائلة إبراهيم عاشت في (أور الكلدانيين) بصورة حرفية، وذهبوا باحثين عن (أور). علماً أن المفسرين حديثاً أخذوا الكلمة بصورة إيتومولوجية (إعادة الكلمة إلى أصلها ومعرفة معناها)، مع ملاحظة أن كلمة (أور) في العبرانية تعني (نار أو لهيب)[48]. وهذا ما سأتناوله بشيء من التفصيل في أماكن متعددة من هذا الكتاب.

مدينة أور..معبد الإله سين..ومولد إبراهيم الخليل[49] !

أنقل هنا مشاهداتي الميدانية والمعلومات المتوفرة عن مدينة أور الأثرية. ذلك الصرح الحضاري العظيم الذي نَقَل للعالم من عمق تاريخ الشرق القديم الحرف والفكر والشرائع، وأسس الفلك وطرق الري وتطوير الزراعة، وفن العمارة، واستعمال المعادن، واستخدام القار في البناء بدلاً من الإسمنت في وقتنا الحالي.

شيء عن مدينة أور الأثرية:

لمدينة أور مكانة بارزة في تاريخ الحضارة الإنسانية. ولها شهرتها بوصفها عاصمة سومرية، ساهمت في مختلف المراحل التاريخية، ومرت بثلاثة أدوار مهمة:

1 - العبيد(4000 ق.م.): استخدم سكانها السومريون الأوائل مبادئ الري الأولى وطوروا الزراعة واستعملوا المعادن.

2 - جمدت نصر(2600 ق.م.): تحسنت في عهده أمور كثيرة، ومنها النحت على الأختام وفن العمارة.

3 - عصر فجر السلالات (2800 - 2400 ق.م.): تعكس نماذج القصور والمعابد والمقابرالتي بنيت في هذا العصر ما وصل إليه سكانها من العمل الراقي، فقد استبطت العديد من الأشكال والأعمال ومنها القوس. و من أشهر السلالات الحاكمة في تلك المرحلة أور الثالثة 2113 - 2006 سنة ق.م. مؤسسها (أورنمو) الذي اعتمد على الكثير من الأمور في وقته مثل اللغة, وخلّف إمبراطورية واسعة، شملت أجزاء كبيرة من الشرق الأدنى وعيلام والخليج وآسيا الصغرى. ولهذا عاشت أور عصرها الذهبي فأصبحت قبلة الشرق القديم والعاصمة السياسية والدينية للدولة السومرية الواسعة الأطراف والموحدة الجوانب. وساعدت نتائج التنقيبات الآثارية العلمية المنظمة في معرفة الكثير عن تلك الحقبة الزمنية وما تحتويه من مستوطنات ومراكز تجارية. واحتفظت مدينة أور بمعالمها وآثارها العظيمة رغم الظروف القاسية والطبيعية، حيث تحتوي ضمن حدودها حرم المدينة المقدسة الذي يضم جميع المعابد الكبرى التي بنيت من اللبن والطين, واتخذت شكلاً مستطيلاً. ومن أبرز المعالم والشواخص القائمة وسط المدينة: الحي المقدس، المقبرة الملكية، مدافن الملوك، سلالة أور الثالثة، الأحياء السكنية، وقصور أطراف المدينة.

وهناك مخطط عام لمدينة أور ومعالمها البارزة بالشكل التالي:

1 - البوابة الشمالية. 2 - بقايا سور المدينة. 3 - قصر من زمن نبونائيد.4 - معبد من زمن نبوخذ نصر. 5 - حي المعابد. 6 - الزقورة. 7 - معبد ننار. 8 - معبد نمتاخ. 9 - معبد دب لال ماخ. 10 - معبد ننكال.

البرج المدرج (الزقورة):

عبارة عن بناء صلد من اللبن مغلف بالآجر. زواياه الأربعة متجهة إلى الجهات الرئيسية, وهي مخصصة لعبادة إله القمر. بناه الملك أورنمو وأكمله ابنه شولكي. يقع في الناحية الشمالية الغربية من المنطقة المقدسة ويتألف من ثلاث طبقات، لم يبقَ منها إلا طبقتان فقط. أصل الزقورة هو بناء معبد على مصطبة اصطناعية ثم بعدت المصاطب وازداد ارتفاعها. وهذا النمط من البناء ميزة لعمارة حضارة وادي الرافدين.

- الطبقة الأولى: أبعادها (43 x 62,5 م) وارتفاعها 11م.

- الطبقة الثانية: أبعادها (26x36م) وارتفاعها 5,35 م عن الطبقة الأولى.

- أبعاد الطبقة الثالثة (11x20م) وارتفاعها 2,80م، ويقدر ارتفاع المعبد العالي غير الموجود (5,55 م), والارتفاع الحالي للبرج (17,25م), في حين يقدر الارتفاع الأصلي بـ (26م).

توجد ظاهرة هندسية في بناء الزقورة هي ميلان الجدران للداخل, وهي ظاهرة تعرف بـ (السبط)؛ وهذا يكسبها ارتفاعاً وامتداداً في جدرانها وهيبة وفخامة. جدران الزقورة مزينة بطلعات ودخلات. وهي صيغة معمارية لتقوية الجدران وذات عنصر جمالي. وتوجد تقوب مستطيلة تصل إلى أعماق الزقورة تساعد في تجفيف الماء المتسرب إلى داخل الهيكل.

للزقورة ثلاثة سلالم؛ الأوسط يرتقي مباشرة إلى المعبد العلوي, ويلتقي السلمان الجانبيان بالسلم الوسطي بصحن, فيه سلمان صغيران للنزول إلى سطح الطبقة الأولى. يبلغ ارتفاع السلم الوسطي 28 متراً وعدد درجاته 93 درجةً. يوجد على جانبي السلم الوسطي برجان, بُنيا بأسلوب هندسي بديع.

قصر شولكي:

يقع في الزاوية الجنوبية من الساحة المقدسة إلى الجنوب الشرقي من الزقورة. جاء اسمه في الألواح السومرية بصيغة (اي-خور-ساك) ومعناها (بيت رأس الجبل). ويتميز بجدران ضخمة مشيّدة بالآجر والقار. والقصر مربع الشكل طول ضلعه (55م), وتكثر فيه المرافق والممرات مع ساحة وسطية واسعة يلتقي فيها العدد الأكبر من مداخل الغرف الأخرى.

معبد دب-لال-ماخ:

معبد صغير يقع على سور الزقورة في الزاوية الشرقية التي تقابل الزقورة. أما بالنسبة إلى تسميته بهذا المصطلح (dub-la-mah) فيعني (المصطبة الشامخة التي يشاد عليها البناء).

يتألف من غرفتين, أحدهما داخلية وتكون أعلى من الأخرى وهي خلوة الآلهة. وقد كان في الأصل مدخلاً إلى الممر المؤدي إلى معبد إله القمر فوق الزقورة, وصار معبداً عن طريق سد المدخل بجدار خلفي ثم أقيم جداران متقاطعان, فأصبح فيه غرفتان خارجيتان (فسحة أمام الخلوة) ثم الداخلية, وهي (خلوة الآلهة) نصل إليها بوساطة سلم.

ومن تحريات (وولي) في هذا البناء أنه مشيد على أنقاض معبد قديم, أجره مختوم باسم الملك (كوريكالزو).

قانون أور نمو:

هو مؤسس سلالة أور الثالثة (2113 - 2095 ق.م.). وقوانين أورنمو-حسب الباحثين- هي أقدم النصوص القانونية المكتشفة في الفترة (2095 ق.م.) من حكمه في مدينة نفر. عالجت شريعة أورنمو المكونة من إحدى عشرة مادة عدداً من حقوق المرأة المتزوجة والمطلقة، ومسألة الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث ومعالجات لأحوال العبيد. كما أنه وطد أمر العدالة ورفع الظلم..إلخ. لُقّب بـ (منظم العدالة) في سومر وأكد. أما ابنه آوشكي فلقّب بملك العدالة.

ملاحظات إضافية:

* على بعد خمسين متراً تقريباً شرقي قصر شولكي، توجد المقبرة الملكية شمالاً ومقبرة العامة جنوباً، وبين المقبرتين اكتشفت (القيثارة الذهبية) مع بقايا عظام 6-7 أشخاص. يعتقد أنهم كانوا من الفرقة الغنائية التابعة للملك والملكة, ودفنوا أحياء مع دفن الملك.

* على بعد أكثر من مئة متر وفي الجنوب الشرقي تقريباً من المقبرة الملكية, ثمة بقايا آثار بيت يُظن أنه مكان ولادة (إبراهيم الخليل). لم نتمكن من الوصول إليه بسبب التنقيبات التي كانت تجري فيه. لكن السؤال: هل فعلاً تعد مدينة (أور) السومرية التي نتحدث عنها مكان ولادة النبي إبراهيم؟ إذ تتفق الروايات الإسلامية مع روايات التوراة في خروج النبي إبراهيم من بلاد الرافدين. وتحدد التوراة مركز انطلاقه من مدينة (أور الكلدانيين) بالذات. ويعرف قارئ التاريخ أن الدولة الكلدانية كانت بين عامي 625 و538 قبل الميلاد، وأن مدينة (أور السومرية) هي مدينة عريقة عراقة العراق، وتعد من أشهر حواضر الإقليم الحضاري الكبير. في حين أن الكلدانيين لا يحسبون إلا على الهامش الأخير لتلك الحضارة الكبرى[50]. فولادة النبي إبراهيم في أور رواية مشكوك فيها وتحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب.

تَعدّ الديانات الكتابية الثلاثة الكبرى التي ظهرت شرق البحر المتوسط (اليهودية والمسيحية والإسلام) النبيَ إبراهيم الأبَ الأول لأنبيائهم. فالعبرانيون يعتقدون أنه هاجر على رأس قبيلته من موطنه مدينة (أور UR) الكلدانية في العراق القديم إلى أرض كنعان حيث التقى ربه المعروف في التوراة باسم (إيل/أو إل). وإلى هذا الإله تُنسب أسماء الملائكة: عزازيل، جبرائيل، ميكائيل، إسرائيل، دردائيل، شمخائيل. ويبدو أن أصل لفظة (إله/الله) في اللغة العربية هي من كلمة (إيل/إل). وتذهب التوراة في سفر التكوين إلى أن الرب (إيل) قد اتخذ النبي إبراهيم خليلاً (خل-إيل)، ثم أقطعه ونسله من بعده أرض كنعان:

وقال الرب لإبراهيم: "ارفع عينيك وانظر إلى الموضع الذي أنت فيه، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي ترى أعطيتها لك ولنسلك إلى الأبد"[51]

لا يُعرف من الوثائق الأركيولوجية والآثارية لعلم التاريخ شيء عن النبي إبراهيم. ويقول المستر (ماير) إنه لم يعثر حتى الآن على أي دليل أثري سواء أكان كتابة أم نقشاً يقبل التفسير، أم نصاً يقبل التأويل ويمكن أن يشير إلى النبي وقصته في آثار وادي الرافدين أو وادي النيل.

وهناك من يقول إن قصة إبراهيم ورغبته الملحة في التضحية بابنه إسماعيل (بعض الروايات بإسحق)، تتشابه مع قصة (هاريشاندرا) الهندوسية الأقدم من زمن إبراهيم الخليل. لقد وردت شخصية إبراهيم في الديانات الإبراهيمية الثلاثة. وتدور أحداثها حول طلب الإله من إبراهيم التضيحة بابنه قرباناً له. وحين أراد إبراهيم القيام بذلك، نزل عليه ملاك من السماء ليكافئه على إخلاصه لمشيئة الإله. وتشابهت هذه القصة مع أسطورة (هاريشاندرا)، هذا الملك الذي أصبح مديناً لرجل حكيم يدعى (فيشواميترا)، فباع الملك زوجته وابنه, وعمل في محل حرق الجثث من أجل جمع المال، فأعجب الإله (فيشنو) بإخلاصه والتزامه بواجباته، فرقى الملك وزوجته إلى درجة الألوهية تكريماً له ولأعماله[52].

هنا تطرح أسئلة متعددة:

*هل يمكن التوفيق بين النصوص والقصص الدينية والحقائق التاريخية؟

* ما علاقة إبراهيم الخليل بالإيزيدية: هل هي علاقة عابرة أم علاقة تاريخية لها أساس فكري وعقائدي ديني؟

- من هو إبراهيم؟ هل هو الأسطورة "براهما" أم إبراهيم الإنسان الحقيقي؟!

- هل للنص الديني الإيزيدي " قول گاى وماسى" وسفر الخروج، علاقة بإبراهيم؟ الختان المشترك بين الديانتين؛ نصوص دينية إيزيدية عن إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل؛ ورود كلمات (حشم وقوريش) في النص الديني؛ مع وجود بعض المقاربات بين الديانتين الهندوسية والإيزيدية.

إذا كان النبي إبراهيم أبو الديانات الإبراهيمية (اليهودية، المسيحية، والإسلامية) هو (براهما) إله الهندوس، فما علاقته بالإيزيدية؟ وما الأساس الفكري العقائدي والتاريخي لاحتفاظ المخزون الديني الإيزيدي لكَمّ من قصص النبي إبراهيم سواء في مصر أم قصة بناء الكعبة في مكة؟ وهل تعدّ الإيزيدية النبي إبراهيم أباً لها كما هو

الحال لدى الديانات التي يطلق عليها الإبراهيمية، أم هنالك علاقة أخرى تربطهما مع بعض؟

من بين جميع المجموعات البشرية وشعوب بلاد الرافدين، مازال الإيزيديون حتى الآن يحتفظون في تقاليدهم وطقوسهم الدينية بتقديس إله الشمس وإله القمر (سين) أو (سن) ويطلقون عليه (ملك سن). كما يحتفل الإيزيديون بعيد (أكيتو) الذي يمثل رأس السنة الجديدة (سرسال Sarsal) الذي يصادف الأربعاء الأول من شهر نيسان بالتوقيت الشمسي (يتأخر 13 يوماً عن التاريخ الميلادي)، ويحرم الزواج وحراثة الأرض في هذا الشهر[53].

يعود قسم آخر بأصله إلى مدينة نمرود شمال شرق مدينة الموصل التي ما زالت آثار قلعتها شاخصة حتى هذا اليوم. ويقول كاتب إن إبراهيم الخليل من مواليد أورفا/ حرّان المركز الرئيسي للقسم الحوري من الأمة السومرية، ويقدر ميلاده عام 2000 قبل الميلاد. وكان ملك حرّان حينها نمرود بن كنعان[54]. ويضيف الكاتب نفسه: هاجر إبراهيم الخليل نحو أورشليم عبر حلب ودمشق وحوران وصولاً إلى أورشليم، و كان في أورشليم 12 قبيلة حورية وحثية, هما فخذا الأمة السومرية، ويقول: كان إبراهيم حورياً, والكاهن صادق كان حثياً. وفي تلك الأعوام حدث قحط في أورشليم، فقصد إبراهيم فرعون مصر الذي كان من الهكسوس. والهكسوس، كما يقول الكاتب، هم (هاي سن) أي حثيون من مناطق إبراهيم نفسها, لكن عاصمتهم كانت (حاتشوه) قرب أنقرة اليوم[55]. ودخل إبراهيم مصر عام 1780 ق.م. مع بداية حكم الهكسوس لمصر. ويقول المؤرخ فيليب فاراداي Phillip R. Varaday Sr)) إن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة. كما يتفق أيضاً مع بعض المؤرخين على أن هناك علاقة وثيقة بين حكام الهكسوس وتسهيل دخول العبرانيين إلى مصر واستقرارهم فيها. كما يتفق مع ما ورد في كتاب نايت ولوماس (Knight & Lomas) من أن إبراهيم كان من الهكسوس، وأنه وصل مصر عام 1780 ق.م.[56] لكن رغم اتفاق القصة التوراتية مع قصص الإخباريين المسلمين حول موطن النبي إبراهيم الأصلي التي تقول: إنه هاجر من موطنه الأصلي في بلاد الرافدين إلى فلسطين، وإنه زار مصر زيارة مهمة وخطيرة؛ فإنه لم يُعثر حتى الآن على أي دليل آثري سواء أكان كتابة أم

نقشاً يقبل التفسير، أم نصوصاً تقبل التأويل يمكن أن تشير إلى النبي وقصته سواء في آثار وادي النيل أم في آثار وادي الرافدين، على كثرة ما اكتشف فيهما من تفاصيل ووثائق[57].

وعدم معرفة التاريخ بهذا النبي، رغم حضوره الكثيف ودوره في الديانات الثلاثة، دفع بعض الباحثين إلى عدّه شخصية أسطورية لا تمت إلى علم التاريخ بصلة، وأن جميع القصص المنسوجة حوله ماهي إلاّ قصص خرافية وأساطيركانت متداولة قبل التوراة في القصص الأسطوري لبلاد كنعان ولشخصيات إلهية من عبادات قديمة، وعندما جاء العبرانيون إلى هذه الأرض ورثوا معها تراثها، فوجد هذا التراث طريقه إلى التدوين في التوراة كقصص أنبياء بني إسرائيل. وذهب آخرون بشأن النبي إبراهيم إلى أن العبريين قد تبنوا أسطورة باسم (براما). أصلها من عقيدة (براهما) الهندية، كانت واسعة الانتشار في بلاد إيران والهند وما حولها، وحوّلوها إلى شخصية إنسانية، واحتسبوا (براما) جدهم البعيد، تأسيساً على منهج التدين القديم القائم على تقديس الأسلاف[58].

وبهذا الصدد يضيف د. لويس عوض: ربما كان "براهما" الذي نسمع صداه في "إبراهام" أو "إبراهيم" هو "الايونيم Eponym القومي، اسم رمزي طوطمي لموجة عرقية هندية إيرانية استقرت في "أور" عبر لورستان في إيران, ثم هاجرت إلى حرّان في عهد الكاسيين (Kassites (1800 ق.م.)، لتعيش في ظل هذه الأرستقراطية العسكرية التي نزلت إلى حرّان من القوقاز (Casicasus) أو سكيذيا (Scythia) وخرج منها الأشكينازي (Ashkinazi). وكان إبراهيم يعبد الإله "سن Sin" رب القمر. وكان اسم الإله الذي عبده إبراهيم هو "شداي Shaddai" أي إله الجبل[59].

تقرّ أغلب المصادر تقريباً، أن النبي إبراهيم ليس عربياً. ويعرف الجميع كيف جاء إبراهيم مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى وادي مكة وتركهم هناك. ولسنا هنا في حاجة إلى ذكر القصة لأنها معروفة تقريباً لدى الجميع.

ويقول بعض الكُتاب العرب: إن أصل إبراهيم الخليل من بابل بالعراق. تكاثروا في مكة وانتشروا في الحجاز. ومن ثم أصبحت أرض الحجاز منبع العدنانيين المتدفق. وسأل رجل الإمام علي بن أبي طالب عن أصل قريش فأجابه بقوله: "نحن قومٍ من

كوثا". و(كوثا/أو كوثاريا) المقصود بها بابل القديمة. ويتفق الرواة العرب على أن (العرب) ينقسمون إلى قسمين: قحطانية منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز. وهم متفقون أيضاً على أن القحطانية عرب عاربة، وأن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتساباً؛ كانوا يتكلمون لغة أخرى غير العربية (كلدانية أو مصرية قديمة أو غيرها)، ثم تعلموا لغة العرب العاربة؛ فمُحيت لغتهم الأولى من صدورهم, وثبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة. وهم متفقون على أن هذه العدنانية المستعربة يتصل نسبها بإسماعيل بن إبراهيم. عدنان بن أدد الذي يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. يدعى أبناؤه بالعدنانيين أو النزاريين أو المعديين أو العرب الشماليين[60]. وهم يروون حديثاً يتخذونه أساساً لكل هذه النظرية، أن أول من تكلم بالعربية ونسى لغة أبيه (أمه) إسماعيل بن إبراهيم.[61] إلا أن للتاريخ وعلم اللغة حقائق أخرى غير ذلك، وهي أن الجزيرة المعروفة اليوم بشبه الجزيرة العربية كانت مأهولة بالسكان قبل وصول العنصر العربي إليها. والموجة العربية، أياً كان موطنها الأصلي، كانت آخر موجة من موجات الهجرة التاريخية على المستوى الجماعي في الشرق القديم[62]. فالعرب موجة متأخرة من الموجات التي نزلت إلى شبه الجزيرة، من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود (1000 سنة قبل الميلاد)، ولعل هذه الموجة لم تستقر في مكان ما في بلاد ما بين النهرين أو في الشام، لأنها وجدت فيها أقواماً منظمة أقوى منها بأساً وأعلى منها حضارة، فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة العربية عن طريق بادية الشام[63].

السؤال هنا: هل إطلاق كلمة (العدنانية) للتعريف بموطنهم (عدن) أو (جنّة عدن) كما أطلقت عليه التوراة حيث الأنهار الأربعة، وربما هبوط بعض هؤلاء وتوغلهم جنوباً في جزيرة العرب، هو الذي أعطى مدينة (عدن) اليمنية اسمها الحالي تيمناً بـ (عدن) الأصلية في الشمال حيث جنّة حور (الحوريين) الكاسية؟

يلعب إبراهيم الخليل دوراً بارزاً في الديانة الإيزيدية التي تقدس إله القمر والشمس. وتطلق على الأول "ملك سن" وعلى الثاني "شمس". وتذكر الكتب أن إبراهيم كان يعبد إلهاً اسمه "شداي" وبطلب من هذا الإله، أو لنقل بأمر من هذا الإله القدير، أجرى إبراهيم الختان، وزرع الطرفاء بأمر من "إيل عولام" أو الإله السرمدي الأزلي, وهنا

يبدو أن إبراهيم كان يعبد آلهة متعددة وليس إلهاً واحداً[64].

السؤال: إذا كانت النظرية التي مفادها أن إبراهيم له صلة بـ "براهما" و"الايونيم Eponym" القومي الهندي الإيراني، هل من صلة بين إبراهيم الخليل" والإيزيدية؟ هذا حديث آخر. وهذه الفرضية هي النقطة الأساسية لمشروع هذا البحث[65].

هل من علاقة بين النص الديني (گاى وماسىGa u Masî) وسفر الخروج التوراتية (Exodus)؟

منذ صدور كتابي " پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان 2005" وتحليل النص الديني (قه ولى گاى وماسىGa u Masî) في فصل "الاسئلة المخفية أو محاولة فهم الادب الديني الإيزيدي" بوصفه نصاً يعكس-حسب تحليلي- "سفر الخروج" من مصر[66]؛ وأنا أجمع المصادر والكُتب التي ربما تخدم مغامرتي الفكرية (-Intellectual ad venture). ربما أُوفق فيها وأُحقق نتائج إيجابية أو أتوقف في أية محطة من محطات مشوار بحثي عندما أقتنع بأن ما أنا باحث فيه لا دلائل تاريخة تدعمه. من المفرح أن جهودي لم تذهب سدى، وها هي أمامي معطيات تاريخية وفيرة وغنية تؤسس لنظرية جديدة في جذور الديانة الإيزيدية الحالية، معززاً ذلك من خلال التوفيق بين الدلائل التاريخية وبين النصوص الدينية والموروث الثقافي الإيزيدي.

لقد اعتمدت في هذا الكتاب استخدام كل ما يخدم بحثي من مناهج، ولم أعتمد منهجاً بحد ذاته. وتعاملت مع النصوص والأساطير الإيزيدية تعامُل التحري والبحث لجمع ما يلزم من القرائن التي قادتني إلى كشف رأس الخيط بين شرنقة الخيوط والألغاز(puzzles) التي تحوم حول الديانة الإيزيدية وتحمل موروثها الديني من تنوع في الأفكار والطقوس والعادات والتقاليد والأسماء، ربما لا مثيل له لدى بقية الأديان.

لقد شبهت (الإيزيدية) عام 1993 بـ "تلة أثرية"[67]، و"مرآة تعكس من خلالها عادات وطقوس ورموز وعبادات متنوعة للديانات الشرقية"[68]. فقصة التكوين والخليقة لدى الإيزيدية تذكرنا بقصة الخليقة السومرية والبابلية واليهودية. وأسماء الملائكة السبعة (عزرائيل، جبرائيل، ميكائيل..إلخ)، هو مشابه للأسماء لدى الديانات

اليهودية والمسيحية والإسلامية، علماً أن (إيل) إله كنعاني بالأصل، وفي الجانب الآخر فإن عالم الملائكة ورؤساءهم وملائكة الخير والشّر تعود بأفكارنا إلى بلاد فارس وإيران. أما رمز الثور في النصوص الدينية الإيزيدية فيذكرنا بثيران سومر وآشور وميثرا والهندوس. كما أن رمز السمكة عند الإيزيدية يذكرنا بقصة النبي يونان. أرباب (خودان) الإيزيدية المتمثل بأربعين سلالة من الشيوخ وأربعين سلالة من الأبيار، يذكرنا أيضاً بأرباب المدن السومرية والبابلية والآشورية وكذلك عبادة الأجداد عند الشامانيين. تقديس الإيزيدية للشمس والقمر والنار والنور ليس بعيداً عن تقديس تلك العناصر في الديانة الزردشتية والميثرائية والهندوسية وعند الكثير من شعوب الشرق القديم، وكذلك عند الفراعنة. وهل الشمس التي تقدسها الإيزيدية حتى يومنا هذا، هي شمس آتون أو عبادة الشمس في ديانات أخرى؟ ومعلوم أن أسماء: (إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، فرعون، والأنبياء موسى وزكريا، وعيسى، ومحمد.. إلخ.) ترد في النصوص الدينية الإيزيدية. لماذا يرد اسم: (العدنانية، القحطانية، الشمسانية، قريش، هاشم، يزيد بن معاوية، زمزم، عرفات، مكة.. إلخ.) في نصوصنا الدينية؟ نقرأ مثلاً:

* ئەوە حەرفا ژ بنَش / كان ذلك هو الحرف (المعنى) القديم

جائزە ل وێ حەرفێ بکەن تەفتێش/يجوز أن نفتش عن ذلك الحرف

ژێککرن هەشەم وقورێش /الذي فَرّق بين هاشم وقريش

* هەشەم وقورێش ژێککرن / فَرّق بين هاشم وقريش

قالو قيل ناڤدا داهركرن /وأظهر بينهما القال والقيل

سلتان ئێزی شیرێ هەقیێ ژێککرن /السلطان إيزي ميّز بسيف الحق بين الاثنين

*قورێش بناڤێ سلتان ئێزی دئینت باوربو ئیمانە/قريش تؤمن باسم السلطان إيزي

بەلێ عەزیزێ من / نعم، إلهي!

تەدا حەرفا كافران وموسلمانا /أنت أظهرت معنى الكفار والمسلمين

تە بۆ وان نازلكر: /أنت أنزلت عليهم:

تەورات، زەبور، ئینجیل وقورئانە /التوراة والزبور والإنجيل والقرآن

سونەتخانە دێ بچی ئینت باوری وئیمانە؟ /بماذا ستؤمن الإيزيدية؟

* وە دبێژت پەدشایێ خودان ئەرکانە/هكذا يقول الإله صاحب الأركان

بەلێ فەخرۆ! /نعم, يا فخرالدين!

دێ نازلی عەردا کەم قەول وخەرقانە/سأنزل إلى الأرض الـ "قول" والخرقة

دا سونەتخانە پێ بینت شادەو باوری وئیمانە/ليؤمن بهما الإيزيديون

(ژ قەولێ قەرە فەرقان، سەبەقا 34، 35، 36، 37)

هل "الآدانية، القاتانية، الشمسانية" هي نفسها "العدنانية، القحطانية، الشمسانية" أم شيء آخر؟ علماً أن مصادر تاريخية موثقة وعلماء اللغة يؤكدون أن أصولهم لا تعود إلى الجزيرة التي يطلق عليها اليوم "شبه الجزيرة العربية" وليسوا من جذور عربية، بل قدموا إليها من أرمينيا (آرارات) وبحر قزوين وبابل[69]. هذا ما سأناقشه في موضوع (گاڤانێ زەرزا).

إضافة إلى ذلك, ثمة طقوس مشتركة بين الإيزيدية وديانة الفراعنة واليهودية والمسيحية والإسلام مثل: الختان والتعميد وتقديس الشمس والقمر وتحريم بعض الأكلات، ودور بعض الحيوانات مثل: الحيّة، كبش إبراهيم الخليل، الثور في مراسيم القباغ، الطاؤوس، الحمام، الديك، هدهد سليمان، الأرنب،..إلخ. فضلاً عن عشرات الرموز في النصوص الدينية التي لها دلالاتها، على سبيل المثال لا الحصر: البحر، الدرّة، الخرقة، السراج ذو الفوهات التسع.. إلخ.

لماذا يوم الأربعاء هو يوم الإيزيدية؟ هل هو يوم مقدس أم يوم مشؤوم؟ لأن فرعون وضع إبراهيم الخليل في المنجنيق، وفيه سلط الله البعوض على نمرود حسب الفكر الإسلامي الشيعي. وهل من علاقة بين عيد رأس السنة (سرصال، الأربعاء الأحمر) وعيد نوروز؟ العيد الأخير الذي يعده أئمة الشيعة اليوم الذي كسر فيه إبراهيم أصنام أبيه[70].

نحن أمام موروث ديني يتوزع على مساحة (زمكانية) شاسعة، تشمل أقاصي قارة آسيا والشرق القديم إلى الحدود الشمالية الشرقية من القارة الأفريقية (مصر الفرعونية)، وأقاصي الجزيرة العربية. وهذا يحتمل أكثر من تفسير وتحليل.

ما سرّ وجود هذا الخليط الجامع من الموروث الديني في المعتقد الإيزيدي؟!

- إما أن الإيزيدية فعلاً معتقد ودين قديم يسبق الديانات القديمة المعروفة؛ أو هي ليست ديناً، بل حصيلة ما جُمع من بقايا معتقدات هنا وهنالك!

لا نملك دلائل تاريخية دامغة (بقايا أثار قديمة من منحوتات، رقى طينية أو ألواح، تماثيل، مخطوطات وكتب..إلخ.) قبل فترة الشيخ آدي بن مسافر؛ تشير بوضوح إلى الديانة الإيزيدية. حتى أن اللغة التي نظمت بها النصوص الدينية الإيزيدية (قول، بيت، أدعية..) لغة كرمانجية/كردية حديثة وليست قديمة.

إن النص الديني (گای وماسی) هو منطلق مغامرتي الفكرية، ومفتاح رحلتي في عالم التاريخ المتداخل والأفكار الدينية المتناقضة.

وأفترض أن لـ (قەولێ گای وماسی) علاقة بالخروج التوراتي. وعليه يتأسس السؤال البنيوي التالي:

- هل وجود هذا الكم الهائل من الموروث الديني المتنوع يعود إلى علاقة الإيزيدية بالهكسوس وإبراهيم الخليل أم هو أقدم من ذلك؟

- هل قصة دخول إبراهيم مع سارة ومجموعته (من عشائر وقبائل) وخروجه من وإلى أرض كنعان والحجاز, وقصة ابنه إسماعيل وماء زمزم وبناء الكعبة...الخ، هي سبب حضور ما يتعلق بالموروث الإبراهيمي في المعتقد الإيزيدي، أم هناك سبب آخر؟

- هل بالإمكان من خلال تحليل بعض هذه الجوانب تسليط الضوء على زوايا مخفية من تاريخ الديانة الإيزيدية؟

- هل من خيوط تربط بين عشيرة الهكارية (الكارية)[71] التي ينتمي إليها الشيخ آدي بن مسافر ومجاميع البيرانية، وبين شعب الهكسوس الهندو- أوربي الذي انحدر من مناطق (وان وآرارات) وحكم مصر زمن الفراعنة, وانسحب منها مع العبرانيين إلى أرض كنعان؟[72].

انها أسئلة برَسْمِ البحث والتحليل، وبوابةٌ إلى عالم فكّ أحد ألغاز التاريخ الإيزيدي.

حول النص الديني (گای و ماسیGa u Masi)

توقفت في كتابي "صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، المجلد الأول" عند رمزية "الثور والسمك", مشيراً إلى أن السمك حيوان مائي يعيش في المحيطات والبحار

والأنهار، و"الثور" حيوان برّي. فلماذا اجتمع الاثنان معاً؟ ولماذا تنظر الإيزيدية إليهما بوصفهما رمزين مقدسين (هوون بدەنه خاترا عەرش وكورسی، گاو ماسی..)؟ و أيهما أقدم من الآخر، السمك أم الثور؟ جاء في النص:

پەدشێ منی بێریه /إلهي قديم وأزلي

خۆزی من بزانیه /ليتني كنت أعلم

كانی گای مەزنتره، ئانی ماسیه؟ /أيهما أعظم، الثور أم السمك؟!

شروتيا من ژ وێیه /حسب ما روي لي

تەفتيشا مه ژ وێ جەوابێیه /وبعد البحث عن الإجابة

ماسی هەفت جارا مەزنتره ژ گێیة! /يزيد السمك حجم الثور بسبع مرات

بقودرەتا ئێكی ئەكبەره /بقدرة الله

ماسی هەفتيو دوو پەره /للسمك اثنان وسبعون زعنفة

پەرەك ژێ كەمبەره /زعنفة منها كالحزام

وی پەڕی گای لسەره /يقف عليها الثور

(المقاطع/ 6-5-4 من النص الديني: ألف اسم واسم= هه زارو ئێك ناف)

ئەو گای سەهتی پیره /يبدو أن الثور حكيم

قورنەتو قونەرتی خەبیره /ويعرف كل زوايا الكون (الدنيا)

رێيا پێنجسەد سالی مەيژێره /يبصر مسافة خمسمئة عام

ئەو گای صەبری دێری /الثور صابر قديم

سجودێ دكێشته بەر ئێكی بێری /ويسجد أمام الباري

هەتا دەما رِوحێ بسپێری /الى أن توافيه المنية

(المقاطع 15-8-7-6 من النص الديني: الثور والسمك= كاو ماسی)

من خلال مقاطع النص الديني، يرمز (الثور والسمك) أحياناً إلى (الأرض والسماء)، وفي أحيان أخرى إلى (الشمس والقمر).

- ئاڤ- ماسی - ئاسمان - رۆژ: الماء - السمك- السماء - الشمس

- ئەرد - گا - هەيڤ: الأرض - الثور - القمر

وإذا نظرنا إلى (الثور والسمك) من جهة الحجم أو من جهة أقدمية (السمك) وكونه

أكبر حجماً من (الثور) كما يرد في النص، ربما يعود ذلك إلى فكرة أن الانسان الأول قد عاش على لحم السمك، وبعد ذلك بقرون أو بآلاف السنين، تعلم الإنسان الزراعة وتدجين الحيوانات واستخدم الثور في مجال الزراعة، فأخذ الثور مكانته المقدسة في فكر تلك المجموعات. أو ربما ربط الإنسان القديم بين ظهور القمر على شكل هلال وبين قرني الثور والبقر!

لن أتطرق إلى جميع النصوص الدينية التي تشير إلى الثور والسمك، بل سأكتفي فقط بتلك التي لها علاقة بموضوعنا. وأود التنبيه أنه لا يجوز النظر إلى رمزية "الثور والسمك" في الأدب الديني الإيزيدي نظرة مبسطة أو لامبالية، وإنما يجب التوقف عندهما ودراستهما ومقارنة دورهما مع المعتقدات القديمة.

بعد قراءتي نص (قەولێ گای وماسی) عدة مرات لفت انتباهي أصل الفكرة التي أسس عليها هذا النص الديني. سألت نفسي: لماذا اختير (الثور والسمك) من بين جميع الكائنات/الحيوانات عنواناً للنص الديني؟

بناء على تلك الرموز والصور والأحداث التي يتضمنها النص، يظهر لنا خروج الهكسوس أو إبراهيم الخليل من مصر زمن الملك أحمس (تحتمس)، من الأسرة 18 في عام 1575عندما طرد ملوك الهكسوس(73) ، وتوجهوا إلى سيناء ومنها إلى فلسطين أرض الكنعانيين.

تروي القصة التوراتية أنه عندما خرجت مجاميع العبرانيين والهكسوس وعبرت البحر، انفلق البحر إلى فلقتين، وتمكنوا من عبور البحر والوصول إلى الجهة الأخرى، لكن جيش الفرعون تحتمس الذي كان يلاحق المجموعات الهاربة وهم في وسط الطريق, انطبقت عليهم موجات البحر وغرقوا جميعهم!

صحيح أن المكان الذي هرب منه العبرانيون والهكسوس خلاصاً من ظلم الفرعون يتكون من البحيرات. وفي ذلك الحين أخذ قوم إبراهيم الخليل معهم ما يملكون من أموال وذهب وفضة وأولاد، وحملوه على ظهور الثيران والأبقار. وفي بعض أيام السنة يحدث مدّ لأمواج البحر، وتظهر اليابسة، ثم يحدث الجزر (Low Tides) ويعود ماء البحر. وقد استفادت المجموعات الخارجة من مصر من دوامات الرمال والغبار والضباب, ومستغلين أول ساعات الجزر وخاضوا في البحيرة الجافة، وعندما لاحظ المصريون الإسرائيليين ينسحبون نحو الشرق، كان المدّ قد بدأ في العودة. ووسط

حماسة المطاردة دخل المصريون في المدّ بسرعة, يريدون مسابقة ارتفاعه للوصول إلى الشاطئ وراء الإسرائيليين، مما قلل من إمكانية بلوغ الشاطئ في الوقت المناسب، وأدى إلى تراجع الجيش وغرق بعضه وانفلات الخارجين. وهي حالة جغرافية طبيعية لا علاقة لها بالمعجزات[74]. أضفى الخيال الجمعي للمجموعة التي نجت من جيش الفرعون على الخلاص صفة القدسية، فقوة الإله (يهوه) أنقذت القوم من خلال تراصف (سمك= حيتان) البحر جنباً إلى جنب, مشكلين معبراً/جسراً (كەمبەر- كما يرد في النص الديني), وجاءت الثيران والأبقار المحملة بأموالهم وأطفالهم، تعبر على ظهر السمك إلى جهة البحر الأخرى. لنتوقف هنا عند سلسلة من مقاطع النص الديني:

بێژە من وەکە دبووە /قل لي عندما حدث

ئەوی گای سەری لشەرقڤە /كان رأس الثور نحو الشرق

بغەربێ دوڤە /وذيله (المؤخرة) نحو الغرب.

(بمعنى كانت الثيران متجهة من الغرب نحو الشرق)

(المقطع: 4 من النص الديني الثور والسمك= كاو ماسی)

خرج الهكسوس والمجموعات التي معهم (بمعنى المجوعات اليهودية) من الغرب (مصر الفراعنة), متجهين إلى الشرق نحو جبل سيناء. فلجأت المجموعة التي كانت تسمى (الهكسوس) إلى الجنوب. وفي نص عبقري يقول فيه عالِم لغويات: "نشتبه أن الحجاز جملة كانت المنطقة التي لجأ إليها (الحكا- خازو Heqa Kh-asou) أو الهكسوس بعد طردهم من مصر. وتعايشوا مع سكانها الأصليين الذين عرفوا بالهكسوس الوافدين باسمهم المصري القديم. وانتهى الأمر بأن جرى الاسم (أي الحجاز) على المنطقة كلها, وفقد معناه الاصلي أي (الحكا-خازو), وصار اسم علم جغرافي فحسب"(75). وتوجه قسم آخر إلى (آدوم-آدون) وسكنوا هناك، وقسم ثالث وصلوا إلى (الأردن وفلسطين).

با عێرفا وە عەیانە /معروف هكذا عند العارفين

وا دەرکەفتی د قەولانە /وظهر من خلال الأحاديث-النصوص

چیایەکی رەش وێ لنێف عەورانە /هناك جبل بين الغيوم

* * *

چیایەو فەلاو حدودە /جبال وبراري وحدود
ئەو جیێ خەلکێ غافل ومەقسودە /إنه مكان الناس الغافلين التائهين
ئەو سالحەکە لناڤ سعودە /إنه ولي صالح بين المحظوظين
(المقطعين: 21، 22 من النص الديني الثور والسمك= كاو ماسی)

أظن أنه إشارة إلى جبل (سيناء)، ويشير أيضاً إلى قصة تلك المجموعة التي تاهت (خەلکێ غافل ومەقسود) مدة أربعين عاماً. وحسب الرواية التوراتية فإن الله أظهر نفسه على شكل نار/نور لموسى (ئەو سالحەکە = موسا) وكلّمه.

لوی ئەردی حەیران دمامە /ظلوا تائهين في تلك الأرض
ناڤێ وی قەومی بن قامە! /اسم القوم العماليق
(المقطع 34 من النص الديني الثور والسمك= كاو ماسی)

أظن أن المقصود بـ (قەومی بن قام) هؤلاء القوم الذين كان يطلق عليهم (العماليق) أو(الجبابرة)، بمعنى الناس الأقوياء وطوال القامة، وهم الهكسوس.

شێخ فە خری ئادیا گۆت: / قال الشيخ فخر الآدياني:
دلێ من بۆ ڤان مانیا پەرجفتن/تحسر قلبي لهذه المعاني
نێف چاڤێ حوتی بەحر هەفتن/ بوجه الحوت سبعة بحار
مەوجا ددەن بقودرەتێ لێك نە دكەفتن!/ تتقاذف الأمواج، لكنها بقدرة الله لن تصطدم ببعضها
دیارکرو هەردوو بهەڤرا ئاخفتن/أظهرها, وتكلم الاثنان مع بعضهما!
(المقطع 38 من النص الديني: الثور والسمك= كاو ماسی)

يشير هنا إلى أن البحر قد انفلق (ظاهرة المد والجزر), وأن الأمواج لا تتصادم مع بعضها البعض بقدرة الله! (بقودرەتێ لێك نەدكەفتن)

بەرناڤو دکارێت پەدشێ منی رەوایە/أمام عظمة إلهي القدير
حوتە لسەر راوستایە / الحوت واقف عليه
زۆر بەرەو ژێر بەحرەکە ب بایە/جبال في الأعالي، وفي الأسفل بحر هائج

* * *

زۆر بەرەو، زۆر ئەبراسا (ئەڤراسا) /في الأعلى جبل شاهق

تەورات دا دەستێ موسا /سَلّمَ التوراة بيد موسى
سەر گەلەك تشتی كرە "ئە ساسە" /وجعلها أساساً لأشياء كثيرة
(سە ب. 39، 40 ز قە ولی كاو ماسی)

يظهر في هذه المقاطع كثير من الإشارات ظهوراً واضحاً لا لبس فيه: (بحر هائج= بەحرەكە ب بای) بمعنى كيف يلعب الهواء دوراً في المد والجزر. وكذلك كلمة (التوراة) أو (الوصايا العشرة)، فعندما صعد موسى جبل سيناء، ونزل منه وبيده حجر مكتوب عليه الوصايا العشرة, وقال لقومه: هذا ما سلمني إياه الله (يهوه) كي أنقله اليكم.

السؤال هو: ما علاقة الإيزيدية بقصة اليهود التوراتية؟ لماذا ومتى نظم النص الديني (قەولێ گای وماسی) بهذا الحدث؟

إن شعب الهكسوس الذي طُرِد من مصر ونزل إلى منطقة الحجاز، هو الرقم السرّي لنظرية جديدة تلقي الضوء على إحدى أهم صفحات المعتقد (الإيزيدي) المخفية عبر التاريخ! ذلك الشعب الذي ينتمي إليه النبي إبراهيم. وهذا ما سنبحث عنه في الفصول اللاحقة.

---

1. د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الأول، المركز المصري لبحوث الحضارة، الطبعة الأولى, 1999، ص 11-10.
2. د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، ج1، المركز المصري للأبحاث، ط1، 1999، ص 141 وما بعدها.
3. التوراة، تكوين 13و14، الإصحاح 14.
4. التوراة، الإصحاح 12، سفر التكوين.
5. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى, 2006، ص 34.
6. فيليب فراداي، ص 56.
7. وثائق بوغاز كوين حكايات حثية، د. ليونا خوست. مقتبس من حسو امريكو، إبراهيم الخليل في النصوص الإيزيدية.
8. سليم حسن، الجزء الرابع، موسوعة مصر القديمة.
9. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص53.
10. جارلس الكساندر رابينسون، تاريخ باستان، ترجمة: د. إسماعيل دولتشاهي، طهران 1367، ص92
11. فريد هادين أديان آسيا، ترجمة: عبد الكريم كواهي، طهران 1376، ص94.
12. رومن غيرشمن، إيران أز اغازيا إسلام، ترجمة: محمد معين، طهران 1345، ص 115.
13. لوي واندنبرغ، باستانسناسي إيران باستان، ترجمة: عيسى بهنام، طهران 1345، ص 83.
14. رومن غيرشمن، مصدر سابق، ص 133.
15. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م.، دار النهضة العربية، القاهرة, 1967، ص 373. (مقتبس من د. احمد محمود الخليل، تاريخ مملكة ميتاني الحورية، ص 21.)
16. توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م.، دار دمشق, 1985، ص 312. (مقتبس من د. احمد محمود الخليل، تاريخ مملكة ميتاني الحورية، ص 23)
17. فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، دمشق,1993، ص 44
18. جرنوت فيلهلم، الحوريون، تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: د. فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب, 2000، ص 29.

19. د. أحمد محمود الخليل، تاريخ مملكة ميتاني الحورية، مصدر سابق، ص 23، إستناداً إلى: وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، 60/1. وجرنوت فيلهلم: الحوريون، ص 59. ومحمد أبو المحاسن عُصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص 292. وكذلك محمد حرب فَرَزات، عيد مرعي: دول وحضارات الشرق العربي القديم، ص 157.

20. - Grimal, Nicolas. A History of Ancient Egyot, p.193, Librairie Layard, 1988.

21. - -Roldford, Donald B., History andChronology of the 18th Dynasty of Egypt.)

22. محروس إسماعيل (دكتور حلمي): أصل الكاشيون، الشرق العربي القديم وحضارته، ص 66-56.

23. * هل هي مصادفة أن تحتضن سنجار (شنكال) قرية إيزيدية تحمل اسم (همدان) التي كانت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد عاصمة للشعب الكاشي في لورستان بجنوب إيران الحالية؟! علماً أن لهجة أهل سنجار هي أقرب إلى اللغة الفارسية من لهجات الجماعات الكردية المحيطة بها.

24. هل هي مصادفة أن يوجد اسم (سيسي) و (سيسو) و (حمو، خمو، رمو، سيتو، سينو) بين الإيزيدية، وهو من أسماء ملوك الهكسوس؟ وأيضاً بقاء أساطير وقصص من كنعان بسبب سيطرة الهكسوس على فلسطين وسورية "بلاد الشام": قصة فرعون والزواج من أمه، قصة النبي سليمان، قصة أيوب، إبراهيم الخليل...الخ.)

25. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص42.

26. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص42.

27. عمر محمد أبو العطا، بنو إسرائيل بين الفراعنة والهكسوس- بلالوكه.

28. عمو: كلمة تعني البدوي ولا تختص بقومية أو عرق محدد، بل ربما يكون خليطاً من أقوام وقبائل مختلفة.

29. المصدر السابق نفسه، ص47.

30. المصدر وكيبيديا.

31. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص69-59.

32. د. لويس عوض، ص58.

33. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310-224هـ)، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص128-127.

34. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة، ص37.

35. د. لويس عوض، ص 37.

36. حسو امريكو، إبراهيم الخليل في النصوص الإيزيدية، معتمداً على وثائق بوغاس كوي، حكايات حثية، د. ليونا خوست. دون الإشارة إلى رقم الصفحة.

37. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، 1966.

38. موقع الالوكة/المجلس العلمي باشراف د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي 24/10/2016.

39. التوراة، إصحاح 12، التكوين10، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

40. لنا وقفة أكثر تفصيلاً وتوسعاً عن أبراهام/إبراهيم الخليل في فصل آخر من هذا الكتاب.

41. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة، القاهرة، 2005، ص41.

42. د. لويس عوض ص33.

43. المصدر السابق نفسه، ص20.

44. أحمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، من المقدمة.

45. د. لويس عوض، ص44.

46. د. لويس عوض، ص44.

47. المصدرالسابق نفسه، ص 47.

48. بروس فيلر، الخليل إبراهيم/رحلة في جوهر الديانات الثلاث، ترجمة: أحمد هويدي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2016، ص 48.

49. كما يتداول التراث الديني الإيزيدي تداولاً كبيراً قصة إبراهيم الخليل وهجرته مع زوجته وعشيرته إلى مصر، وزواجه بعد ذلك من هاجر المصرية التي ولدت له إسماعيل في مكةو وعُرف ماء زمزم باسمه. يجد القارئ تفاصيل هذه القصة في كتابي: صفحات من الأدب الديني الإيزيدي (پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان)، الطبعة الثانية، 2013، ص-291 337.

50. بروس فيلر، مصدر سابق، ص 58،

51. زيارة ميدانية لمدينة أور بتاريخ 30 آذار1- نيسان/2017.

52. سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مدبولي الصغير، القاهرة، 1996، ص26-25.

53. سفر التكوين: 13: 14، 15.
54. يراجع كتاب فيدا، مصدر سابق.
55. ينظر كتابي: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية.
56. حسو أمريكو، إبراهيم خليل في النصوص الايزيدية، الأكاديمية الايزيدية،هانوفر. (قصة ملك حرّان نمرود ابن كنعان مقتبسة من تاريخ الطبري، ...)
57. نفس المصدر السابق..(نقلاً عن وثائق بوغاس كوي، حكايات حثية، د. ليونا خوست،...)
58. http://www.prvsr.com/median.htm :
59. عصام الدين حفني ناصف: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، بيروت، 1985، ص 131، 132.
60. عصام الدين حفني ناصف، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، بيروت، 1985، ص132-131. (مقتبس بتصرف من الدكتور سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مكتبة مدبولي الصغير،1996، ص -16 17)
61. د. لويس عوض، مصدر سابق، ص20 و32.
62. من مقال: أصل العدنانيين من مكة.
63. طه حسين: في الشعر الجاهلي، دار الكتب المصرية، 1926، ص 26. وهناك مصدر آخر للكتاب صدر عن دار المعارف للطباعة والنشر بسوسة بتونس، أنقل عنه بعض ما قاله طه حسين من صفحة 36 إلى صفحة 42 تحت عنوان "الشعر الجاهلي واللغة"
64. د. لويس عوض، ص 55.
65. المصدر السابق نفسه، ص 24.
66. بروس فيلر، ص 70.
67. سبق وأن قدمت بحثاً تحت عنوان: (هل من علاقة بين النص الديني "Gay u Masi" وسفر الخروج التوراتية) في مؤتمر الأكاديمية الإيزيدية في مدينة بيلفيلد، ألمانيا للفترة 24-23/حزيران/2012.
68. د. خه ليل جندى، به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان، سبيريز، دهوك، 2005، به ركى ئيك و دوو، ب.
69. د. خليل جندي، نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، رابوون، السويد، 1998، ص. (ملاحظة: قبل هذا الكتاب و بالاسم نفسه أصدرت ثلاث كراسات عام 1993، وبعدها في عام 1998 في كتاب واحد".
70. المعتقد الإيزيدي كدين شرقي قديم والصراع الثقافي في المهجر، محاضرة في مدينة ليندبسبورغ، المانيا، 13 - 14 /4 /2002..
71. للمزيد مراجعة: فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دار علاء الدين، دمشق، 1995، ص17-16. والدكتور سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص 502 وما بعدها، والدكتور لويس عوض، مقدمة في فقة اللغة العربية، مصدر سابق، ص 22.
72. د. تهامي العبدولي، النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية، دار المدى، دمشق، ط1، 2001، ص189.
73. كارت يعني الكاري أو الحوري، ويلتقي هذا الاسم مع اللغة (الكارية) ومع اسم مدينة أوغاريت من (أوكارت) وورد اسمها في سجلات العمارنة (أوكارت). والمصادر التاريخية تربط بين الحوريين والهكسوس. [ينظر: د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 228 - 229].
74. ينظر: د. خليل جندي، الإيزيدية والامتحان الصعب، دار ئاراس، أربيل، 2008، ص36.
75. د. سيد محمود القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، ج1، ص 61. أيضاً: أحمد عثمان، تاريخ اليهود، دار الشرق، القاهرة، 1994، ج1، ص144 - 145.
76. د. سيد محمود القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الرابع، ص975-974، مستنداً إلى نظرية (دى بوا إيميه) عن الآية التوراتية " فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم/ خروج 14/ 22"
77. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع 2006، ط1، ص 41. انظر كذلك: د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص694-693.

الفصل الحادي عشر

كافان زارزان- گاڤانێ زەرزان (Gavanê Zerzan) و"زرباب" وشؤون أخرى جذورهم التاريخية وآثارهم الحالية..

مدخل:

كانت تعد الديانة الإيزيدية إلى تاريخ قريب حلقة شبه مفقودة في سلسلة الديانات الشرقية الهندو-آرية والهندو-أوربية القديمة. إلاّ أن الثورة المعلوماتية التي اجتاحت العالم، فتحت الأبواب أمام الكتاب والباحثين وأصحاب الفكر للاطلاع على كنوز المعرفة وخزائن المصادر والوثائق التي كانت بعيدة عن متناول الكثيرين من أصحاب الشأن.

أتوقف هنا عند كتاب قيّم جداً، وقع مؤخراً تحت يدي، للمؤرخ والمختص اللغوي (صلوات كولياموف)، الموسوم: "آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)"، لأستعرض منه موضوعات لفتت انتباهي، ربما تلقي الضوء على بعض الحلقات المفقودة من تاريخ جذور العقيدة الإيزيدية. من تلك المواضيع الإله (كافان زارزان- گاڤانێ زەرزان)[1] و"زرباب". فمن هو الإله (كافان زرزان) ومن هو (زرباب) اللذان ورد ذكرهما في الموروث الديني الإيزيدي؟ ومن أين يستمدان جذرهما التاريخي؟ وهل لـ (كافان زرزان) علاقة بـ "العجل الذهبي" لدى اليهود؟ إذا كان الجواب بنعم، فما سرّ تلك العلاقة؟!

قبل الدخول في صلب التحليل والمقارنات وغربلة الأفكار، أستميح المؤرخ الكبير (صلوات كولياموف) لاستعرض مقتطفات من كتابه القيّم المعزز بالدلائل الموثقة لحركة الشعوب عبر التاريخ القديم، وظهور أولى براعم الأفكار والمعتقدات الدينية وانتقالها فيما بعد إلى تلك الشعوب التي هاجرت من موطنها الأصلي في غرب آسيا إلى أن وصلت أوربا وشمال أفريقيا. أستعرض الموضوع الخاص ببحثي بشيء من الإيجاز وقليل من التعديل، بحيث لا يؤثر على مضمون الكتاب الأصلي أبداً.

انطلاقاً من وجهة النظر التاريخية واستناداً الى المصادر والوثائق والأدلة القاطعة التي يطرحها المؤرخ والمختص اللغوي (صلوات كولياموف)، يُعدّ الكرد أحفاد الشعب الكوتي[2] القديم الذين كانوا أصل الدول القديمة مثل سومر وأكاد، أي كانت هنالك دول وممالك قبل الحضارة السومرية والأكادية والآشورية في جبال زاغروس وطوروس، فقد جاء ذكر (قبائل كوتي-أومان ماندا) و(لولوبوم) في النصوص المسمارية الأولى

لكل من سومر وأكاد في الألف الثالث قبل الميلاد، بدءاً من نقوش وكتابات الملك الأكادي نارام سين (2300 ق.م.) ثم قوانين ملك الحيثيين (1600 ق.م.) انتهاءً بمراسيم الملك الفارسي قير العظيم في القرن السادس قبل الميلاد, وأنهم السكان الأصليين لزاغروس وطوروس. وتعود كلمة "كوتي" كما يقول كولياموف، في علم الاشتقاق الى أقدم اللغات الهندو-أوربية، وتعني "حبة/ بذرة القمح". وفي معناها الواسع تعني الزراعة أو الحراثة في تصنيفها الاجتماعي[3]. وأن الكلمة ذاتها في الأصل الهندو-أوربي هي (كوتان)[4]، وتعني "المحراث لفلاحة الأرض" و"الطاحونة لطحن حبوب القمح".

كما أن اسم (أومان-ماندا) مشتق من الكلمة الكردية (هه مى/هه موو Hemy) بمعنى الجميع. و(مان دا) معناه من سلالة (مانو) الذين هم حسب ميثولوجيا الشعوب الهندو-جرمانية (الهندوس- الألمان- الإيرانيين) أسلاف البشرية. ويتطابق المعنى الاشتقاقي لكلمة (أومان- مان دا) بدقة مع اسم أكبر القبائل الكردية المتحدة (كورمان جي= كرمانجي) أتباع "أبناء أرض مانو" من الكلمة الكردية (كور kur= الابن- الأبناء) الذرية. وبهذا تشهد وجود القبائل التي تقطن السفوح في الجنوبية لجبال طوروس وكذلك (كاستا بيروف kasta pîrov) أي مرتبة الكهنة الكاتاني المقدسة عند الكرد الإيزيديين (يقصد بها مرتبة القاطانيين-خليل) وكذلك الكورمانجي[5]. وبهذا فإن جميع أراضي آسيا الصغرى والهضبة الإيرانية هي الموطن الأصلي للقبائل الهندو-أوربية.

يمضي المؤرخ كولياموف بالقول: عندما ظهر زرادشت وضع أمامه استئصال الآلهة الوثنية المتعددة لدى أفراد وقبيلة الهندو-أوربيين وتكوين ديانة توحيدية واحدة. وبهذا الصدد يقول المختص بإيران (ميرى بوي): إن زرادشت عاش في منطقة جنوب أورال وخوارزم (ص34). وتمكن زرادشت من إدخال أبناء جلدته (معبودي النار) إلى الدين الجديد وإنشاء اتحاد عسكري من قبائل إيران الشرقية، وأعلن أن (أندرو) الإله الرئيسي للهندو-آريين هو عفريت الشرّ الصغير، الأمر الذي أثار غضب معبودي ريغفيد مما أدى إلى إشعال الحرب بين مجموعة قبائل شرقي إيران أنصار زرادشت مع أنصار المذهب القديم مربي الغنم الجبليين من آريين؛ مما جعلهم أمام خيارين إما القبول بالدين الجديد (الزرادشتية) أو مغادرة أراضيهم. وفي النهاية أجبر قسم من

الآريين القدامى كورو (كورد- كورمانج) على ترك مناطقهم من آسيا الصغرى ومن جنوب سهل آسيا الوسطى إلى الهند في النصف الأول للألف الثاني قبل الميلاد والنزوح إلى أودية السند والبنجاب[6]. والقسم الآخر من هؤلاء الهندو-آريين المعروفين في التاريخ باسم الميتانيين والكاشيين، قد ضُيِّق عليهم من قبل تيارات القبائل الإيرانيين الشرقيين, فنزحوا من أماكن سكناهم السابقة نحو الغرب, تاركين الهضبة الإيرانية في القرن 18 قبل الميلاد، ووجدوا أنفسهم في أراضي الشرق الأوسط في فلسطين وسورية حيث أنشؤوا عاصمتهم (وشوكاني) في أعالي نهر الخابور. وبعد ذلك ترك الميتانيون الهندو-آريون جبال زاغروس، واندمجوا جزئياً مع الحيثيين-الهندو-أوربيين, وتحولوا جزئياً إلى حياة العزلة وإلى مجموعات تقليدية, تتمسك بأعرافها وسط السكان الساميين في الشرق الأوسط؛ أضاعوا لغتهم الهندو-إيرانية، لكنهم، على سبيل المثال الدروز واليزيديين والعلويين، صانوا أصولهم الهندو-آرية، مثل: المعتقدات القديمة (عبادة الشمس، الإيمان بتقمص الأرواح، الطوائف المجزأة..)[7].

يحتفظ المجتمع الكردي- كورمانج حتى يومنا هذا بالديانة القديمة (عبادة الشمس). يُعرف الكرد الذين يعبدون الشمس باليزيديين، وحسب ما أثبته العلماء فإن جميع الكرد قبل الإسلام كانوا يزيديين عباداً للشمس. ويشكل اليزيديون مجموعة مغلقة تقليدية متمسكة بعاداتها في المجتمع الكردي. تبين الدراسات البحثية أن اليزيدية تعد بطبيعتها هندو-آرية، بمعنى آخر إن اليزيدية في آسيا الصغرى تعد أكثر قدماً من ديانة ريغفيد وآفيستا. إن المجتمع، سواء أكان عند اليزيديين أم الهندو-آريين القدامى كورو أم الإيرانيين القدامى, ينقسم إلى أربع طوائف (طبقات)، وهي: (للمقارنة)

الإيزيديين (الكرد)	الهندو-آريين ريغفيد	آفيستا الإيرانية
بير	براهمان	كهنة آتورفان
شيخ	الراجا	هشايا هشاترا
مريد	فايشيا	المزارعون-الرعاة
مرتبه	شودرا	ليسوا بإيرانيين (ص37)

الاسم الكردي (بير) لا يمت بصلة إلى اللغة الهندو-آرية، بل يرجع إلى مجموعة اللغات الهندو-جرمانية القديمة؛ لأنه يتطابق كلياً مع (بير Per) (الوجه الآخر)، (رأس القبيلة) لدى الانجليز القدامى، الصوتيات التي تتطابق مع الصوتيات اللغوية لقبيلة (ماندا) الشرق إيرانية. وقبائل إيران الشرقية الذين كانوا يقطنون في السهول يربون الخيول، في حين كان الميتانيون الآريون، السكان القدامى لآسيا الصغرى الذين يقطنون في الجبال، يربون الغنم والماعز[8].

شكلت قبيلة ماندا- كورمانجي مملكة كوردية باسم (مانا) في جبال زاغروس في القرون 13-14 ق. م.، وكانت قاعدة لظهور الدولة الميدية التي وحدت ست قبائل ميدية, من ضمنهم قبيلة (بودي) أو (بودين)[9].

لقد ورث السومريون عبادة الثور في الألف الثالث قبل الميلاد من الشعوب القدامى الأصلاء في ميزوبوتاميا وزاغروس- الكوتيين واللولوبيين. ومازال إحدى القبائل الأربعة الكبيرة لدى الكرد أحفاد الكوتيين-اللولوبيين حتى يومنا هذا تحمل اسم (گۆران-أتباع الثور). ورغم مرور آلاف السنين ما زالت آثار تلك العبادة باقية في الموروث الاجتماعي الديني لدى الإيزيديين, متمثلة في الإله (كاڤانى زارزان)[10]. كما نجد عبادة الثور (العجل الذهبي) في العهد القديم لليهود (جهو Cihu) أي المنشقون أو المنفصلون. كيف يمكن تفسير ذلك؟ وما المشترك بين عقيدة عبادة الثور قديماً للإيزيدية واليهود؟

إن الحقائق التاريخية والاشتقاقات اللغوية التي طرحها المؤرخ كولياموف في كتابه الآنف الذكر للعديد من العقائد والعبادات والأصول التي استعرضت بعضاً منها؛ دفعتني إلى أن أفكر فيها بعمق وأقارنها مع ما هو باقٍ في ثنايا النصوص الدينية الإيزيدية، وضمن الموروث الثقافي الديني والشعبي، وكذلك في أسماء الأعلام والمناطق والقرى الإيزيدية. أذكر منها:

(الإله كافان زارزان, الإله مام شفان, كرمانجي, مانو, الطبقات الاجتماعية الدينية, بير, زرباب, قاتاني, عبادة الشمس والنار, النظر بعين التبجيل إلى الغنم والنحل والحيّة. وجود أسماء تاريخية قديمة مثل: كوتي، خوشناف "نافخوش"، خوشابا/ خوشافا، بوزان، زرزا/زازا/دوملي, خالتي/خالدي, بودي, ماش "ميشن= الغنم

بلهجة أهل سنجار"، شيخ بزني، أسطورة الطوفان الإيزيدي, ووجود قوم نوح في منطقة الشيخان الحالية، دور إبراهيم الخليل ومكانته في الموروث الديني الإيزيدي. القاعدة الفكرية لتشابه العديد من العبادات والتقاليد بين الإيزيدية واليهودية مثل عبادة الثور/العجل وطقس الختان. سرّ وجود أكثر من نص ديني إيزيدي يذكر "يعقوب وموسى, مسكينو زارو, كاو ماسى" كأنها تعكس لنا سفر الخروج التوراتية، وتتحدث لنا عن "عزيز مصر"؟ ربْط بعض أولياء الإيزيدية أصلهم بمصر من خلال نصوص دينية. حقيقة البُنية الفكرية والتاريخية لقول رجال الدين الإيزيديين في علاقتهم بـ "مكة" و"قريش" قبل العرب والإسلام. في المقابل ما حقيقة قول رجال الدين أن ديانتهم قادمة من الهند؟..) هذا ما سأحاول البحث فيه والنبش عنه بصورة مكثفة.

*** كافان زارزان**

يعدّ إله (خودان-أرباب) الأبقارَ (إله عصر تربية وتدجين الحيوانات) في الموروث الديني الإيزيدي(11).

زرزا (Zerze- Zerza): قبيلة كردية قديمة ومعروفة حتى يومنا هذا. يرى (كولياموف) أنه من الممكن أن تكون لهذه القبيلة صلة قرابة مع قبيلة الداردانيين بناءً على تناوب حرف (z) مع (d) في اللغة الكردية، فتصبح (دارد- zerz). وكان مكان سكن تلك القبيلة، كما ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت، في (ماتيين) على ضفاف نهر غيند Gînd)) (الاسم القديم لنهر ديالى الحالي). وكانت لهم مدينة (أوبيد Opîd) من الكلمة الكردية-الهندية (apas-ap) بمعنى الماء. وإضافة إلى ذلك يقارن اللفظة الكردية (zerz) مع اللغة اللاتينية المقرون بوجود مماثلة الهندو-إيرانية مع اللفظة الإليرية القديمة لقبائل (dardî) القاطنة قديماً في البلقان. ويضيف غولياموف أنه من الممكن، ليس فقط السيكغين (قبيلة شَكاكا) بل والداردين (Zerzî) قبائل من أصول ميدية-كردية في البلقان لتتطابق لفظة (zerz) مع اسم الشعب الهندو-أوربي (drdry) ضمن التحالف الحثي للملك موفاتاليس الذين خاضوا حملة مشتركة على مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. هذه الحقيقة تثبت بدقة وجود القبائل اللوبية

(drdry- zerz) الكردية الهندو-أوربية في آسيا الصغرى منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد لا بل وقبله[12].

يوجد نص ديني إيزيدي اسمه (قەولێ بابەکرێ ئۆمەرێ زەرزایی) يتحدث عن فضائل الأخلاق:

ژ قەولێ بابەکرێ ئۆمەرایێ زەرزایی / من رواية أبي بكر أومر الزرزايي

هەکە دوو مێرا کرە تەبایی /إذا اتفق (اتحد) شخصان

بفروارا شیخادی ومەلک شێخ سن /بأمر من الشيخ آدي والملك الشيخ سن

دێ چیایی داننە سەر چیایی! /يضعان جبلاً فوق جبل![13]

مازال يحتفظ الموروث الثقافي والديني الإيزيدي باسم (زرزا) من عمقه التاريخي العتيق، في مرحلة اكتشاف الإنسان للزراعة وتدجين الحيوانات كالماعز البري والبقر والحصان، ويضع للغنم والماعز إلهاً باسم (مَم شفان Mem Şivan), وللأبقار إلهاً باسم (گاڤانێ زەرزا Gavanê Zerza). ما يخص موضوعنا هنا هو معرفة ثلاث مسائل وتحليلها:

الأولى: إن الدوملي والزرزايي قبيلة واحدة. وأحفاد (زرزا) القبيلة الهندو-آريه القديمة من شعوب زاغروس من الكوتيين واللولوبيين والحوريين-الميتانيين، مازالت باقية باسم (زازا- دوملي) في موطنها كردستان. تدين الزازا في كردستان الشمالية بالمذهب العلوي (العلي إلهي). وتسمى لهجتهم بالزازاكية أو الدوملكية. كما أن عوائل الزازايين (ظاظا) في كردستان (روزآفا) تحولوا إلى الدين الإسلامي. أما الدومليون والهكاريون في كردستان الجنوبي فمازالوا على ديانتهم القديمة الإيزيدية، ويحتفظون ببعض عقائدهم القديمة مثل (كافانى زرزا) إله الأبقار والحيوانات، كما تنحصر وظيفة (القوالين) ومرافقة (الطاووس-السنجق) بيد رجال هاتين العشيرتين. ويقول بعض أهل التاريخ إن (الزرزائية) كلمة أعجمية معناها ولد الذئب، وإنهم ممن تكرّد من العجم المنسوبين إلى ملوكهم[14].

الثانية: ما العلاقة بين عبادة بعض الحيوانات أو تقديسها ولاسيما التي دجنها الإنسان القديم كالثور والبقر والماعز والحصان، ووضع لها إلهاً (كافانى زرزان) الباقية إلى حد الآن في الموروث الثقافي والديني الإيزيدي؛ وبين عبادة العجل (العجل

الذهبي) عند اليهود كما تمت الإشارة إليه في أعلاه؟ السؤال: هل أخذ اليهود عبادة الثور (العجل الذهبي) من الإيزيديين، أحفاد الشعب الكوتي الزاغروسي كما يقول غولياموف، أم أخذها الإيزيدية من اليهود؟

يدفعنا البحث في هذه النقطة إلى معرفة تاريخ مسقط رأس أسباط اليهود الاثني عشر إلى جانب مراجعة كتاب التوراة نفسه، فضلاً عن معرفة آراء بعض الباحثين المختصين في هذا الجانب.

يؤكد الباحث والمفكر القدير الدكتور سيد القمني، في حلقة كاملة مسجلة له في تاريخ 19/10/2018 تحت عنوان: "موقع التجلي الأعظم", أن اللاويين-الليفيين أصبحوا كهنة يهوه والمسؤولين عن خدمة تابوت العهد وتقديم القرابين ومراسيم الصلاة. ويؤيد السيد القمني قول فرويد سيغموند بأن (الليفيين- اللاويين) لم يكونوا إسرائيليين, وإنما هم مصريون خرجوا مع أسباط بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء وكنعان والحجاز، مستنداً في تحليله إلى ما جاء في التوراة: "لا تكره مصرياً لأنك كنت في أرضهم، والأولاد الذين يولدون من أمّ في جماعة الرب الجيل الثالث، يدخلون في دين إسرائيل"[15]. وكذلك قول التوراة "أما لاوي فلا تحسبه ولا تعده من بني إسرائيل"[16] ، و"لا يكون لسبط لاوي قسم ولا نصيب مع أخيه بني إسرائيل، ولا يدخل في الأرض، الرب هو نصيبه"[17]. ويقول السيد القمني إن الإله (يهوه) مصري، وإن الكهنة (اللاويين) الذين خرجوا مع الإسرائيليين مصريون، لكن الإسرائيليين استبعدوا سبط لاوي من الميراث لأنهم مصريون، ويحذر: "احترز من أن تترك اللاوي كل أيامك على أرضك، واللاوي الذي في أبوابكم ليس له قسم ولا نصيب معكم"[18]

أما المؤرخ (غولياموف) فله رأي آخر حول الموضوع نفسه، إذ يذهب أبعد من ذلك استناداً إلى الوثائق التاريخية وعلم الاشتقاق اللغوي واعتماداً على كتاب العهد القديم نفسه، يقول: هنا يمكن العودة إلى موطن سكن أسباط اليهود الاثني عشر. يقول كتاب العهد القديم: "فلما اقترب موسى من المحلة رأى "العجل" والرقص، فاشتد غضبه ورمى اللوحتين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل"[19] وهذا يدلّ على أن عبادة (الثور/العجل) كانت موجودة بين اليهود، وجاء موسى ليحاربها. السؤال: من أين جاءت عبادة العجل؟ هذا ما سنوضحه لاحقاً.

"ثم أخذ العجل الذي صنعوه، فأحرقه بالنار."[20] وكلّم الرب موسى فقال: "قدم سبط لاوي ليقفوا بين يدي هارون الكاهن ويخدموه" و"يتولوا عنه وعن الجماعة حراسة خيمة الاجتماع، ويخدموا المسكن"، ويحافظوا على جميع أمتعة خيمة الاجتماع، وينوبوا عن بني إسرائيل فيما يُطلب منهم في خدمة المسكن"[21].

يتبين من نص العهد القديم أن سبط لاوي شكّلوا طبقة القديسين على اليهود، علماً أن اليهود لا يعتبرون سبط (لاوي-اللاويين-الليفيين) من أسباطهم الأصلية. فمَنْ هم اللاويون؟ ومن أين قدموا؟

يقول السيد (صلوات غولياموف): إن يعقوب، زعيم شعب إسرائيل, بعد أن نشب خلاف بينه وبين أخيه عيسو على الزعامة التي باركها له والده إسحق، وبطلب من أمه (رفقة)؛ هرب إلى كوردستان حيث بيت خاله (لابانLapan) ووصية والده: "لا تأخذ امرأة من بنات كنعان. اذهب شمالاً إلى ميزوبوتاميا إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وتزوج امرأة من هناك، من بنات لابان أخي أمك"[22]. يشكل هذا المكان (أي ميزوبوتاميا) في العهد القديم لغزاً كبيراً ويطرح أسئلة تحتاج إلى أجوبة، بنظر (غولياموف)، كون ميزوبوتاميا ليست موطناً للساميين. أما التوراة فتنظر على الدوام إلى هذه المنطقة بوصفها موطناً قديماً لليهود. ويفصل اليهودية عن بقية الساميين-العرب تماماً كعنصر مختلف. ويذكر أنه في (بادانPadan) في جبال زاغروس، ولد لإسحق من ليئة وراحيل وجواريه الأبناء الذين تولوا فيما بعد الزعامة, وأصبحوا بطارقة لاثنتي عشرة قبيلة إسرائيلية. بهذا يتراءى إثنياً أن الأجداد القدامى لبني إسرائيل هم الكرد القدامى. وبعد أن اغتنى إسحق عاد مع أسرته من موطن أمه من مملكة (بادان) الكاشية على سفوح زاغروس الشرقية إلى كنعان في الشرق الأوسط.[23] وعاد من سبي بابل من كوردستان (ورد في الكتاب المقدس ذكر خافر-نهر خابور) إلى يهوذا مع زربابل 360 شخصاً فقط. (عزرا: 2، 42-40) وبهذا نرى أن أجداد اليهود كانوا يعبدون الإله نفسه الذي كان عند الكاشيين-الهندو-آريين.

من المرجح جداً أن تكون قصة تاريخ (سبط لاوي) بالذات، هي مفتاح فكّ لغز (همسات) بعض رجال الدين الإيزيدي المتداولة (عائلة شيوخ فخرالدين) على وجه الخصوص، في صلة القرابة التي تجمعهم مع اليهود، وكون أصلهم من مصر! لنستشهد

بـ (سَبَقَة) من نص ديني إيزيدي جاء على لسان (الشيخ فخرالدين الآدياني):

١٠- ژ قەولێ شێخ فەخرێ ئادییە/ من حديث الشيخ فخرالدين الآدياني

ئەزی ئەسلیمە، ژ ناڤودکارێ ئەسلییە/ أصيل أنا مِنْ نسل المشاهير

ئەزی مسری بووم، ژ مسرێیە! /مصرياً كنت، من مصر

١١- ژ ئەسلێ خۆدا ئەزی مسری بووم/بالأصل كنت مصرياً

ژ نوورا ئیلاهی بووم / كنت من النور الإلهي

جیێ حەسەن بەسری بووم! / كنت في مقام الحسن البصري![24]

كما أن هناك نصاً دينياً طويلاً عنوانه (قەولێ شێخ وئاقوبێ موسا= قول الشيخ ويعقوب موسى)[25]. يتكون من (82 سبقة), عبارة عن حوار ديني بين (الشيخ ويعقوب موسى). فمن هو (الشيخ)؟ ومن هو (يعقوب موسى)؟

قدمت القبائل اليهودية من ميزوبوتاميا إلى كنعان في الشرق الأوسط، وسعت إلى عدم الاختلاط مع السكان المحليين الساميين والهندو- أوربيين (الحيثيين)، وعدم التزاوج منهم إلا في حالات قليلة. واختفت عادة الزواج والتزاوج من فئته وطبقته عند اليهود، لكن بقيت عند الإيزيديين في ميزوبوتاميا حيث الزواج ملزم بين الطبقات[26].

من الجدير بالذكر أن جميع زعماء القبائل الاثني عشرة اليهودية، من ضمنها قبيلة اللاويين، قد ولدوا على أراضي كردستان في عائلة يعقوب. وأن (الكرد اللاويين خوشافي) كما يسميهم غولياموف وكما جاء ذكرهم في الكتاب المقدس، امتزجوا مع السكان الكرد المحليين؛ لأن جدهم لاوي الابن الثالث ليعقوب وليئة قد ولد في كوردستان في مملكة بادان الكاشية- البختيارية في أعالي ديالى في زاغروس[27]، كما أُشير إليه. ويؤكد غولياموف الأصل الكردي لطبقة اللاويين من خلال حمل العديد من اللاويين الاسم الكردي (خوشفيXoševî) الوارد ذكره في العهد القديم[28]. ويعتقد أن اللاويين الــ 360 شخصاً من أصل 38000 شخصاً الذين عادوا إلى إسرائيل. هم من قبيلة خوشناو الكردية التي تقطن في شمال شرق العراق بكردستان جنوب شرقي مدينة راوندوز وحتى هولير[29]. وهنا من الممكن أن نقول كان أجداد اليهود يتحدثون باللغة الكوتية (أسلاف الكرد).

تطرق كتاب العهد القديم التوراة إلى مملكة (بادان Padan) الكوتية على سفوح

جبال زاغروس. وكان ملك الكاشيين آكوم كاك رم في الألف الثاني (1571-1595 ق.م.) ملكاً على آلمان وبادان الجبليتين في أعالي نهر ديالى وفروعه[30]. كما يؤكد كتاب التوراة نزوح العنصر الهندي -آري من الشرق إلى الغرب من خلال وصف انتقال أبرام (إبراهيم الخليل) مع أسرته من أور الخلديين إلى حرّان, ثم إلى كنعان في الشرق الأوسط حيث التقوا مجدداً بقبائل الحيثيين الهندو-أوربية.

فمن هو (إبراهيم الخليل)؟ وأين مسقط رأسه حسب المصادر الدينية والتاريخية؟ هناك جدل كبير حول أصل إبراهيم ومسقط رأسه؛ فالديانات المعروفة بالإبراهيمية (اليهود والمسيحية والإسلام) يرون في إبراهيم أباً للأنبياء وأصروا، مع قسم من المنقبين الآثاريين[31] ، أن مدينة (أور) الكلدانيين الواردة في كتاب التوراة هي نفسها مسقط رأس إبراهيم الخليل. لكن الآثاري (Cordon C. H.)، في بحث منشور له في مجلة دراسات الشرق الأوسط, فنّد آراء القائلين إن مدينة (أور) التي كشف عنها (دولي) في جنوب العراق هي مسقط رأس إبراهيم الخليل. وكتب أن هناك مدينة أخرى حملت الاسم نفسه (أورا) تقع شمال بلاد الرافدين بالقرب من (حرّان), استناداً إلى نصوص مكتشفة في مدينة أوغاريت (رأس شمرا الحالية) في شمال سورية من القرن الثالث عشر قبل الميلاد, تذكر اسم مستوطنة تدعى (أورا). كما جاء هذا الاسم في رسالة أرسلها أحد ملوك الحيثيين إلى ملك أوغاريت[32]. وأن (أورا) التي يتحدث عنها الآثاري (غوردون) هي، باعتقادي، (أوركيش) التي تعرف اليوم بـ (تل موزان) الموجودة في رأس العين (Serê Kanyê) في عامودا شمال شرق سورية، وكانت عاصمة الحوريين. وهذا يتفق مع القصة المتداولة عند الإيزيديين عن هجرة النبي إبراهيم إلى مصر ومنها إلى الحجاز حيث بنى فيها مكة[33]. وربما هذا دليل آخر يُفَنّد كون (أور) الموجودة جنوب وادي الرافدين (محافظة الناصرية حالياً) مسقط رأس إبراهيم الخليل.

وثمة مصادر تذكر وجود مملكة جنوب منطقة القوقاز كانت تدعى (كلديا). وكانت مسرحاً للعديد من الشعوب الهندو-أوربية، ورد من بينهم ذكر اسم قبيلة تدعى (أبرو) التي فسرها بعض العلماء بـ (العبري) أو (خابيرو). وقد دمرت تلك الشعوب تحت ضربات شعوب هندو-أوربية أخرى تحمل اسم (كلديا- خلديا) نسبة إلى إلههم

القومي (كالد). وأن مملكة (كالديا- خالديا) أورارتو كانت موجودة سنة (1500 ق.م.) عاصمتها توسبا (وان الحالية).

أنكر الدكتور كمال صليبي أن تكون فلسطين هي كنعان التوراتية، وزعم أن كنعان تقع في جبال عسير في جزيرة العرب، مخالفاً جميع الآراء التي تقول إن النبي إبراهيم قَدِمَ من (أور كلدانيين)، ورأى أنه قَدِمَ من (أور كسديم) الواردة في التوراة، مركزاً في بحثه على المقارنات اللغوية بين أسماء المواقع والقبائل والأشخاص والمواقع التي وردت في التوراة وبين ما يقابلها في منطقة عسير، لكن دون القيام ببذل جهد في الجانب التاريخي. لقد جاء الدكتور سيد القمني ليَفُكَ اللغز الذي لم يتمكن منه الدكتور الصليبي تاريخياً، من خلال تأكيده (السيد القمني) أنه ليس في الأصل العبري أية (أور كلدانيين)، إنما كانت هناك (أور كسديم)، فقد حللها وأرجعها إلى جذرها (أرف كشد بن سام بن نوح). ومن خلال اختلاط حرف الفاء بحرف الباء، وتبادل حرف (ش) مع (س) في اللغات السامية ولغات أخرى، فالاسم (أرف كشد) ينطق نطقاً صحيحاً (أرب كسد). وكانت المنطقة الواقعة جغرافياً بين جبال آرارات الأرمينية وبين بلاد الحوريين تعرف باسم (آرابخيتيس) المعروفة حالياً باسم (البك)، وبما أن لسان هذه المنطقة هندو-أوربي، فإنه بحذف التصريف الاسمي (الياء والسين الأخيرة) في كلمة (أرابخيتيس) تصبح (أرابخسد). وبتبادل حرف (ك) مع حرف (خ) في اللسانين السامي والهندو-أوربي، فإنه يمكننا القول دون تردد: إن (أرابخسد) هي التسمية (أربكسد) وعينها[34]. لذا فإن اسم المنطقة (أربكسد) يلتقي تماماً مع بطل من أبطال التوراة، هو (أربكسد) أو(أرفخشد) بن سام بن نوح جد النبي إبراهيم. ولن نكون مخطئين إن حسبنا منطقة (أربكسد) هي المعنية في التوراة بـ (أور الكلدانيين) التي هي في الأصل العبري (أوركسديم). و(كسديم) جمع عبري للمفرد (كسد) فهي (أوركسد) أو(أوربكسد) أو(أربكسد). وإن الشعب الساكن في المناطق الشمالية هو الذي غزا بلاد الرافدين ودمر بابل واحتلها زمناً، وأسس ما عُرف في التاريخ باسم دولة بابل الثالثة. هؤلاء هم مَنْ تشير إليهم النصوص الرافدينية القديمة باسم (الكاسيين) أو (كاسي-كاشي). ولو جمعنا المفرد (كاسي) مع اللسان العبري فإنه يصبح (كسديم)[35]. وحسب التقسيم التوراتي للأجناس، فإن (يافث) هو أبو

المجموعة الهندو-أوربية, من ضمنهم سكان بلاد الحوريين وما جاورها, وهي الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية. وفي هذه الحال إبراهيم لم ينطلق من (أور الكلدانيين) في جنوب العراق الحالي متجهاً إلى (حرّان أو حاران) في أقصى الشمال ليعود مرة أخرى جنوباً نحو كنعان، وإنما المنطقي هو مغادرته منطقة (أربكسد) المعروفة حالياً باسم (إلبك) جنوب غربي أرمينيا متجهاً إلى بلاد الحوريين أو (حاران)، وهنا تصبح حاران محطة عبور تماماً في الطريق إلى كنعان.

يتضح "أن العشيرة الإبراهيمية وافدة إلى المنطقة من جنوب أرمينيا، وقد وصفت التوراة (إبراهيم) أنه رجل آرامي. وأقر التراث الإسلامي أنه ليس من أبناء الجنس العربي، وأن لسانه لم يكن عربياً"[36] وحدث شيء ما دفع شعوب منطقة الحوريين إلى الخروج في موجات متتابعة من الهجرات، ربما بسبب كارثة طبيعية كالزلازل أو مجموعة كوارث متتابعة كالبراكين. وهذا ما يفسر الهجرات المتتابعة التي اتجهت إلى المنطقة، منهم النبي إبراهيم أو قبيلة (الكاسيين الهكسوس). وعندما يتعايش شعب في منطقة حدودية كالكاسيين الهندو-أوربيين مع شعب سامي كالكنعانيين، فإنه في علم اللغويات من السهل تبادل حرف (ح) مع حرف (أ) أو مع الهمزة. ومن هنا كان ممكناً أن تنطق (حور) الواقعة في المنطقة الكاسية أو (حور الكاسيين) بنطق (أور كاسيين) التي يجب نطقها عبرياً (أور- كسديم)[37].

لتأكيد فرضيته أو نظريته، يذهب سيد القمني إلى القول: إن اسم (مديان) المذكور في التوراة هو تحوير من بلاد (ميتان- متياني) الشعب الحوري الذي تتحدث عنه نصوص مصر القديمة التي كانت تقع في أقصى حدود الإمبراطورية المصرية شمالاً، وهي نفسها (مديان) الواردة في قصة موسى التوراتي بدليل أن اللسان المصري كان يقلب حرف (د) إلى (ت). فلماذا لا تكون (ميتان) باللسان المصري هي (مديان) باللسان العبري؟ ويقول: إن موسى التوراتي نشأ في كنف فرعون مصر، لكنه تورط في جريمة قتل، قتل فيها مصرياً انتصاراً لواحد من أبناء جلدته؛ فهرب من مصر خوفاً من العقاب, ونزل في البلاد الموسومة باسم (مديان) التي تبين من خلال التفسير أنها بلاد الحوريين، وهو المكان نفسه الذي جاءت منه عشيرة النبي إبراهيم. وتأكيداً لذلك فإن قصة الخلق التوراتية التي تقول إن أصل البشرية خرج من مكان على

الأرض يدعى (جنّة عدن)، ومن هذا المكان تنبع أربعة أنهار: دجلة والفرات وسيحون وجيحون، ماهي سوى قمم أرمينيا، الموطن الأصلي للعشيرة الإبراهيمية.

ويضيف: لعل موسى التوراتي "عندما فرّ إلى تلك البلاد، استعاد هناك أطياف الجدود والجلدة، وتعرف إلى إلهه (جاهوفاه Gahove), وعاد يخبر أهله في مصر أن (جاهوفاه) يطلب خروجهم من مصر إلى أرض تصفها التوراة دائماً بأنها "أرض اللبن والعسل" و"جنّة الرب". وإن موسى كان يقصد تماماً بلاد أرابخيتيس الحورية"[38] و"الحوريات" و"الحور" في الجنة التي جاء ذكرها في القرآن والأحاديث النبوية والمأثور الإسلامي ما هي إلا إشارة إلى نساء الحوريين الميتانيين.

هنالك قرينة مهمة يجب التوقف عندها, تتعلق بقدوم القبيلة الإبراهيمية من جنوب أرمينيا حيث المنطقة الحورية أو الكاسية أو(أور كسديم)، فهو مستمد من كتب التراث الإسلامية نفسها التي تتحدث عن "العرب العاربة" و"العرب المستعربة" أو العرب الإسماعيلية (نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم), يطلق عليهم "العرب العدنانية" والمستعربة، أي لم يكونوا عرباً بل اكتسبوها، وسكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام نحو الشمال الخط القادم من الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية.

السؤال هنا: هل المقصود بتسمية (العدنانية) التعريف بموطنهم (عدن) أو(جنّة عدن) كما أطلقت عليه التوراة، حيث الأنهار الأربعة، وربما هبوط بعض هؤلاء وتوغلهم جنوباً في جزيرة العرب، هو الذي أعطى مدينة (عدن) اليمنية اسمها الحالي تيمناً بـ (عدن) الأصلية في الشمال حيث جنّة حور (الحوريين) الكاسية؟

يكتب سيد القمني: "إذا ذهبنا إلى أن العدنانيين ليسوا عرباً أصلاء، وإنما قدموا من (أور الكاسيين) أوأنهم إحدى القبائل الكاسية، فإننا نجد كتب التراث ماتزال تحفظ بين طياتها قولاً رائع الدلالة والتوافق مع مذهبنا، فتقول السيرة الحلبية: "وولد عدنان يقال لهم قيس، وولد قحطان يقال لهم يمن"، فهذا ليس في حاجة إلى إيضاح أن (كاسي) هي (قيسي). وإذا كنا قد زعمنا أن القبيلة العدنانية (النسل الإبراهيمي) قد وفدت ضمن مجموعة من الهجرات المتدفقة على شكل موجات متلاحقة من المنطقة الكاسية. وربما اسم (قريش) في الأصل محرّف من الاسم (كيش) بحذف حرف التصريف لحرف (الراء) في كلمة (قريش) تصبح (قيش). وبتبادل حرف (ق) مع حرف (ك) في

اللسانين السامي والهندو- أوربي؛ فإنه يسوغ لنا القول من دون تردد: إن (قريش) هي تسمية (كيش) ذاتها. وأن الكاسيين هبطوا في غزو بربري كاسح على دولة بابل الأولى عام 1600 ق.م.، وضمن تلك الموجات جاءت موجة من الهكسوس لتحتل مصر 1680 ق.م. وإذا كان حرف (هـ) في اللغات السامية والآرامية هو أداة تعريف في بداية اللفظ المعرف، فكلمة (هكسوس) بعد حذف التصريف الاسمي (حرف السين الأخير) تصبح (كاسو)[39] أو (الكاسي) الذي يشير إلى الموطن الأصلي للهكسوس براري غرب آسيا، وهو اتجاه يشمل منطقة (آرارات) في أرمينيا!![40]

استاداً إلى قاعدة اللسانيات وارتباطاً بموضوعنا هذا، نبحث في جذر قبيلة/عشيرة (هكار- هكاري). يبدو أن لها صلة بمدينة (حران) الحورية-الميتانية-الكاسية. كان يطلق اسم (كارداكا) على مدينة (حران) باللغة السومرية، و(كاران) عند اليونانيين، و(كاريا) عند أبي الكنيسة هليوبوليس، أي مدينة الوثنية، و(كارت) الذي يعني (كاري) أو الحوري نسبة إلى الشعب الحوري. ويلتقي هذا الاسم في اللغة (الكارية) مع اسم مدينة أوغاريت من (أوكارت). ورد اسمها في سجلات تل العمارنة (أوكارت). وتربط المصادر التاريخية بين الحوريين والهكسوس[41]. كما كان يطلق عليها (خرانو) بمعنى الطريق. والحرف اللاحقة (خ) كان من شأن اللغة الحورية قبل اللغة الأرمنية. و(كار) لغة، تأتي بمعنى الأرض أوالبلاد، مكان عبادة "دونياش" معبود من معبودات الكاسيين، فيكون معنى "كاردونياش" مملكة الإله "دونياش"[42].

إذا كان حرف (هـ) في اللغات السامية والآرامية هو أداة تعريف في بداية اللفظ المعرف، فإن كلمة (هكسوس) بعد حذف حرف (هـ) أداة التصريف الاسمي تصبح (كاسو) أو(كاسي) كما ذكر في أعلاه. واعتماداً على القاعدة نفسها، فإن كلمة (هكار- هكاري) بعد حذف (هـ) أداة التصريف الاسمي تصبح (كار) أو(كاري) الاسم القديم لمدينة حران الحورية/ مركز عبادة الإله سن/إله القمر. المدينة التي ربما ولد فيها (إبراهيم الخليل) أو قَدم إليها من جنوب أرمينيا، آرارات و(وان)، حيث المنطقة الحورية أو الكاسية (أور كسديم). وليس قادماً إليها من (أور كلدان) جنوب بلاد وادي الرافدين كما تذكر بعض الكتب التاريخية. علماً أن اللغة الآرامية مشتقة من اللغة البابلية وأن لغة الأحلاف في الحجاز كانت بابلية ثم تطورت إلى لغة (كارية/ حورية) عرفت

بعد ذلك بالآرامية. ويقول الدكتور لويس عوض إن الكثير من مفردات اللغة العربية وتراكيبها تعود إلى أصول هندو-آرية. والأكثر عبقرية أن يكشف لنا د.لويس عوض أن هناك عنصراً له لغة تختلف تماماً عن اللغة العربية جاء من أرمينيا، وهم العرب المعروفون بالقيسية العدنانية[43]. و(هاريا) الصيغة الأخيرة لـ (هوري) كانت تقع على الجهة التي تسمى الآن (درسيم). وكانت هذه البلاد الجبلية منفصلة عن (أنزيت وبلاخوفيت) بنهر مراد صو، أي لم تدخل ضمن بلاد (كردويني)، ومع ذلك فقد ذكر اسم سكانها من قبل ملوك آشور مثل (كورتي) الذين عاشوا في قمم جبال (آزو) التي تشبه الخناجر في (هاريا)[44].

بعد عرض الحقائق التاريخية من قبل المفكر سيد القمني والعالِم صلوات غوليانوف، يأخذنا التاريخ أيضاً إلى تسليط الضوء على المجموعة البشرية التي عرفت بـ (الهكسوس). دخلوا مصر وحكموها عدة قرون، ثم خرجوا إلى أرض كنعان والحجاز؛ هل هم الشعب العبري الذي يخصص له سفر في التوراة باسم (سفر الخروج)، أم هم شعوب وقبائل أخرى احتضنوا اليهود أنفسهم، أم هم الشعب الـ (كاسي-كاشي) المشار إليهم أعلاه؟

الهكسوس، أو كما يُسمون "ملوك الرعاة" ليسوا بني إسرائيل وإنما بنو إسرائيل. كانوا على الأرجح قبائل دخلت مصر تحت جناح الهكسوس وعاشت في كنفهم[45]. ويضيف قائلاً "ربما كان الكاسيون في العراق القديم فرعاً من الهكسوس ولغتهم ميدية. وخمودي (khumoudi) هم جيل من أجيال الهكسوس سكيذية، وهي أحد فروع المجموعة الهندو-أوربية[46].

وحسب مصادر تاريخية قديمة موثقة، يعدّ الكاشيون أو الكاسيون الذين حكموا بابل من قبائل جبال زاغروس من أسلاف الخالديين (الخالتيين) وكذلك (البختياريين). وبعد سقوط الكاشيين على يد العيلاميين هاجر قسم منهم شرقاً إلى أن وصلوا الهند، والقسم الآخر هاجروا إلى الغرب حتى وصلوا إلى أرض كنعان ومصر والحجاز، وهم الذين عرفوا بالهكسوس. وأن اسم كاسكي (كاشو-أكاد) من أصل كوتي قديم بمعنى (المارد). وقد جاء هذا الاسم في كتاب العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس تحت اسم الجبابرة (العمالقة): (وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات

الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة ذوو اسم) أي عمالقة (كوسكي)[47]. علماً أن هذه الفكرة أخذها كتاب التوراة من ملحمة كلكامش السومرية-الأكادية وأسره على يد السكان المحليين من الكوتيين- الخالديين-الكرد. وتعكس ملحمة كلكامش ديانة الكوتيين-السومريين، لكن الفُلك في أعقاب الطوفان اصطدم بـ (سن كلوب- جبل شنكال الحالي)، وتوقف عند جبل نيتسير (جبل جودي الحالي) حيث يحتفل الإيزيديون حتى يومنا هذا, ويقدمون الذبائح أضحية بمناسبة يوم إنقاذ البشرية من الطوفان[48]. وما يعزز هذا الرأي وجود نص ديني إيزيدي بعنوان (كاو وماسى= الثور والسمك) باللغة الكردية، يتحدث عن العمالقة والخروج من مصر بصورة مختلفة عما ورد في سفر الخروج في كتاب التوراة.

تطرق كاتبان إيزيديان مؤخراً إلى علاقة الإيزيدية بـ (قريش)، وهما الكاتب (شمدين باراني) في كتابه (حباب ذهبية إيزيدية)[49] ، والكاتب (خالد علوكه) في مقال بعنوان (قريش), نشر في موقع بحزاني الالكتروني في شهر أيلول/2020. يعتمد الأستاذ (باراني) في تحليله على اسم (قريش) الوارد في بعض النصوص الدينية الإيزيدية، يقارنه مع ما جاء في بعض المصادر الإسلامية عن ربط (قريش) بشخص اسمه (عبد شمس) وهو أخو (هاشم) أولاد عبد المناف، وأن (عبد شمس) كان يؤمن بالسلطان إيزيد الذي فَصَلَ بسيف الحق بين التوءمين (هاشم وقريش) حسب النص الديني الإيزيدي! ويعتقد أن هذا الكاهن أو الإله الذي فَصَلَ بين التوءمين كان على دين الأحناف الذين كانوا يعبدون الله[50]. ويرجع علاقة الإيزيديين بهاشم وقريش إلى علاقة البابليين بقريش، حين تسلم الملك البابلي نبونائيد، المتزوج من ابنة نبوخذ نصر، العرش في عام (556 ق.م.)، ترك حكم بابل لابنه بلشاصر، وجاء معتكفاً إلى مدينة تيماء في الجزيرة العربية (مركز عبادة إله القمر سين). ويتطرق بعدها إلى صنمي (أساف ونائلة) اللذين كانا موجودَين في الكعبة قبل الإسلام. ولا يستبعد أن يكون هذان الصنمان إلهين من آلهة الخصب والحب، ولا سيّما أن أحدهما كان في موضع زمزم. ولعل (أساف) كان في الأصل يسمى (يوسف)، ويقابل اسم يوسف في العربية (يزيد). ويفيد هذا الاسم المعنى ذاته الذي يفيده اسم يوسف في اللغة العبرية[51].

وبناءً على ذلك التحليل وربط (قريش) الواردة في النصوص الدينية بالبابليين، يخرج الكاتب باستنتاج أن للإيزيديين جذرين أساسيين, هما:

1 - جذر شمالي له علاقة بالميثرائية.

2 - جذر جنوبي له علاقة بسومر وبابل والأحناف والنبي إبراهيم الخليل[52].

أما الكاتب (خالد علوكه) في مقاله المذكور أعلاه فينطلق, كما يقول بنفسه، من كتاب السيد شمدين باراني قبل طبعه مبتدئاً باستنتاجه أن للإيزيديين جذرين أساسيين، شمالي وجنوبي. ويضيف معلومات أخرى، منها أن مسقط رأس والدة نابونائيد كان في مدينة حرّان/أورفا، وأن (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية، كانت حرّان مقر إقامته محاطاً بالقبائل القيسية، وأن معاوية بن أبي سفيان بنى كنيسة في الرها/ حرّان، منقولاً من جمس بنكهام في كتابه "رحلتي إلى العراق 1816". ويذكر أن بني عبد شمس كانوا بطناً من قريش. ويذكر الدكتور محمد بهجت القيسي في مؤلفه "ملامح في فقه اللهجات العربية والأكدية": أن أصل قريش من بلاد الشام وتحديداً من سورية. وهم من العرب المستعربة أتوا من الشمال لأسباب أهمها الناحية الأنثروبولوجية. وأن قريش أخذت محل جرهم في مكة، أي أنها قبيلة وافدة إلى مكة. وينقل لنا من المصدر نفسه "انتساب قريش إلى عدنان" وكذلك "كان نسب قريش من النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم". ويكتب "يظهر أن قريش كانت في أول أمرها طبقة دينية واقتصادية وأخيراً سياسية. وقبيلة قريش هي الوحيدة المذكورة في القرآن في سورة قريش، وهي سورة (مكية)". وكان واجبها قبل الإسلام خدمة البيت الحرام الحقيقي وليس خدمة صنم الأحجار، ولا علاقة لها بقوم الرسول الأميين، ولا بالكعبة الحالية قبل الإسلام. وقد سُئِل الإمام علي بن أبي طالب مرة: ما أصلكم معاشرَ قريش؟ قال: "إننا من نبط كوثي في العراق".

تناول الكاتبان (شمدين باراني) و(خالد علوكه) هذا الموضوع الحساس مؤخراً في عام 2020، وحاولا العودة إلى بعض المصادر التي تتحدث عن أصل قريش، إلا أنهما لم يبذلا الجهد الكافي في الجانب التاريخي لفك لغز (قريش)؛ ولماذا جاء ذكرها في بعض النصوص الدينية الإيزيدية؟ يظن لفيف من الأيزيدية للأسباب أعلاه الانتماء إلى العرب. ودون البحث عن أصول إبراهيم الخليل التاريخية والموطن الذي قَدم منه؛

إذ يوجد التباس في القول إن للديانة الايزيدية جذرين، شمالي له علاقة بالميثرائية، وجنوبي له علاقة بسومر وبابل والأحناف وقريش، أي من شبه جزيرة العرب، كما ذهب إليه الكاتبان (باراني وعلوكه).

يبدو أن هنالك التباس لدى الكاتبين فيما يخص جذر الديانة الإيزيدية. فللإيزيدية جذر واحد، هو الجذر الشمالي النابع من أفكار المجموعات البشرية التي عاشت في أراضي آسيا الصغرى وجبال زاغروس. انتقلت تلك العقيدة الدينية إلى الجزيرة من خلال هجرة أقوام هندو-أوربية وهندو- آرية. ومن المعروف أن بلاد الشرق الأدنى تعرضت منذ الألف الثاني قبل الميلاد إلى هجمات القبائل الهندية -الأوربية من الشمال والشرق، وإلى هجرة جماعات منهم إلى الجنوب. منهم الكاشيون الذين استولوا على بابل وحكموها أكثر من خمسة قرون (1700 – 1175 ق.م.). ويبدو أن موجات من المهاجرين بلغت سورية وفلسطين, ودفعت قسماً من سكان هذه البلاد الذين احتفظوا بهم إلى دخول مصر معهم. يقول فيليب فراداي أن (الكاسيين/الكاشيين) في العراق القديم من الهكسوس المعروفين في التاريخ بـ (العماليق). كانت لغتهم ميدية.

ويذكر العالِم لويس عوض في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية) أن آماليك (العماليق) ومنهم "بنو جرهم" كانوا يسكنون مكة، وهم (الهكسوس) أو الملوك الرعاة. طردوا من مصر واستوطنوا الحجاز, واتخذوا مكة عاصمة لهم. ويضيف: نزل العرب إلى الجزيرة وفيها سكان أصليون، منهم العماليق/الهكسوس. ويربط الدكتور سيد القمني في كتابه (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) بين الهكسوس والنبي إبراهيم لغوياً وتاريخياً، ويقول: إذا كان "ولد عدنان يقال لهم قيس، وولد قحطان يقال لهم يمن"، فهذا ليس في حاجة إلى إيضاح أن (كاسي) هي (قيسي). وأن القبيلة العدنانية (النسل الإبراهيمي) قد وفدت ضمن مجموعة من الهجرات المتدفقة على شكل موجات متلاحقة من المنطقة الكاسية. سكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام نحو الشمال الخط القادم من الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية. ويعتقد أن المقصود من إطلاق تسمية (العدنانية) التعريف بموطنهم (عدن) أو(جنّة عدن) كما أطلقت عليه التوراة حيث الأنهار الأربعة. وربما توغُل بعضهم جنوباً في جزيرة العرب هو الذي أعطى مدينة (عدن) اليمنية اسمها الحالي تيمناً بـ (عدن) الأصلية في الشمال حيث

جنّة حور (الحوريين) الكاسية. وربما اسم (قريش) في الأصل محرّف من الاسم (كيش) بحذف حرف التصريف (الراء) في كلمة (قريش) فتصبح (قيش)، وبتبادل حرف (ق) مع حرف (ك) في اللسانين السامي والهندو-أوربي؛ فإنه يسوغ لنا القول دون تردد: إن (قريش) هي تسمية (كيش) نفسها. وأن الكاسيين هبطوا في غزو بربري كاسح على دولة بابل الأولى عام 1600 ق.م. أو قبلها بعقود كثيرة. ومن ضمن تلك الموجات جاءت موجة من الهكسوس لتحتل مصر 1680 ق.م. وإذا كان حرف (هـ) في اللغات السامية والآرامية هو أداة تعريف في بداية اللفظ المعرف، وعليه فكلمة (هكسوس) بعد حذف التصريف الاسمي (حرف السين الأخير) تصبح (كاسو) أو (الكاسي) الذي يشير إلى الموطن الأصلي للهكسوس براري غرب آسيا، وهو اتجاه يشمل منطقة (آرارات) في أرمينيا!![53]

من المهم أيضاً اللجوء إلى البراهين العلمية وعلم الجينات وإلى مؤسس علم الجينولوجيا الحمض النووي DNA العالِم (أناتولي كليوسوف) في معرض حديثه عن الآريين بين العرب، يقول: إذا تحدثنا بدقة وفي زمننا الحالي، نقول: تشكل المجموعة الفردانية R1A بين العرب تسعة في المئة بين الذكور بما في ذلك القبائل الشهيرة مثل (قريش)[54]. وإن مصطلح "Aribi" الدال على الجماعة والمستخدم في كتابات الملك الآشوري "سرجون الثاني" والذي صيغ من المفرد بصوره المتنوعة "Arubu, Arab, Arabu"، لا يعني "عرباً" أو "عربياً"، إنما كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية. والوحدة الصوتية الأخيرة في الكلمة نفسها في اللغة العيلامية هي "pe" بدلاً من "be" لتدل على الجمع، فكانت "Aripe" تدل على " الآريين"[55]. وبهذا فإن العرب لا تعني العرق بالضرورة، بل فرعاً/مجموعة نزلت من السهل الأوربي الشرقي إلى أن استقرت في الجزيرة وسميت باسمهم بعد ذلك. قريباً من مصطلح (عرب) أعلاه، يطلق كتاب العهد القديم (التوراة) على إبراهيم لفظاً عبرياً وآرامياً. تلك الألفاظ والتهجئة المختلفة للكلمة (أرامو إبو) كانت مصطلحات معروفة وشائعة تطلق على الـ "نصف بدوي" حتى استُبدلت بلفظة عرب[56].

لذا ليس مُستغرباً أن نجد كلمة (قريش وهاشم ومكة) في بعض النصوص الدينية الإيزيدية. كما ليس غريباً أن نجد أسماء الهكسوس في مصر باقية بين الإيزيدية إلى

حد الآن: (سيسي، حمو، خمو، رمو، سيتو، سينو، عبادة الشمس التي انتقلت إلى مصر زمن أخناتون بزواجه من نفرتيتي الحورية، الختان،.. إلخ.). وأيضاً بقاء أساطير وقصص من كنعان بسبب سيطرة الهكسوس على فلسطين وسورية "بلاد الشام": قصة فرعون والزواج من امه, قصة النبي سليمان, قصة أيوب, إبراهيم الخليل...إلخ). وهنالك معلومة تاريخية ذات مغزى كبير، هي أنه في العصر السومري والكاشي حدث دمج بين عقيدة دوموزي و(بابار) إله الشمس (1500 قبل الميلاد)، وانتقلت مفاهيم دوموزي الخاصة بالموت والانبعاث إلى الإله بابار.

بابزەر-زرباب

جاء في النص الديني:

٣- ل من جەما دبوون بابزەرە /تجمع حولي الـ "بابزريين"

ژ بەحرێت گران ئەم بدەين خەبەرە/سنسرد الأخبار من البحر العظيم

تێ هەينە دوڕو جەوهەرە /حيث يوجد فيه الدرر والجواهر

٤- ل من جەما دبوون زربابە /تجمع حولي الـ "زربايين"

ژ بەحرێت گران بدەين تەبابە[57] /سنقدم الأصل (الخلق) من ذلك البحر

بەحرێت گران مير دناڤە[58] /البحار العظيمة يوجد فيها الأمير

-42 لوێ دبوون حەسنێ زرباڤە /وُجد هنالك عُلية الـ "بابزريين"[59]

جيايەک ل بانيا راوەستاڤە /جبل شامخ يشق عنان السماء

ژێر بەرەو ژێر بەحرەکە بڤاڤە[60] /أسفله برّ وبحر

٢٠-کەسەکی نەدی لبا چو بابزەرا/لم يلاحظ أحد عند أي من الـ "بابزريين"

مێرێ عالم بخونت دەفتەرا[61] /وعالم يقرأ الكتب

ببە عاشقێ حسنێت ئەسمەرا[62] /أن يصبح عاشقاً لحسنائه السمراء!

ما معنى كلمة (بابزر-زرباب) الواردة في أهم نص ديني إيزيدي؟ ومن أين تستمد جذرها التاريخي؟ وكيف يمكننا تفسير مفهومها؟ المسألة، حسب ظني، ليست سهلة بل تحتاج إلى النبش والتقصي والبحث العلمي لعلنا نصل إلى تحليل واقعي ومنطقي. هل لكلمة (زرباب- بابزر) علاقة بـاسم (زربابل) الذي يأتي ذكره في كتاب العهد

القديم والجديد؟ لنستعرض معنى الكلمة ودور شخصية (زربابل) في التاريخ.

إن (زربابل)، حسب (قاموس أعلام الكتاب المقدس من العهد القديم والجديد)، هو اسم أكدي معناه (زرع بابل) أو (المولود في بابل). وحسب التوراة إن (شالتيئيل)، إحدى الشخصيات اليهودية, لم يخلف ذرية. وأخوه (فدايا) تزوج بامرأة أخيه شالتيئيل وأقام نسلاً لأخيه حسب الناموس (سفر تثنية 25:5 و6)، وأنجبا ولداً سموه (زربابل)، فصار ابناً لشالتيئيل. واشترك زربابل مع يشوع بن يوصاداق وأخوته الكهنة في بناء المذبح[63]. ويعتبر زربابل من بيت النبي داود[64]. وقد تسلم من كورش الفارسي الآنية المقدسة التي ردت إلى أورشليم، ثم أصبح والياً ووضع أساس الهيكل (زك 10-4:6), وعرف الهيكل باسم زربابل[65]. أما موقع (ويكيبيديا) فيذكر أن زربابل هو زوزوبابل (Zorobabel) الحاكم الفارسي لإقليم يهوه، وحفيد يهويا كين، ملك يهوذا قبل الأخير. قاد زربابل مجموعة من اليهود يقدر عددهم بـ42360 شخصاً, عائدين من الأسر البابلي في السنة الأولى لحكم سيروس ملك فارس[66]. وتذكر بعض المصادر: لما أذن كورش الفارسي برحيل السبايا اليهود في بابل، رجع خمسون ألفاً منهم تحت قيادة زربابل عام 536 قبل الميلاد.

تستخدم كلمة (زرباب) في اللغة الكورمانجية- الكردية للأب غير الحقيقي لأولاد تزوجت أمهم من شخص آخر، سواء بعد وفاة أبيهم أم بعد طلاقها منه. وتستخدم كلمة (زرّ) اصطلاحاً للشخص المتعجرف والمستقوي على الآخرين، و(زرشَرمْ) بمعنى الوقح. كما تستخدم لأشجار من صنف واحد لكنها لا ثمر مثل (زركوز) أي شجرة الجوز غير المثمرة.

في الجانب الآخر, نجد في كتاب (صلوات غولياموف) الكثير من الإشارات الدالة على كلمة ومفهوم (زرباب) وتحريفها (بابزر) في عمقه الإيماني التاريخي، فقد كان من سمات المدن في العهد السومري والأقدم منه أن يتشكل المجتمع حول معبد إله القبيلة. وإن الكثير، إن لم تكن أغلبية أسماء الآلهة، ترجع إلى اللغة الكوتية-الكوردية (التيغرية القديمة)[67]. ومن أسماء تلك الآلهة اسم الإله (زابابا)، الإله الأساسي لمدينة كيش السومرية. و(زابابا) في الأصل كان كبير آلهة القبيلة إله زاغروس-كوتي[68]. كما يأتي ذكر أحد الملوك الكاشيين باسم (زابابا-شوميدين) الذي حكم بابل بعد عام

1158 قبل الميلاد، ويبين اسمه الكوتي-الكوردي القديم أنه ينحدر من مناطق جبال زاغروس[69].

وحسب المعطيات السومرية الأكادية، وبفضل "جدول الملوك" فإن سرغون مؤسس السلالة الملكية لأكاد وسومر انحدر من مقاطعة كيش السومرية الشمالية التي كانت تتبع إله القبيلة زابابا، وكان يعمل بستانياً لدى أور- زابابا لوغال الرابع من سلالة كيش الملكية.

وحسب التقسيم الديني -الطبقي للمجتمع السومري، كان سرغون هو الابن الضال للمعبد من أسرة الآلهة الكوتية-الكوردية- إلهة الخصب إينانا. وهذا يدل على انحدار سرغون من أصول سومرية لا سامية كما ينكر. ولاعتبارات دينية بنى سرغون معبودة الإله زابابا المهدم في مدينة كيش[70]. وهنا يلفت المؤرخ (غولياموف) أنظار السومرلوجيين إلى ما يسميهم أحفاد سكان العصر السومري الكوتيين كنموذج وإلى الكورد- اليزيديين الموزعين على أربع طوائف حيث يمنع الزواج بينها منعاً باتاً. أؤلئك الايزيديون الذين حملوا تقاليدهم وحافظوا عليها آلاف السنين من خلال منع الزواج في طوائف الكهنة (بير والأشراف وشيخ) ليس فقط من مريديهم بل ومن بعضهم. في حين لا يمكن الحديث أصلاً عن زواج اليزيدي مع الكوردي المسلم[71]. وبهذا الصدد يرى (ي.م. دياكوف) أن الإيزيديين من أحفاد الكوتيين سكان زاغروس، وأنهم كانوا يقفون لأمر ما في مرحلة المشاعية يقودنا التحليل أعلاه، فيما يخص "زرباب- زربابل- بابزَر"، إلى استنتاج شبه تام بأن جذره يعود إلى اللغة الكوتية القديمة المعروفة بــ (التيغرية) نسبة إلى نهر دجلة الذي ينبع ويجري في أراضي زاغروس.

1. صلوات كولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمة عن الروسية: د. إسماعيل حصاف، الطبعة الأولى, أربيل 2011، ص 418.
2. ما أكثر من تواجد اسم (كوتي – Kutî) بين إيزيدية سنجار.
3. صلوات كولياموف، مصدر سابق، ص 24.
4. كوتان (Kutan -kotan): في اللهجة الكرمانجية التي يتكلم بها الإيزيديون الحاليون، تأتي (كوتان- Kutan) بالياء المدودة بمعنى الضرب أو الطحن، أما (kotan) بالياء المفتوحة فتأتي بمعنى حظيرة الحيوانات، المصنوع سياجها عادة من الخشب وأغصان الأشجار وتكون غالباً خارج البيت. أما المحراث فيسمى بــ (هَفجار= Hevcar)، الحرث والفلاحة يطلق عليها (جوت- Cot)، والذي يقوم بعملية الحراثة يعرف بــ (جوتيار-Cotyar). بهذا نلاحظ التطابق بين كلمة (جوت-جوتي) وكلمة (كوتي) بناءً على قانون تبادل الشفويات مثل، پ (p)= ب (b)، ف (f)= ڤ (v)، ق (q)= ك (k)، ج (c)= ك (k)...وهنا يبدو أن كلمة (كوتي) يعود جذرها إلى (جوت – جوتي)، تلك المجموعة البشرية

(القبيلة-الشعب) التي اكتشفت وتعلمت الزراعة، وبدأت حراثة الأرض والاستقرار من خلال بناء بيوت تعرف اليوم بالقرى، بمعنى حدث التحول التدريجي من حياة الرعي والترحال إلى حياة التحضر، ومن هناك أتى مصطلح (كرمانج أو كورمانج) الفلاحين الحضريين ومن دون أن يقطعوا صلتهم بتربية المواشي والحيوانات. (خليل)

5. المصدر السابق نفسه، ص 24 و25.
6. سمعت كثيراً ما كان يتردد بين العديد من رجال الدين وكبار العمر الايزيديين بأن جذور ديانتهم تعود للهند من دون إعطاء أية تفاصيل.
7. صلوات كولياموف، مصدر سابق، ص 37-34.
8. المصدر السابق نفسه، ص 38.
9. تعد (بودي) قبيلة إيزيدية، ما زالت بقاياها تعيش بالاسم القديم بين إيزيدية أرمينيا وجورجيا.
10. صلوات كولياموف، ص 418
11. خليل جندي، نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، مطبعة رابوون، السويد، 1998، ص26. وكذلك كتابي: الدين الإيزيدي: المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، مسارات- الرافدين، 2018، ص 27.
12. غولياموف، مصدر سابق، ص 376-375.
13. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مصدر سابق، ص443.
14. ابن فضل الله العمري/ شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية- بيروت، ص 202.
15. التثنية:7/23.
16. سفر العدد 1/49.
17. سفر التكوين 18/1.
18. تثنية 12/12)
19. سفر الخروج 32:18.
20. سفر الخروج 32:20.
21. (سفر العدد: 5،6،7،8)
22. غولياموف، مصدر سابق، (ص 415)
23. غولياموف، نفس المصدر، ص 418.
24. د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي (باللغة الكردية)، من (قەولێ شێخ فەخرێ زەرگون، سەبەقە 10 – 11)، مصدر سابق، ص 534.
25. المصدر السابق نفسه، من ص 536 الى 551.
26. صلوات غولياموف، مصدر سابق، ص 415.
27. نفس المصدر، (ص 420)
28. المصدر السابق نفسه، ص 421.
29. المصدر السابق نفسه، ص 422.
30. المصدر السابق نفسه، ص 417.
31. ليونارد دولي (1980-1880) من أشهر علماء الآثار البريطانيين، نقّب في (أور) الموجودة بالقرب من مدينة الناصرية جنوب العراق الحالي للفترة -1922 1934م، واكتشف القبور الملكية السومرية فيها.
32. محمد وحيد خياط، مجلة سومر، المجلد الأول، العدد 33 لسنة 1977، ص 98. (مقتبس من مقال للكاتب: أحمد ملا خليل، إبراهيم خليل الرحمن بين (أور) الكلدان و(أورا) كوردستان، مجلة لالش، العدد 9، 1998، ص 64 – 74)
33. للمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة كتابي: "صفحات من الأدب الديني الإيزيدي" باللغة الكردية، الطبعة الثانية، سبيريز، دهوك، 2013، ص291 – 340
34. د. سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مطبعة مدبولي الصغير، الطبعة الأولى، 1996، ص 51-50.
35. المصدر السابق نفسه، ص 51.
36. د. سيد القمني، المصدر السابق، ص 53.
37. المصدر السابق نفسه، ص 54
38. المصدرنفسه، ص 57.
39. ما أكثرالأسماء المستخدمة بين الإيزيديين التي توحي بانتسابها إلى الشعب الكاسي الكاشي الهندو-أوربي القديم، خاصة في سنجار (قاسو، قاسكى، كسو)!

40. د. سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مصدر سابق، ص 60-59.
41. د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الثاني، ص 229-228.
42. سوسوني سميث، مقتبس من: محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، ص6.
43. د. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، ج 2، ص 503.
44. مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية J.B. A.s. 1919 ص 147 154."مقتبس من: د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، ص44.
45. الدكتور لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، مطبعة رؤية/القاهرة الطبعة الأولى 2006، ص45.
46. د. لويس عوض، نفس المصدر السابق، ص 56 و58.
47. صلوات كولياموف، مصدر سابق، ص 149.
48. نفس المصدر السابق، ص113.
49. شمدين باراني، مصدر سابق، ص 392 - 408.
50. المصدر السابق نفسه، ص 394.
51. المصدر السابق نفسه، ص 398 - 399.
52. شمدين باراني، حبات ذهبية إيزيدية، طبعة طهران، مكتبة خاني، دهوك، 2020، ص633.
53. د. سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مصدر سابق، ص 60-59.
54. البروفيسور أناتولي كليوسوف Anatoly Klesov في كتابه "الإنسان بين العلم والأسطورة/شجرة النسب/والتاريخ للإنسان، ترجمة: عبد الله أحمد"
55. دياكونوف، إ.م.: ميديا، ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ، ص210. وكذلك انظر إلى كتاب: آفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى، 2007، ص 20).
56. بروس فيلر، مصدر سابق، 51.
57. ربما كلمة (ته بابه) تتكون من (تا= بمعنى إلى أو حتى) و (باب/باف= بمعنى الأب أو الجد، الأصل) كون النص الديني يعتبر من النصوص الأساسية الذي يبحث في كيفية ظهور الخليقة.
58. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، سبيرز، دهوك، الطبعة الثانية 2013، ص 166 النص الديني (قه ولى مسكينێ ژارێ= الناسك الفقير)
59. بابزر: أظن أن المقصود هم كهنة اليهود من سبط اللاويين الذين لا ينتمون اثنياً إلى الهيود، بل إلى قبيلة أو عشيرة هاجرت مع العشائر اليهودية من ميزوبوتاميا (كردستان الحالية) إلى مصر وأرض كنعان، ونزح قسم منهم جنوباً إلى الحجاز.
60. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني، النص الديني (گاى و ماسى= الثور والسمك)، سبقه 42، ص 275
61. يقصد العالم الديني قارئ الكتب المقدسة.
62. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني (قه ولى دنون مسري= ذنون المصري)، سبقه 20، ص 588.
63. سفر عزرا9-3:1.
64. متي(1:12) و(لوقا3:13.
65. قاموس أعلام الكتاب المقدس من العهد القديم والجديد.
66. كما ورد في (سفر عزرا2:2).
67. التيغرية: نسبة الى تايغر- نهر دجلة.
68. غولياموف، ص 61 و83 و84.
69. غولياموف، ص 148.
70. المصدر السابق نفسه، ص 92.
71. المصدر السابق نفسه، ص 89.

الفصل الثاني عشر

الحملات الظالمة على الشيخ آدي وسلالته[1]

* الصراع بين الجهل العلم والسياسة يطمس الحقائق...

يخلّف سقوط الأنظمة الدكتاتورية، كما هو الحال في العراق عام 2003، أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية. وتنهار مؤسسات الدولة ويضعف القانون، ويلجأ الناس إلى الاحتماء بالدين وسلطة العشيرة والآغا، ويتراجع الفكر الحُرْ لصالح الإيمان بالخرافات والفكر الغيبي وكذلك الفلتان في معظم المجالات، وفقدان الثقة والتنكر للكثير من القيم بما فيها المحسوبة على (المقدس). لا يشذّ المكوّن الإيزيدي في العراق عن هذه القاعدة، بل كان نصيبه أكثر من بقية مكونات الشعب وشرائح المجتمع العراقي نتيجة لما تعرض له من إبادة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) الإجرامي في3/آب/2014. أضافت (نعمة) الشبكة ووسائل التواصل الاجتماعي من قبل بعضهم عاملاً آخراً من عوامل تشويه الحقائق، وزرع بذور التفرقة وعدم الثقة والتهجم على رموز دينية من دون حق، ومن دون دراية بحركة التاريخ. بدل أن يعالج هؤلاء على جراح الإبادة المدمرة ومخلفاتها، وإيجاد حلول لانتشال المجتمع الإيزيدي المشتت حالياً من وضعه المأساوي. نجد على وسائل التواصل الاجتماعي تعليقات وفيديوهات وندوات على (البالتوك). وفي الجانب الورقي إصدار كتب بألوان مختلفة وتحت عناوين لا تمت إلى الحقيقة، ولا إلى المقدس بصلة أبداً. تأتي جلّ تلك المحاولات ردوداً انفعالية للنيل بالدرجة الأولى من دور ومكانة الشيخ آدي بن مسافر الهكاري وعائلته وخلفائه من بعده خاصة والسلالة الآدانية عامةً. ذلك الشيخ الجليل الذي أجمع المؤرخون وأصحاب كُتُبْ السِير على صلاحه وزهده وورعه. ذلك الشيخ الذي قال بحقة الشيخ عبد القادر الكيلاني: "لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة، لنالها عدي بن مسافر"[2].

لست في معرض الدفاع عن هذا الشيخ الجليل، فتاريخه معروف للقاصي والداني. له مكانته ودوره في الديانة الإيزيدية. إلاّ أنّ الذي أوقفني هنا، بوصفي مطلعاً متواضعاً على تاريخ الديانة، هو صدّ حملات التشوية والتحامل ولوي

الحقائق وتزوير التاريخ من قبل بعضهم بحق الشيخ آدي بن مسافر وبحق سلالته. مما يثير الاستغراب أن يأتي بعض من رافعي رايات التشويه والاستهانة بأكبر رمز ديني، ليصفه بـ (اللاجئ) تارة و(اللائذ) تارة أخرى!! وابداء استغرابه بالقول: "كيف استطاع عربيٌ- يقصد به الشيخ عدي بن مسافر- منفردٌ لائذٌ أن يستقطب اهتمام الإيزديين واسترشادهم به مهما لديه من الصلاح وسعة العلم.؟!" حتى أن أولئك الكُتاب لا يراعون في أحاديثهم أو كتاباتهم عن الشيخ آدي عبارات الاحترام في حين يكثرون من حروف (ص) و(ع) و(رع) عندما يأتي ذكر أسماء أنبياء وأولياء آخرين! علماً أنني مع أسلوب الاحترام ولست ضده.

أنقل هنا رأي بعض الكتاب والمؤرخين بشأن انتماء الشيخ آدي بن مسافر إلى القبيلة التيراهية. فمن هي هذه القبيلة؟ ولماذا يلقب الشيخ آدي بالهكاري؟

التيراهية من قبائل الميديين الذين تتابعت هجراتهم إلى جبال هكاريا ومقلوب بعد سقوط ميديا عام (550 ق.م.) أمام ضربات الهخامنشيين. وذكر ابن الأثير أن الميديين (التراهيين) كانوا على دين الكفر[3]. وذكرهم المطران سليمان الصائغ بأنهم قوم من الأكراد، ربما كانوا على دين المانوية، ولم يكونوا على دين الزرادشتية، واتبعوا طريقة الشيخ عدي بن مسافر وانضموا إلى لوائه[4]. وهناك كتّاب يقولون إن الإيزيديين يرجعون إلى القبيلة (التيراهية- ترياها)، وإن والد عدي (مسفر بن أحمد الكردي) تيرهي. وقد جاء ذكرهم في تاريخ ابن العبري[5] ، وأخذ عنه هذا الخبر الراهب (راميشوع) في منتصف القرن الخامس عشر[6]. ويخرج الكاتب عبد الرحمن مزوري في بحث له حول الشيخ عدي بن مسافر باستنتاج مفاده، أن الشيخ عدي بن مسافر كردي هكاري من طائفة الدونبلية-الدومبلية الكوردية الذائعة الصيت، وأن أول من نسبه إلى الأموينن هو الصوفي المصري علي بن يوسف الشطنوفي المتوفى بعد عدي بن مسافر بمئة وستة وخمسين عاماً، وجاء هذا النسب سقيماً في أسانيده. ويضيف: الديانة الإيزيدية التي عرفت بالداسنية أيضاً، ديانة آرية عريقة ترجع إلى ما قبل الزرادشتية، بدليل أن زرادشت نفسه هو الذي وصفهم باطلاً بالداسنية- دائيفايسنا, أي عبدة أهريمن كي يشق له طريقاً خاصاً بين السبل والطرق الأخرى المعروفة آنذاك[7].

نشرت بتاريخ 31/آب/2002 مقالاً من أربع وعشرين صفحة تحت عنوان: (الشيخ آدي مُجدّد الديانة الإيزيدية وليس مؤسسها/الإيزيدية ليست بطائفة إسلامية!)، في معرض الرد على مقال للسيد نزار آغري تحت عنوان (الشيخ عدي وطاؤوس ملك).

بما أن عناصر حملات التهجم والتشويه هي واحدة تقريباً رغم فارق الزمن، أرى من الضروري نقل فقرات إضافية من ذلك المقال أمام أنظار حاملي راية معاداة الشيخ آدي الأول وخلفائه وإلغاء دورهم وتشويه التاريخ الإيزيدي.

"الشيخ آدي بن مسافر ليس نبياً ولا مؤسس الديانة الإيزيدية بل هو مجددها. ولولا الضوابط والتعاليم التي رسمها لهم في تلك الحقبة من صراع الأديان والمذاهب، ولولا تقبله ولو شكلياً بعض العقائد الإسلامية من باب التقية، لذابت الإيزيدية فعلاً في بحر الإسلام، ولم نكن لنلمس عنهم من أثر اليوم!. فالشيخ آدي هو الذي رصّ صفوف الإيزيديين وأعاد تنظيمهم روحياً واجتماعياً بفضل علمه الغزير ومعرفته الواسعة وكراماته وقوة تأثيره، وأوصلهم إلى برّ الأمان حتى يومنا هذا. وبسبب ذلك نال مكانته العظيمة بين الإيزيديين, ونظروا إليه بعين التبجيل، وأصبحت العديد من الطقوس والرموز باسمه، مثل:(طاووسا شيخادى، قه واليت شيخادى، مالا شيخادى" لالش"، جلى شيخادى."

ولم يكن هذا الشيخ الكبير، رغم ولادته في بيت فار- شوف الأكراد- بعلبك، غريباً عن أهله وجذوره وانتمائه القومي وجبله الشامخ (هكار)[8]. حتى أن اسم والد الشيخ آدي (مسافر) يوحي أنه ليس اسماً بل صفة، أي (المهاجر). لكن من أين؟ بالطبع لقبه (الهكاري) يجيب عن السؤال. فالاحتمال الكبير والمنطقي يدور حول سفر، أو هجرة أجداد الشيخ آدي في زمن يُظن أنه ليس بالبعيد، من منطقة (هكار) إلى الشام والاستقرار في منطقة بعلبك حيث ولادة الشيخ آدي, تُعرف حتى يومنا هذا بـ "شوف الأكراد". وليست مصادفة أن يردد الكرد اليوم في أحد أمثالهم الشعبية: (شام شه كره، وه لات شيرينتره) بما معناه: (بلاد الشام حلوة، لكن الوطن أحلى!). أليس هذا حنيناً إلى الوطن وأرض الأجداد؟. السؤال: متى ولماذا هذه الهجرة ولماذا من هكار إلى الشام؟ تقول مصادر إن الشيخ آدي

انحدر من الأقوام التيراهية المجوسية التي هاجرت بسبب الاضطهاد من جبال هكاري نحو الشام، وعاد من "بيت فار" في البقاع اللبناني إلى هكار في أيام الخليفة العباسي المستكفي بالله حيث استطاع استمالة الخليفة لمطالبه بعد أن أظهر العديد من الكرامات، فأعطاهما كتاباً إلى سلطان الموصل "ناصر الدولة" لمعاونتهما في ترميم وإعادة الأماكن المقدسة في لالش، ومنحهما الحرية التامة لإقامة شعائر ديانتهما بين الداسنيين[9]. إن آراء بعض الكتّاب الذين يقولون إن (أحمد) كان اسم والد الشيخ عدي وكان من الأكراد التيراهية، لم تنبع من فراغ وينبغي ألا تهمل عند دراسة ظاهرة الشيخ آدي وحياته.

إن نظرية هرب الشيخ آدي من العباسيين واحياء الخلافة الأموية بعد مائتي عام نظرية ضعيفة ومشكوك فيها، هدفها الحط من مكانة الشيخ آدي.

إذا كان الشيخ آدي يبحث عن مجده الشخصي ويتنكر لدين آبائه، لماذا "يسير ذكره في الآفاق ويتبعه خلق كثير ويتجاوز اعتقادهم فيه الحد الذي جعلوه قِبلتهم التي يصلون إليها وذخرهم في الآخرة التي يعولون عليها. وينقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل، ويبني هناك زاوية. ويميل إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يُسمع لأرباب الزوايا مثله"[10] ؟

نقولك إذا كان "مسلماً ومتصوفاً عربياً" كيف يحتل بهذه السهولة مكانته وشهرته بين أهل تلك النواحي كلها حسب شهادة ابن خلكان؟ وكيف يتقبلون تعاليمه دون ردّ فعل يذكر، إذا لم يكن هنالك نسيجاً روحياً يربط تعاليم الشيخ آدي مع عقيدة أهل المنطقة التي عاد إليها؟[11].

ظهرت ظاهرة التصوف قبل الإسلام. وهي تتصل اتصالاً قوياً بالديانات الهندوسية والزرادشتية والمانوية والبوذية وكذلك الإيزيدية. والإسلام الأصولي يحارب ظاهرة التصوف، ويعدّها هرطقة وكفر وإلحاد. دخل التصوف إلى الإسلام من خلال الشعوب الهندو-إيرانية التي انضوت تحت لواء الإسلام في فترة الغزوات وإجبار معتنقي الأديان الأخرى الدخول في الدين الجديد. وما أن امتلأت بيوت مال المسلمين وخزائن الخلفاء والولاة والأمراء بأموال ومجوهرات بلاد فارس وسمرقند وبخارى والهند والصين شرقاً إلى إسبانيا غرباً وبلاد الروم شمالاً،

وهدأت صهيل الخيول وصليل السيوف في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(720-681م) الذي دعا إلى الإصلاحات الإدارية والمالية والدينية وترتيب البيت الإسلامي؛ برزت بين الشعوب والقوميات غير العربية شخصيات ورموز تحنّ إلى معتقدات وطقوس أجدادها التي تحمل البراءة وعشق الطبيعة، وتشّد الفرد إلى السّماء من دون وسيط ولا نبي يرشدهم إلى خالقهم؛ ما دام الخالق قد هداهم أو ترك عندهم وكيله المسمى بـ "العقل"، يستطيعون بواسطته البحث عن الحقيقة الإلهية وحقيقة الوجود والعدالة، والتمييز بين الخير والشّر.

نعم، ظهرت بين القوميات غير العربية رموز لكبار المتصوفين, أمثال: الحسين بن منصور الحلاج (922-828م) من عشيرة حلاجيان بكردستان إيران، الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 561هجرية/1166م)، إبراهيم بن أدهم "براهيمى ئاده ما- مير براهيم" في الأدب الديني الإيزيدي (ت 161هجرية/778م) أصله من مدينة بلخ، شهاب الدين السهروردي (ت 587هجرية/1191م) اتّهم بالإلحاد وقتل في حلب. الشيخ بايزيد البسطامي، جلال الدين الرومي (1273-1207م)، فريد الدين مسعود (1265-1175) ولي صوفي هندي جشتيّ، يؤمه المسلمون والهندوس والسيخ. الشيخ أدي بن مسافر(1161-1078م) هكاري الأصل. فريد الدين العطّار (ت 1230م)، شمس الدين التبريزي، قضيب البان الموصلي (ولد في الموصل عام 1078م) وهو كردي من قرية تربه سبي/القوش."

نعم، قدم الشيخ آدي بن مسافر ومن معه آنذاك إلى لالش المقام من دون أن يكون على رأس جيش أو يكون لديه طائرات ودبابات وصواريخ. ولم يأت ويقطع أكثر من ألف كيلومتر من بيت فار/بعلبك في لبنان إلى لالش من أجل نزهة سياحية، بل يفترض أن يكون قدومه لوجود أرضية وعلاقة مع جماعة تنتظره (المسيرة والأقوال والسبقات التي تتحدث عن مجيئه: علي الهكاري الذي كان يسكن قرية كلي خديدا، وقصته معروفة بين الإيزيديين، مع قصة محمدي ربن وغنمه/قول "بير شرف"..)، بمعنى أنه قدم بين أهله وأبناء جلدته. أحبهم وأحبوه وآمنوا به واعتقدوا بأفكاره, وموروثه الديني المتداول إلى وقتنا هذا خيرُ دليل.

إذن، الشيخ آدي بن مسافر وعائلته وجميع الذين صاحبوه من (بيت فار) إلى

لالش، لم يكونوا أناساً طارئين على المنطقة التي قدموا إليها، ولا لاجئين ولا فارين من سلطة العباسيين ليتركوا بعلبك في أرض الشام إلى (الملاذ) لالش!! كما أن الادعاء بأن هؤلاء دعوا إلى إحياء الدولة الأموية ادعاء عار عن الصحة. فلم نسمع في التاريخ أن متصوفين كبار، ومن ضمنهم (الشيخ آدي)، قادوا ثورات ودعوا إلى إحياء دول بقدر نظرتهم الخاصة إلى الكون والخليقة, وموقفهم من العالم وعلاقتهم مع الخالق!! أما بشأن ما يطرح من بعض الكتّاب حول الانتماء الأموي أو العربي لهذه العائلة، نود أن نناقش ذلك بالمنهج العلمي؛ أي بالدليل والحجة التي لا تقبل الشك مقابل التعصب والنظرة القومية الضيقة والعاطفة الوجدانية. وهنا ألجأ إلى أحدث الاكتشافات العلمية وهو علم الجينات وإلى مؤسس علم جينولوجيا الحمض النووي (DNA) البروفيسور أناتولي كليوسوف [12](Anatoly Klesov) في معرض حديثه عن الآريين، نلخص ما يهم موضوعنا:

إن الآريين سلالة قديمة جاؤوا إلى شمال الهند قبل (3500 ق.م), وذلك من خلال استناد المؤرخين إلى معطيات علم الآثار ودراسة وتحليل الحمض النووي (DNA) لرفات المجموعة الفردانية (R1A) المكتشفة عند البشر القدماء في أراضي السهل الروسي التي تمتد من بحر البلطيق غرباً حتى جبال الأورال شرقاً، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر قزوين جنوباً. تَبيّنَ أنه ثمة سلالة ما في قديم الزمان, حمل أبناؤها المجموعة الفردانية (R1A). ومن المعروف أن هذه المجموعة الفردانية هي طفرة من المجموعة الفردانية (R1)، وهي بدورها مجموعة متفرعة من المجموعة (R). أما المجموعة الأقدم (R) فقد اكتُشفت في رفات صبيٍ عاش في جنوب سيبيريا قبل أربعة وعشرين ألف سنة قبل الميلاد. عُثر عليها في أثناء التنقيب في واحدة من أقدم أماكن وجود الانسان, تقع قرب قرية مالتا إلى الغرب من بحيرة بايكال. وفرع (R1A) بدأ من هناك, وكذلك (R1B) جاء من هناك إلى أوربا بطرق مختلفة. وصل الفرعان في نهاية المطاف إلى أوربا. وسلك حاملو المجموعة الفردانية (R1B) عبر سيبيريا كازاخستان وجنوب جبال أورال وعبر نهر الفولغا، ثم غادروا إلى الشرق الأوسط, ومنه إلى أوربا عبر شبه جزيرة إيبريا (شبه الجزيرة العربية). يبدو أن الطريق كان مجرباً منذ قديم الزمان، لأن العرب

الأمويين قد مضوا إلى هناك أيضاً ربما بالطرق نفسها. وأن الآريين شكلوا العرق الأوربي الجنوبي، أي أولئك الذين يعيشون على جانبي البحر الأبيض المتوسط, ويشكلون المجموعتين الفردانيتين (R1A) و(R1B). حاملو المجموعة الفردانية (R1A) قبل أن تصل المجموعة الفردانية (R1B) بكثير، وللمجموعة (R1A) أكثر من سبعمئة مجموعة فرعية؛ واحدة منها على درجة كبيرة من الأهمية هي المجموعة (R1AZ645). وبحسب جميع التعريفات فإن حاملي تلك المجموعات كانوا آريين. لقد ظهرت تلك المجموعة قبل ستة آلاف سنة. وهذا يتطابق مع ما يفترضه علماء الليسانيات بأن اللغات الهندو-أوربية السلف راحت تنقسم قبل ستة آلاف سنة تقريباً إلى فروع مختلفة، لذلك يمكن الافتراض أن أولئك هم الآريون الحقيقيون, ثم كفرضية مثيرة للجدل عن استيطان المجموعتين الفردانيتين (R1A) و(R1B) في أوربا.

ويضيف البروفيسور كليوسوف: إن حاملي المجموعة الفردانية (R1B), وفق الفرضية التي طرحتها عالمة الآثار والمختصة بالدراسات الثقافية (ماريا غيمبوتس)، راحوا قبل خمسة آلاف سنة يشنون غارات على الأماكن التي تعيش فيها المجموعة الفردانية (R1A), وصاروا يعملون على إفناء السكان المحليين، وكانت في الواقع إبادة جماعية. واستمرت الإبادة التدريجية التي قامت بها المجموعة الفردانية (R1B) ألف سنة تقريباً، وعلى هذا النحو طرد حاملو المجموعة الفردانية (R1A) ومن بقوا من تلك المجموعة على قيد الحياة إلى حيث شاءت لهم الأقدار. رحلوا إلى أراضي الجزر البريطانية, عُرفت لاحقاً بإسكندنافيا، وآسيا الصغرى والسهل الروسي. وبذلك حافظ حاملو المجموعة على وجودهم، وأنقذوا رصيدهم الجيني قبل خمسة آلاف سنة، فاستمرت ذريتهم وانقسمت إلى بضعة فروع. مضى جزء من ذريتهم جنوباً نحو الهند. وهناك قبل ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة وصل الآريون أنفسهم إلى الهند. وعند وصولهم، حسب إحدى الفرضيات، انعزلوا عن السكان المحليين، وبذلك شكلوا منها الطبقة النخبوية (كاستا). ومنذ ذلك الحين وإلى الآن نجد أغلبية ممثلي الطبقة العليا في الهند يمثلون المجموعة الفردانية R1A. (تصل النسبة إلى خمسة وسبعين في المئة). إنهم أحفاد أولئك الآريين الذين جاؤوا

إلى الهند من جنوب الأورال (وهنالك مصادر تقول إنهم جاؤوا من إيران). وتلك المجموعة من الآريين وصلوا إلى أراضي طاجكستان الحالية، وعاشوا هناك بضعة قرون ثم مضوا إلى إيران.

كانت تعني كلمة آري: الحر، النبيل، كريم النسب. وهذه الكلمة لم تكن تعني العِرق بالضرورة. وتعني أيضاً: "الانعزال عن الغرباء". (إلى حد الآن تستخدم كلمة "آيرى" في لهجة الإيزيديين بمعنى الانعزال) تغلب على الآريين القدماء مجموعة الفردانية R1A، أما المجموعات الفرعية، وخاصة المجموعة R1AZ645, فكانت تعود فقط إلى مجموعة معينة من الآريين. ومن كل هذه المجموعات الفرعية ظهرت ذريات, وجدنا في أحماضهم النووية علامات وأسماء مختلفة لمجموعة فردانية واحدة R1A. وهؤلاء هم: السلاف، الإيرانيون، الهندوس، الباكستانيون المعاصرون، وأخيراً العرب. ويذكر البروفيسور كليوسوف أناتولي في كتابه الآنف الذكر: يتفق علماء الآثار واللغويون على أن الآريين الأوائل أو آريي العصر الباكر أو الهندوآريين، بلغوا أراضي مملكة ميتاني في سورية الحالية قبل 3600 ق.م.. وكقاعدة عامة يخلص الباحثون اللغويون وعلماء الآثار إلى أن هؤلاء كانوا من النخبة، أي أن عدد من موروثات ذلك الزمن المكتشفة قد كتبت باللغة الحّرانية، وضمناً المبحث الشهير هكذا تكلم كيكولي مدرب الخيول من بلاد ميتاني[13]. ويقول إذا تحدثنا بدقة وفي زمننا الحالي، فالمجموعة الفردانية R1A تشكل بين العرب تسعة في المئة بين الذكور بما في ذلك القبائل الشهيرة مثل قريش. وأن مصطلح "Aribi" الدال على الجماعة والمستخدم في كتابات الملك الآشوري "سرجون الثاني" الذي صيغ من المفرد بصوره المتنوعة "Arubu, Arab, Ara-bu" لا يعني "عرباً" أو "عربياً"، إنما كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية. والوحدة الصوتية الأخيرة في الكلمة نفسها في اللغة العيلامية هي "pe" بدلاً من "be" لتدل على الجمع، فكانت "Aripe" تدل على " الآريين"[14] بهذا فإن العرب لا تعني الإثنية بالضرورة، بل فرعاً/مجموعة نزلت من السهل الأوربي الشرقي إلى أن استقروا في الجزيرة وسميت باسمهم بعد ذلك.

لاحظ الجدول الجيني المثبت أدناه لاثنين من شيوخ الشيخ حسن الذين ينتمون إلى المجموعة الفردانية (R1A)، واثنين من شيوخ الشمسانيين الذين ينتمون إلى المجموعة الفردانية (R1B), وكلاهما ينتميان إلى الآريين، وكلاهما نشأ في أوربا الشرقية وشمال شرق آسيا. وليس اعتباطاً المقولة الواردة في التراث الديني الإيزيدي "مالا ئاديا كوليت داركينه= سلالة آديان أزهار شجرة واحدة"، وليس كما يدعيه دعاة قصار النظر وأقلام الأزمات بأن سلالة فلان أقدم من فلانة، وتلك تنتمي إلى القومية الفلانية!

بصدد ذكر العرب، يكتب د. لويس عوض أن "العرب موجة متأخرة جداً من الموجات التي نزلت إلى شبه الجزيرة من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود نحو ألف سنة قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل."[15] ويضيف: إن موجة العرب تلك لم تستقر في مكان ما في بلاد ما بين النهرين أو في الشام، لأنها وجدت في تلك المناطق أقواماً منظمة أقوى منها بأساً وأعلى حضارة، فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة العربية عن طريق بادية الشام، حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندو-أوربية، أو لعلها آثرت حياة البداوة والرعي والتجارة التي ألفتها في مهدها الأول على حياة الاستقرار، ففضلت الحرية في شبه الجزيرة على القيد في وديان الأنهار, مكتفية بروابط العصبية أو القومية كأساس للتماسك الاجتماعي عن الارتباط بالوطن. سجن المتحضرين، على رأي إبن خلدون[16]. وهذا ما يؤكد نظرية البروفيسور أناتولي كليوسوف، لذا نرى أن الجذور المشتركة لعدد كبير من الكلمات العربية مع اللغات الأخرى ليست مصادفة. وبهذا فإن قبيلة قريش أصولها آرية، ولهذا السبب ترد في النصوص الدينية الإيزيدية[17].

ويمضي أناتولي في القول: حدث افتراق وتباعد للآريين مثل رسم النجمة، انطلق من النجمة شعاع نحو الهند, وآخر نحو إيران، وثالث نحو الشرق الأوسط[18]. لم يجرِ ذلك بتتابع وتسلسل بل بالتوازي والتزامن. آنئذٍ ما عاد الآريون الذين نتحدث عنهم هندو-أوربيين، بل صاروا آريين مستقرين في الشرق الأوسط، يمكن تسميتهم (آريين مستعربين). لكن التاريخ هنا ينعطف انعطافاً آخر، فإذا كان

الآريون في الهند حملة المجموعة الفردانية (R1A) قد انعزلوا كفئة عليا مغلقة, وفي الشرق الأوسط شكلوا النخبة[19]. هل يحق لنا الافتراض أن كلمة "آديان" هي تحوير لكلمة "آريان" بعد تبديل حرف "الراء" الصعب على النطق إلى حرف "الدال"؟! هذا ما لا استبعده شخصياً.

لا يقبل النظام الطبقي الاختلاط. ومنذ ذلك الحين لم يختلطوا بالآخرين، لذلك يتقيدون في الهند بنظام الانغلاق الطبقي. أما عند العرب فيبدو أن الانقسام لم يصل حد اللامعقول, وحاملو مجموعة (R1A) لم يوضعوا في منزلة القداسة. لو كان البروفيسور لديه اطلاع على نظام الزواج الطبقي عند الإيزيدية لقال إن هذه المجموعة الفردانية باقية وبتطرف طبقي ربما أكثر من الآريين الهندوس أنفسهم. حتى أن البروفيسور أناتولي يقول بتطابق 104 علامات من بين الـ 111 مؤشراً بين الروس والعرب (تستخدم كلمة العرب هنا بوصفها لغةً وليس عِرقاً أو مصطلحاً قومياً). وهذه خمس الطفرات تشكل الخمسة آلاف سنة التي تفصل بين الروس والعرب. السلف واحد في جميع الأحوال, وعاش قبل خمسة آلاف سنة على وجه التقريب، بعد ذلك افترقت الفروع. ونجم عن ذلك أن سلف إبراهيم جاء إلى أور من السهل الأوربي الشرقي. إذا عُرفت سرعة تشكيل الطفرات في الحمض النووي للإنسان، يمكن مقارنتها وحساب متى عاش أسلافنا، وإذا دُرست هذه السلسلة أو تلك من الطفرات يمكن على سبيل المثال بيان أن عند العرب مجموعة فردانية مشتركة مع الشعوب القديمة التي عبرت القوقاز ومرّت بالشرق الأوسط وتركت أثرها بين اليهود، وسارت أبعد نحو العرب. من المحتمل أنهم كانوا آريي مملكة ميتاني أو ربما كانوا حثيين، أي من الشعب الهندو-أوربي القديم. المجموعة الفردانيةR1A أقدم من R1B ؛ جاءت موجة حاملي مجموعة الفردانية الأخيرة, وأبادت مجموعة الفردانية الأولى وأزاحتها إلى مناطق أخرى[20].

يمكننا الافتراض أن الإيزيديين الحاليين كانوا في الأصل من سكان دولة الميتاني وربما الحثي، ومن حاملي المجموعة الفردانية R1A, وجاءت بعدها بألف سنة مجموعة الفردانية R1B, وقضوا على المجموعة R1A. ومن نجا منهم صفوا في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وسموا بـــاللغة العربية بالعدنانية أو(العرب

المستعربية). والمجموعتان الفردانيتان (R1A وR1B) تعودان إلى المجموعة الفردانية (R) ذات الأصل الآري سواء القادم إلينا عبر إيران أم الهند. وكلمة (آريان) تحولت إلى (آديان) بتحريف حرف (الراء) إلى (الدال). الانغلاق والزواج المغلق خير دليل على انتماء جميع هذه المجموعات التي صنفت فيما بعد بأسماء (الشيخ والبير والمريد) إلى (مالا ئاديا= عائلة آديان= آريان).

إن إشارة البروفيسور إلى آريي مملكة ميتاني تدفعنا إلى التوقف قليلاً عند الشعب الحوري (الهوري-الخوري) باعتبار المملكة الميتانية امتداداً جغرافياً وسياسياً وثقافياً له. كما يدفعنا إلى معرفة جغرافية (سوبارتو) بوصفها جزءاً مهماً من "مهبط البشرية" التي مرّت عليها تلك الحضارة العريقة، حيث كانت وما زالت جغرافية سِكن الإيزيديين تقع في غابر الزمان وإلى وقتنا الحالي على هذه الأرض.

ظهر اسم سوبارتو بصيغ متعددة، أولها بصيغة (سوبير SU-BIR) في الوثائق السومرية في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، و(شوبارتيم) و(عليام) في الصيغة الأكدية. وفي كلا العصرين السومري والأكدي استعمل هذا الاصطلاح مدلولاً جغرافياً وليس قومياً ليشمل جميع المناطق التي تقع شمال بلاد الرافدين، ومن ضمنها المناطق الواسعة للولوبيين والكوتيين الواقعة بين سهل كركوك إلى بحيرة أورميا ولحد بلاد حلوانْ جنوباً. وتعني لفظة (لو) لدى السومريين الإنسان، وتكرارها (لولو) يعني الناس. وهذه البلاد كانت المصدر الأول لعبيد بلاد سومر وأكاد الذين لعبوا دوراً مهماً في بناء حضارتها منذ الألف الثالث قبل الميلاد[21]. وأُختزلت تسمية (سوبارتو) في الآشورية إلى (شوبارو، شوبريا) ذات مفهوم قومي. وظهرت أخيراً بصيغة (شوراو، شو) في كتابات (كيله شين) قرب مدينة آمد (ديار بكر). وكان القصد منها المنطقة الواقعة شمال شرق تلك المدينة التابعة لتركيا حالياً. وقابل المصطلحات أعلاه (كوهستان-قوهستان) وترجم إلى (بلاد الجبل) في العصر المبكر للإسلام. وشملت كذلك مناطق واسعة من بلاد آذربيجان وكردستان، ومن جبال البزر جنوب بحر قزوين متخللة زاغروس وطوروس حتى البحر المتوسط وكذلك أرمينيا[22]. وفي قلب هذه المنطقة نشأت مملكة ميتاني،

عاصمتها (واشوكاني Washukkanni) شمال شرقي سورية حالياً. تلك المملكة التي كانت امتداداً جغرافياً وسياسياً وثقافياً ودينياً للمجتمع الحوري (الهوري- الخوري). وبسطت نفوذها غرباً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً حتى أرابخا (منطقة كركوك حالياً)، وشمالاً حتى مشارف جبال القوقاز (أرمينيا حالياً)، وجنوباً حتى مجرى نهر العاصي وسط سورية[23].

امتدت بلاد الحوريين من جبال زاغروس شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً. وكان ظهورهم في التاريخ منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فقد أشارت السجلات المسمارية في الألف الثاني قبل الميلاد إلى أن هؤلاء كانوا سكان المناطق المشرفة على نهر الزاب الصغير بسهل بيتواته وكركوك وأربيل والموصل ووان والجزيرة ووديان نهر الخابور وحتى حلب وما حولها. وبعدها وقع هؤلاء تحت تأثير الحضارة السومرية والأكادية فأصبحوا الوسيط الذي نقل معالم حضارة الرافدين إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام[24] ، أي انتشروا في سورية وفلسطين، لكن نتيجة ضغط الساميين انكمشوا منذ نهاية الألف الثاني، وفي الألف الأول قبل الميلاد إلى غربي وجنوبي بحيرة وان[25]. ويذكر هاري ساغس "توجد دلائل تشير إلى أن الحوريين أتوا من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين وربما من مرتفعات ميديا. وناقش النظرة القائلة إن الحوريين كانوا سكنة آشور الأصليين، أُخرجوا على أيدي الساميين المهاجرين إلى سفوح التلال في الألف الثالث قبل الميلاد، وبيّن أن هذه النظرية كانت مؤسسة على تحليلات غامضة لأسماء الأماكن القديمة التي تُعد حورية"[26]

وقد عُثر على الكثير من النصوص باللغة الحورية في وثائق بوغازكوي (مقتطفات من ترجمة ملحمة كلكامش)، وفي تل العمارنة بمصر (رسالة الملك الميتاني توشراتا إلى أمنوفيس الثالث 1400ق.م.)، وفي تل الحريري "ماري القديمة" يرجع تاريخها إلى 1750 ق.م.، وكذلك في رأس شمرا (أوغاريت). تلك اللغة التي تسمى لغة مملكة أورارتو أو تدعى أحياناً اللغة الخالدية[27]. هل سكنت العشيرة الخالدية الإيزيدية تلك المنطقة التاريخية مع الشعب الأرمني الذين يشكلون أحفاد ذلك الشعب؟ وهل هم من بقايا تلك المملكة؟ لا تستبعد ذلك العديد

من الدلائل التاريخية والوقائع على الأرض, سوف نذكر بعضها لاحقاً.

لا أريد التوسع أكثر في الجانب التاريخي والجغرافي والسياسي لمملكة ميتاني الحورية، لكنني أود أولاً أن ألفت الانتباه إلى جغرافية توزيع الإيزيديين في أقدم وثيقة باسم (مشورا ختي بسي= منشور الخطيب بير بسي) التي يعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري. تذكر هذه الوثيقة أسماء المرداء (جمع مريد) التابعين للبير خطيب بسي بوتار الذي كان المسؤول عن جمع الخيرات منهم وجلبها لخزينة الشيخ آدي بن مسافر. انتشرت تلك العشائر والأفخاذ الإيزيدية من الشام غرباً إلى إسطنبول وبايزيد وولاية وان ومراد صو شمالاً، وبغداد جنوباً والسليمانية وأصفهان شرقاً[28]. كانت هذه المناطق الشاسعة وما زالت تقع ضمن جغرافية بلاد سوبارتو ومملكة ميتاني. وليس غريباً أن نجد ونسمع صدى معنى كلمة الشعب (اللولوبي) التي تعني في صيغة المفرد (الإنسان- لو), وفي صيغة الجمع (الناس -لولو) في تراثنا الشعبي, وخاصة مدخل جميع الأغاني (لولو lo lo) لمخاطبة الناس الذكور، و(لى لى lê lê) لمخاطبة الإناث!!

النقطة الثانية التي أود التوقف عندها هي بعض العبادات الدينية عند الشعب الحوري (هوري) وبعض الرموز الدينية التي ما زالت تُمارس بقوة عند الإيزيديين الحاليين. فهل هي محض مصادفة أم لها امتدادات تاريخية؟

لقد عبد سكان البلاد العليا (سوبارتوم) الإله السومري (أوتو) إله الشمس الذي قُدس مئات السنين قبل عصر الكتابة، واشتهروا باسمه المحلي (هوري- خوري). ومما لا شك فيه أن لفظة (Ahir- Awir- Agir) التي تعني النار من ذهنية هندية أوربية، فقد عبرت أجيالها عن هذا الإله فيما بعد برمز (آهورا) إله النور والحكمة والمتطور عن (وارونا) القديم وهو بالتالي (آسورا، آسور) الهندية و(سور- سورياش) الكاسية الذي عبده اللولوبيين إلى جانب الكاسيين في بلاد الأكراد قديماً[29]. أما كلمة (خودى-خودا=الله) فيعود جذرها ومفهومها إلى (سوار داتا) الميتاني, وتحول في بعض اللغات الهندية الأوربية إلى (هوار داتا) و(خوردات) الكردية القديمة التي أصبحت (خدادات) و(خودا -خودى) في صيغتها المستحدثة. (يلاحظ المفردات الدينية عند الإيزيدية: هتاف، طافا روزى=

أشعة الشمس، جارشمبووا سور=الأربعاء الأحمر، إيزيى سور=إيزي الأحمر، جميعها تعكس الأشعة الحرارية للشمس)

نعم، إن (آهورا) و(آهورامزدا الزرادشتي) ماهو إلا (وارونا) الذي عبدته أغلب الشعوب الهندية الأوربية. وفي أساطيرهم كان هنالك تفرقة بين (ديوا Deiva) التي كانت (إندرا) ربة الحرب أبرز ممثليها، و(آسورا- آهورا) إله العهد والقانون والحكمة، وكانت (ميثرا) تقف على رأسها. ومفهوم تسمية الـ (ديو) يقابله الآن مفهوم (الغول) في اللغة الكردية, و(الرجل المتوحش أو الشيطان) في اللغات الإنكليزية والسلافية. وبمرور التاريخ اختفت (إندرا) من اللغات المحلية القديمة لشعوب الإمبراطورية الآشورية؛ لأن الإله (آشور) كان هو الإله (إندرا) الميتاني نفسه الذي عبدته الشعوب ذاتها قبل قيام الدولة الآشورية على أنقاض الدولة الميتانية، ثم حلّ محله فيما بعد[30].

وبناءً على ماسبق يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات:

* "خودى، الشمس، طاؤوس ملك" في الميث الإيزيدي، هي أسماء أومفاهيم متعددة لمسمى واحد، لاعلاقة لها بشخص مادي لمجرد تشابه الاسم. وجميع الشعوب الذين ذُكروا ومن ضمنهم الايزيديون وحتى الذين لم يأت ذكرهم ممن عبدوا أو قدسوا الشمس, هم (شمسيون) وليست محصورة بعائلة واحدة أو شعب واحد, كما يريد بعضهم الترويج له.

* ليس الشيخ آدي بن مسافر وخلفائه من أدخل فكرة إله الشر إلى التراث اليزيدي تحت تأثير التصوف, كما يدعي بعض الكتاب الإيزيديين، بل يعدّ زرادشت هو الذي ألصق ذلك بتلك المجموعات التي لم تؤمن برسالته الجديدة. كما يمكن القول إن فكرة إله الشر هي من غبار الأفكار الدينية التي ما زالت عالقة بأذهان الناس من عمق التاريخ الغابر.

* وصلت موجات الشعوب الآرية إلى أوربا ومصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وبلاد الأناضول وغيرها. ونتيجة الاختلاط بين الشعوب والأقوام ونتيجة لعامل التأثير والتأثر، من الصعب أن تجد دماً نقياً مئة بالمئة أو ثقافة ومعتقدات دينية خالصة إلاّ وكانت الواحدة مكملة للأخرى[31].

أود تلخيص أبرز التوجهات والنقاط التي ينطلق منها بعض الإيزيديين في حملاتهم الظالمة بحق الشيخ آدي بن مسافر أو (عدي/عادي كما يحلو لهم تسميته) وبحق خلفائه والسلالة الآدانية، مستندين في ذلك إلى اجتهادات شخصية وأحاديث المجالس، وأحداث لا يُعرف رأسها من قدمها، وإلى نظرة قومية وإيديولوجية عفا عليها الزمن. توضيحاتي إلى بعض الكُتاب الذين استهانوا وتحاملوا في كتاباتهم على رموز دينية إيزيدية، وخاصة رمز كبير بمقام الشيخ آدي بن مسافر، وقول أحدهم "لم يفعل شيئاً قط، بل جاء لاجئاً.." إن ذلك شأن يخصهم شخصياً، ويرتبط بمدى إدراكهم وفهمهم، إلاّ أن الذي استوقفني في تلك الكتابات هو وصول أولئك إلى حد لوي عنق الحقائق باسم "الحقيقة" الماثلة في خيالهم تحديداً!

المقدمات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة، بل وأحياناً إلى نتائج مدمرة!

لا أنكر وجود بعض الشذرات المعقولة في تلك المنشورات, يمكن التوقف عندها ومناقشتها. إلاّ أن جلّ الحديث الآخر يدخل في باب التشويه والتجني على الحقائق، وخلط الأفكار، واستعلاء على مناهج البحث، ونظرة انتقائية كيفية، وقفز على الكثير من الوقائع، وتشوية التاريخ، وربط الإيزيدية عنوة بالزرادشتية (مع جل الاحترام للديانة الزرادشتية العريقة ولأتباعها المحترمين). فالبنيان الذي يحاولون تأسيس أفكارهم عليه تحت يافطة "الحقيقة" يظهر بائساً يقود المجتمع الإيزيدي، شئنا أم أبينا، إلى التناحر والطائفية والمذهبية المقيتة، ويؤدي إلى الشقاق والمزيد من التفرقة وتمزيق نسيج المجتمع، ويسهم، من حيث يعي أولئك الكتاب أم لا، في هدم بنيان الدين الإيزيدي الحالي!!. وهنا لا أرغب في الدخول في سجال عقيم، ولا أريد أن أكون طرفاً مساهماً في زرع الطائفية داخل المجتمع الإيزيدي الذي ما زال يئن تحت آثار الإبادة التي تعرض لها في آب/2014. ولن أكون طرفاً في قضية تافهة تفرق بين بني البشر، لا بل تفرق بين العائلة الواحدة. علماً أن ما طرح من آراء علمية ومنطقية يكفي لتفنيد تلك الكتابات. هنا أود تسجيل بعض الملاحظات السريعة:

* يخطئ من يدعي امتلاك الحقيقة، فالحقيقة نسبية وليست مطلقة وخاصة

في العلوم الإنسانية من تاريخ واجتماع وفلسفة ودين وسياسة وغيرها، وهي ليست كالعلوم الرياضية 1+1=2.

* من الأخطاء العلمية الفادحة النظر إلى التاريخ بوصفه مادة جامدة، لا حركة فيه ولا حياة، أو لا تأثر فيه ولا تأثير. التاريخ كأي كائن حي له ديناميكيته وجدليته يسير حسب القوانين الموضوعية، وليس حسب رغبة هذا الكاتب أو ذاك.

* إصابة بعض الكتاب بعقدة وهوس أحداث صارت من الماضي. حادثة مرّت عليها أكثر من 850 عاماً اسمها (الشفبرات/أي ليلة القدر) لم تُذكر في كتب التاريخ ولا في المراجع، وإنما وصل إلينا خبرها من النقل الشفهي! يأتي البعض على تضخيمها ورفعها إلى مصاف (الأسطورة والملحمة)، لا تجد لها بداية ولا نهاية! يصفها (انتفاضة شفبرات/انتفاضة ليلة القدر!!) ليجعلها منطلقاً لنفث آرائه، وتسخير كل قدراته للحط من دور السلالة الآدانية ومكانتها بقيادة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني, وإلصاق التهم به. وفي المقابل إعلاء شأن سلالة أو سلالات أخرى هم في الأساس أولاد عمومة وأولاد أخوال وجميعهم من أرومة واحدة هي (بيت آديان= مالا ئاديان). يحملون الجينات نفسها كما أشير إليها علمياً في متن الكتاب. المحصلة النهائية لمثل تلك الطروحات هو تهديم المعتقد الذي تربى عليه الإيزيديون، وتشويه للفكر وتزييف للتاريخ، وزرع للشك، وتكريس للطائفية, ودعوة للتناحر بين السلالات (الآدانية، الشمسانية، القاتانية، البيرانية، والمريد)، وبالتالي خدش وانتهاك صارخ لمشاعر آلاف المؤمنين الإيزيديين.

* إن "خودى، الشمس، طاؤوس ملك" في الميث الإيزيدي، ثلاثة أسماء أو ثلاثة مفاهيم لمسمى واحد, لا علاقة له بشخص مادي اسمه (شيخ شمس) لمجرد تشابه الاسم. وجميع الشعوب الذين ذكروا من سومريين وبابليين وآشوريين وميتانيين وايرانيين وهنود وفراعنة وسبأيين وإيزيديين وغيرهم، ممن عبدوا أو قدسوا الشمس هم (شمسيون)، وليست محصورة بعائلة واحدة أو بشعب واحد كما يريد البعض إيهام الناس بذلك. تقديس الشمس عند الشعوب مرتبط تاريخياً باكتشاف الزراعة وبحياة التحضر، على النقيض من تقديس القمر المرتبط بحياة البداوة والترحال وتربية المواشي، أو بعبارة تاريخية علمية أدق، إن عبادة القمر

ترتبط بمرحلة سيطرة الإلهة الأُم (أناهيتا- إنانا- عشتار...) في المجتمع والحياة الاجتماعية. أما عبادة الشمس فهي ترتبط بمرحلة سيطرة الأب على العائلة (أوتو، ميثرا، آهورامزدا، نابو، مردوخ، آشور، آدد، براهما، راما، ايلو...)، أي تحول المجتمع من أنثوي إلى ذكوري.

* يفترض بالكاتب الرصين في حقل العلوم الإنسانية أن يترك الأبواب مفتوحة في كتاباته، يطرح آراءه من دون فرضها، وألا يكون ذا اتجاه واحد (einbahn-strasse) كما تقال في اللغة الألمانية. لا يعترف بالمصادر ولا بكتب الأجانب ويعدّها خاطئة ومحرفة، ويتخذ من "الهمسات الخافتة" و"الهفوات" و"اقتناص الكلمات من أفواه الشياب" زاداً ومصدراً غير قابل للنقاش لديه، يبني عليه (تاريخه) الذي يؤمن به هو فقط! نعم، التراث الشعبي وبعض العادات والأحاديث المتناقلة مهمة يمكن الإشارة إليهم، لكن ذلك لا يعد حجةً ولا دليلاً تاريخياً ولا يعد (التاريخ كله)!

* إن ربط الديانة الإيزيدية عنوةً ومن دون نقاش بالزرادشتية، وكأنه تحصيل حاصل، يعدّ خطأً فادحاً. نحن لا ننكر وجود مشابهات ومقاربات كثيرة بين عبادات وطقوس الديانتين، إلاّ أن الإيزيدية، وبناءً على بعض المعتقدات والطقوس مثل الموقف من (قوة الخير والشر) و(دفن الموتى) و(الصوم وتقديم الأضاحي)، تبدو أقدم من الزرادشتية. السؤال: إذا كانت الإيزيدية هي امتداد للديانة الزرادشتية، فلماذا لم يحتفظ الايزيديون، ومنهم أولئك الكتّاب أنفسهم، بنسخة من (زند آفيستا) كتاب الزرادشتية المقدس على أقل تقدير؟!

* بعض الكُتاب إما أنهم يستهينون بعقول القراء أو هم أنفسهم لا يدركون معاني الكثير من الأسماء, ويتعمدون تفسيرها وفق أهوائهم. مثلاً كلمة (مير) اللاحقة باسم أحد أولياء الإيزيدية يفسرونها ويترجمونها (مير/الأمير) بمعنى صاحب ورئيس الإمارة، ليؤسسوا عليها جميع أوهامهم. علماً أن اللاحقة (مير) اللاحق بالاسم هو (أمير) اسم والد ذلك الولي, حذف منه (أ) للتخفيف. إذا كانت الكلمة فعلاً هي (صفة) دالة على رئيس الإمارة، حينها تسبق الاسم، كون الصفة في اللغة الكردية تسبق الاسم، فيكتب (مير براهيم، مير سجادين، مير إيزدين، مير حسن ممان). إذا كان هناك (أمير) و(إمارة) في منطقة لالش قبل مجيء الشيخ

آدي بن مسافر، يُطلب من أولئك الكتاب تزويد القراء بمصدر تاريخي واحد فقط يُذكر فيه اسم الإمارة وعاصمتها واسم أميرها، فهل يعقل أن يكون هنالك إمارة لم يذكرها التاريخ؟!

* خرافة الاتكال على مقولة (البير) أقدم من (الشيخ): يعد ذلك تبسيطاً للأمور، بل قصر نظر واستخفاف بالعقول. (البير، الشيخ، القوال، الكوجك، المجيور، المريد، الفقرا..إلخ) عند الإيزيدية، و(الكاهن، الموبذ، البابا، البطريرك، القس، الحاخام، الإمام، الخليفة..إلخ) لدى الأديان الأخرى هي صفات ووظائف دينية ظهرت في مراحل تاريخية محددة وبلغات تلك الشعوب. المجموعات البشرية قبل ظهور الأفكار الدينية وبناء المعابد لم تكن تعرف هذه المصطلحات والمفاهيم. وقد ظهرت هذه الأسماء كصفات ووظائف مرتبطة بمرحلة تاريخية من تطور المفاهيم الدينية, وكل مجموعة سمّتْها بلغتها. نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، كلمة (الله) الواردة في اللغات القديمة والحديثة: (دينكر- سومري، نابو- بابلي، آداد/ آدات-آشوري، آري- براهم، هندي- راما، أكدي-ايلو، فارسي- Soru - سخش وخودا، سنسكريتي-Deva، إغريقي-Zeus، لاتيني-Deus، ألماني-Gott، إنكليزي-God أو Lord، فرنسي-Dieu، كنعاني-آتون، عبري-يهوه، آرامي وعربي- الله، وخودى عند الكرد...). المثير للانتباه أن اسم الله في جميع اللغات يتكون من أربعة حروف. السؤال هنا، هل يحق لنا القول إن (براهم) الهندي أقدم من (Zeus) الإغريقي أو (Gott) الألماني؟! وكذا الحال بالنسبة إلى مفهوم (البير) و(الشيخ) فالأصل واحد جينياً (مالا ئاديان= سلالة آديان).

* عندما يفقد الكاتب الإيزيدي حياديته ويغلب عليه الأهواء والرؤية الأحادية والجمود العقلي، حينئذٍ يفقد المصداقية ويصل به الحال إلى الاضطراب والتخبط وتشويه صورة الأحداث والشخصيات والتاريخ عموماً، فضلاً عن تشويه صورة الذين يحاول الدفاع عنهم وإظهارهم بلباس آخر. يضع أحدهم الشيخ شمس الدين بن إيزدين أمير والشيخ شمس الدين التبريزي كشخصية واحدة، قائلاً: "إننا نسمي شيشمس التبريزي وهو عم شيخ مند الحلبي، هذه التسمية - توريزي وأحيانا تتري- تدل على أنهم كانوا من سكنة تبريز على ما يبدو, وأن الشيخ

شمس عاد إلى الوطن غاضباً من الشيخ عدي أو ربما متفقداً أو ذهب إليه للتبشير بقدوم إيزي لنشر الدعوة هناك أو كحاكم إقليمي فسمي بها." (انتهى الاقتباس).
ومن المعروف أن الصوفي الكبير (شمس الدين التبريزي) اسمه محمد بن داد، هو تتري/تركماني, ولد عام 1185م في مدينة تبريز التي تقع شمال غرب إيران. ترك منزله منذ صغره وبدأ التنقل، فزار بغداد وحلب ودمشق وقونيه وغيرها، تتلمذ على يد ركن الدين السجستاني, وعنه أخذ مذهب التصوف. وكان يدعي أنه يكلم الله والملائكة من خلال الرؤى التي تراوده، ويقال إنه قتل في مدينة قونيه أو خوي على أيدي جماعة من المعارضين لأفكاره في عام 1248م بعد أن عاش ما يقارب 63 سنة. وكان جلال الدين الرومي واحداً من أهم تلامذة شمس الدين. وكان شمس الدين التبريزي يدعو إلى وحدة الأديان ويؤمن بوحدة الوجود. فهل هذا هو (شيشمسى تبريزى) الذي يتكلم عنه الكاتب؟!! الحكم متروك للقراء الكرام.

يجب الإشارة أيضاً إلى أن النصوص الدينية والموروث الإيزيدي يحمل اسم (شمسى ئاديا= شمس الآداني)، فمن هي هذه الشخصية؟ هل هو الشيخ شمس بن إيزدين أمير أم هنالك شخصية أخرى؟ إذا كان المقصود الشيخ شمس الدين بن إيزدين أمير، فلماذا يكنى بـ (الآداني) تارة والتبريزي تارة أخرى؟ ألا يحق الغور في تاريخ أبعد, ونقول المقصود به (شمشي أو شامس أداد) أحد اللولوبيين, ومن ملوك الآشوريين (1782-1814 ق.م.) تزوج ابنه امرأة (هورية-حورية)؟.

* نعم, هنالك شخصيات لعبت دوراً محترماً ومشرفاً سواء بين الأديان أم المجتمعات، إلاّ أن التضخيم والمغالاة وإطلاق ألقاب كبيرة في غير محلها لشخصيات وأشياء، هو ملاذ الضعفاء. كنا نتمنى أن يكون في التاريخ الإيزيدي أسماء العشرات من الفلاسفة والعباقرة، لكن مع الأسف لم نسمع بوجود هؤلاء، ربما كان هناك حكماء وأدباء وشعراء ودهاة سياسة قياساً لزمانهم.

* من السذاجة النظر إلى المعتقدات والأديان بمنظار قومي عنصري أو إيديولوجي، فالمعتقد والدين مرتبطان بفكر الانسان الذي يؤمن بقوة ما وراء الطبيعة، أو بقوى غيبية، أو الإيمان بقوة موجودة في الحجر, أو الشجر أو الحيوانات أو في الظواهر الطبيعية، مقابل بشر لا يؤمنون بخالق! فما دام العقل

هو سلطان الإنسان في علاقته مع العالم الخارجي، بهذا المعنى تصبح الأفكار الدينية أممية عابرة للحدود والقارات, لا دخل لهذه القومية أو تلك بها.

* إذا بقي الإيزيديون يعيشون في التاريخ الماضي ويتمسكون بمآسيه ويتركون الواقع، فسوف يكون مصيرهم انتكاسة بعد أخرى، وهزيمة تلو الهزيمة، وبالتالي الاضمحلال. فبعض الكتّاب, وتحت عنوان "الحقيقة", ينبشون في ترهات التاريخ ويسهمون , من حيث يدرون أم لا، في هدم ما تبقى من بنية الديانة الإيزيدية!

• قول بعضهم أن الدين الإيزيدي الحالي هو (الدين الداسني) وأنه (دين شمساني إيراني زردشتي), وإصرارهم على ربط كلمة (داسن- الداسنية) بالإيزيديين، هو جهل بتاريخ وحيثيات ظهور كلمة (داسن) نفسها كونها شتيمة وإهانة أطلقها زرادشت أو كهنته على أتباع المعتقدات الدينية الموجودة قبل ظهور الزرادشتية والذين لم يؤمنوا بما جاء به زرادشت, ولم يدخلوا ديانته، بل ظلوا متمسكين بمعتقداتهم القديمة، فوصفهم بـ (دئيفه يه سنا) أي عبدة إله الشرّ. هل رأيتم إيزيدياً يقول: أنا داسني !! إذا سألته عن انتمائه الديني؟! لاحظوا حتى في لغتنا الدارجة تستخدم كلمة (ديوس Deiwis) من (ده ئيفا- داسن) للاحتقار والإهانة!

* لا يجوز ربط اللغات والدول الحديثة بما كان قبل آلاف السنين. واللغة لا تصبح في الكثير من الأحيان دليلاً للانتماء القومي أو العرقي، ولو صحت هذه المقاربة، لكان بالإمكان تسمية شعوب: بريطانيا، أمريكا، نيوزيلندا، الفلبين، أستراليا كشعب واحد، لأن سكان جميع هذه الدول يتحدثون باللغة الإنكليزية. كما أن معظم سكان الدول العربية قديماً (شمال أفريقيا، مصر، السودان، تونس، ليبيا، المغرب والجزائر) و(بلاد الشام سورية ولبنان وفلسطين) قبل ظهور الدين الإسلامي لم يكونوا عرباً، لكنهم الآن يتكلمون اللغة العربية. وكذلك الحال بالنسبة إلى الشعب الكردي فجميع الذين يتكلمون اللغة الكردية ليسوا أكراداً. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمود الحفيد الذي قاد الثورة ضد الإنكليز عام 1919، وناضل من أجل تأسيس مملكة كردستان، لم يكن كردياً، بل كان من أصل عربي.

انقسمت اللغة الهندو-أوربية تاريخياً إلى فروع لغوية مختلفة قبل ستة آلاف سنة قبل الميلاد.

1. اخترت العنوان أعلاه بدلاً عن العنوان الأولي "العدو يرى في عدوه جميع الصفات الرديئة!!" الذي كتبته في أربع حلقات، التواريخ (10/31-26-22 و3/11) على التوالي.
2. الشيخ محمد الحنبلي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص85.
3. ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، المجلد 12، ص215-211.
4. سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، الجزء الأول، مصر, 1923، ص 299 (نقلاً عن د. عايده بدر، أثر الديانة الإيزيدية في الديانة الزرادشتية، أربيل, 2021، ص144)
5. إبن العبري في تاريخه السرياني: كرونيكون سرياكوم.
6. الدملوجي، صديق، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، 1949، ص 165، وأنو المائي، الأكراد في بهدينان، الطبعة الثانية، دهوك, 1999، ص 88-86.
7. عبد الرحمن مزوري، تاج العارفين عدي بن مسافر الكوردي الهكاري ليس أموياً!!، مركز هافيبون للدراسات والنشر الكردية في برلين، الطبعة الثانية، برلين, 2004، ص57.
8. بقلم صقر شنكالي، الشيخ آدي بن مسافر بين سندان الحقيقة ومطرقة الكتّاب، مجلة لالش، دهوك، العدد17، كانون الثاني, 2002.
9. خليل جندي، الإيزيدية والامتحان الصعب، آراس, أربيل, 2008، ص 30 وما بعدها.
10. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد3، ص415.
11. بشأن مكانة الشيخ آدي في نص ديني في غاية الأهمية، يمكن مراجعة كتابي: "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، طبعة السويد، رابوون, 1998، ص265".
12. البروفيسور أناتولي كليوسوف، الإنسان بين العلم والاسطورة/ شجرة النسب/والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة: عبد الله أحمد، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت.
13. البروفيسور أناتولي كليوسوف، المصدر السابق، ترجمة عبد الله أحمد، ص236.
14. (المصدر: دياكونوف، إ.م.: ميديا، ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ، ص210. وكذلك أنظر إلى كتاب: آفيستا/الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى, 2007، ص 20.
15. د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة, 2005 ص 20.
16. المصدر السابق نفسه، ص 24.
17. أثني على الالتفافة الذكية والجريئة للكاتب الأخ خالد علوكه في نشره مقال عن "قريش" في موقع بحزاني، وأيضاً الأستاذ شمدين باراني في كتابه القيم: حبات ذهبية إيزيدية، طهران, 2020. ولنا مشروع كتاب/بحث مطول بهذا الصدد طرحناه في مؤتمر إيزيدي عقد في مدينة بيليفيد، ألمانيا عام 2012.
18. ينظر: خارطة هجرات الشعوب في الملحق.
19. يمكن أن يكون هذا من إحدى المؤشرات المهمة جداً لوجود نظام الزواج الطبقي المغلق لدى الهندوس والإيزيديين، وقولهم بالدم النقي، وقول الإيزيدية أن "مالا آديان" من السلالات العريقة!
20. البروفيسور أناتولي كليوسوف، ص 236.
21. د. جمال رشيد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد, 1984، ص 12.
22. المصدر السابق نفسه، ص4.
23. 548 د. أحمد محمود الخليل، تاريخ مملكة ميتاني، دار موكرياني للبحوث والنشر, أربيل، الطبعة الأولى، 2013، ص14.
24. د. جمال رشيد أحمد، ظهور الكرد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر, أربيل، ط1، 200، ص 601.
25. د. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد: مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى 323 ق.م.، دار النهضة العربية، القاهرة, 1967، ص561. (مقتبس من الدكتور أحمد محمود الخليل، مصدر سابق، 26).
26. هاري ساغسHary Sags، عظمة آشور، ترجمة. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، الطبعة الأولى, 2008، ص53-52. (مقتبس من د. أحمد محمود الخليل، مصدر سابق، ص28-27)

27. أ. ر. جرني، الحثيون، ترجمة: د. محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1997، 156.

28. للمزيد من التفاصيل يراجع كتاب: خدر سليمان وسعدالله شيخاني، نبذة حول الشيخان والشيخان بكي، بغداد, 1988، ص25-22باللغة الكردية.

29. د. جمال رشيد أحمد، مصدر سابق، ص13.

30. لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة: د. جمال رشيد، مصدر سابق، ص14.

31. ينظر: خارطة هجرات الشعوب عبر التاريخ في الملحق.

استنتاجات وملاحظات

* إن وجود عبادات وطقوس ديانات عديدة في الديانة الايزيدية جعلها من الديانات الغامضة, وأربكت الكتاب الذين تناولوها، فمنهم من أرجعها إلى السومرية والبابلبية والآشورية، ومنهم من أقرّ بمنبعها المسيحي، وآخرون ألحقوها بالإسلام، وفريق آخر ربطها بالعقائد الهندو-إيرانية القديمة كالمانوية أو الزرادشتية. والموروث الديني الإيزيدي يحمل هذا الغموض. ويأتي في كتابَي "مصحف رش" و"الجلوة" المنسوبين إلى الإيزيدية أنه كان لهم ملك في بابل (نبوخذ نصر)، وفي إيران (احشويرش), وفي قسطنطينة (أغريقالوس). وإذا تتبعنا منبع فكرة الإله ميثرا ونشوء الديانة المثرائية من تزاوج الأفكار الدينية السومرية البابلية وأقوام الشرق القديم في تطور عبادة إله الشمس وبقية آلهة الطبيعة مع علم الفلك البابلي وفكرة وحدة الوجود الهندوسية، نستطيع فهم قضية الغموض التي تلف عقيدة الدين الإيزيدي الجامعة.

* بناءً على التحليلات والعديد من القرائن التي بحثناها في هذا الكتاب، يظهر أن الديانة الإيزيدية الحالية وريثة ديانة الشعوب الهندو-آرية قبل انفصال الإيرانيين عن الهنود، بمعنى أن الدين الإيزيدي بأسمائه المختلفة والمتعددة عبر التاريخ، نشأ بين الشعوب الهندو-أوربية والهندو-آرية الحاملة للمجموعة الجينية (R) التي انتشرت في مساحة شاسعة، امتدت من بحر البلطيق غرباً حتى جبال الأورال شرقاً، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر قزوين جنوباً، وهي المنطقة المعروفة بأوربا الشرقية. أولئك الآريون الذين قدموا إلى شمال الهند قبل 3500 سنة قبل الميلاد، وعند وصولهم إلى هناك انعزلوا فوراً عن السكان المحليين، وشكلوا منها الطبقة النخبوية (كاستا). تلك المجموعة من الآريين وصلوا إلى أراضي طاجكستان الحالية, وعاشوا بضعة قرون ثم مضوا إلى إيران. والآريون الأوائل، أو الهندو آريون بلغوا أراضي مملكة ميتان شمال ميزوبوتاميا وشمال سورية الحالية قبل

3600 ق.م.، ومن هناك غادروا إلى الشرق الأوسط، وانتقلوا مع الهجرات البشرية غرباً إلى أوربا وجنوباً إلى أرض كنعان ومصر والحجاز.

* تأكيداً للنقطة أعلاه، يذكر المؤرخ هيرودويت أن الإيزيدية قبيلة ميدية قديمة، وقال عنها: "إنها إحدى القبائل الميدية، وكانت تعرف بـ "باراتاسني" التي وصلتنا الآن بشكل "داسني"، فالمقطع الأول "بارا" يعني: (قسم، قطعة)، حذفت من أجل التخفيف.

* يبقى السؤال: إذا كانت الدين/المعتقد الإيزيدي من أقدم المعتقدات، كما يقول رجال الدين، فلماذا لا نجد كتاباً خاصاً أو بعض الدلائل المادية لهذا الدين؟ هنالك احتمال كبير أنهم بقايا أكثر من شعب. من الشعوب القديمة التي سكنت سلسلة جبال زاغروس (الكوتيين والكاشيين والهوريين)، وكذلك الشعوب التي وجدت في أرض ميزوبوتاميا، وحكمت بلاد ما بين النهرين، كالسومريين والبابليين والكاشيين (الهكسوس)، بحيث توزعت أفكارهم الدينية في الآثار التي خلفتها حضارات تلك الشعوب.

* يمكن الافتراض أن الإيزيديين الحاليين كانوا في الأصل من سكان دولة الميتاني وربما الحثي، ومن حاملي المجموعة الفردانية R1A. وجاءت بعد ألف سنة مجموعة الفردانية R1B التي قضت على المجموعة R1A, ومَن نجا منهم صفوا في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وسموا في اللغة العربية بـ "العدنانية" أو "العرب المستعربية". والمجموعتان الفردانيتان (R1A وR1B) تعودان إلى المجموعة الفردانية (R) ذات الأصل الآري سواء القادم عبر إيران أم الهند. وتحولت كلمة (آريان) إلى (آديان) بتحريف حرف (الراء) إلى (الدال). والانغلاق والزواج المغلق خير دليل على انتماء جميع هذه المجموعات التي صنفت فيما بعد بأسماء (الشيخ والبير والمريد) إلى (مالا ئاديا= عائلة آديان= آريان). يذكر البروفيسور كليوسوف في كتابه: كان العرب من الآريين الذين ظهروا في السهل الأوربي الشرقي. وتشكل المجموعة الفردانية (R1A) بين العرب تسعة في المئة بين الذكور بما في ذلك القبائل الشهيرة مثل قريش.

* طبقاً لنظرية عالم الجينات البروفيسور كليوسوف أناتولي التي تؤكد من خلال تحليل الحمض النووي (DNA) أن قبيلة قريش هي من مجموعة الشعوب الآرية، نزلت من آسيا الصغرى واستقرت في الشرق الأوسط إلى أن وصلت فيما بعد إلى الجزيرة المسماة اليوم بشبه الجزيرة العربية، يمكن تسميهم (آريين مستعربين). يبدو أن الطريق كان مجرباً منذ قديم الزمان، لأن (العرب) الأمويين قد مضوا إلى هناك أيضاً ربما بالطرق نفسها. لكن التاريخ هنا يقوم بانعطاف آخر، فإذا كان الآريون في الهند حملة المجموعة الفردانية R1A قد انعزلوا بصفتهم فئة عليا مغلقة، ففي الشرق الأوسط شكلوا النخبة. ويتفق علماء الآثار واللغويين على أن الآريين الأوائل أو آريي العصر الباكر أو الهندو-آريين بلغوا أراضي مملكة ميتاني في سورية الحالية قبل 3600 ق.م.، وكقاعدة عامة يخلص الباحثون اللغوين وعلماء الآثار إلى أن هؤلاء كانوا من النخبة، أي أن عدد من موروثات ذلك الزمن المكتشفة قد كتبت باللغة الحرانية. وضمناً المبحث الشهير هكذا تكلم كيكولي مدرب الخيول من بلاد ميتاني قبل 3400 سنة قبل الميلاد، ويكشف تحليل الحمض النووي عند العرب في الشرق الأوسط وفق 111 علامة أن حامل هذا النمط الفرداني السلف المشترك للعرب المعاصرين R1A عاش تقريباً قبل 4050 سنة في السهل الأوربي الشرقي، ومثل هذا النمط الفرداني R1A للعلامات 111 عند السلف المشترك للروس المعاصرين، على سبيل المقارنة، قد عاش قبل 4900 سنة. إذن, الفرق بين هذين السلفين يختصر على سبع طفرات فقط، أي عاش السلف الآري المشترك للعرب والسلافيين قبل خمسة آلاف سنة تقريباً في السهل الأوربي الشرقي.

* إذا كان "العدنانيون" من "العرب المستعربة" الذين سكنوا في الحجاز وشمال الجزيرة، كما تقول المصادر العربية الإسلامية، فهنالك رأي آخر يقول إنهم من الهكسوس القادمين من الشمال، كما يوجد رأي أخر يقول إن سكان المراكز الحضرية في الجزيرة هم خليط من سكان العراق القديم والقبائل التي استهوتها التجارة فأقامت في هذه المراكز المدنية. يشار هنا إلى اتخاذ

"نبونائيد" آخر ملوك بابل مدينة تيماء التي تقع شمال خيبر في شمال أرض الجزيرة العربية عاصمة ثانية له. وهناك من يرى أن البابليين الذين نجوا من مجزرة "داريوس" الفارسي إثر احتلاله الثاني لبابل والذين هربوا الى الحجاز بأعداد مهولة هم الذين سكنوا مدن الجزيرة، وأقاموا حضارتهم فيها، وأنشؤوا حركة القوافل التجارية، وأسسوا المركز الديني في مكة؛ لأنهم سكان مدن أصلاً، ويعرفون كيفية تأسيس مجتمع منظم مستقر، إضافة إلى أنهم لم يتعودوا الترحال مثل البدو. وسئل علي بن أبي طالب عن أصلهم، فقال: نحن من نبط كوثا. أي من جنوب العراق!

وجاء في القرآن عن (الأعراب): }الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً{]التوبة: 97[. }مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنَافِقُون وَمِنْ أَهْلِ المَدِينةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ{]التوبة : 101[. }قالَتِ الأعْرابُ آمَنا قل لم تؤمنوا وَلَكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيْمَانُ فيْ قُلُوْبِكُم{]الحجرات: 14[. وهذه إشارة إلى مجموعة من الناس، في حين لا توجد كلمة العرب فيه كإشارة الى فئة من البشر، بل جاءت لتصف لغة القرآن واللسان العربي لا أكثر!!

إن مصطلح "Aribi" الدال على الجماعة والمستخدم في كتابات الملك الآشوري "سرجون الثاني" وصيغ من المفرد بصوره المتنوعة "Arubu, Arab, Arabu"، لا يعني "عرباً" أو "عربياً"، ولا يعني العِرق بالضرورة، بل فرعاً/مجموعة نزلت من السهل الأوربي الشرقي إلى أن استقروا في الجزيرة، وسميت باسمهم بعد ذلك. كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية. والوحدة الصوتية الأخيرة في الكلمة نفسها في اللغة العيلامية هي "pe" بدلاً من "be" لتدل على الجمع، فكانت "Aripe" تدل على "الآريين". كان يغلب على الآريين القدماء مجموعة الفردانية R1A، وحدث افتراق وتباعد للآريين مثل رسم النجمة، انطلق من النجمة شعاع نحو الهند وآخر نحو إيران وثالث نحو الشرق الأوسط. لم يجرِ ذلك بتتابع وتسلسل، بل بالتوازي والتزامن. آنئذٍ ما عاد الآريون هندو أوربيين، بل صاروا آريين مستقرين في الشرق الأوسط، يمكن تسميهم

(آريين مستعربين). فإذا كان الآريين في الهند حملة المجموعة الفردانية R1A قد انعزلوا بصفتهم فئة عليا مغلقة، ففي الشرق الأوسط شكلوا النُخْبَة. إذا أخذنا نظام الطبقات المغلق والصارم عند الهنود الآريين (الديانة الهندوسية) ولدى الإيزيديين، يمكن أن يكون هذا أحد المؤشرات المهمة جداً في قولهم بـ (الدم النقي) وبأن "مالا آديان" أقدم سلالة! ولا يستبعد أن تكون كلمة "آديان" تحوير لكلمة "آريان" بعد تبديل حرف "ر" الصعب على النطق إلى حرف "د"؟ ويبدو أيضاً ولأسباب كثيرة أن كلمة قريش قد وردت في النصوص الدينية الإيزيدية بوصفهم الكاشيين -الميتانيين الآريين الذين نزحوا فيما بعد ضمن الهكسوس إلى مصر والحجاز في الجزيرة العربية الحالية. وهذا ما يفسر ما ورد في النصوص الدينية، وما يتناقله علماء الدين الإيزيدي من كلمات وإشارات ورموز، مثل: (قريش، مكة، العماليق، نبوخذ نصر، عزير مصر، إبراهيم الخليل، جمجمي سلطان "جمشيد"، ميهر، تقديس الشمس والقمر، زمزم...الخ.)

* الخالديين- الخالديون- الكالديون:

يقودنا هذا البحث إلى استنتاج مهم وخطير معزز بأدلة تاريخية شبه مؤكدة مستندة إلى النصوص الدينية، وهو أن الإيزيديين الحاليين هُمْ من أخلاف الشعب الكالدي (الخالدي- الخالتي) الكاسي/الكاشي، وهم نفسهم الحوريون- الميتانيون. ويعد الهكسوس جزءاً منهم. استوطن الكاشيون أولاً أواسط آسيا وفي الجزء الأوسط من جبال زاغروس في جنوب همدان ويسمى الآن لورستان. وقد عدّ كسينفون الخالدبيين من أحفاد القبيلة الكردية خالدي التي تقطن إلى يومنا هذا في شمال كردستان عند ملتقى الحدود التركية الإيرانية. ويقطن قسم من قبيلة خالدي الكردية في سهول ما وراء آرارات. وأن مناطق انتشار الكرد الخالديين (الخاليبيين) تتطابق مع موقع دولة أورارتو القديمة. وتعدّ قرية نهري في شمال أعالي نهر الزاب الكبير عاصمة لقبيلة خالدي الكردية. ويرى المؤرخ كسينفون أن

قبيلة الخالدين كانت تقطن أيضاً منطقة أرومار. ولفظة أرومار ((Oromar ترتبط مع لفظة (مار Mar) القديمة (Mardi في اللغة الميدية- (Marad، وأن قبيلة (Mari- Mardi) من مكران ببلوجستان تعتبر نفسها قادمة من سورية ولها صلة قربى مع كرد زاغروس. وقد أسس الكلدانيون/الخالديون المعابد لعبادة إله الشمس (أوتو) في مدينتي (لارسا Larsa) و(سبار -Sip par). وكانوا يوقدون في المعابد ناراً لا تطفأ تكريماً له. وكان إله الشمس عندهم يعرف بـ (سورياش).

ظهر الكاشيون في الألف الثاني قبل الميلاد، وأقاموا مملكة قوية عرفت باسم الدولة الكاشية أو مملكة بابل الثالثة. وقد استمر حكم الدولة الكاشية من عام 1595إلى 1162ق.م، أي 433 عاماً وهو أطول فترة حكم لدولة في العصور القديمة. انحدر الكاشيون من أواسط آسيا إلى أن وصلوا مصر القديمة وحكموها عدة قرون. وتقول مصادر تاريخية إن إبراهيم الخليل المعروف بأبي الأنبياء ينحدر منهم.

* كلمة (حران) الحورية-الميتانية-الكاسية. كان يطلق اسم (كارداكا) على مدينة (حران) في اللغة السومرية، و(كاران) عند اليونانيين، و(كاريا) عند أبي الكنيسة هليوبوليس، أي مدينة الوثنية، و(كارت) الذي يعني (كاري) أو الحوري نسبة إلى الشعب الحوري. واستناداً إلى قاعدة اللسانيات، فإن كلمة (هكار- هكاري) بعد حذف (هـ) أداة التصريف الاسمي تصبح (كار) أو (كاري) الاسم القديم لمدينة حران الحورية/ مركز عبادة الإله سن/إله القمر. المدينة التي ربما ولد فيها (إبراهيم الخليل) أو قَدم اليها من جنوب أرمينيا، آرارات و (وان)، حيث المنطقة الحورية أو الكاسية (أور كسديم)، وليس قادماً إليها من (أور كلدان) جنوب بلاد وادي الرافدين كما تذكر بعض الكتب التاريخية.

*** العدنانية/الآدانية:**

أشرنا فيما سبق من استنتاجات إلى أنه ربما (الآدانية) في اللغة الكردية

وتعريبها (العدنانية) لها صلة بكلمة (آريان) التي تحورت إلى (آديان) من خلال تبديل حرف (الراء) إلى (الدال). وأن ما يضع هذا الاحتمال في خانة الواقعية، هو وجود نظام الطبقات الصارم والزواج المغلق لدى الآريين القدماء الذين استقروا في الهند ولدى الإيزيديين الحاليين، وانتماء جميع المجموعات التي صنفت فيما بعد بأسماء (الشيخ والبير والمريد) إلى (مالا ئاديا= عائلة آديان= آريان).

وهنالك احتمال آخر لا يتعارض مع الاحتمال الأول، في أن كلمة (الآدانية) المعربة إلى (العدنانية) هي نسبة إلى (جنّة أدن أو آدن) التي تتغير إلى (عدن وجنّة عدن) في اللغة السامية العربية. و (جنّة عدن) الأصلية هي التي تنبع منها الأنهار الأربعة، عند بحيرة (وان) وقمم جبال آرارات. وهي نفسها جنّة حور (الحوريين) الكاسية. وجاء اسمها في التوراة (أرابخيتيس الحورية). وأن "الحوريات" و "الحور" و "حور العين" التي وردت في القرآن والأحاديث والمأثور الإسلامي في الجنّة، ماهي إلاّ إشارة إلى نساء الحوريين الميتانيين. وأن نزول بعض الشعب الحوري الكاسي جنوباً في جزيرة العرب هو الذي أعطى مدينة (عدن) اليمنية اسمها الحالي تيمناً بـ (عدن/أدن) الأصلية حيث جنّة حور (الحوريين) الكاسية. وما زالت قبيلة إيزيدية كبيرة باسم (الكالديين-الخالديين أوالخالتيين) على اسم إلههم من أخلاف الشعب الكاسي يسكنون منطقة بحيرة وان وأرارات وآمد (ديار بكر) إضافة إلى انتشارهم في شمال سورية والعراق الحاليين.

غالباً ما تغير اللغات السامية، خاصة العربية، حرف الألف (أ) إلى حرف العين (ع). فالعدنانيون (الآدانيون) سلالة الإيزيديين الحالية التي ينتمي إليها الشيخ آدي بن مسافر ومعه عائلة (آديان)، ليسوا عرباً، وإنما آريون قدموا من (أور الكاسيين). وإن (كاسي) هي (قيسي) إحدى قبائل قريش. و(قريش) نفسها محرفة من الاسم (كيش) بحذف حرف التصريف الراء في كلمة (قريش) لتصبح (قيش). وبتبادل حرف القاف (ق) مع حرف الكاف (ك) في اللسانين السامي والهندو-أوربي، فإن (قريش) هي التسمية ذاتها

(كيش).

* لذا يبدو أن جذور الدين الإيزيدي شمالي وشمال غربي، انحدر من جبال زاغروس وغرب آسيا إلى الجنوب من بلاد إيران وسومر وبابل وكذلك الغرب إلى بلاد الشام (سورية، فلسطين، لبنان) ومصر إلى أن وصل إلى مكة في عهد العماليق (الهكسوس).

* هل هناك التقاء بين رأي بعض رجال الدين الإيزيديين القائل إن ديانتنا قادمة من الهند، وقول بعضهم إن (مكة) كانت عائدة لنا، وقول آخرين بأن نبوخذ نصر ملك بابل وأحشو يرش أحد ملوك إيران كانا أحد ملوكنا؟ يبدو استيعاب هذا السؤال صعباً ومعقداً لأول وهلة، لكن إذا وضعنا السؤال في ميزان تتبع هجرة الشعوب عبر التاريخ القديم، فسوف تنكشف لنا بعض الخيوط في العلاقة مع الشعب الكاسي (الكاشي) الهندو- أوربي أو الهندو-آري، المعروف بالعماليق الذين قَدِموا من أواسط آسيا الوسطى ومن الهند إلى إيران، وغزوا بلاد ما بين النهرين، وحكموا بابل عام 1600 ق.م.، ثم رحلوا إلى مصر (رحلة الهكسوس) وحكموا مصر نحو 153 سنة. وبعد أن طردوا من مصر اتجهوا إلى الحجاز وبنوا مكة. هذا الاستنتاج مبني على التحليل اللغوي الذي توصل إليه علماء اللغة والباحثون في أن اسم (قريش) في الأصل محرف من الاسم (كيش) بحذف حرف التصريف لحرف (الراء) في كلمة (قريش) تصبح (قيش)، وبتبادل حرف (ق) مع حرف (ك) في اللسانين السامي والهندو-أوربي، فإنه يسوغ لنا القول دون تردد: إن (قريش) هي التسمية ذاتها (كيش). وأن الكاسيين هبطوا في غزو بربري كاسح على دولة بابل الأولى عام 1600 ق.م.. وجاءت ضمن تلك الموجات موجة من الهكسوس لتحتل مصر 1680 ق.م. وإذا كان حرف (هـ) في اللغات السامية والآرامية هو أداة تعريف في بداية اللفظ المعرف، فكلمة (هكسوس) بعد حذف التصريف الاسمي (حرف السين الأخير) تصبح (كاسو) أو (الكاسي) الذي يشير إلى الموطن الأصلي للهكسوس هو براري غرب آسيا وهو اتجاه يشمل منطقة (آرارات) في أرمينيا)!! كما أن

القبيلة العدنانية (النسل الإبراهيمي) قد وفدت ضمن مجموعة من الهجرات المتدفقة على شكل موجات متلاحقة من المنطقة الكاسية. سكنوا شمال الجزيرة وامتدادها مع بادية الشام نحو الشمال, الخط القادم من الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية.

* إن الهكسوس بوصفهم جزءاً من الشعب الكاشي القادمين من آسيا الصغرى والذين دخلوا مصر لم يكونوا قبيلة واحدة، وإنما خليط من القبائل المتقاربة من ناحية القرابة والعبادات، وهم الكاسيون والحوريون الميتانيون والحيثيون. ودخول قبائل بني إسرائيل مصر تحت جناح الهكسوس، هو السبب في وجود مقاربات كثيرة بين الطقوس والعادات والعبادات لدى الديانتين اليهودية والإيزيدية، بما فيها علاقة الإيزيديين بإبراهيم الخليل، إذا كان فعلاً هو الجد (سلف) الأعلى لليهود كما يقولون!

* إن الهكسوس الكاشيين هم الذين أعطوا اسمهم (حكاخازوت-هكاخاسوت) الصيغة اليونانية، و(خازو- خازو-خاسو) الصيغة المصرية في منطقة (الحجاز) شمال الجزيرة العربية حالياً، بعد طردهم من مصر والتجائهم إلى تلك المنطقة. وملك الهكسوس (خمودي Khamoudi) الذي ورد اسمه في بردية تورين فيه جميع العناصر الفونطيقية في اسم (ثمود). يبدو أن ثمود التي ازدهرت في القرن الثاني قبل الميلاد في شمال الحجاز كانت مدينة أنشأها الهكسوس بعد خروجهم من مصر، وكان لها بعض الشأن نحو ثمانية قرون قبل الإسلام، ثم أهلكها الله كما أهلك "عاد"، حسب ما ذكر في التراث الإسلامي. وعاد أو "ختيKhatti" هم جيل من أجيال الهكسوس. كما أن مكة (ملكاي Malichai) هي صيغة مجزوءة من "ماهليك Mahl-ik" الحامية. ومكة قبل الإسلام كان يسكنها "العماليق" ومنهم بنو جرهم. ومكة، كما ورد في بطليموس، هو (ملكاي) أو موطن "أماليك" أو عماليق المذكورة في التوراة. يبدو هذا هو الإرث التاريخي الشفهي الذي تناقله رجال الدين الإيزيديين بأمانة من جيل إلى آخر. إن (مكة) كانت (لنا) قبل مجيء الإسلام. وهنالك أكثر من نص ديني يقول ذلك. و (لنا) أي الإيزيديون

الحاليون، ضمن السياق التاريخي، يشير إلى الهكسوس الكاسيين الهندو-إيرانيين الذين دخلوا وادي الرافدين من لورستان, وأسسوا فيما بعد الدولة الكاشية أو مملكة بابل الثالثة، وبعد سقوطها هاجر الباقون منهم إلى حرّان سنة (1800 ق.م.) كما يقول الدكتور لويس عوض في كتابه: مقدمة في فقه اللغة العربية ص 23. وكانت حرّان تعبد آنذاك الإله سن Sin رب القمر. وثار إبراهيم على عبادة قومه ودعاهم إلى التوحيد، وهاجر غرباً إلى كنعان مع مريديه. وكان اسم الإله الذي عبده إبراهيم (شداي Shaddai) أي إله "الجبل". ودخل الهكسوس الكاسيون مصر وحكموها عدة قرون إلى أن طردوا منها واتجهوا جنوباً إلى أن وصلوا الحجاز وبنوا مكة عاصمة لهم.

* حسب نظرية مار التي أشرنا إليها في متن الكتاب، وبناءً على التحليل التاريخي واللغوي لكل من (الآدانية، قريش، مكة، الهكسوس الكاشيين الخالديين، أصل إبراهيم الخليل،...) يتبين وبكل وضوح، أن الديانة الإيزيدية ديانة (هندو-إيرانية-آرية) قديمة تسبق الزرادشتية والإسلام.

* لماذا يقول الإيزيديون للمسيحيين (مامو= أي العم) أو (بيننا وبين المسيحيين شعرة) حتى الآن؟! يعود ذلك، في أغلب الظن، إلى الفترة التي كانت فيها الامبراطوريتان الإغريقية والرومانية تعتنقان الديانة الميثرائية ومعها الإيزيدية، إلاّ أنه بعد تحولهما لاعتناق الديانة المسيحية بقرار من الإمبراطور تيودوسيوس عام 392 ميلادية، وبقاء الإيزيديين الحاليين على ديانتهم، ظل خيط القرابة الدينية على ما يبدو ماثلاً في مخيلة الإيزيديين.

*إذا أخذنا تقديس كوكب القمر والشمس من منظور العلاقة الإنتاجية بين الإنسان القديم والطبيعة، فإن مرحلة الرعي هي أقدم من مرحلة الزراعة لدى الإنسان القديم, لذلك فإن إله القمر (الإله سين) يرتبط بمرحلة الرعي، وهو دين عبادة البدو، وهو أقدم من عبادة (إله الشمس) معبود المناطق الحضرية الباردة والمرتبط باكتشاف الانسان للزراعة. وإذا أخذنا هذا التقديس وتلك العبادة من منظور تأسيس النواة الاجتماعية داخل المجتمع، فان إلهة القمر التي تمثلها الأم هي المسيطرة، وهي الإلهة الكبرى، وهي الأرض. ولكن عند

اقتراب المجتمع من تخوم العائلة الأحادية وسيطرة الرجل على العائلة، برز دور إله الشمس الذكوري أمام تراجع دور المرأة، فتراجعت مكانة إلهة القمر. ومن هذا المنظور العقائدي والتاريخي، نلاحظ أن الدين الإيزيدي يغلب عليه العقيدة الشمسية أكثر من العقيدة القمرية، بدلالة تخصيص نصوص دينية كثيرة تمجد الشمس مقابل نصوص قليلة لتمجيد القمر.

تجدر الإشارة إلى أن ديانات جميع الساميين الغربيين والعرب الجنوبيين هي ديانة عبادة القمر، على نقيض ما كان موجوداً في ديانة بابل. ويعود سبب ذلك إلى أن الساميين الغربيين بقوا بدويين مدة طويلة بالقياس إلى البابليين.

* يربط بعض الباحثين يافثَ أبا الآريين (حسب تقسيم آفيستا) بـ "آبسو Apsu" رب الماء في الأساطير الآرية (الهندو-أوربية) المنسوب إلى "تموز Thammuz" الذي هو (طاؤوس) الإيزيدية، ربّ الخصب عند السومريين والبابليين والآشوريين. واسمه "دوموزي آبسوDummzi Apsu"، بمعنى "ابن آبسو الحقيقي". وهو ابن "أبتيا The son of Aptya" الذي تحدثت عنه " الآفيستا"، ولعله بمعنى "بيت آبسو" ببساطة؛ إن كان "دوموزي" له صلة بالجذر الهندي الأوربي "دوم Dom" باللاتينية Domus بمعنى "البيت". ويمكن مقارنة ذلك بـ (lapetus وPoseidon) في الميثولوجيا اليونانية.

* إذا كانت "الشمس" التي تقدسها الإيزيدية في وقتنا الحاضر هي (شمس ميهر/ميثرا) نفسها، فإن الدين الإيزيدي هو فعلاً أقدم من الدين الزرادشتي، وليس منفصلاً منه أو من بقاياه، لأن الديانة الزرادشتية باقية. الدليل الآخر الذي يدعم قدم الديانة الإيزيدية الحالية على الزرادشتية، وربما على ديانات ومعتقدات أخرى بما فيها الميثرائية، هو طقس صوم الإيزيدية (صوم إيزي- صوم الشمس) الذي يعد أحد أركان الدين، يقام مدة ثلاثة أيام بهذا التاريخ من شهر كانون الأول، وهو عيد ميلاد "الشمس" يتساوى فيه الليل والنهار، وتتحول الشمس من برج الجدي (22 كانون الأول) إلى

برج الدلو (19 كانون الثاني). هذا يعني أن عيد ميلاد المسيح في 25/12 مأخوذ من دين هندو-آري قديم.

* كانت الديانة الميثرائية الفارسية مقتبسة عن ديانة بابل، أي كانت متوارثة لدى الفرس عن ديانات بابل بعد الغزو الفارسي لبابل على يد كورش الأكبر عام 539 ق.م. اقتبس طبقة الكهنة الفارسيين مبدأ (الزروانية) (الزمن) من البابليين، واتخذوا (زروان) والداً للتؤامين (كائاس) (سبينتامباينو) (الروح الطاهر الخالد) و (انكرامباينو) (الروح الشرير الهالك) وذلك بعد أن عرف (سبينتامباينو) بأنه (اورمزد)، ربما نتيجة اختلاط عبادته مع عبادات الفرس نشأت الميثرائية الفارسية. وقد نال (ميثرا) المرتبة الأولى في الديانة الزروانية المجوسية. وعند اكتساح المقدونيين للبلاد 331 ق.م. اقترن أرباب إيران بآلهة الإغريق.

* إن ديانة (عبدة الديو Devil) هي امتداد لعبادة (أهريمان) التي لم تكن نابعة من الزرادشتية، بل انتشرت في إيران خفية رغم وجود الزرادشتية التي كانت ديانة إيران الرسمية وبقيت في صورتها حتى الغزو الإسلامي. ويرى الأستاذ وهبي أن (أهريمان) أي (الديوDevil) كان من معبودات الديانة المهرية التي دانت بها مدينة (الحضر), وارتبط اليزيدية بها أيضاً.

* إن كلمة (عزيز) التي لها علاقة واضحة بـ (تموز/طاؤوس ملك) والذي يؤكده اكتشاف الدكتور يوسف أفورد عام 1904، فإنها أي (العزيز) ترد بكثرة في النصوص الدينية وفي الأدب الشفهي الإيزيدي. ففي قصة (نبوخذ نصر والنص الديني "قه ولى ئيزيدو مه ده هي) يرد هذا الاسم. وهذا يعود في رأيي إلى علاقة الإيزيديين بشعب الهكسوس الذي هاجر من آسيا الصغرى جنوباً وحكم مصر قروناً عديدة، إضافة إلى انتماء النبي إبراهيم إلى هذا الشعب.

* إن وجود طقوس مشتركة عديدة بين اليهود والإيزيدية، مثل (عزيز مصر, تقديس العجل, تابوت الرب, الختان, طاقية رأس رجال الدين, المعراج, جدائل شعر رجال الجوانان في سنجار)، إضافة إلى وجود قصص

الأنبياء: (آدم وحواء, النبي سليمان وبلقيس، النبي أيوب, النبي موسى,..) في قصص ونصوص دينية؛ لا تشير قطعاً إلى علاقة الإيزيدية باليهودية، بقدر أن هذه المشتركات تدل وتعود إلى سببين، السبب الأول: سبي اليهود الأول إلى بابل والثاني إلى آشور، وعيشهم المشترك في تلك الأرض. السبب الثاني: هو هجرة الإيزيديين، وإن كانوا باسم آخر مع اليهود العبرانيين ضمن مجموعة الهكسوس الكاسيين والميتانيين الذين وصلوا من غرب آسيا إلى أرض كنعان ومصر، وطردوا من هناك ليتجهوا إلى الحجاز ويصل قسم منهم إلى اليمن، ويتخذوا مكة عاصمة لهم في الحجاز.

* كلمة الشيخ اسم إله سن "شيخو" إله الكاشيين 1750 ق.م.

* إذا صحّ تحليل بعض المؤرخين والعلماء القائل إن (إبراهيم) هو صدى (براهما) الإله الهندي، فإن ذلك يعطي مصداقية كبيرة لرأي بعض علماء الدين الإيزيدي القائل إن جذور عقيدتهم قادمة من الهند.

*إله الدين اليهود:

الله ليس واحداً في الأديان، وجذره ومفهومه يختلف من دين إلى آخر. ففي الأديان الابراهيمية، على سبيل المثال، يعدّ الله تطوراً من (آلوهيم- إيل- عليون- شداي- ياهو- يهوه)، فإن اسم (إلوهيم) كان يستخدم في مرحلة تعدد الآلهة عند العبرانيين. أما (يهوه) فهو من جذر (هايه/أو هاوه) بمعنى يكّون أو يصيّر. وهو في كتاب التوراة "محارب إلهي" من الشرق الأدنى القديم من العصر البرونزي، يقود "الجيش السماوي" ضد أعداء إسرائيل، وأصبح في وقت لاحق الإله الرئيسي في مملكة إسرائيل ويهوذا. ومع مرور الوقت روّج له على أنه إله الكون كله.

إله الدين المسيحي:

أما الله في الديانة المسيحية الذي يرمز له بالثالوث المقدس، فيعتقد الباحثون وعلماء فقه اللغة أن البسملة السريانية "بشم ألوهة رحمانو رحيمو" تدل عليه، وأن ترجمتها من السريانية إلى العربية تعطي معاني

مختلفة. "بشم" هي "بسم" فالسين هي شين في السريانية. غير أن "ألوهة" هي اسم الإله العبري وتقترب من التعبير العربي "اللهم". أما "رحمانو- رحمو" فتعني "بيت الرحم أو رحم المرأة", وتشير إلى "التجسد" كما قال يوحنا في إنجيله "وصارت الكلمة جسداً". في حين أن "النون" هي حرف التعريف في اليمن، و "رحيمو" هو الروح القدس.

إله الدين الإسلامي:

الله الإسلامي هو تطور من "إيله او إله" الذي كان إله القمر في مملكة سبأ. وكان يطلق عليه " ال إله" ليدمج و يختصر لاحقاً إلى تعبير واحد " الله". ونبي الإسلام رفع من شأن الإله القمر الوثني تماماً كما العرب الوثنيين، ولكنه تجاوز الوثنيين بخطوة؛ فهو لم يعتبره الإله الأكبر والأكرم والأحسن، ولكنه أيضاً الأوحد. لهذا لا يوجد أي سبب لقبول فكرة أن الله الإسلامي قد جاء للمسلمين عن طريق النصارى واليهود. العرب عبدوا إله القمر على أنه رب الارباب، ولكن هذا الرب لم يكن رب اليهود.

إله شعوب بلاد الرافدين القديم:

عند شعوب بلاد الرافدين أو ما يطلق عليه أيضاً بلاد ما بين النهرين كالسومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين والحوريين الميتانيين وغيرهم، لم يكن إلهاً واحداً أوحداً، بل آلهة متعددة يتشكل منهم مَجْمَعِ آلهة (بانثيون) كما في الدين السومري، فقد كانت فيها الآلهة السبعة (آن، إنليل، إنكي، ننهورساج، نانا، أوتو، وإنانا) الأكثر أهمية. وفي هذا المَجْمَعِ كان يُعتقد أن (أوتو) هو(الشمس), و(نانا) هو (القمر), و(إنانا) هي كوكب الزهرة. إلا أن أهمية وتراتبية الجزء العلوي من مَجْمَعِ الآلهة كان مرهوناً بالحقبة الزمنية والمكان، أي الدور الذي تلعبه المدينة. مثلاً في مدينة فارا كان ينظر إلى إنليل وإنانا وإنكي على أنهم الآلهة الأكثر رفعة. أما في مدينة أوروك فكانت إنانا أهمّ إلهة. وهناك اسم بابلي يشير إلى (شمش) على أنه

"إنليل الآلهة" خلافاً لعقيدة "القمر" التي قبلها الملك نبونائيد. وفي مدينة زابان أو زبان الواقعة شمال شرق بابل، كان الإله (حدد أو هدد) على رأس مَجْمَع الآلهة. أما في بابل فقد أصبح (مردوخ) الإله الأعلى إلى جانب (نابو) الذي كان مساوياً لشأنه. أما في آشور، فقد كان الإله (آشور) هو الإله الأعلى.

يعتبر (براهما) في العقيدة الهندوسية الإله الخالق للعالم، ويؤلف مع (شيفا) المدمر و(فيشنو) الحافظ ثالوثاً في مَجْمَعِ الآلهة الهندوسية. وهو تجسيد لـ(براهمان) المطلق، المجرد، المتعالي، المنزه عن الصفات، الروح الكونية الخالدة التي تسري في العالم كله.

إله الديانة الزرادشتية:

يعتقد الزرادشتيون بوجود إله واحد أزلي, هو أهورامزدا بمعنى الإله الحكيم وخالق الكون. أهورامزدا هو "روح الخير" وإله السماء. عيناه هما الشمس والقمر، أما عدوه فكان أهريمان "روح الشرّ". وهنالك معركة غير متكافئة بين الخير والشرّ، بين النور والظلام. و في نهاية المطاف سينتصر الخير على الشرّ، ويسود الحق على الباطل. ويساعد أهورامزدا ستة ملائكة (الخالدين المقدسين) في إدارة الكون. ولأن مصدر أهورامزدا من النور، فإن الزرادشتيين يقدسون الشمس والنار التي لا يُطفأ نورها في معابدهم. وهكذا جاء زرادشت ليؤسس فلسفته الدينية على ميثولوجيا إيران القديمة المتمثلة في الصراع بين النور والظلمة، بين الخير والشرّ.

إله الزرفانية/الزروانية:

المعتقد الزورفاني هو الركن الأساسي في بنية الأديان الهندو-إيرانية. كان (زورفان) يحمل عنصري الذكورة والانوثة (خُنْثى). وهو والد الربّ الطيب (هورا مزدا Ahura Mazda) والربّ الشرير (أنغرا ماينيو Angra Mainyu، أي له ولدان يمثلان التناقضين. فـ (زورفان) نفسه يعتبر ربّاً حيادياً، وهو الربّ الذي ليس عنده تفريق بين الخير والشرّ. كما أنه ربّ

المصير، النور والظلمة. ويعتبر الزروان وزرفان (Zervan- Zrvan) الربُّ البدائي في الديانة الفارسية الإيرانية، وهو ربُّ الزمكان المطلق. هو النوراني الأعظم. وهذا يقترب من فلسفة الديانة الإيزيدية القائلة بأن الخير والشر يأتيان من باب الخالق.

خودى الإيزيدية:

اسم الإله عند الإيزيدية هو (خودى Xudê- Xodayî) بمعنى الذي خلق نفسه بنفسه. وحسب النصوص الدينية كان في البدء (هو أو هي) داخل (درّة) انفجرت، وخُلقت منها السماء بما فيها من كواكب والأرض والبحار وكل الوجود. ربما تلتقي أو تتطابق عقيدة الإيزيدية مع العقيدة الزروانية. وهناك باحثون ماثلوا (ئيزدان) في الديانة الإيزيدية بـ (زورفان) الرّب البدائي في الديانات الهندو-آرية والفارسية الإيرانية القديمة. فالرّب (زورفان) يحمل عنصري الذكورة والأنوثة، وهو الذي أنجب توأمين، هما إله الخير وإله الشر! وهذا يقترب من فلسفة الديانة الإيزيدية القائلة إن الخير والشر يأتيان من باب الخالق، حسب نص من دعاء الصبح (هەق هەمدللا يا رەبل ئالەمين، خێرا بدە، شەرا وەرگەرين)؛ بما معناه: "الحمد والشكر لرب العالمين، امنح الخير، وامنع الشر".

* بإيجاز، تكمن الميثولوجيا الإيزيدية في تنوع مرجعياتها وتباينها. وهذا يدل على تأثرها وتأثيرها في محيطها من الشعوب والحضارات، وأنها مرّت بعبادات عدة مثل بقية الأديان التي مرت بتعدد الآلهة إلى أن وصلت إلى مرحلة التوحيد. ويستنتج مما جاء في هذا الكتاب أن الايزيدية ديانة آرية مرّت بعدة تسميات خلال تاريخها؛ كديانة الخصب أي تقديس ظواهر الطبيعة، الداسنية أو دسنايێ (علماً أنه استخدم كإهانة من قبل الأديان الأخرى)، المتحيرة (الميثرائية)، جلكو، الشمسية (نسبة إلى تقديس الشمس)، الأزداهية.

ملحق

مشروع العراق الجيني(Iraq DNA project)), نشر في January 23, 2021, وخضع له مجموعة من أتباع الدين الإيزيدي. لوحظ وجود 11 سلالة جينية لديهم، تصدرتها كل من السلالات: R1b بنسبة (20.79%)، ثم 10.89%) J2a1x J2a1b/h / and G2a (11.88%) L). كما وُجدت في جينات اليزيديين سلالتان نادرتان في المنطقة؛ وهما السلالة (L) أكبر وجود لها في باكستان والهند, والسلالة (H) التي توجد بكثرة في جنوب الهند ولدى قومية الغجر المنتشرة في بعض دول شرق أوربا. وهما جينيا سلالتين متصدرتين في نتائج الإيزيديين, وتمثلان أكثر من 21 في المئة. مما يطرح تساؤلات عن الأصول القديمة للدين الإيزيدي. كما أن هذه النتائج توضح دور "الدين" في خلق مجتمع موحد من أصول مختلفة، ودور الدين في توثيق وتمكين واستمرارية هذا الانعزال.

نتائج السلالات الأبوية للعينات الإيزيدية المكتملة و المعلنة في مشروع العراق الجيني - تموز 2019

الطبقة و المنطقة و اللقب	السلالة الأبوية الأساسية	التحور الفرعي المؤكد أو المتوقع	تطابقت مع عينات عراقية؟	ماهي العينات العراقية التي تطابقت في 12 ماركر الأولى
مريد - [illegible] - [illegible]	J-M172 (J2)	PF5056	لا	لا يوجد
شيخ - [illegible] - شيخسن	R-M198 (R1a)	Z94	نعم	إيزيدي من نينوى، كلداني من نينوى، مندائي ميسان و البصرة، عراقيين عرب من عدة محافظات، كردي ديالى، يهود عراقيين من بغداد و الأنبار
شيخ - شنكال - شيخسن	R-M198 (R1a)	Z94	نعم	
مريد - [illegible] - [illegible]	J-M172 (J2)	PF7384	كلا	لا يوجد
مريد - بعشيقة - [illegible]	J-M267 (J1)	غير محدد	كلا	لا يوجد
شيخ - باعذرة - شمسي	R-M269 (R1b)	Z2103	نعم	إيزيدي من نينوى و عينة من البصرة
شيخ - [illegible] - [illegible]	R-M269 (R1b)	Z2103	نعم	إيزيدي من نينوى و عينة من البصرة
مريد - سيبة شيخ خدر - [illegible]	R-M198 (R1a)	Z93	نعم	عينتان من الأنبار
مريد - بعشيقة - [illegible]	R-M198 (R1a)	Z93	كلا	لا يوجد
مريد - بعشيقة - [illegible]	J-M172 (J2)	PF7394	نعم	لا يوجد



المصادر والمراجع

- ڤيدا, نصوص هندوسية مقدسة.
- آڤيستا, الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية.
- التوراة (العهد القديم).
- الإنجيل (العهد الجديد).
- القرآن الكريم.
- نصوص الديانة الإيزيدية (الأقوال، الأبيات، الأدعية).
- قاموس أعلام الكتاب المقدس من العهد القديم والجديد.
- الثعلبي (أبو اسحق)، قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، المكتبة الثقافية، بيروت.
- اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب), تاريخ اليعقوبي، ج 1، منشورات الشريف الرضي.
- تيمور (أحمد باشا), اليزيدية ومنشأ نحلتهم، مكتبة النور, 2015.
- البلاذري، (أحمد بن يحيى بن جابر "ت 279هـ-892-م"), فتوح البلدان، تحقيق وتقديم: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992.
- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر "681-608ه"), وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد3، منشورات الرضي, قم، الطبعة الثانية, 1364.
- ابن الأثير (عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني), الكامل في التاريخ، المجلد 12.

- ابن كثير (الحافظ), البداية والنهاية، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
- السهروردي (الشيخ شهاب الدين), حكمة الإشراق، ترجمة وشرح:أز دكتر سيد جعفر سجادي، جاب ششم. وسيد محمد كاظم إمام: فلسفه در إيران باستان ومبادئ حكمة الإشراق.
- أدمونس (سي. جي. إي.): كرد وترك وعرب، منشورات جامعة أكسفورد, لندن, 1957.
- الإمام الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم "548-479")، كتاب الملل والنحل، الجزء الأول والثاني, تخريج: محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، منشورات الشريف الرضي.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير"310-224هـ"), تاريخ الطبري/تاريخ الأمم والملوك، المجلد الأول، دار الكتب العلمية, بيروت.
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى), مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"دولة المماليك الأولى", دراسة وتحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت, لبنان, 1986.
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى), مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية, بيروت.
- ابن العبري في تاريخه السرياني, كرونيكون سرياكوم.
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت، الجزء الأول.
- سوسه (د. أحمد)، تاريخ حضارة وادي الرافدين، الجزء الأول، بغداد, 1983.
- سوسه (د. أحمد), العرب واليهود في التاريخ، من المقدمة.
- محمود الخليل (د. أحمد), تاريخ مملكة ميتاني، دار موكرياني للبحوث والنشر, أربيل، الطبعة الأولى, 2013.
- ملا خليل (أحمد), من آذربيجان إلى لالش، تحقيق وتعليق: د. خليل جندي، الطبعة الأولى, مطبعة سبيريز, دهوك, 2006.

- عثمان (أحمد), تاريخ اليهود، ج1، دار الشرق، القاهرة, 1994.
- دياكونوف (إ.م.), ميديا، ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ، ص210.
- كليوسوف (د. أناتولي Anatoly Klesov), الإنسان بين العلم والأسطورة/ شجرة النسب والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة: عبد الله أحمد، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت.
- إمام (د. إمام عبد الفتاح), معجم ديانات وأساطير العالم, المجلد 3، مكتبة مدبولي.
- د. اذزارد، م.هـ. بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطيرفي بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) وفي الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، تعريب عن الألمانية: محمد وحيد خياطة، الأهالي, دوشق, 1987.
- المائي (أنور), الأكراد في بهدينان، الطبعة الثانية، دهوك, 1999.
- كريستنسن (آرثر), إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب, مراجعة: عبد الواحد عزام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت, 1982.
- كرستينسن (آرثر), إيران در زمان ساسانيان، ترجمة: رشيد ياسمي، طهران.
- جفري (آرثر), البحث عن محمد التاريخي، ترجمة وتعليق: نبيل فياض، دار أبكالو، الطبعة الأولى, 2020.
- منصور (أنيس): ديانات أخرى، دار الشروق، الطبعة الثانية، 2007.
- سمو (آزاد سعيد)، اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة، المكتب الإسلامي, 2001.
- نيكيتين (باسيلى), الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، الطبعة الثانية، 2001.
- فيلر (بروس), الخليل إبراهيم: رحلة في جوهر الديانات الثلاث، ترجمة: أحمد هويدي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2016.
- وهبي (توفيق بك)، الآثار الكاملة، الجزء الأول، إعداد: رفيق صالح، مطبعة زين السليمانية، 2006، دين الكورد القديم، المقال الثامن.

- وهبي (توفيق بك)، أثران تاريخيان عن الكرد، تحقيق الأول وتعريب الثاني: محمد جميل الروزبياني، مطبعة المجمع العلمي، 1416 هجرية, 1995م.
- وهبي (توفيق بك), اليزيدية بقايا الديانة الميثرائية Yezidis are the rem-nant of Mithrism، ترجمة: شوكت إسماعيل حسن.
- وهبي (توفيق بك)، برسى مختصرى أز أديان كرد، ترجمة: سيد جمال الدين حسيني.
- العبدولي (د. تهامي)، النبي إبراهيم في الثقافة العربية والإسلامية، دار المدى، دمشق، ط1، 2001.
- دياكونوف (إ.م.)، ميديا، ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ.
- علي (دكتور جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني والجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت,1970م.
- جرني (أ. ر.)، الحثيون، ترجمة: د. محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1997.
- أحمد (د. جمال رشيد)، ظهور الكرد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر, أربيل، ط1، 2005.
- أحمد (د. جمال رشيد)، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد, 1984.
- حبيب (جورج)، اليزيدية بقايا دين قديم، بغداد, 1978.
- عبد القادر (حامد)، زرادشت الحكيم نبي قدماء الإيرانيين، مركز الإنماء الحضاري، حلب 2005.
- محروس إسماعيل (دكتور حلمي)، أصل الكاشيون، الشرق العربي القديم وحضارته.
- سليمان (خدر) وشيخانى (سعد الله)، شنّخان وشنّخان بەگى، مطبعة الفنون، بغداد, 1988، منشور خطيب بسي.
- جندي (د. خليل)، نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، مطبعة رابوون، السويد, 1998.

- جندي (د. خليل): الدين الإيزيدي: المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، الطبعة الثالثة، بيروت, 2018.
- جندي (د. خليل)، پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان (صفحات في الأدب الديني الإيزيدي)، الطبعة الأولى, 2004، والطبعة الثانية, 2013، دار سبيريز/دهوك.
- جندي (د. خليل)، الإيزيدية والامتحان الصعب، الطبعة الأولى، دار ئاراس, أربيل, 2008.
- عبد الرحمن (د. خليل)، آفيستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية, مطبعة دار الحياة, دمشق، الطبعة الأولى، 2007.
- الماجدي (دكتور خزعل)، الحضارة الهندية، دار الرافيدين, بيروت, دارتكوين, الكويت، 2019.
- منى (زياد)، بنو إسرائيل: جغرافية الجذور، الأهالي، دمشق, 1995.
- ليسكو (روجيه)، اليزيدية في سورية وجبل سنجار، دمشق, 1938.
- زيهنير (ر. س)، المجوسية الزرادشتية: الفجر- الغروب، ترجمة: د.سهيل زكار، مطبعة التلوين، دمشق, 2005.
- رشيد عليان وسعدون الساموك، الأديان، دراسة مقارنة.
- صديق (د. زرار)، دراسات كردية غي بلاد سوبارتو، بغداد, 1984.
- توكاريف (سيرغي أ.), الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة: د. أحمد فاضل، مطبعة الأهالي، دمشق، الطبعة الأولى, 1998.
- زايد (عبد الحميد)، مصر الخالدة، القاهرة, 1966.
- ساغس (هاري Hary Sags)، عظمة آشور، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، الطبعة الأولى, 2008.
- القمني (د. سيد محمود)، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، المركز المصري لبحوث الحضارة، (أربعة أجزاء)، القاهرة, 1999.
- القمني (د. سيد محمود), النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مدبولي الصغير, القاهرة, 1996.
- الصائغ (سليمان)، تاريخ الموصل، الجزء الأول، مصر, 1923.

- الديوه جي (سعيد), اليزيدية، المؤسسة العربية للدراسات، 2003.
- البرنجي (سليم)، الصابئة المندائيون، دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ترجمة: جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت, 1997.
- حسن (سليم): موسوعة مصر القديمة، الجزء الرابع، مؤسسة هنداوي, 2019.
- البدليسي (شرفخان)، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية، بيروت, 1987.
- باراني (شمدين)، حبات ذهبية إيزيدية، طبعة طهران، مكتبة خاني, دهوك, 2020.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر, بيروت, 1977.
- گولياموف (د. صلوات)، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، ترجمه عن الروسية: د. إسماعيل حصاف، الطبعة الأولى، أربيل, 2011.
- الدملوجي (صديق)، اليزيدية، مطبعة الاتحاد, بغداد, 1949.
- ديره شى (سعيد) وآليخان (پێزانێ)، ديوان فقي طيران، الجزء الأول، مطبعة الحوادث، بغداد, 1989.
- حسين (د. طه), فى الشعر الجاهلي، دار الكتب المصرية، 1926. وطبعة دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة, تونس.
- العزاوي (عباس)، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، بغداد, 1935.
- بدوي (الدكتور عبد الرحمن)، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى, الجزء الثاني, 1984.
- يوسف (عبد الرقيب)، حدود كردستان الجنوبية تاريخياً وجغرافياً (خلال الخمسة آلاف عام)، الطبعة الثانية, السليمانية, 2005.
- الحسني (عبد الرزاق)، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط11، اليقظة, بغداد,1951.
- نيرويي (د. علي تتر)، الميثرائية: تاريخ ومعتقدات، ترجمة عن اللغة الكردية:

بير خدر سليمان، منشورات مركز لالش الثقافي والاجتماعي، سلسلة رقم 7، مطبعة خاني, دهوك, 2008.
- الماجدي (الدكتور غزعل)، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، عمان, الأردن, 2018.
- فيلسيان شالي, موجز تاريخ الأديان، ترجمة عن الفرنسية: حافظ الجمالي، مكتبة المهتدين الإسلامية، دمشق، الطبعة الثانية, 1994.
- السواح (فراس), آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دار علاء الدين، دمشق 1995.
- السواح (فراس), الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 1993.
- السواح (فراس)، مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت 1980.
- السواح (فراس)، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، (الزاردشتية، المانوية، اليهودية، المسيحية)، دار علاء الدين، الطبعة الثانية, 2010.
- مينورسكي (ف.ف.)، الأكراد: ملاحظات وانطباعات، موسكو 1915، ترجمة وتعليق: د. معروف خزندار، بغداد 1968.
- شلبي (عبد العزيز)، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان.
- كريمر (صمويل), من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، تقديم ومراجعة: د. أحمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد.
- عوض (د. لويس)، مقدمة في فقة اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع, 2005.
- زكي (محمد أمين)، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي.
- محمد (محمد)، الشيطان في الأديان القديمة والحديثة.
- الحمد (محمد عبد الحميد)، صابئة حران والتوحيد الدرزي، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1999.
- عبد الحميد (محمد حسني)، أبو الأنبياء إبرهيم الخليل، تقديم: الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً، دار سعد، القاهرة.
- المسعودي (علي بن الحسن "ت 346هـ")، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1.

- الدملوجي (فاروق)، الألوهية في المعتقدات الثنوية، الجزء الأول في الديانة الزردشتية.
- عمر (د. فاضل)، ميثرا وعبادة الميثرائية: دراسة أولية، مطبعة هاوار، 2006، منشورات متين، الحلقة -6 باللغة الكوردية.
- عمر (د. فاضل)، أديان إيران القديمة والكرد، ترجمة من انسيكلوبيديا البريطانية, 2004.
- شالي (فيلسيان)، موجز تاريخ الأديان، ترجمة عن الفرنسية: حافظ الجمالي، مكتبة المهتدين الإسلامية, دمشق، الطبعة الثانية, 1994.
- هومل (فريتز)، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام.
- يزدين (د. قيصر خلات)، العمارة الدينية الإيزيدية في بلاد الرافدين، 2021.
أ ب Beck, Roger (2002-07-20). "Mithraism". Encyclopaedia Iranica, Online Edition. Retrieved 2011-03-24. The term "Mithraism" is of course a modern coinage..
- زايد (د. عبد الحميد)، الشرق الخالد: مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى 323 ق.م.، دار النهضة العربية، القاهرة, 1967.
R.H. Empson, The Cult of Peacock Angel, London 1928, p.30 -
- روزبياني (محمد جميل)، إمارة موكريان، باللغة الكردية.
- فندي (رشيد)، من ينابيع الشعر الكلاسيكي الكوردي، الجزء الأول، 2004.
- الصليبي (كمال)، خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي, لندن, 1988.
- رينيه (لابات) وسنايزر (موريس)، سلسلة الأساطير السورية، ديانات الشرق الأوسط، ترجمة: مفيد عرنوق، دار علاء الدين.
- الشمس (ماجد عبد الله)، الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، دار علاء الدين, دمشق, 2018.
- الحايك (د. منذر)، فيدا: نصوص هندوسية مقدسة، دراسة مقارنة، ترجمة عن الإنكليزية: حكمت أبكر، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2018.

- اليوسف (مرشد)، دوموزي "طاؤوسي ملك"، بحث في جذور الديانة الكردية القديمة.
-Hinduism, A philosophy of life, L. N. Birla, Shri Lakshmi Narain Temple, New Delhi.
- ناصف (عصام الدين حنفي)، اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، بيروت، 1985.
- بن ثابت (سنان): الصابئة المندائية "إشكالية التسمية" الثقافة الجديدة، العدد 248، آب 1992.
Kramer, UR Excavations Texts, vol. VI part 1, no. 10.
- عبد الواحد (د. فاضل)، عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، 1999.
- Grimal, Nicolas. A History of Ancient Egyot, p.193, Librairie Layard, 1988.
-Roldford, Donald B., History andChronology of the 18th Dynasty of Egypt)
- صديقي (محمد الناصر)، تاريخ اليزيدية: النشأة والفكر والمعتقدات، العادات والطقوس، دار الحوار، الطبعة الثانية، سورية، 2015.
- الشيخ محمد الحنبلي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني.
- مزوري، عبد الرحمن، تاج العارفين عدي بن مسافر الكوردي الهكاري ليس أموياً!!، مركز هافيبون للدراسات والنشر الكردية، الطبعة الثانية، برلين، 2004.
- بوستغيت (نيكولاس)، حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور)، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون.
- البناء، هاشم، اليزيديون، بغداد، 1964.
- ديورانت (ول)، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود. لم يذكر أسماء المؤلفين المشاركين في التأليف.
- محمود خالص (د. وليد)، اليزيدية: إشكالية المنهج، دراسة ونصوص وتعليقات،

الجزء الأول، كنور المعرفة، الطبعة الأولى, 2016.
- زرا (يوسف), اليزيدية عقيدة وتراث، مطبعة راند، 2003.
- الشبلي (أبو زيد): تاريخ خالد بن الوليد، (نقلاً عن خلاصة تاريخ كرد وكردستان لمحمد أمين زكي)
- الجزري (عزالدين بن الأثير)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الثاني.
- نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، الجزء الثاني، المؤلف مجهول من القرن الثاني الهجري.

المجلات والجرائد:

- صقر شنكالي، الشيخ آدي بن مسافر بين سندان الحقيقة ومطرقة الكتّاب، مجلة لالش، دهوك، العدد17، كانون الثاني,2002.
- أحمد ملا خليل، إبراهيم خليل الرحمن بين (أور) الكلدان و(أورا) كوردستان، مجلة لالش، العدد 9, 1998.
-جاسم محمد شفيع، النار في المعتقدات العربية، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، السنة الخامسة، 1974.
- يوسف، عبد الرقيب، اكتشاف المعبد القديم للإيزيديين قبل الميلاد، مجلة (لالش) دهوك، العدد 21، 2004.
- مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية J.B. A.s. 1919 ص -147 ص 154."مقتبس من: د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، ص44.
- مجلة الرسالات الكاثوليكية (الفرنسية)، العدد 956 , 30 /أيلول/1887.
- محمد وحيد خياط، مجلة سومر، المجلد الأول، العدد 33, 1977.
- العظمة (هرمس م.): التشابهات المذهلة بين الأسطورة الهندية لطوفان مانو والقصة الكتابية لنوح.(PDF)

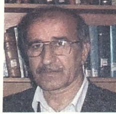
الصحف الإلكترونية:

- ملا خليل (أحمد)، إبراهيم خليل الرحمن بين (أور) الكلدان و(أورا) كوردستان، موقع بحزاني نت الإلكتروني، 19/11/2006.

- محمود (إيمان): الفرق بين المؤرخ والباحث، موقع المرسال ،Almrsal.com
.1/3/2018
- الحصان (محمد)، من هم المجوس؟ موقع سطور الإلكتروني، 24/6/2019.
- برنامج (رحلة في الذاكرة) مع البروفيسور أناتولي كليوسوف، أجراه معه الإعلامي خالد رشد. موضوع اللقاء: من هم الآريون، وما أصلهم، وما موطنهم، ومن يحمل طفراتهم الجينية من شعوب الشرق الأوسط؟
- أمريكو (حسو)، إبراهيم خليل في النصوص الإيزيدية، الأكاديمية الإيزيدية, هانوفر. http://www.prvsr.com/median.htm :
- عبود (حنا)، موسوعة الأساطير العالمية، دار الحوار. (مقتبس من ويكيبيديا)
- موقع الالوكة، المجلس العلمي بإشراف د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي, 24/10/2016.
- الكرباسي (الشيخ صالح)، الموقع الإلكتروني لمركز الإشعاع الإسلامي، المقال منشور قبل تسع سنوات.
- جلال سلمي، الأساطير التاريخية التركية قبل وبعد الإسلام، موقع ترك برس, (www.turkpress.co/node/13069)29/9/2015
Resumen de la Historia Universal: escrito con su conocimiento, Joan Cortada i sala 1867
- كدر (جورج) (كاتب وباحث سوري)، تاريخ كلمة "لي اي ليش" وحقيقة معبد لالش الإيزيدي، موقع أولتر أصوات, 8/1/2016.
- علوكا (خالد)، قريش، نشر في موقع بحزاني الإلكتروني, أيلول,2020.
- حاج درويش (نضال)، أوركيش أولى المراكز الدينية في شمال ميزوبوتاميا، رستم عبدو، مركز الفرات للدراسات، 2/4/2018.
: http://www.prvsr.com/median.htm
- عثمان (فارس)، الكرد في سورية قبل الميلاد وحتى نهاية العصر العباسي، .15/5/2018
- الماجدي (د. خزعل)، الأساطير السومرية: تصور ميثيولوجي لنشوء الإنسان

والكون والإله, 18/9/2018.
- الصالح (عبد الحميد)، ماذا تعرف عن الطوطمية؟ موقع المكتبة العامة, 28/1/2017.
- بطرس رمو (فاضل)، نبو نائيد، انهيار الدولة: الدروس والعبر، الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، 28/10/2011.
- مسور (خالص)، أصل الأكراد، 20/4/2006.
- فياض، (نبيل)، الميثرائية، بحث منشور بتاريخ 16/كانون الأول/2013.
- كاكائي، مهدي (الدكتور)، الدين اليزداني: تاريخه، معتقداته، لغته وطقوسه. موقع بحزاني نيت (www.bahzani.net)، حزيران, 2019.
- سليمان سمير غانم، ميثرا وطقوس العبادة الميثرائية في الإمبراطورية الرومانية، الحوار المتمدن, العدد: 3773 ,29/6/2012.
- امريكو، حسو، إبراهيم الخليل في النصوص الإيزيدية، معتمداً على: وثائق بوغاس كوي، حكايات حثية، د. ليونا خوست.
- أصل الجنس البشري وانتشاره، منتدى آفاق الفلسفة والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، 9 كانون الأول 2008.
- محمد سعدون محمد، حوليات نبو نائيد، موقع الهيئة العامة للآثار والتراث، 7/6/2020.
- موقع الاتحاد، حين عُبِدت شمس، المنشور بتاريخ 4 كانون الثاني 2017، https://www.alittihad.ae/article/664/2017/%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%AA-%D8%B4%D9%85%D8%B3
- قصة الطوفان, مقارنات www.hindawi.org
- عبد الرازق (عماد الدين إبراهيم)، الفيثاغورية وتناسخ الأرواح، 9 أكتوبر 2016.

السيرة الذاتية



دكتور خليل جندي رشو

* باحث ومفكر إيزيدي، من مؤسسي مركز مواجهة خطابات الكراهية في العراق، ومعهد دراسات التنوع الديني في العراق، ومؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية.

* عضو المجلس العراقي لحوار الأديان.

* تولد قضاء الشيخان، نينوى عام 1952، مؤرخ وكاتب وباحث في الديانة الإيزيدية.

* عمل في السلك الدبلوماسي منذ عام 2008، وشغل مناصب عدة في دوائر وزارة الخارجية في بغداد: مدير قسم شمال أوربا (2008 - 2011)، معاون رئيس دائرة التخطيط السياسي، معاون رئيس دائرة أفريقيا، معاون رئيس الدائرة الهندسية والفنية، معاون رئيس دائرة شؤون القنصليات (2015-2018). وفي الخارج شغل منصب نائب رئيس بعثة جمهورية العراق في أوسلو مملكة النرويج (2011 - 2013)، رئيس بعثة جمهورية العراق في هانوي فيتنام (2013 - 2015)، رئيس بعثة العراق في مانيلا الفلبين (2018 - 2020).

* رئيس مركز الإيزيدية خارج الوطن "EZIA" هانوفر، ألمانيا. وصاحب امتياز مجلة "ROJ" (1995-2009).

* عمل باحثاً وأستاذاً مساعداً في جامعة أوغوست-غيورغ، القسم الإيراني، غوتنغن, ألمانيا (1996 - 2005).

* شغل منصب رئيس جمعية الطلبة الأكراد في أوربا "KSSE" مركز براغ، تشيكوسلوفاكيا سابقاً (1985 - 1991).

* نال شهادة الدبلوم في العلوم السياسية في صوفيا، بلغاريا عام 1984.

* نال شهادة الدكتوراة في التاريخ من جامعة كالوفي، براغ, تشيكوسلوفاكيا عام 1991.

* شارك في حركة الأنصارالبيشمركه في كردستان العراق للأعوام (1980-1984).

* مارس مهنة التدريس والتعليم في متوسطة تل عبطة، قضاء الحضر، وكلكجي، قضاء الشيخان بمحافظة نينوى (1976 - 9801).

* شارك في العديد من المؤتمرات والفعاليات الطلابية والشبابية العالمية (1985 - 1991)، ومثّل الطلبة الأكراد فيها، منها: (مهرجان الشبيبة العالمي الثاني عشر في موسكو، المؤتمرات واللقاءات العالمية والإقليمية في بيونغ يانغ/ كوريا الشمالية، أولان باتور/منغوليا, نيقوسيا/ قبرص، هافانا/ كوبا، وارشو/بولونيا، طرابلس/ ليبيا، فضلاً عن براغ/تشيكوسلوفاكيا.

* وألقى محاضرات في العديد من المؤتمرات والفعاليات العلمية للجامعات الألمانية وغيرها.

* منذ عام 1970 وحتى اليوم ينشر العشرات من المقالات والأبحاث، وأصدر العديد من الكتب منها:

- ئێزدیاتی لبەر رۆشنایا هندەك تێكستید ئایینی ئێزدیان=الإيزيدية على ضوء بعض نصوص الديانة الإيزيدية (بالاشتراك مع خدر سليمان), بغداد, 1979.

- حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي(1939 - 1968)، آراء ومعالجات، مطبعة APEC ستوكهولم، السويد 1994.

- نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، مطبعة رابوون، أوبسالا، السويد، 1998.

- أدعية الإيزيدية، كراسين، آينبيك, ألمانيا 1997.
- پەرن ژ ئەدەبێ دینێ ئێزدیان/ صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مجلدين "باللغة الكردية"، دار سبيريز، دهوك، الطبعة الأولى 2004.
- God and Sheikh Adi are Perfect: Sacred Poems and Religious Narratives from- the Yezidi Tradition بالاشتراك مع البروفيسور فيليب كراينبروك، مطبعة فيزبادن، ألمانيا، 2005.
- - Yezidism in Europe: Different Generations Speak about their Re-ligion, Wiesbaden 2009 بالاشتراك مع البروفيسور فيليب كراينبروك، و زكية قرتال، و خانى اومرخالي.
- من أذربيجان إلى لالش، إعداد وتحقيق: د. خليل جندي، تأليف: أحمد ملا خليل، سبيريز، دهوك، الطبعة الأولى 2006.
- الإيزيدية والامتحان الصعب، دار آراس، أربيل 2008.
- داستانێت حژێ كرنێ ژ چیایێ شنكالي= ملاحم الحب من جبل سنجار، مطبعة سبيريز، دهوك، الطبعة الأولى، 2016.
- الدين الإيزيدي: المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، دار الرافدين، بيروت، المسارات، بغداد، الطبعة الثانية 2018.
- الرمزيات في الديانة الإيزيدية. (تحت الطبع)
- الإيزيدية إلى أين؟ (تحت الطبع)
- مووضوعات حول إبادة ايزيدية شنكال. (تحت الطبع)

في هذا الكتاب، أنا قارئ للتاريخ والتراث، وباحث عن المعلومات منطلقاً من رؤية موضوعية وليست أيديولوجية ونظرة قومية أو دينية ضيقة، وساعٍ إلى وضع اليد على بعض الحقائق المخفية من خلال العودة إلى ما كتبه المؤرخون وقراءته قراءة دقيقة، وتصنيف ومقارنة وتحليل ما هو مدون في بطون كتب التاريخ وما هو مذكور في الموروث الشعبي الإيزيدي، ومحاولة تتبع وإيجاد بعضاً من رؤوس الخيوط المبعثرة بين ذلك التاريخ القديم، وما هو باق من آثار ودلالات في نصوص الديانة الإيزيدية وقصصها وأدبها الشعبي، عسى أن أتمكن من تفكيك بعض تلك الرموز والألغاز المخفية للوصول، على الأقل، إلى فرضية منشأ الدين الإيزيدي وأصله الحالي. وبناءً على هذه المنهجية فإن الأرضية التي أتحرك فيها هي حركة الشعوب القديمة وهجراتها وما خلفته لنا من آثار حضارية وآداب وفنون وعقائد وأساطير وقصص، وكيف أثرت وتأثرت تلك الشعوب والمجموعات البشرية مع بعضها.

هنا، لايمكنني التشخيص الدقيق لمنطق التاريخ ومنبع الأفكار من دون دراسة علاقة الانسان بالبيئة والمكان بوصفهما الركنين الأساسيين للتاريخ البشري. فلا تاريخ من دون البشر، ولا أفكار وعقائد بجميع أنواعها، خارج المكان والزمان.

ISBN: 978-9922-8671-6-8





بيت الكتاب السومري